الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسنطينة قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:.....

الكوارث الطبيعية وآثارها في الجزائر خلال العهد العثماني

أُطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ .

تخصص : العلاقات الاقتصادية والثقافية للجزائر ودول المغرب الكبير.

إعداد الطالب : **إشراف الدكتور:**

حفيان رشيد حماش خليفة

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الدرجة	الجامعة الأصيلة	الصفة
01-أد/علاوة عـمارة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة-	رئيسا
02-أد/خليفة حـماش	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة-	مشرفا ومقررا
03-أد/رمضان بورغدة	أستاذ التعليم العالي	جامعة 08مـــاي1945-قالمة-	عضوا مناقشا
04-أد/فـارس كـعوان	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد لمين دباغين-سطيف-	عضوا مناقشا
05-تـوفيق بــن زردة	أستاذ محاضر أ	جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي-	عضوا مناقشا
06-محمد أوجرتـني	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة-	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:1441-1442هـ/ 2020-2021م

شكروتقدير:

الحمد لله أن وفقنا إلى نور العلم وبصيرته، و أتم علينا نعمه،

وإنه ليسعدني ويشرفني أن أتقدم بالشكر الجزيل وكامل التقدير للدكتور: **خليفة حماش،** أولا على قبوله الإشراف على هذا البحث، وثانيا النصائح والتوجيهات والتصويبات القيمة من طرفه، والتي ساعدتني كثيرا على تذليل الصعوبات خلال فترة البحث والتنقيب عن المعلومات، ولم يبخل علي بوقته الثمين وجهده المقدر، فكان نعم المشرف فجزاه الله عني كل الجزاء.

اهداء:

إلى كل الذين شجعوني على اتمام هذا العمل و زرعوا فينا الأمل .

أُهدي ثمرة هذا العمل المتواضع راجين من الله عزّ وجل القبول والثواب.

حفيان رشيد.✍


بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المختصرات :

- أوج: الارشيف الوطني الجزائري.
- أوت: الارشيف الوطني التونسي.
- ج : الجزء.
- ط : الطبعة.
- ع: العدد.
- ص : الصفحة.
- تح : تحقيق.
- تر : ترجمة.
- و: وثيقة
- د.ت : دون تاريخ.
- مج : مجموعة.

–**R**. **A** : Revue africaine.

–**R**. **T** : Revue Tunisienne.

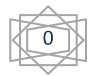
–**R**. **H**. **M** : Revue d'Histoire Magrébine.

– **R**. **O**. **A**. **C** : Revue de l'Orient de l'Algérie et des Colonies.

–**T** : Tome.

–**B** : Boite.

مقـــــدمة



الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الإهتمام بدراسة تاريخ بلاد المغارب عامة والجزائر خاصة في العصر الحديث،كان أغلبه ينصب حول التاريخ السياسي لهذه الأقطار في حين أغفلت الدراسات والبحوث الأكاديمية جوانب أخرى مهمة من حياة المجتمع المغاربي، تلك الجوانب التي لا تقل أهمية في معرفة التطورات الحاصلة لديه، هذا إذا إستثنينا بعض الدراسات الحديثة التي إهتمت بباقي الجوانب الإجتماعية والإقتصادية والثقافية منها على سبيل المثال لا الحصر: الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني[1]، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(926-1246هـ/1519-1830م)[2]، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر(1700-1830م)[3]، العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن (10هـ/16م)[4].

وإذا أخذنا الجزائر كجزء لم يكن معزولا عن التطورات والتأثيرات والأحداث التاريخية التي مر بها حوض المتوسط، وبلاد المغارب خلال العهد العثماني نجدها قد أثرت وتأثرت بذلك، بحكم موقعها الجغرافي والتواصل البشري القائم بينها وبين دول المتوسط ودول المشرق العربي ودول افريقيا جنوب الصحراء في إطار مختلف العلاقات السياسية والإقتصادية والثقافية وحتى الدينية القائمة بينها.

ومن هنا إرتأينا الوقوف عند بعض المراحل العصيبة التي مرت بها الجزائر سواء من الناحية الإجتماعية أو الإقتصادية فشد ذلك إنتباهي ظاهرة الكوارث الطبيعية التي إجتاحت الجزائر خلال العهد العثماني، على شكل دورات و موجات متوالية من الأوبئة الفتاكة، أو الزلازل والفيضانات والجفاف وأسراب للجراد وغيرها خلال فترات دورية من تاريخها ، مخلفة آثار كبيرة وعميقة عرقلت مسارها الإقتصادي ، ووقفت حاجزا أمام نموها الديموغرافي مما ترك بصمات واضحة في الذاكرة الجماعية إنعكست على كتابات الإخباريين المحليين والأجانب على حد السواء.

---

[1] حماش (خليفة)، أطروحة دكتوراه، (غير منشورة)، جامعة منتوري- قسنطينة، 2006-2007 م.

[2] شويتام (أرزقي)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009 م.

[3] غطاس (عائشة)، (دط)، مقاربة اجتماعية-اقتصادية، منشورات: ANEP، الجزائر، 2012م.

[4] بن خروف (عمار)، (دط)، دار الأول، الجزائر، ج2، 2008م.

فبالإضافة إلى التأريخ للأزمات أو الأوبئة كظواهر طارئة فرضت عليهم تتبع مراحلها من الظهور إلى الحدة ثم التلاشي، وتسجيل حجم فتكها الذي لم يستثن أية فئة إجتماعية دخيلة أو مستوطنة (ساكنة)، أو أية جهة جغرافية فقد دون الإخباريون كمًا ثقيلا من المؤلفات التي سعوا من خلالها حسب بعض الباحثين[1]، إلى الجواب عن مجموعة من الأسئلة المؤرقة في ظل مسألة العدوى وأمام العجز عن وقف نزيف الخسائر، ومالها من عظم الآثار والعواقب على البلاد مجتمعا وسلطة.

02- دوافــع إختيار الموضوع:

تعددت دوافع وأسباب إختياري لهذا الموضوع منها: أن معظم الدراسات السابقة إعتمدت على المصادر الأجنبية عن طريق عملية الترجمة، أوتناست و أهملت الوثائق والمصادر المحلية التي كانت أقرب إلى هذه الظاهرة.

– محاولة إستعمال مصادر أرشيفية جديدة باعتبارها تحمل مادة علمية زاخرة في معالجة هذا الموضوع وإتباع منهاج جديدة وطرح قراءة جديدة له، خاصة اذا علمنا أنه عمّ الصمت وساد في تناول مثل هذه المواضيع من التاريخ المنسي للجزائر العثمانية.

– الإبتعاد عن سطوة التاريخ السياسي على حقل الكتابة التاريخية حسب ما طالعتنا به السنوات الاخيرة على حصيلة البحث التاريخي في الجزائر وفي المقابل عدد قليل من الأبحاث حول البيئة فكان اختيار الموضوع الذي يندرج ضمن مجال التاريخ والبئية كأرضية خصبة للبحث، ومن هنا جاء عنوانه يحمل :

الكوارث الطبيعية وآثــــارها في الجزائر خلال العهد العثماني.

[1] الفرقان (حسن)، أدبيات الأوبئة في مغرب القرن19م، نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي، دراسة وتحقيق، ط1، دار التوحيدي، الرباط، المغرب، 2014م.

03- حدود الدراسة:

تتناول هذه الدراسة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني(1518-1830) لما تميزت به من أحداث، وما طرأ عليها من تغيرات في مختلف أوجه الحياة السياسة والعسكرية والإجتماعية والإقتصادية وحتى الطبيعية.

04-الإشكالية:

إجتاحت الجزائر موجات متوالية من الكوارث الطبيعية والأوبئة الفتاكة خلال العهد العثماني خلفت عدة آثار كظواهر طبيعية طارئة، فهي لم تكن لتستثني أية فئة إجتماعية أو أية جهة جغرافية، فكانت بذلك الإشكالية الرئيسية للموضوع تتمثل في البحث عن طبيعة هذه الكوارث من حيث مكوناتها وحيثياتها، ودوراتها وذلك من خلال التعمق في خصائصها وأنواعها وأسبابها ثم النظر في ما يكون لها من آثار على مختلف الجوانب خاصة الإجتماعية والإقتصادية ، وتوضيح موقف السلطة و المجتمع منها .

ونظرا الى الثراء الواسع الذي يتميز به الموضوع فإنه من الطبيعي أن يطرح عدة أسئلة متشعبة يصعب الإلمام بها في عمل واحد، فالبعض منها يتعلق بطبيعة هذه الكوارث في ذاتها، وبعضها يتعلق بآثارها على مختلف المجالات، والبعض الأخر بالوقوف على ردود الفعل أمامها.

فإذا أتينا إلى المجموعة الأولى من الأسئلة فإن ما يطرح بخصوص هذه الكوارث الطبيعية يتمثل في ما يلي: ماهي طبيعة هذه الكوارث ؟ من خلال الوقوف عند الضبط المفاهيمي لها، وماهي أنواعها وأسبابها؟ وفي ذلك رصد وتتبع لدورتها في الجزائر زمانا ومكانا في الجزائر خلال العهد العثماني.

وإذا أتينا الى المجموعة الثانية من الأسئلة المتعلقة بآثارها فإن مايطرح منها هي الأسئلة الخاصة بالآثار الإجتماعية وأولها ماهي الحصيلة الديمغرافية لهذه الكوارث؟ ماهي السلوكات والأزمات التي أفرزتها باعتبارها صدمات توالت على المجتمع؟ و ماهي الفئة الإجتماعية الأكثر ضررا منها ؟.

وبعد الأثار الإجتماعية تأتي الأثار الإقتصادية: هل ألحقت ضررا بالهياكل الإنتاجية في مختلف الأنشطة الإقتصادية (الزراعة والصناعة والتجارة)، من حيث اليد العاملة والمحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية والسوق كفضاء إقتصادي مهدد؟ هل تعدت أثارها الى التجارة الخارجية؟ وذلك من خلال تأثير الأوبئة على علاقات الجزائر البينية مع مختلف الدول المجاورة و المتوسطية؟.

وإذا أتينا الى المجموعة الثالثة من الأسئلة المتعلقة بالطرق الوقائية والإحترازية للحد من آثارها خاصة مسألة العدوى المطروحة، فإن أولها يكون: ماهي طرق إنتشار الأوبئة ؟ وماهي آليات هذا الإنتشار؟ فيما يتمثل مشروع الوقاية منها ؟وهل تم إتخاذ نظام حمائي لذلك على غرار باقي الدول؟ وفيمَ تمثل الأداء السياسي والإجتماعي للحد منها؟.

05- منهـج الـدراسة:

يحتاج الباحث إلى إستخدام عدة مناهج التي يمكن من خلالها أن يجيب على الإشكالية المطروحة ومايتبعها من تساؤلات فرعية، وذلك بحسب طبيعة الموضوع وتشعبه، إذ يستلزم ذلك تحديد مجموعة من المناهج كان أولها في هذا البحث المنهج التاريخي الذي يتتبع وينقل لنا مجريات الأحداث ووقائعها، مع تحليلها وتفسيرها على أسس علمية، بهدف الوصول إلى نتائج حقيقية، وقد إعتمدنا عليه في إستقراء وثائق أرشيفية وإستغلال مادتها العلمية ومن ثمَ توظيفها في الدراسة، والمنهج التاريخي يحتاج بدوره إلى المنهج الوصفي الذي يُعنى بوصف الأحداث ومميزاتها وصفا دقيقا معبرا عنها بصورة كمية وكيفية بالتحليل والتفسير للأحداث وقد إعتمدنا عليه في تتبع الجذور التاريخية للكوارث الطبيعية، إضافة إلى توظيف المنهج الإحصائي كان الغرض من إستعماله تقديم قراءة رقمية للظواهر المدروسة انطلاقا من المعطيات المستخرجة من المصادر من أجل تكوين تصور واضح لمختلف الأوضاع وتقييمها وفي بعض الأحيان إلى مقارنتها بما يدور من أحداث متزامنة في الزمان والمجال بتوظيف المنهج المقارن بين البلدان المغاربية في حد ذاتها وبينها وبين البلدان الأوروبية تارة أخرى وفي ذلك مقاربة أفقية لهذه

المجالات مستلهمة من مجمل تاريخ المغرب للعروي[1]، وبين البلدان المغاربية والبلدان الأوروبية في إطار المجالية المتوسطية أو عالم المتوسط لبروديل[2]، وذلك في المقارنة العمودية وهذا قصد الخروج من إطار التاريخ الإقليمي والجغرافي والسياسي الضيق إلى الإنفتاح على العالم الخارجي دون إهمال التركيز على التاريخ الجزائري في الفترة المدروسة.

06-التــأريخ للموضوع:

تعددت الدراسات التى تناولت حيثيات هذا الموضوع خاصة في العصر الحديث نجدها متنوعة بين الكتابات العربية والأجنبية، وقد أفادتني كثيرا من حيث التنظير للموضوع أو من حيث المنهج رغم إختلاف ميادين دراستها و مجالها الجغرافي (أوروبا، تونس، المغرب، الدولة العثمانية...) أو حتى إطارها الزمني ونعني بذلك الفترات التي سبقت موضوع دراستنا (العهد العثماني)، أو التي جاءت بعده (الإحتلال الفرنسي) بإعتبار أن بعض الكوارث تقتضي تمطيط الزمن التاريخي، وجعله أكثر بطئا وإنسيابية، بعيد عن التقطيع الكرونولوجي الصارم المعتمد في التحقيب التقليدي سواء بالرجوع الى العصور الوسطى أو الإنتقال الى الفترة المعاصرة وفي ذلك إشكالية لتجاوز التحقيب الجزائري العثماني إما بالرجوع إلى القرن الخامس عشر(15م) بإتجاه الخلف أوالإنتقال إلى القرن التاسع عشر(19م) بالذهاب إلى فترة الإحتلال الفرنسي للجزائر، ومن تلك الدراسات في الفترة الوسيطة نورد مايلي:

-المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(588-927هـ/1192-1520م)[3]، للباحثة مزدور سمية حاولت فيها توضيح دور بعض الأزمات كالمجاعات والأوبئة في فهم وتفسير تاريخ المغرب الأوسط كمجال جغرافي في الفترة الزمنية المحددة لموضوع الدراسة كمحاولة للكشف عن الفترات العصيبة التى مر بها، وقد سبقتها دراسة للباحثة

---

[1] العروي (عبدالله)، مجمل تاريخ المغرب، ج3، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، 1994م.

[2] فرنان (برودبل)، المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب وايجاز مروان أبي سمرا، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993م.

[3] مذكرة ماجستير، جامعة منتوري-قسنطينة، 2008-2009م.

سميرة المزكلدي بعنوان:" المجاعات والأوبئة بالمغرب الوسيط (534-776هـ/1139-1375م)[1]، تقدمت بها لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط في دولة المغرب الأقصى.

أما في العصر الحديث فقد تعددت الدراسات والأبحاث في هذا المجال، وهي مساهمة جادة في مسار الدراسات والأبحاث السابقة التي إهتمت بالأزمات الديموغرافية في المجالات المغاربية عامة وعلى رأسها الجزائر حاولنا تتبعها كرنولوجيا على النحو التالي:

- في المجالات المغربية نذكر منها على حسب إطلاعنا مايلي:

دراسة بعنوان: المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16و17م ل:برنار روزنبرجي و حميد تريكي مترجمة إلى العربية[2]، تحمل العنوان الأصلي التالي[3]: Famines et épidémies au maroc au 16e et 17esiècles

وهي محاولة سباقة وجادة في البحث عن مكونات وأسباب هذه الظاهرة وفعلها بالأناسي وتفاعلهم معها .

لتليها دراسة لمحمد الأمين البزاز بعنوان: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر[4]، تناول فيها الباحث الأوبئة والمجاعات التي تعاقبت على المغرب بصورة دورية، تلتها مساهمة في الديموغرافيا التاريخية بعنوان: المجتمع والأزمات الديموغرافية في تاريخ المغرب في القرن الثامن عشر (1727- 1757م)[5]، تناول فيها الباحث الإطار الإجتماعي الذي كانت تجري فيه حياة المجتمع المغربي في القرن الثامن عشر خلال الفترة المضطربة، لتُتبع هذه الأبحاث بدراسة مكملة للقرون السابقة (16-17-18-19م) بدراسة قيّمة متمثلة في تحقيق مخطوط[6] ل:حسن الفرقان تحمل عنوان:أدبيات الأوبئة في مغرب القرن19م نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، وهي إستقراء لأحد الأنواع الأدبية في الكتابات التاريخية لتلك الفترة الزمنية وتقييم لمحتوياتها.

---

(1) جامعة سيدي محمد بن عبدالله –كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ظهر المهراز-فاس، 2003-2004م.

(2) ترجمها الى العربية حزل (عبد الرحيم)، ط2، دار الأمان، الرباط، 2010م.

(3) In Hespéris Tamuda , Vol 14 et 15 /1973-1974.

(4) جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية –الرباط، 1992م، وهي في الأصل أُطروحة دكتوراه في التاريخ نوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط يوم11جوان 1990م (ينظر المرجع نفسه، ص5).

(5) حالي (محمد)، أُطروحة دكتواره، جامعة محمد الأول،كلية الآداب والعلوم الإنسانية–وجدة، 2002م.

(6) المشرفي (العربي بن عبد القادر بن علي)، أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، مخطوط رقم2054، متوسط الحجم ، مقاس 20×15سم ، الخزانة الحسنية – الرباط، (راجع: حسن الفرقان، المصدر السابق، ص97).

أما في تونس فقد أُنجزت دراسة للباحث بوجرة حسين بعنوان: الطاعون وبدع الطاعون، الحراك الإجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير(1350-1800م)[1]، وهي في الأصل أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، نوقشت عام 2005م بكلية العلوم الإنسانية والإجتماعية في تونس، تحت إشراف الأستاذ محمد الهادي الشريف، وهي مساهمة جادة في مسار الدراسات والأبحاث السابقة، التي اهتمت بالأزمات الديموغرافية في المجالات المغاربية، اعتمد فيها الباحث على مقاربة إسترجاعية لدراسة الأزمات البيولوجية وتاريخ الطاعون وذهنياته في بلاد المغارب إنطلاقا من القرن الرابع عشر إلى التاسع عشر[2] أو "ماقبل الاستعمار"[3]، هذا على مستوى الأبحاث الفردية أما فيما يخص الأبحاث الجماعية ففي مجال الديموغرافيا التاريخية في في تونس فقد تم إنجاز عمل بعنوان: الديموغرافيا التاريخية في تونس والعالم العربي، لمجموعة باحثين[4] تناولت مواضيع في فترات محتلفة أما في المغرب تم إنشاء مجموعة بحث وقد أصدرت هذه الأخيرة أربعة أعداد من مجلتها "كنانيش"[5] المهتمة بالديموغرافيا التاريخية وقد كان أول عدد لها سنة 1999م، لكنها توقفت عن الصدور منذ سنة2002م، وفي نفس السنة تم تخصيص عدد حول المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب[6].

لتصدُر مجموعة أعمال ضمن عنوان: المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب[7] تحت إشراف آسيا بنعدادة، سنة2011م، وهي عبارة عن مجموعة بحث مغاربية تسعى للمساهمة في خلق ديناميكة بحث واهتمام بهذا الحقل

---

[1] نشر ضمن أعمال: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011م.

[2] أبرهموش (محمد)، من تاريخ الطاعون الى عقليات الطاعون ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية-القنيطرة،2017 م.

[3] تم تداول هذا المفهوم في الدراسات الحديثة للباحثين كصيغة تحقيبية جديدة تشمل الإطار الزماني الممتد بين العصر الوسيط والقرن التاسع عشر نذكرمنها: السبتي (عبد الأحد)، الزطاط وقاطع الطريق أمن الطريق في مغرب ماقبل الإستعمار، دار توبقال، الدار البيضاء،2009م ، وكذلك دراسة حبيدة (محمد)، بؤس التاريخ مراجعات ومقاربات، دار الأمان ،الرباط،2015م.

[4] بن حمادي (عمر)، برو ر(رشيدة)، السعداوي (أحمد)، جدلة (ابراهيم)، الشريف (عبدالله)، دار سراس، تونس، 1993م.

[5] نشاط (نشاط مصطفى)، أستيتو(محمد)، المودان (نورالدين)، مجلة كنانيش، الديموغرافيا في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، رقم28، ط1، وجدة/ع1، 1999م.

[6] سلسلة ندوات ومناظرات رقم04، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، جامعة شعيب الدكالي، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، المملكة المغربية، 2002م.

[7] منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية—الرباط، 2011م.

المعرفي غطت فيها الحقبة الممتدة من القرن الرابع عشر إلى القرن العشرين تناولت الأمراض والأوبئة التي كانت تتردد على بلاد المغارب، والطب المغاربي وعلاقته بالمجتمع والدولة، والطب المحلي، والطب الإستعماري، في حين سجلنا فيه غياب تام لأي دراسة خاصة بالجزائر في هذا العمل.

مما استلزم علينا الوقوف عند أهم الدراسات التى تناول هذا الظواهر أو جزئياتها في الجزائر خلال العهد العثماني وتتبع تسلسلها زمنيا.

ففي الفترة الإستعمارية قام الفرنسي لويس- أدريان –بربروجر[1] (Louis-Adrien Berbrugger)، بكتابة أول مخطوط[2] بعنوان: Mémoire sur la peste en Algérie، يتضمن دراسة حول وباء الطاعون في الجزائر خلال العهد العثماني بين سنوات 1552م و1819م التي عرفت فيها هذا الوباء، وترتيبها ترتيب كرنولوجي[3] ، ومن هنا تتجلى أهمية المخطوط علما أن المصادر التي نقل عنها المؤلف فهي مصادر محلية كما تم الإشارة إليه، أضف إلى ذلك فهو يغطي فترة زمنية تتجاوز ثلاث قرون ، تناول فيها صاحب المخطوط الطاعون ودورات إنتشاره بداية من عام 1552م إلى غاية 1819م لمدة تقارب ثلاث قرون تؤرخ للجزائر العثمانية، متتبعا لمصدره ومدى إنتشاره في أرجاء الجزائر ومحددا لنتائجه والوقوف على أثاره سواء الديموغرافية أو الاقتصادية

---

(1) من مواليد باريس سنة 1801م، المؤرخ والمكتبي، عمل مؤسس ومحافظ لمكتبة ومتحف الجزائرالتى تأسست سنة 1832م، كما شغل منصب سكرتير خاص للحاكم العام كلوزيل برتراند (1772-1842)، وهذا سنة 1835 وقد أشار الى ذلك في مؤلفه ، مؤسس الجمعية التاريخية الجزائرية التى كان مقرها ببجاية، و عضو في اللجنة العلمية في الجزائر1842، وافته المنية بالجزائرعام 1869م، ينظر:

- Yacono(X) : Les Cahiers d'Afrique du Nord Biographie ، nº15, Adrien Berbrugger : Hommes et Destins. Tome VII. 1986 ; Berbrugger (A), Bibliothèque-musée d’Alger, livret explicatif des collections diverses et ces établissements، Alger, 1860, pp7-14.

(2) يحمل رقم 3305 موجود بالمكتبة الوطنية الجزائرية، عدد أوراقه تسعة وستون (ورقة69) بقياس(310×210ملم)، دون مؤلف أو ناسخ أو تاريخ النسخ حسب مصلحة المخطوطات والمؤلفات النادرة بالمكتبة الوطنية،كتب بخط رفيع باللون الأسود بمعدل خمسة وعشرون(25) سطر في كل ورقة ينظر:

-Mémoire sur la peste en Algérie ,Manuscrit nº3305, de la bibliothèque nationale Algérienne , feuille, 2 et 8.

(3) Manuscrit, f 2 et 4.

بالتحليل وأبرز إنعكاساته على دول المتوسط، وقد كُتب هذا المخطوط عام 1845م[1]، وفي ذلك ربط بين الأحداث وهذا ما نادت به مدرسة الحوليات عند تأسيسها بدايات القرن العشرين[2]، ليليها عمل لأول طبيب جزائري وهو محمد الصغير بن العربي المولود عام1850م بشرشال، بعنوان"الطب العربي في الجزائر" وهو عبارة عن أُطروحة دكتوراه في الطب ناقشها بفرنسا يوم 16جويلية من عام 1884م باللغة الفرنسية تحت عنوان[3]:

"La Médcine Arabe en Algérie" ، وقد تناولها في فصلين تحدث فيها عن تاريخ الطب عند العرب، وتطرق إلى طرق العلاج التقليدية والحديثة على ضوء الإكتشافات الجديدة في ميدان الطب آنذاك[4]، وقد قام الدكتور مصطفى دحية بترجمتها إلى العربية مؤخرا [5].

وفي عام 1855م أنجز الطبيب الفرنسي قويون(Guyon.J-L-G) باعتباره مفتش للمصالح الطبية العسكرية في فرنسا، دراسة شاملة حول تاريخ الكرنولوجي للأوبئة في شمال افريقيا خص مدينة الجزائر بدراسة حول ضربات الطاعون مابين 1817-1822م [6]، في حين نشر الأب بورزي (Burzet, Bellarmin-Vincent (Abbé عام1869م دراسة حول تاريخ الكوارث في الجزائر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر على مدار ثلاث سنوات 1866-1867-1868م تحت عنوان:

-Histoire des désastres de l'Algérie, 1866-1867-1868, sauterelles, tremblement de terre, choléra, famine.

---

(1) لقد قَدمتُ لهذا المخطوط قراءة راجع: حفيان (رشيد)، **قراءة في مخطوط بعنوان**: Mémoire sur la peste en Algérie، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، م33، ع03-قسنطينة، الجزائر، 2019، ص ص604-623.

(2) لوغوف (جاك)، التاريخ الجديد، ترجمة وتحقيق وتقديم محمد الطاهر المنصوري، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت-لبنان،2007، ص 84،كوثراني (وجيه) ، تاريخ التأريخ: اتجاهات، مدارس، مناهج، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2012، ص199.

(3)Ben Larbey (Mohmed seghuir), La Médecine Arabe en Algérie,thèse pour le doctorat en médecine, paris 1884, p01. Et https://www.biusante.parisdescartes.fr/histoire/biographies.

(4)Ben Larbey (Mohmed seghuir), op.cit, p11et27.

(5) الطب العربي في الجزائر، محمد الصغير بن العربي أول طبيب دكتور في تاريخ الجزائر، ط1، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018 م.

(6) Guyon(J-L-G), Histoire Chronologique Des épidéémies du Nord De l'AFRIQUE depuis les temps les plus recules gusqu'a nos jours, Alger 1855, pp435-456.

وقد مثلت هذه الدراسة بحث شمل مختلف الكوارث التي شهدتها الجزائر في هذه الفترة من غزوات للجراد وهزات أرضية، ومجاعات وأوبئة مع الإشارة إلى البعض منها خلال العهد العثماني [1]، وفي نفس الفترة صدرت درسة تفصيلية عن غزوات الجراد عام 1866م من طرف مورين أميدي(Maurin, Amédée) تحمل عنوان:

-Invasion des sauterelles : histoire, anatomie, marche, moeurs, reproduction, Ravages, leur importance en agriculture, moyens de destruction.

في حين نشر ألبير دوفو بحثا عن بعض العواصف البحرية التي مست مدينة الجزائر[2] مابين1592-1835م، وقد نشرها في العدد 89 من المجلة الإفريقية لعام 1871م.

ويضاف الى هذه الدراسات الفرنسية، مساهمة الطبيب الفرنسي لوسيان رينو(Raynaud lucien) مدير الصحة لمدينة الجزائرحول ضربات الطاعون التي مست نواحي مدينة الجزائر في الفترة مابين 1899-1924 والتي نشرها في معهد باستور بالجزائر[3].

وفي عام 1927م ناقش الفرنسي جون مارشيكا (Jean Marchika) أُطروحة دكتوراه في الجزائر حول الطاعون في شمال إفريقيا وقد خصصها لدراسة تاريخ الطاعون في الجزائر من1363إلى غاية1830م تحت عنوان(Histoire de la peste en Algérie de1363 à 1830)، تناول فيها ضربات الطاعون مجالا وزمانا في الجزائر خلال الفترة المحددة.

---

(1) Burzet, Bellarmin-Vincent (Abbé), Histoire des désastres de l'Algérie, 1866-1867-1868, sauterelles, tremblement de terre, choléra, famine, par l'abbé Burzet, Alger, [Edition de 1869] .

(2)Devoulx (Albert), Quelques tempêtes à Alger, Revue Africaine, n° 89, 1871.pp341-352.

(3)Raynaud (lucien), La peste en Algérie:l'épidémie de peste dans la région d'Alger. Cas de peste survenus dans la colonie de 1899 à 1924, Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie (1924), PP303–361.

وفي ثمانينات القرن الماضي عادت مثل هذه الدراسات إلى الواجهة خاصة بعد سقوط الخلافة العثمانية، فكان أهمها الدراسة الجادة والغنية للباحث الفرنسي دانيال بانزاك (Daniel.Panzac)[1]عام 1985م، حول ضربات الطاعون التي مست الإمبراطوية العثمانية في الفترة مابين 1700-1850م والمعنونة ب:

la peste dans l'empire ottoman (1700-1850)، وقد أشاد العديد من الباحثين بقيمتها وأهميتها [2].

لتشق طريقها إلى الجزائر مثل هذه الدراسات التاريخية في نفس الفترة الزمنية ومابعدها عند الباحثين الجزائريين على شكل مقالات تناولت جزئيات الموضوع أهمها مقال بعنوان:"الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني"[3]، وهي ليست بدراسة طبية بل تاريخية كمحاولة للكشف عن المعارف الطبية والأمراض الشائعة في الجزائر العثمانية ومقال آخر بعنوان:" الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني"[4]، وآخر بعنوان:"من أجل إعادة النظر في البنية الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر معطيات مستقاة من الوثائق المحلية"[5] ،سعت إليها الباحثة للوصول إلى إحصائيات أكثر دقة من خلال استغلالها للوثائق الأرشيفية المحلية[6]،

في حين تناول محمد غالم[7] ظاهرة الزلازل من خلال مصدر محلي لإبن سحنون الراشدي[8] خلال القرن الثامن عشر، كما تناول الباحث حماش خليفة في دراسة نشرها بعنوان:"الوفيات في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

---

(1) coll. Turcica، v, éditions peeters, louvain, 1985, 659p, 35 cartes, 16graphiques, index.

(2)Mantran(Robert). Panzac Daniel, La peste dans l'empire ottoman, 1700-1850, coll. Turcica. In: Revue de l'Occident musulmanet de la Méditerranée, n°44, 1987. Berbères, une identité en construction. p. 149.et Biraben (Jean-Noël). Daniel Panzac. La Peste dans l'Empire Ottoman 1700-1860, 1985. In: Annales de démographie historique, 1986. Démographie historique en Amérique Latine. pp. 499-505.

(3) غطاس (عائشة)، مجلة الثقافة،ع76، الجزائر 1983م، ص ص121-130.

(4) سعيدوني (ناصر الدين)، المجلة التاريخية المغربية، ع/34-35، تونس، 1985م، ص ص 431-445.

(5)غطاس (عائشة)، مجلة انسانيات، ع/19-20، الجزائر، جانفي-جوان2003م، ص ص33-44.

(6) نفسه، ص33-34.

(7) ظاهرة الزلازل في الاسطوغرافيا الجزائرية التقليدية (بين الذاكرة والتاريخ)، مجلة انسانيات ، ع3، الجزائر1997م.

(8) الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح وتق: المهدي البوعبدلي، ط1 ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

من خلال عقود المحكمة الشرعية"[1]، في تفسيره لتراجع عدد الأولاد للأسرة في مدينة الجزائر بسبب كثرة الوفيات في المجتمع لإنتشار الأمراض والأوبئة وضعف الرعاية الصحية [2]، إلى جانب دراسات الباحثة **فلة موساوي القشاعي** التي تعتبر أرضية خصبة وانطلاقة جدية في هذا المجال من خلال مجمل الأبحاث المنجزة في ذلك نذكر منها:

- "الوضعية الديمغرافية والصحية بالأرياف القسنطينية نهاية العهد العثماني(1771-1837م)"[3].
- "وباء الطاعون في الجزائر العثمانية، دوراته، وسلم حدته وطرق إنتقاله"[4].
- "الوضع الصحي لمدينة تابلاط وضواحيها(1830-1855)[5].
- "الوضع الصحي بالمدية، سكان بين أوبئة الكوليرا والتيفوس"[6].

لتُتوج هذه الأعمال في النهاية بانجازها لأطروحة دكتوراه في التاريخ بعنوان:"الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي(1518-1871م)[7]، وقد نشرت على شكل كتاب بدعم من وزارة الثقافة في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية سنة 2010 يحمل عنوان"الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1518-1871م).

تطرقت في هذه الأطروحة إلى الوضع الصحي والديمغرافي في الجزائر خلال الفترة العثمانية وأوائل الإحتلال الفرنسي (1518 - 1871 م) من خلال ما طرأ على البلاد من كوارث طبيعية متمثلة في الجراد والجفاف والزلازل والمجاعات المروعة التي تسببت في إحتياج أمراض خطيرة كالطاعون والتيفويس والجدري والتي خلفت آثار متعددة

---

(1) المجلة التاريخية المغربية، ع131، زغوان-تونس، مارس2008م، ص ص125-143.

(2) نفسه، ص125.

(3) المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع/17-18،زغوان، تونس، سبتمبر1988.

(4) مجلة الدراسات الإنسانية ، ع1،كلية العلوم الإنسانية، الجزائر، 2001م، ص ص 134-148.

(5) نُشر ضمن أعمال الملتقى الوطني حول تاريخ تابلاط، 27-29أفريل 2010م.

(6) نُشر ضمن أعمال الملتقى الوطني حول فاطمة نسومر بين المقاومة والصوفية، وزارة الثقافة، جامعة المدية، ماي 2009.

(7) كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ-جامعة الجزائر، 2003 -2004م.

المستويات سواء على الفرد أو الجماعة مست الفترتين العثمانية والمراحل الأولى من الحتلال الفرنسي التي شهد فيها المجتمع الجزائري فترات عصيبة نالت هي الأخرى نصيبها من إهتمامات الباحثين[1].

كما تجدر الإشارة إلى دراسات الدكتور مصطفي خياطي التي أضافت الكثير من المعلومات الصحية والطبية عن العهد العثماني ، ومختلف الكوارث التى مر بها في مختلف مراحله التاريخية لكون هذه الدراسات صادرة عن طبيب يعي جيدا ما كان يجري في ميدان الطب في الفترات السابقة ويعيش في عصرنا بكل ما فيه من تطورات حاصلة في ميدان الطب وتتمثل هذ الأعمال فيما يلي[2]:

Histoire de la Médecine en Algérie de L'Antiquité à nos jours

-" الطب والأطباء في الجزائر العثمانية"[3].

-"الأوبئة والمجاعات في الجزائر" و"الطب والأطباء في دولة الأمير عبد القادر" [4].

والتي تبقى كمساهمة في تخصص أكاديمي قائم على أساس تكوين طبي وتاريخي مشترك.

وما تجدر الاشارة اليه أن مثل هذه المواضيع كالزلازل قد تعدت السياق التاريخي لها إلى المجالات العلمية الأخرى، ونخص الذكر هنا مختلف الأعمال الصادرة في الجزائر عن مركز بحث علم الفضاء والفيزياء الفضائية والجيوفيزياء (CRAAG ,1994)[5]، ومن جهة أخرى اختارت بعض الأبحاث المحلية والأجنبية في دراستها

---

[1] أهمها دراسة ل: صاري (جيلالي)، الكارثة الديمغرافية1867-1868 بالجزائر، ترجمة خليل أوذاينية، موفم للنشر، الجزائر2013م.

[2] Edition ANEP, L'Algérie, 2012.

[3] منشورات، ANEP، الجزائر، 2013م.

[4] منشورات، ANEP، الجزائر، 2013م.

[5] نذكر من هذه الأعمال مايلي:

-Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal), Contribution à la connaissance de la sismicité d'Alger et de ses alentours au XVIIIe siècle, extraite des archives françaises, Centre de recherche en astronomie, astrophysique et géophysique (CRAAG), Algérie,2008.

- A. (Amina Abdessemed-Foufa), and D.Benouar: Atlas of Earthquake -Résistant Traditionnel Techniques in Alegria: The Case of the Casbah of Algiers, Algiers, 2015.- Zatir (Amira) et Foufa (Amina), EVALUATION OF THE CITADEL OF ORAN AFTER THE, EARTHQUAKE OF 1790, Académique Journal of Science, Algiers, 2018.

التطرق للمجالات المغاربية كأقاليم مشتركة في هذه الظواهر بحكم موقعها الجغرافي نذكر منها(1) :

-Boubaker Said : La Peste dans les pays du maghreb attitudes face a fléau et impact sur les activités commerciales 16-18éme siècles .

وكذلك مقالين لكل من الباحثين الإيطاليين الدكتور رستيفوجوبي (Guiseppe .Restifo): الطرقات البحرية، طرقات الأوبئة في شرقي البحر المتوسط1750-1800م بعنوانها الأصلي التالي:

-maritime routes, épidimic routes in the eastern mediterranean (1755-1800),

والدكتور سبتسيالي سلفاتور(Salvatore Speziale)، الملاحة والوقاية الصحية البحرية في المغرب العربي زمن الوباء (بداية القرن18و19م)تحمل عنوان:

- navigation et prevenstion sanitaire maritime au maghreb en temps de peste (début18 –début19siècle).

وقد نشرت هذه الأبحاث ضمن أعمال المؤتمرات عن الولايات العربية خلال العهد العثماني(2)، علما أن مثل هذه المواضيع قد أثارت جدلا واسعا في أوساط الباحثين نظرا لصعوبة الإستناد على المقاربات الكمية فالمؤرخ في نظرهم يواجه اشكالات منهجية عند دراسة مثل هذه المواضيع(3).

ولا سبيل للإنكار أن مثل هذه الدراسات كانت حاضرة في كتابات الأروربيين سواء الخاصة بتاريخ أوروبا أو غيرها من الأقاليم الجغرافية كالدولة العثمانية(4) أومناطق شمال إفريقيا(5)، خاصة الأمراض الأكثر شيوعيا منها الطاعون المعروف لدى الأوروبيين عبر التاريخ(6) .

---

(1) In,R.H.M, 2éme année n° 79-80, Tunnis, mai 1995.

(2) In :Acts des Symposiums sur les Porovinces Arabes à L'Epoque Ottomane, N12, sur la marine et les routes commerciales ottomanes ,etude réunies et préfacées par prof.Abdeljelil Temimi, Tunis ,2000.

(3) راجع: مداني(طارق)، المؤرخ والمقاربة الكمية: حول الدراسات الديمغرافية لبعض الحواضر الإسلامية : عرض أُطروحات وإثارة تساؤلات ، مجلة أُسطور، ع10، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، قطر، جوان2019م، ص ص7-32.

(4) Jean-Noël(Biraben). Panzac(Daniel). La Peste dans l'Empire Ottoman 1700-1860, 1985. In: Annales de démographie historique, 1986. Démographie historique en Amérique Latine. pp. 499-505.

(5) Jacques (Houdaille), Colloque sur la démographie historique de L'Afrique. Edimbourg, 23-24 Avril, 1981.In : Population, 36e, année, n6 ,1981.pp.1191-1192.

(6) Pierre (Julien), La peste et ses ravages en Europe et en Méditerranée au cours des temps : Jean-Noël Biraben, Les hommes et la peste en France et dans les pays européens et méditerranéens. Tome 1. La peste dans l'histoire, Revue d'Histoire de la Pharmacie, Année 1976, 231, pp. 273-274.

07-المصادر المعتمدة:

تنوعت المصادر المعتمدة في هذا البحث لطبيعة الموضوع إذ تطلب الوقوف على مجموعة مختلفة منها والمتعلقة بالفترة المدروسة ومنها مايلي:

أولا-الوثـائق الأرشيـفية: تنوعت الوثائق في مختلف دور الأرشيف بدءا بالأرشيف الوطني أو دور الأرشيفات المغاربية (تونس-المغرب الأقصى)، أو الأجنبية خاصة الفرنسي والتي إحتوت على مادة علمية دسمة إشتغلنا عليها قدر المستطاع خلال جمعنا لها .

-الأرشــيف الوطــني الجزائري:

إعتمدنا على عقود المحاكم الشرعية المتعلقة بمدينة الجزائر، وهي عقود تناولت مواضيع خاصة بالمعاملات بين الساكنة منها البيوع، وقد ساعدتنا عقود التسوس، والندى في إستخلاص بعض أثار الكوارث الطبيعية التي أحدثتها (خاصة الفيضانات والزلازل) والواردة في مضمونها حيث يلتزم البائع بإظهار العيب للمشتري وذلك على المذهب الحنفي الذي يسجلة القاضي في العقد ، ويرجع الفضل في ذلك إلى توجيه المشرف لنا إلى هذه العقود خاصة المتزامنه مع النصف الثاني من القرن 18م على أساس أن السنوات الأولى التي تغطيها من الوجود العثماني قد ضاعت أو أتلفت عقب الحملة الفرنسية على الجزائر، والمتمثلة أساسا في مايلي:

-العلبة 13، ميكروفيش4، الوثيقة 10، سنة1194هـ (عقد التسوس).

- العلبة 13، م4، و10، سنة1188هـ (عقد التسوس).

- العلبة 5، م3، و2، سنة1172هـ/1758م.

- العلبة 5، م3، و2، سنة1172هـ/1758م.

-العلبة 5، م3، و2، سنة 1172هـ /1758م (عقد الندى).

-أرشـــيف ولاية قسـنطينة:

يحتوي على سجل مهم للفترة الأخيرة من الوجود العثماني وهو سجل الوفيات للمحكمة المالكية لمدينة قسنطينة لسنة 1256هـ/1840م، يحمل رقم1987/13،(به 98 ورقة)، وتحتوي الورقة الواحدة منه على أكثر من ثلاث عقود، وتكمن أهميته في معرفة عدد الوفيات لذلك العهد حسب كل صنف (رجال ونساء أطفال) وكذا معرفة نوع المرض المتسبب في الوفاة والتي بلغت في تلك الفترة 591حالة وفاة بقسنطينة.

- المكـتبة الوطـنية الجزائرية:

احتوت على وثائق مختلفة خاصة بالفترة العثمانية وقد تمكن الدكتور خليفة حماش بمسح شامل لها ووضع كشاف يحتوي على تاريخها وموضوعها في كشاف خاص بوثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبة الوطنية، وقد اعتمدنا على مجموعة منها:

-المجموعة رقم1641: وهي عبارة عن مراسلات من بايات الشرق في قسنطينة (صالح باي وأحمد باي)، وشيوخ القبائل إلى وكيل الباستيون الفرنسي بالقالة عددها 132 رسالة، اعتمدنا فيها على مايلي من الوثائق: 36-42-51-53-56-75-84-85-90-91-96-107-108-109-113-127-130، والتي تناولت مواضيع متعلقة بإنتشار الوباء في مختلف أرجاء البايلك، وتدهور الوضع الإقتصادي، وكذلك الإستعانة بالأطباء الأجانب في معالجة بعض الأوبئة قمنا بإستغلالها وتوزيعها وما يتماشى مع عناصر البحث.

- المجموعة رقم 1642، الوثائق:8-14-25 : تحتوي هذه المجموعة على 30 رسالة باللغة العربية أرسلها محمد باي و أحمد باي في قسنطينة إلى حسين باشا في الجزائر بين سنوات1816 -1830م، تناولت في محتواها إنتشار لبعض الكوارث الطبيعية ، كالجفاف وغزو للجراد، وتدهور للوضع الإقتصادي ومنع لتأدية الضرائب وغيرها.

– **المجموعة رقم 3190**، الملف الأول، الوثيقة 207- 383 و الملف الثاني، الوثيقة 15، تناولت هذه الوثائق مواضيع مختلفة داخل الإيالة وخارجها باعتبارها مراسلات وصلت إلى باشوات الجزائر من وكلائهم في الباب العالي منها موضوع العواصف البحرية التي أضرت ببعض السفن الجزائرية، ووقوع الوباء بإستطنبول، وتفشي ظاهرة السرقة بالغرب الجزائري.

-**المجموعة 1903**، الوثائق12-33-50، تناولت مسائل متعددة منها الطريق البحري للحجيج كآلية لإنتقال العدوى خلال مناسبة الحج التي شكلت قاسم مشترك للحاج المغاربة.

– **المجموعة رقم 3204**، الملف01، الوثائق 6-45-60، تناولت موضوع المتطوعين المجندين القادمين من الباب العالي ومسار السفن القادمة من موانئ الإسكندرية سمحت لنا بتتبع مسار الأوبئة انطلاقا من موانئ الشرق وصولا إلى الجزائر والوقف على آليات العدوى وهم وحدات الإنكشارية .

– **الدفاتر رقم 1966**، و **رقم1972**، اعتمدنا فيها على بعض النماذج التي تضمنت تجنيد الإنكشاريين من الأناضول للجزائر وعدد وحداتهم.

–الأرشـيف الوطـني التونسي:

يحتوى على مجموعة من الوثائق التي تناولت الجزائر في مجال علاقاتها مع تونس سواء العلاقات السياسية والتجارية والدبلوماسية والإجتماعية خاصة وثائق السلسلة التاريخية المتمثلة في المراسلات متعلقة بالأوضاع الصحية بالبلاد التونسية وبالتحفظ من الأوبئة (1815-1873م)، وقد استفدنا منها في البحث من حيث التعرف على نظام الكرنتينة ومدة تطبيقه والعوائد المفروضة والمقبوضة على الجزائر خلال معاملاتها الإقتصادية مع ايالة تونس والمتمثلة أساسا في :

– السلسلة التاريخية، الصندوق068، الملف 809، الوثائق5-8.

– السلسة التاريخية، الصندوق 066، الملف798، مقبوض عوائد الكرنتينة عن شهري سبتمبر– أكتوبر و نوفمبر1836م.

– السلسلة التاريخية ، الحافظة 212، الملف 237، الوثائق15-2-6-17-29.

–السلسلة التاريخية، الصندوق 299، الملف الفرعي، الوثائق71-86-90.

–الأرشيف العثماني: (Osmali Arsivi):

ورد إسم الجزائر في العديد من محاضر المجالس الصحية للدولة العثمانية باعتبارها منطقة حيوية للتعامل التجاري، هذه المحاضر التى لاتزال محفوظة إلى يومنا هذا في الأرشيف العثماني بتركيا، وقد كان للطالبة محيدب حبيبية من قسم التاريخ بجامعة يلدريم بايزيد–أنقرة بتركيا الفضل في تزويدنا بنسخة من بعض الوثائق التي تخدم الموضوع أهما:

- Osmali Arsivi , A.J MKT.MHM 579/00016/001.
- Osmali Arsivi , A.J MKT.MHM 579/00016/002.
- Osmali Arsivi , A.J MKT.MHM 579/00016/003.
- Osmali Arsivi , A.J MKT.MHM 579/00016/004.
- Osmali Arsivi , A.J MKT.MHM 579/00016/005.

ومايجدر الإشارة اليه هو صعوبة قرائتها لأنها كتبت باللغة العثمانية وقد ساعدنا في ذلك بعض المتخصصين بها وقد أرفقنا البعض منها في ملاحق هذا البحث.

–الأرشـــيف الفرنسي:

تحتوي دور الأرشيف الفرنسية على كم هائل من الوثائق الخاصة بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني منها ماهو متعلق بمراسلات القناصلة الفرنسيين بالجزائر والموجودة على مستوى الأرشيف الوطني، وزارة الخارجية الفرنسية (A.E)، ضمن العلبة 115الى 145(B¹115à145)، والتي تغطي الفترة الزمنية الممتدة من 1642الى 1792م،ضمن31سجل على شكل مراسلات لمختلف القناصلة الفرنسيين بالجزائر خلال هذه الفترة تحمل

عنوان:(Correspondance des consuls de France à Alger(1642-1792 ، مع الإشارة إلى مجهود المدير العام للأرشيف الوطني الجزائري السيد محمد طويلي في جردها على شكل كشاف صدر سنة2001، سلمني المشرف نسخة منه سنة2014م، وقد اعتمدت على بعض المراسلات الواردة في هذا العمل بمساعدة الطالب عماري صالح بن الهادي وهو باحث دكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سوسة– تونس، وهومتخصص في تاريخ الصحة والسكان خلال الفترة الحديثة في منطقة البحر الأبيض المتوسط، منها السجلات التي تحمل رقم6:

- B[1]120, registre :6 (1716-1720), Fº6-7, extrait de la lettre des débutez de la chambre du commerce de Marseille du 21 fèvrier1716.

والتي تتحدث عن الزلزال الذي ضرب مدينة الجزائر في 03 فيفري من عام1716م، وغيرها من المراسلات التي وردت في السجلات رقم:9-10-11-14-28-31 التي تحدثت عن انتشار وباء الطاعون في أرجاء الايالة، وعدد الضحايا التي خلفها، والنظام الحمائي المعروف آنذاك باسم الكرنتينة .

–الوثائق المغريبــية المتعلقة بالجــزائر:

وهي مستمدة من علاقة المغرب بالجزائر بحكم الجوار وما ترتب عنه من علاقات مختلفة المجالات منها الدينية والإقتصادية والثقافية وغيرها، وقد قام الباحث خليفة حماش في إطار سلسلة الكشاف التي أنجزها حول تاريخ الجزائر بدور الأرشيف المغاربي التطرق إليها في مؤلفه الأخير الصادر سنة2019 م تحت عنوان كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني إلى العهد الراهن في جزئين، حاولنا إستغلال ماجاء فيها حول موضوع بحثنا، خاصة المراسلات المتعلقة بذلك وأهمها رسالة من قنصل البرتغال في طنجة الى حكومته بتاريخ29محرم1212هـ/ 23جويلية 1797م، ورد فيها تتبع أخبار إنتشار الطاعون في الغرب الجزائري أي على

الحدود الشرقية للمغرب وقدومة نحو مدينة فاس وضرورة إتخاذ الإحتياطات اللازمة من طرف السلطان أنداك، وتحمل الوثيقة 13، الرقم التسلسلي التالي:328.

ثانيا–المخطوطات:

تنوعت المخطوطات التي تناولت جزئيات من هذه الظواهر حاولنا إستغلالها خاصة فيما يخص الأوبئة، وتزخر المكتبة الوطنية الجزائرية في قسمها الخاص بالمخطوطات بالعديد منها حاولنا قدر الإمكان الإطلاع فكان أهمها

–مخطوط : كشف الرموز في شرح العقاقير والعشاب، رقم 1764، للطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري الذي قدم لنا صورة الطب والصيدلة في الجزائر خلال القرن الثامن عشر.

– مخطوط: العميد في صناعة الجراحة رقم1755 لصاحبه أبي الفرج يعقوب ابن اسحاق المدعو ابن القف، وماورد في المقالة الخامسة منه، في الفصل السادس: في الطواعين، وقد ساعدنا في تتبع علامات وأماكن ظهور الطاعون بجسم الإنسان .

– مخطوط فرنسي: مذكرة حول الطاعون في الجزائر، رقم 3305، عدد أوراقه تسعة وستون(ورقة69).

-Mémoire sur la peste en Algérie, Manuscrit nº3305, de la bibliothèque nationale Algérienne.

يتضمن هذا المخطوط لصاحبه: لويس– أدريان –بربروجر (Louis-Adrien Berbrugger)، دراسة حول وباء الطاعون في الجزائر خلال العهد العثماني بين سنوات 1552م و1819م التي عرفت فيها الجزائر هذا الوباء، وترتيبها ترتيب كرنولوجي، متتبعا مصادر العدوى من الدول المجاورة منها خاصة تونس من الواجهة البحرية عن طريق التجارة والتجار وما زاد في قيمة هذا المخطوط اعتماد صاحبه كتابته له على المصادر المحلية بما توفر بين يديه وبالتالي فالمخطوط هو عبارة مذكرة مستخلصة من أكثر من ثمان(08) سجلات عربية وتركية ومخطوطات

محفوظة بمكتبة الجزائر وخاصة جزء من محفوظات الشركة الملكية الإفريقية بالجزائر التى تأسست خلال القرن الثامن عشر (18م).

إلى جانب المكتبة الوطنية الجزائرية تزخر نظيرتها بتونس (قسم المخطوطات) بمجموعة كبيرة من المخطوطات التي تتصل بموضوع بحثنا كان أهمها :

– المناعي(محمد)، تحفة المؤمنين ومرشدة الضالين، مخطوط رقم11856، ورقة 70ظهر.
– قويسم (محمد)، الصون في ذكر ما يتعلق بالصون بالوباء والطاعون، مخطوط رقم09210.

التي تدعمت به هذه الدراسة خاصة فيي التعريف ببعض الكوارث والوقوف على أسبابها وبعض التفسيرات لها، وكيفية الوقاية منها وموقف الفقهاء منها.

ثالثا:كتب الرحلة المحلية والأجنبية:

تعتبر هذه الرحلات بمختلف أنواعها من أهم المصادر المادية التى يرجع إليها الباحثون في كتابة التاريخ المحلي في مختلف المجالات (سياسية، إجتماعية، اقتصادية وثقافية)، لما تحتويه من مادة خصبة، ورصيد معرفي عن الأوضاع التي عايشها الرحالة بإعتباره شاهد عيان عن زمانه، والرحلة كتأليف فهي تحفظ تلك الشهادة وتقدم لنا جملة من الأخبار المعرفية حول بعض الظواهر الإقتصادية والإجتماعية والعادات والتقاليد وبعض القضايا الفقهية والجغرافيا وغيرها من المعارف...الخ، كطرق إنتشار الأوبئة ومنافذها، المشاكل الصحية، و وصف للكثير من الكوارث الطبيعية (كالجفاف والزوابع الرملية والوباء والجراد...)، وبعض السلوكات الإجتماعية زمن الأوقات العصيبة كالخوف والهجرة والنهب وقطع الطريق التى اعترضت ركب الحج مع العلم أن هذه الظاهرة إنتشرت في بلاد المغارب عامة من خلال ماورد في هذه الرحلات المحلية (نذكرمنها رحلة العياشي–الورثلاني–التمكررتي–الحضيكي–ابن حمادوش–الزياني)، ومايقال عن الرحلات المحلية يقال عن الرحلات الأجنبية بالجزائر خلال العهد العثماني (كرحلة الإنجليزي جوزريف بيتس، والألماني هابنستترايت وكل من الدكتور طوماس شو (Dr.Thomas.Shaw)، وفونتور دوباردي (V.De Pardis)، إلى جانب المصادر السالفة الذكر تدعم هذا

البحث بمجموعة أخرى من المصادر المنشورة التي أرخت للفترة الزمنية المدروسة المحلية منها والأجنبية والتي تناولت جزئيات وجوانب مختلفة لها صلة بالموضوع ، وكذلك بعض الجرائد الصادرة أنذاك أهمها الجريدة الفرنسية (La Gazette de France) بمختلف أعدادها، أضف إلى ذلك مراجع متنوعة بين الكتب التاريخية والفقهية والطبية وغيرها من المستندات التي يمكن الرجوع اليها في القائمة البيبليوغرافية للموضوع.

08- بنــية البــحث:

قسمنا هذا البحث المتواضع إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، حاولنا فيها الإجابة عن الاشكالية المطروحة، فقد خصصنا **الفصل الأول** للبحث في ماهية الكوارث الطبيعية في الفترة المدروسة على شكل دراسة بحث في المفاهيم اللغوية والإصطلاحية لمختلف الظواهر الطبيعية، والوقوف على أسبابها وأنواعها وكشف خصوصية كل منها إلى تتبع دورتها خلال العهد العثماني على مدى ثلاثة قرون (1518-1830م) مع إشارة إلى الفترات التاريخية التبي سبقت الإطار الزماني للعهد العثماني، وذلك من أجل تكوين صورة شاملة عنها بالنسبة للقارئ.

أما**الفصل الثاني** فقد خصص للحديث عن مختلف الأثار التي خلفتها هذه الكوارث في شتى المجالات الإجتماعية والإقتصادية والعمرانية ومانتج عنها من أثار على الحياة الإجتماعية والإقتصادية للساكنة في الجزائر العثمانية.

في حين ركزنا في **الفصل الثالث** على دراسة الطرق والإجراءات الوقائية للإحتراز من الكوارث الطبيعية وجهود المجتمع والسلطة في الوقوف ضدها ، خاصة مسألة العدوى وطرق إنتشارها وآلياتها، التي أثارت جدلا واسعا بين الفقهاء، ليختتم البحث بمجموعة من الإستنتاجات.

وأردفنا الدراسة بمجموعة من الملاحق منها الجداول الإحصائية التي تتبعنا فيها مجمل الكوراث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني زمانا ومكانا، وقد تعذر علينا توظيفها مباشرة في الدراسة لأن إيرادها في المتن يقطع من دون شك موضوعات الرسالة، خصوصا وأن الكثير منها كانت جداول طويلة تغطي فترة زمنية تتجاوز ثلاثة قرون لإعتمادنا على نظام الوحدات الزمنية، ومن جهة أخرى راعينا في هذه الملاحق التنوع منه نماذج من الوثائق

التي كانت عبارة عن مرسلات–وثائق أرشيفية–عقود وغيرها، والغرض منها تبيان التفاصيل الدقيقة، وبعض العبارت والألفاظ الواردة فيها، وطريقة كتابتها كجزء مكمل لمتن الدراسة.

09–صعوبات البحث:

لقد واجهتني في هذا البحث جملة من الصعوبات المتمثلة في التنقل إلى دور الأرشيف الأجنبية للاطلاع على بعض الوثائق، أضف الى ذلك صعوبة قراءة وتحليل البعض من هذه الوثائق الأرشيفية التي كتبت بلغات مختلفة منها اللغة العثمانية مما استدعى الاستعانة ببعض المختصين ، كما شكل التعتيم وندرة المادة المصدرية التي تتناول الموضوع بشكل مباشر بالجزائر خلال العهد العثماني أكبر عائق، وإن وجدت فهي مبعثرة ، مما أدى توسيع دائرة البحث والقراءة وبالتالي لمْ وجمع النصوص المبعثرة التي لها علاقة بالموضوع في المصادر الدفينة وهذا بالانفتاح على مصادر مختلفة لم تؤلف أصلا لغرض التاريخ كمؤلفات الطب كتب الرحلة وغيرها، ومن جهة أخرى أدى تعدد الكوارث الطبيعية (أكثر من ثمان كوارث) إلى صعوبة تعقبها والوقوف عليها زمانا ومكانا في ظل شساعة المجال الجغرافي للجزائر العثمانية .

وفي الأخير، لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر إلى من مد لنا يد العون لإتمام هذه الدراسة من قريب أو بعيد، و يأتي على رأسهم الأستاذ المشرف الدكتور:" **حماش خليفة**"، على متابعته لهذا العمل .

الفــصل الأول:

الكوارث الطبيعية، بحث في المفاهيم والأنواع والأسباب.

المبحث الأول: الكوارث الطبيعية، مصطلحات ومفاهيم أساسية.

المبحث الثاني: دورة الكوارث الطبيعية في الجزائرالعثمانية.

المبحث الثالث: قراءة في أسباب الكوارث الطبيعية .

عديدة هي الكوارث الطبيعية التي مست جزائر العهد العثماني مجالا وزمانا، وقد توالت ضرباتها على ساكنتها مجتمعا وسلطة مخلفة آثارا متعددة الجوانب ، لذا حاولنا في هذا الفصل الوقوف عند الضبط المفاهيمي للكوارث الطبيعية، وأهم المسميات التي اتخذتها في المعاجم اللغوية، وكذلك المفهوم الإصطلاحي حتى يتضح المعنى ، ثم الوقوف عند أنواعها، لتعدد أصنافها بين الدارسين لها، وكشف خصوصية كل منها، كمحاولة لوضع قاموس لغوي-اصطلاحي في شكل مجال مفاهيمي لمختلف الكوارث المراد دراستها (زلازل-فيضانات-عواصف بحرية وزوابع رملية-جفاف-جراد-وباء-مجاعات) ليحتوي بذلك هذا الفصل على مسح شامل لهذه الكوارث وأكثرها تعاقبا من خلال تتبعها زمانا والوقوف على مكانها في مختلف المصادر خلال الفترة العثمانية التي تجاوزت ثلاث قرون ، متسائلين عن المسميات التي اتخذتها في الجزائر خلال العهد العثماني خاصة في ظل صمت وندرة المادة المصدرية التي تناولت هذه الظواهر بشكل مباشر، وماهي أصنافها والأسباب الي أدت الى حدوثها؟ وفيمَ تمثلت دورتها خلال الفترة المدروسة ؟ وماهي أكثر السنوات العصيبة التي مرت بها الجزائروأكثر الظواهر تأثيرا عليها؟

المبحث الأول: الكوارث الطبيعية، مصطلحات ومفاهيم أساسية:

تعدد التسميات التي أطلقت على الكوارث الطبيعية ، وان كانت تشترك في مفهوم واحد وهو إلحاق الضرر، فإنها تختلف من حيث الأنواع والخصائص،لذا حاولنا الوقوف عندها في التعاريف الواردة لغة واصطلاحا في مختلف المعاجم اللغوية، حتى يتضح المعنى أكثر وحتى يسهل تتبع هذه الظواهر تاريخيا ، وكيف تداولتها مختلف المصادر؟ بدءًا بتعريف الزلازل ونظرة المجتمع الجزائري العثماني إليها، إلى الوقوف على الفيضانات والأعاصير البحرية والزوابع الرملية ثم موجات الجفاف وغزوات الجراد و الأوبئة علما أن تعدد الكوارث الطبيعية(أكثر من سبع كوارث) أدى الى صعوبة تعقبها والوقوف عليها زمانا ومكانا في ظل شساعة المجال الجغرافي للجزائر العثمانية .

مما أدى توسيع دائرة البحث والقراءة وبالتالي لمْ وجمع النصوص المبعثرة التي لها علاقة بالموضوع في المصادر الدفينة وهذا بالانفتاح على مصادر مختلفة لم تؤلف أصلا لغرض التاريخ كمؤلفات الطب وكتب الرحلة .

أولا- الضبط المفاهيمي للكوارث الطبيعية:

1-تعريف الكارثة:

لغة: من الفعل:كَرَثَ، وهي مفرد جمعه كَوارِثْ ويُقال:

" كَرَثَه الأَمْرُ يَكْرِثُه ويَكْرُثُه كَرْثاً ، وأَكْرَثه : ساءه واشتدَّ عليه ، وبَلَغَ منه المَشَقَّةَ ، قال الأَصمعي : ولا يقال كَرَثَه ، وإِنما يقال أَكْرَثَه ، على أَنَّ رُؤبة قد ، قال : وقد تُجَلَّى الكُرَبُ الكَوارِثُ وفي حديث عَلِيٍّ : في سَكْرة مُلْهِثَة ، وغَمْرةٍ كارِثةٍ ؛ أَي شديدة شاقَّة ، من كَرَثه الغَمُّ أَي بَلَغَ منه المَشَقَّة ، ويقال أكرثني هذا الأمر أي ما بلغ مني مشقة[1]، ومن هذا الوصف الذي يفيد المشقة والشدة، وردت العديد من المفاهيم التي تعكس معاني متقاربة للكارثة أهمها مايلي:

-**النـــوازل**: جمع مفرده نازلة، وهي الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس[2].

-**الجـوائح**: في اللغة جاح الشئ بمعنى استأصله، ومنه الجائحة يعني الشدة والنازلة العظيمة التى تنزل بالناس وتأتي في أغلبها على الثمار وروى الشافعي قال:"الجوائح ما أذهب الثمر أو بعضها من أمر سماوي بغير جناية لآدمي[3].

-**النـــائبة**: جمعها نوائب، وهي ما ينوب الإنسان، أي ماينزل به من الملمات والحوادث وتعني المصيبة[4].

-**المصيبة**: وهي الأمر المكروه ينزل بالإنسان[5].

-**الكـرب**: الحزن والغم الذي يأخذ النفس وجمعه كروب، وكربه الأمرأي اشتد عليه، والكرائب هي الشدائد[6].

---

[1] ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج2، ص180.

[2] نفسه، مج11، ص659.

[3] نفسه، مج3، ص338.

[4] نفسه، مج14، ص377.

[5] نفسه، مج8، ص301.

[6] ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص711.

-**الأزمــة**: يقال أزّم الزمان أي اشتد بالقحط[1].

مما سبق يتضح لنا أن جميع التعاريف السابقة توحي بتدخلات خارجة عن قدرة الإنسان وتضيق عليه، وليس له دخل فيها، بل هي أمور تحدث بتقدير الله عز وجل على من يشاء من عباده[2].

2-أما التـعريف الإصطلاحي:

فهو يفيد أن الكارثة" حادثة محددة زمانا ومكانا ينتج عنها تعرض مجتمع بأكمله أو جزء منه إلى أخطار مادية شديدة وخسائر في الأرواح فتؤثر على البناء الاجتماعي وتهدد قيمه ومصالحه"، وقد تكون هذه الكارثة طبيعية مردها فعل الطبيعية أو قد تكون بفعل الإنسان سواء كان ذلك إراديا أم لا إرادي [3].

كما تعرف أيضا بأنها "التغيير المفاجئ حاد الأثر الذي يحدث تغيرات متصلة في القوى ويكون نتائجها انهيار التوازن"[4]، أوهي "تأثير سريع وفجائي للبيئة الطبيعية على النظم الإقتصادية والإجتماعية"، أو هي حدث مركز مكانيا و زمانيا يهدد المجتمع أو منطقة ما ، مع ظهور نتائج غير مرغوبة لإنهيار الحذر والحيطة التي ألفها السكان مدة من الزمن [5].

في حين ربطها البعض بالنازلة العظيمة الشاقة التي تنزل بالأقوام كجريان السيول العظيمة[6]، وبالتالي **فالكارثة** هي: تلك الأحداث الضارة أو المفجعة بالنسبة للإنسان وممتلكاته ومصالحه، فقد تحل عليه بشكل مباشر في

---

[1] ابن منظور، لسان العرب ، مج1، ص100.

[2] بن عبدالله (صالح)، الكوارث وآثارها في بلاد الشام خلال القرون الثلاث الأولى من الهجرة من القرن السابع إلى القرن التاسع الميلادي(622-913م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ الإسلامي-جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية، 1432م، ص45-46.

[3] حمزة (عفت وصال) ، الكوارث الطبيعية، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2003 ص05 ، نقلا عن بن عبدالله (صالح)،المرجع السابق، ص47.

[4] الشيخ (سوس سالم) ، إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، ط1، دار النشر للجامعات ، مصر2002، ص14.

[5] نفسه، ص37.

[6] بن عبدالله (صالح)، المرجع السابق، ص47.

مناطق وجوده أو قد تحل بمناطق خالية من السكان ولكن بها مصالح خاصة به، ويهمه كثيرا وجودها حيث يستفيد منها بشكل مباشر أو غير مباشر[1].

من خلال التعاريف السابقة نستنتج أن الكوارث الطبيعية ترتبط أساسا بمجال وزمان معين ،مخلفاً أضارا جسيمة على الساكنة ومجال وجودها ،كما تحمل في طياتها عنصر التغيير، وطابع السرعة والمفاجئ على النظم الإقتصادية والإجتماعية[2]، وبالتالي فهي تعاريف تقدم لنا معاني متقاربة للكوارث وأنها تحدث نتيجة عوامل خارجة عن قدرة الإنسان وتسبب في خسائر مادية وبشرية في فترة محددة زمانا ومكانا[3].

لذا حاولنا في هذه الدراسة إسقاط هذا التعريف زمانا ومكانا في الجزائر خلال العهد العثماني الممتد على مدى ثلاثة قرون (1518-1830م).

(1) محسوب (صبري محمد) و أرباب (محمد إبراهيم)، الأخطار والكوارث الطبيعية، الحدث والمواجهة-معالجة جغرافية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص36.

(2) محسوب (صبري محمد) و أرباب (محمد إبراهيم)، المرجع السابق، ص37.

(3) بن عبدالله (صالح)، المرجع السابق، ص48.

ثانيا-أنواع الكوارث الطبيعية:

أما فيما يخص أنواع هذه الكوارث الطبيعية فقد تعدد تقسيماتها بين الدارسين لها، ورغم تنوع تصنيفات وأقسام الكوارث إلا أنها تتفق حول عناصر تندرج كلها ضمن دورة الكوارث الطبيعية نورد منها:

01- تصنيف: جون بيار لابورت (Jean Pierre Laporte)، ويحتوي على ستة(06) أصناف كما هي موضحة في الجدول التالي[1]:

أصناف الكوارث الطبيعية	عناصرها
1-فلكية (Astrophisique)	-سقوط نيازك وكويكبيات(chute d'astéoide)
2-أرضية (Evénements tellurique)	-الزلازل -البراكين-موجات المد والجزر
3-تقلبات مناخية وجوية (Climat et météorologie)	-أمطار غزيرة وسيول جارفة (فيضانات) -جفاف -برق وعواصف رعدية
4-آفات زراعية	-الجراد والجندب -فئران الحقول وقوارض أخرى
5-أوبئة وأمراض مختلفة	-طواعين و أمراض مختلفة
6-مجاعات	ناتجة عن عدة عوامل طبيعية.

[1] Pierre Laporte(Jean), Peuplement et catastrophes naturelles dans l'Afrique de nord anciennes, dans le Maghreb antique et médiéval actes du troisiéme colloque international, (souse,05-06 et 07 mai 2016), pp117-149.

2-التصنيفات الأكاديمية الحديثة: تعتمد هذه التصنيفات على مجموعة معينة من الظواهرالطبيعية التي تشكل خطرا لتندرج ضمن دائرة الكوارث الطبيعية منها:

-تصنيف يقتصر في دائرة الكوارث الطبيعية على العناصر التالية: **الزلازل- التقلبات الجوية-الجفاف-مجاعات -طاعون وأمراض معدية -أسراب الجراد-حرائق**[1].

-تصنيف يقسم الكوراث الطبيعية كنوع أساسي من دائرة الكوراث على أساس عدم تدخل الإنسان فيها ويدرج فيها العناصر التالية: الزلازل والبراكين، السيول والفيضانات، الغرق والتصدعات والتشققات، والتغيرات المناخية المفاجئة، الخسف وتناثر الكواكب من السماء والآفات السماوية مثل الصقيع والبرد والثلج، والقحط والجفاف وزحف الرمال، والحرائق (أحيانا بفعل البشر)، والموجات الهوائية الباردة والحارة[2].

هذا التصنيف يندرج ضمن الأنواع الثلاث المتبقية وهي الكوارث البشرية-الآفات الزراعية- الأوبئة والأمراض، وهو التصنيف التقليدي المتداول في ستينيات القرن الماضي، علما أن هذه التصنيفات في تحديث مستمر تتماشى مع التغيرات الطارئة في كل مرحلة جديدة تواجه البشرية خاصة في ظل التطور الهائل الذي يشهده عدد السكان في العالم[3].

---

[1]Mrabet (Abd-ellatif), L'historique des calamités, et des catastrophes naturelles dans le Maghreb médiéval , Occupation du sol, peuplement et modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval actes du troisième colloque international, (souse,05-06 et 07 mai 2016), p296-297.

[2] بن عبدالله (صالح)، المرجع السابق، ص48-49.

[3] محسوب (صبري محمد)، أرباب (محمد إبراهيم)، المرجع السابق، ص14-15.

-تصنيف أخر يدرج الطاعون الى قائمة الكوارث الطبيعية السابقة الذكر(الاضطرابات الجوية المتمثلة في الفيضانات والرطوبة والجفاف وشدة البردة والزلازل اضافة الى اجتياح الجراد المتسبب في المجاعات والقحط)[1].

-تصنيف مستحدث: وهو نوع جديد من التقسيمات يقسم الكوارث الطبيعية إلى أربعة مجموعات رئيسية، وكل مجموعة تحتوي على مجموعة من العناصر على النحو الأتي[2]:

أنواع الكوارث	المكونات والعناصر
• جيولوجية	الزلازل والبراكين -الانزلاقات
• مناخية	الفيضانات-الجفاف-العواصف-الصواعق- موجات البرد والحر-الاحتباس الحراري
• بيولوجية	الأوبئة والأمراض
• ايكولوجية	الجراد-فئران الحقول-أنواع من القوارض. (الآفات الزراعية)

يستند هذا التصنيف العالمي الحديث التي التغيرات الجديدة التي طرأت على الإنسان والبيئة معا في ظل التغيرات المناخية الذي تشهده الأرض.

أما فيما يخص التصنيف المعتمد في موضوع دراستنا فقد حاولنا تتبع عناصر الكوارث الطبيعية كما وردت في المصادر التاريخية، وقد لاحظنا غياب ذكر بعض العناصر في هذه المصادر وهذا لايعني أنها لم تقع وانما قد تكون غُيبت أو لم تنل نصيبها في الذكر مما يُبقي مجال البحث عنها مفتوح.

(1) القشاعي(فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر...، المرجع السابق، ص49.
(2) http://www.universalis.fr/encyclopedie/catastrophes-naturelles-notions-de-base.

ثالثا– التعريف بأنواع الكوارث الطبيعية:

1– الزلازل:

–الضبط اللغوي: الزلزلة بفتح الزاي تعني تحريك الشئ ، ويقال أصابت القوم زلزلة، الزلزلة التخويف والتحذير من قوله تعالى: ﴿وَزُلزلواحتى يقول الرسول﴾[1]، أي خُوفوا وحُذروا، والزلازل: الشدائد والأهوال.

والزلزلة في الأصل أي الحركة الشديدة ومنه زلزلة الأرض وهو هنا كناية عن التخويف والتحذير، أي جعل أمرهم مضطربا متقلقلا غير ثابت[2].

زلزل الله الأرض زلزلة وزلزالا بالكسر، فتزلزلت هي. والزلزال بالفتح الإسم، والزلازل: الشدائد[3].

وقد ورد ذكر الزلازل في عدة مواضع من القرآن الكريم ومنها قوله تعالي:﴿هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً ﴾[4]، وقوله تعالى : ﴿إذَا زُلزلت الأرض زلزالها ﴾[5]، ففي الآية الأولى هو تصوير لحال المسلمين في عزوة الأحزاب عندما حاصرهم الأعداء فكان لهم الموقف بمثابة الإبتلاء والإختبار، أما الآية الثانية فيقصد بها زلزلة الآخرة[6].

أما في الحديث النبوي فقد وردت في حوالي ثلاثة عشر موضع، ومن هذه الأحاديث ما رواه أبو هريره رضي الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال في وصفة لعلامات الساعة:"لاتقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتكثر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل"[7].

---

(1) سورة البقرة، الآية (214).

(2) ابن منظور، لسان العرب، مج11، ص308.

(3) الجوهري (اسماعيل بن حامد)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1989م، ج5، ص1717.

(4) سورة الأحزاب، الآية (11).

(5) سورة الزلزلة، الآية (01).

(6) راجع تفسير ابن كثير للقرآن الكريم نقلا عن بن عبدالله (صالح)،المرجع السابق، ص51.

(7) البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص260، رقم الحديث1036نقلا عن :بن عبدالله (صالح)، المرجع السابق، ص52.

-الــزلازل في المصادر التاريخية:

نقلت المصادر التاريخية شهادات حية لأصحابها الذين عايشوا بعض الكوارث الطبيعية وعلى رأسها الزلازل، وتركوا لنا انطباعات تعكس البيئة العلمية والفكرية والثقافية وتختزن لنا تصورات وممارسات تحدد طبيعة المجتمعات في زمان ومكان معينين،على أساس أن هذه المصادر عبارة عن محطة تاريخية بل تتجاوز ذلك كونها خزان معلومات تقدم لنا نظرة عن مرحلة ثقافية محددة خلال فترة زمنية معينة[1]، لذا حاولنا البحث عن مفهوم الزلازل في ذهنية المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، ومن أكثر المصادر التي تحدثت عن هذه الظاهرة الطبيعية نجد ابن سحنون الجزائري [2]،باعتباره المؤرخ الذي انفرد عن بقية المؤرخين في تطرقه لهذه الظاهرة التي مست وهران عام1790، وقد خصه بمجموعة من التعاريف المتمثلة[3] في :

- **تعريف المنظور العامي**:لقد أكد المفهوم الذي كان في أوساط المجتمع الجزائري للزلازل نهاية القرن الثامن عشر(18م) أنه مازال في معتقداته يستند في تفسيره للظاهرة إلى الأساطير والخرافات المنسوجة حول نشأة الأرض "وهو تجلي الحق سبحانه للأرض"[4]، وهذا المعتقد راسخ في الفكر الصوفي الذي يرى أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يخوف عباده أظهر للأرض منه شيئا فأرتعدت، ويتضح من ذلك أن البيئة الثقافية كانت تتميز بتراجع علوم العقل وغلبة الثقافة الفقهية التي تستند في تفسيرها للظواهر إلى النقل والتجميع، وبالتالي فالبيئة الثقافية للمجتمع الجزائري خلال هذه الفتره

(1) غالم (محمد)، ظاهرة الزلازل في الإسطوغرافيا الجزائرية التقليدية (بين الذاكرة والتاريخ)، مجلة انسانيات ، ع3، الجزائر1997،ص48.

(2) عالم من علماء الجزائر خلال القرن 13هـ، من أسرة اشتهرت بالعلم ،كان والده محمد بن علي بن سحنون قاضي القضاة بمعسكر في عهد الباي محمد الكبير الذي تولى حكم بايلك الغرب راجع: غالم(محمد)،...المرجع السابق،ص49، ويعود نسبه الى جده سحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر المداوى دفين بني وعزان وهي قبيلة بنواحي ونشريس عاش في حدود القرن الحادي عشر ، راجع :الحفناوي (أبي القاسم محمد)، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، 1906، ج2، ص149

(3) غالم (محمد)، المرجع السابق، ص49.

(4) الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح وتق: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 211.

تميزت بتراجع العلوم العقلية وغلب عليها النقل دون التمحيص[1]، وهو السائد عند عامة الناس خاصة أن الظاهرة نالت إهتمام حديث عامة الناس لقول ابن سحنون:"وكان من حديث هذه الزلزلة أنه لما كان الوقت المذكور ارتجت الأرض بالناس ارتجاجا عظيما اهتزت منه البيوت، واضطربت السقوف اضطرابا قويا، فانزعج الناس من مضاجعهم داهشين ، ...واشتغلوا بالتحدث عنها وكيفية شعورهم بها وما شاهدوا من هولها، سنة الله التي خلت من قبل في إكثار الناس التحدث عن كل حادث."[2]، ومن بين الأحاديث التي أوردها حول هذه الظاهرة وفي ذلك رصد للذهنية السائدة أواخر القرن الثامن عشر ، وتفسيرها للظواهر الطبيعية وهي انعكاس واضح للبيئة السائدة في المجتمع الجزائري أنذاك الذي أكد فيها ابن سحنون على "غلبة التصورات الغيبية والاعتقادات الشعبية التي تدل على غياب للثقافة العلمية"داخل المجتمع وتهميش للطبقة العالمة[3].

فالزلازل في مفهوم العامة من الناس سببه"أن بعوضة خلقها الله تعالى وسلطها على الثور الذي عليه الأرض فهي تطير أبدا بين عينيه ، فاذا دخلت أنفه حرك الثور رأسه، فيتحرك جانب من جوانب الأرض "[4]،

وهذا مايفسر غياب العلوم في أوساط المجتمع الجزائري، وماكانت تقدمه الكتاتيب التي كانت تكتفي بتلقيين مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم[5].

---

(1) غالم (محمد)، المرجع السابق، ص49-50.

(2) الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، المصدر السابق، ص219.

(3) غالم (محمد)، المرجع السابق، ص52.

(4) الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، المصدر السابق، ص211-212.

(5) غالم (محمد)، المرجع السابق، ص52-53.

- **-تعريف الحكماء (أهل العلم):**

أورد ابن سحنون قولا في تعريف الحكماء للزلازل بقوله:"أن الزلازل إنما تكون عن كثرة الأبخرة الناشئة عن تأثير الشمس واجتماعها يعني الأبخرة تحت الأرض بحيث تقمعهما برودة حتى تصير ماء، ولا تتحلل بأدنى حرارة لكثرتها ، ويكون وجه الأرض صلبا بحيث لا تنفذ البخارات منها فإذا أصعدت ولم تجد منفذا اهتزت الأرض منها واضطربت كما يضطرب بدن المحموم لما يثور في بدنه من بخارات الحرارة ، وربما انشق ظاهر الأرض فتخرج منه تلك الموارد المحتبسة..."[1]، وهو التعريف الأقرب إلى الحقيقة العلمية حسب التعريف العلمي الحديث الذي سنورده، مقارنة مع التعريف العامي السائد آنذاك [2].

- **تعريف المتصوفة:**"والزلزلة هي ارتجاج الأرض وحركتها وسببها المعروف عند أهل الحق تجلي الحق سبحانه للأرض "، لقد صدق ابن سحنون في وصفه للزلزال لكنه أرجع سبب ذلك إلى أمور غيبية ، مستندا في حججه إلى بعض الأحاديث النبوية كالذي رواه ابن عباس عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال:"إذا أراد الله أن يخوف خلقه تبدّى لها"[3]،أي ظهر[4] وفي ذلك نفي لقول أهل الحكماء وفساد رأيهم وتفسيرهم، وهذا الرد إنما يرتبط أساسا في تكوينه الفقهي التقليدي من خلال الروايات المتعلقة والمتناقلة عن الصحابة وأقاويلهم التي أسردها[5]، ومن جهة أخرى إعتبار الزلازل غضب الاهي وبالتالي فهو علامة من علامات الله كقوله تعالى:﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾ [6]

.

---

[1] الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، المصدر السابق، ص211.

[2] غالم (محمد)، المرجع السابق، ص54.

[3] الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، المصدر السابق، ص211.

[4] تبدّى الأصل في الفعل: بدا اي ظهر ويقال: بدَا الشيءُ يبدُو...وأبديته أنا أي: أظهرته، راجع لسان العرب، المصدر السابق، مج14، ص65.

[5] غالم (محمد)، المرجع السابق، ص54.

[6] سورة الإسراء، الآية (59).

وبالتالي كان الزلزال في نظره تعاظم الغضب الإلهي على الأسبان الكفرة وأفعالهم الدنيئة من قوله:"وأخبر النصارى أنهم رأوا بأبصارهم قبيل وقوعها (أي الزلزلة) أربعة أشخاص على هيئة المسلمين يمشون في الهواء وسط مدينتهم، ووقف كل واحد منهم على زاوية من زواياها ثم أشار واحد منهم بثوبه ، وهم ينظرون ولا يقدرون على الكلام، فلم يتم إشارته حتى مالت بهم الأرض وسقطت الدور على أهلها"[1]،أضف إلى ذلك الرؤيا التي كانت تنبئ بفتحها "ومنها كثرة مرائي المسلمين المبشرات له بفتحها وتواتر إشارات الأولياء إليه وتصريحهم بأنه الذي يفتحها، فمن ذلك رؤيا بعض أهل الخير والمسكنة ..."[2]، كل ذلك إنا يفسر المعتقدات الغيبية التي ميزت رجال الدين والمتصوفة مقابل وفي المقابل تهميش ورفض الفكر العلمي والأخذ بالعقل مما يؤكد جمود وركود الحية الثقافية في المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة[3].

-التعريف العلمي الحديث: الزلازل عبارة عن إهتزازات مباغتة وقوية لقشرة الأرض تنتج بفعل التحرر السريع للطاقة المتجمعة في الصخور، لتتوزع هذه الطاقة المتحررة من مصادرها أو من بؤرتها في كافة الإتجاهات على شكل موجات مختلفة[4] مثلما يوضحه الشكل الأتي:

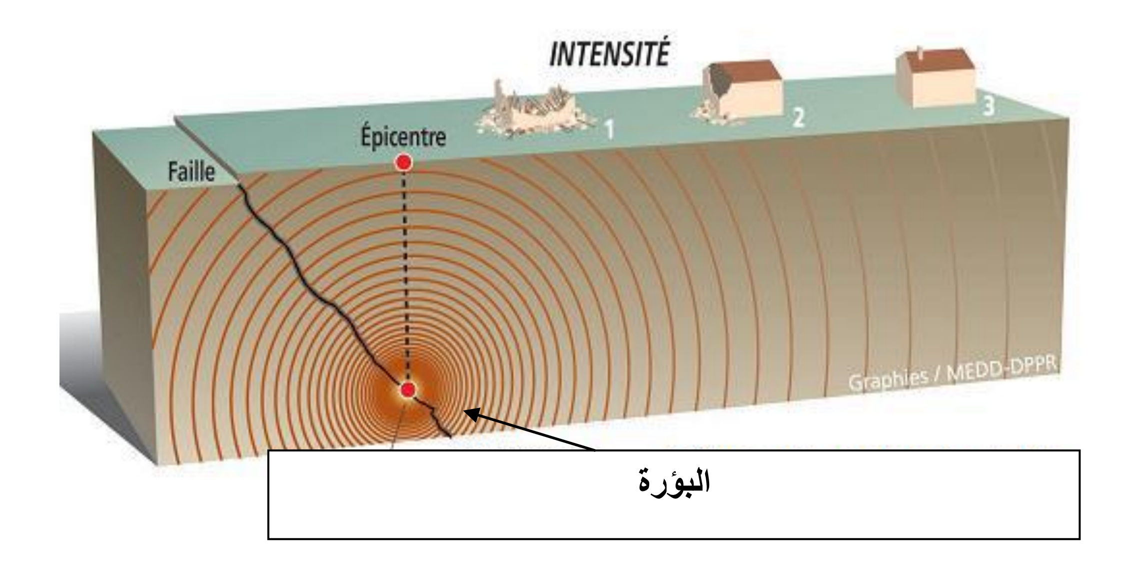
---

(1) الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، المصدر السابق، ص211.

(2) نفسه، ص 214.

(3) غالم (محمد)، المرجع السابق، ص56.

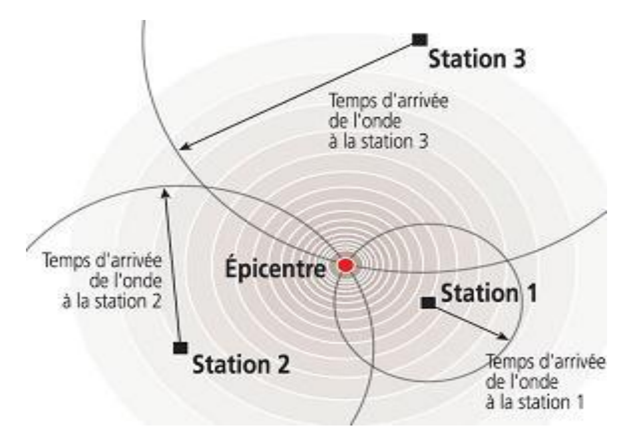
(4) محسوب(محمد صبري)، الجغرافيا الطبيعية ، أُسس و مفاهيم حديثة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م، ص45.



الشكل1: بؤرة الزلزال.

Source : Boughazi(Khadidja), risque sismique et urbanisation regard croisé sur la ville d'Alger, mémoire de magistére, faculté de sience de la terre, université Mentouri, Constantine, 2012, p300.

الشكل2: اتجاهات الموجات الزلزالية.



s/boughazi Khadidja,…op.cit, p310.

ويعود سبب هذه الزلازل إلى تحرك الصفائح التكتونية التي يتألف منه سطح الأرض بالنسبة لبعضها البعض في ثلاث اتجاهات أو حركات متباعدة أو متقاربة(متصادمة)، أو متحركة بالالتماس(التمزق) [1] كما توضحه الأشكال التالية:

[1] Boughazi(Khadidja), op.cit, p302-303.

تصادم الصفائح

تمزق الصفائح

تباعد الصفائح

s/boughazi Khadidja,…op.cit, p303.

هذه الحركة بمختلف أنواعها سواءا التقارب أم التباعد أم الاحتكاك تسبب اضطراب في باطن الأرض ينعكس على القشرة الأرضية في شكل تشققات وحركات رفع أو هبوط على شكل موجات تسمى بالموجات الزلزالية[1].

(1) محسوب (محمد صبري)، الجغرافيا الطبيعية...، المرجع السابق، ص45.



-الموجات الزلزالية:

تتولد عند حدوث الزلازل في مكان ما من سطح الأرض موجات زلزالية اهتزازية في جميع الاتجاهات مبتعدة عن موقع الزلازل ومنبعثة منه وقد قسمها العلماء إلى ثلاثة أنواع:

- ✓ موجات سطحية: وهي موجات مدمرة مصاحبة للزلازل تنطلق من مركز الهزة في مجال متعرج على سطح الأرض بسرعة تقدر بحوالي4كم/ثا.
- ✓ موجات طولية: تشبه الموجات الصوتية ، وتنتقل في شكل طولي ،تتراوح سرعتها مابين 5-13كم/ثا.
- ✓ موجات دائرية: على شكل أمواج اهتزازية تنتشر متعامدة على الموجات الطولية في شكل دوائر تتسع وتضعف بالقرب والبعد عن مركز الهزة.

-تكتونية الألواح: تتمثل هذه النظرية في فهم الآلية المسؤولة عن النشاط الزلزالي التي ظهرت بين سنوات1960-1970م، بعد التصور الذي وضعه الجيولوجي ألفريد فيجنر[1] (Alfred Wegener)، الذي قدمه بتاريخ06 جانفي1912م، في فرانكفورت [2]، والمتمثل في زحزحة القارات وتحركها عبر ملايين السنين على أساس أنها كانت كتلة واحدة ، مستندا إلى عدة براهين وأدلة منها تشابه حواف القارات من حيث التركيبة الجيولوجية والبيولوجية، وهذه الألواح أو الصفائح تبقى في تحرك مستمر كما توضحة الخرائط التالية:

---

[1] عالم جيولوجي ألماني(1880-1930م)، والمكتشف الرئيسي للانجراف القاري، وقد أظهرت أعماله ارتباطات جيولوجية وبيولوجية على جانبي المحيط الأطلسي، مؤكدا على أن الأرض كانت كتلة واحدة سماها البانجيا (la pangée) منذ200مليون سنة ، راجع:

-Segala (Marco), Alfred Wegener et la dérive des continents, *Bibnum*, Sciences de la Terre, 2012, p02.

- Boughazi (Khadidja), op.cit, p 292.

[2] Segala (Marco), op.cit, p02et suiv.

كتلة الأرض، منذ حوالي 200000.000 عام عندما كان هناك كتلة واحدة كبيرة فقط من الأرض Pangea .

كتلة الأرض ، منذ حوالي 65000.000 سنة.

كتلة الأرض في الوقت الحالي مع استمرارية التقارب والتباعد .

كتلة الأرض لحوالي 50 مليون سنة في المستقبل.

S : Boughazi (Khadidja), op.cit, p 292-293.

– **طرق قياس شدة الزلازل**: لقياس شدة قياس الزلازل تم الاعتماد على سُلمين الأول:سلم ميركلي لعام 1902م، وهو مقياس وصفي تختلف شدة الزلزال فيه حسب البعد أو القرب من بؤرة الزلزال ، ويتألف هذا المقياس من 12درجة(1-12°)[1]،أما سلم ريشتر أو ريختر فهو الأكثر إستعمالا، عبارة عن مقياس لوغاريتمي بمعنى أنه إذا تزايدت درجة في المقياس يقاربها زيادة في حركة الأرض 10مرات[2].

2–الفيضانات:

لغة: فَيض، فاض الماء أي كثر حتى سال على ضفة الوادي، وفاض الماء والمطر والخير إذا كثر، ويقال ماء فيض كثير، والحوض فائض أي ممتلئ، ونهر فياض أي كثير الماء وأرض ذات فيوض إذا كان فيها ماء يفيض حتى يعلو[3].

–يحدث الفيضان بعد هطول الأمطار وغزارة تساقطها لتندفع المياه بكثافة من المرتفعات نحو المنحدرات والمنخفضات[4]، خاصة في المجالات المتوسطية التي تتجاوز فيها نسب التساقط 800ملم/سنة[5]، وهذا ما ينطبق على ايالة الجزائر بإطلالتها المتوسطية شمالا[6]، وانفتاحها على الصحراء جنوبا[7]، على أساس أن مناخ الجزائر ينقسم إلى قسمين شمالي وجنوبي ولكل قسم خصائصه الجغرافية[8]، ففي الشمال السماء مشحونة بالغيوم الكثيفة والطقس ملبد بها والقادمة من أوروبا بفعل عامل الرياح الشمالية التي ترافقها أمطار وعواصف رعدية،هذه الأمطار تأخذ الجزائرنصيبا منها مثل ماحدث سنه1732[9]، لكنها تقل مع فصل الصيف وتنعدم في جهة

(1) Boughazi (Khadidja), op.cit, p311.

(2) محسوب (محمد صبري)، الجغرافيا الطبيعية...، المرجع السابق، ص48.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مج7، ص2111.

(4) بن عبدالله (صالح)، المرجع السابق، ص54.

(5) Leveau (Philippe), L’environnement de l’Afrique dans l’Antiquité. Climat et société, un état de la question، IKOSIM, N°5, (2016), pp61-64.

(6) Agnély (H), Le climat de L’Algérie, Alger, 1866, p 04.

(7) Shaw, Voyage dans la régence D’Alger, traduit de l’anglais par J.Marc Carthy, PARIS, 1830, pp8-11.

(8) Agnély (H), op.cit, p5.

(9) Shaw, op.cit, p11.

الصحراء ويحدث ذلك في الحالات العادية ،لكن غزارة التساقط لفترة طويلة ساهم في حوادث غير سارة بالنسبة للسكان منهم تدمير منازلهم خاصة عندما تستمر لفترة طويلة بسبب الرطوبة التي تنتجها، واذا استمر الحال لفترة أطول كان من المرجح أن تكون النتيجة تدمير المدينة بكاملها[1]، وما يؤكد صحة ذلك ما ورد في سلسلة المحاكم الشرعية[2]، وبالأخص عقود البيع رغم ندرتها على حد قول الباحث خليفة حماش بعض الحالات التي تتعلق بالعوامل الطبيعة[3] منها:" دار كانت أعلى بئر الجباح باعها في أواخر جمادى الأولى 1172هـ/1758م الحاج حسين الحلاطجي من فاطمة بنت أحمد، فعين البائع المذكور للمبتاعة المذكورة "أن بيتا من بيوت الدار المبيعة المذكورة بها ندا (كذا) وبغرفة منها شقة، قبلت ورضيت به" [4].

فغالبا ما كانت كميات التساقط تتوافق مع البدايات الأولى لشهر سبتمبر وأكتوبر أي مع بداية موسم الزرع[5]، لزرع مختلف أنواع الخضروات والفواكه و الحبوب(قمح وشعير، ذرة...) خاصة في سهول متيجة و قسنطينة، تستعمل كعلف لحيواناتهم من أبقار وماشية وخيول [6]، وقد ساعدت خصوبة التربة التي تتخللها العديد من الأودية في تلك العمليات[7]، وقد نالت العديد من وصف الرحالة الأجانب ووصفت بأنه موسم الحصاد الكبير في الايالة التي اشتهرت بنشاط موانئها لكثرة مواردها [8]، خاصة في ظل اعتدال المناخ ودرجات الحرارة [9].

---

(1) Ibid, p12.

(2) **سجلات المحاكم الشرعية** :وهي رصيد ضخم يحتوي على نحو 15000وثيقة تتوزع على 153 علبة، و هو يخص معظمه مدينة الجزائر والمناطق المجاورة لها ، ويغطي فترة زمنية معتبرة حيث يمتد من النصف الثاني من القرن السادس الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ينظر: غطاس (عائشة) ، سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لمجتمع مدينة الجزائر-العهد العثماني، مجلة انسانيات، عدد3، 1997، ص ص 69-86،كذلك سعيدوني (ناصر الدين)، نظرة حول الوثائق العثمانية بالجزائر ومكانتها في تاريخ الجزائر الحديث –مجلة التاريخ ،ع4، 1976، ص ص135-157.

(3) الأسرة في مدينة الجزائر، المصدر السابق، ص520.

(4) العقد 5، م3، ع2، سنة1172هـ.

(5) Shaw, op.Cit, p12 ; De Pardis(Venture), Alger au 18e siécle, Alger, 1898, p5.

(6) Ibid, pp 13-15.

(7) Shaw, op.Cit, pp 22-23.

(8) De Pardis (Venture), Alger au 18e siécle…,op.Cit, pp21-24.

(9) Agnély (H), op.Cit, p 10.

ومما تجدر الإشارات إليه أنه يصعب على الباحث تتبع أثر الفيضانات دون معرفة كميات التساقط والتوزيع الموسمي لها في الجزائر خلال العهد العثماني، والمغيبة خاصة في المصادر التاريخية وحتى ان ذكرت فقد طغى عليها الوصف" ثم إن الأغا خرج للموضع الذي أرادوا بناءه وأمر بصنع الجير وأمر بالإتيان بالعمود وصنعت الأخشاب من الجبال بالأجرة وحفر أساس البلد وأتى بالبنائين من جميع البلاد وابتدأوا ببناء سور البلد وعندما أتموا حفر أسس البلد حفر أساس المسجد وبدأوا بناءه فلما قرب إتمام السور أعطى الله الشتاء المتهاطلة ليلا ونهارا فابتدأ السور يتهدم "[1]، أو يتم فقط ذكر سنوات الفيضانات دون تفصيل مثل التي حدثت في سنوات 1734، 1740، 1788، 1808،1820[2].

ولتتبع ظاهرة الفيضانات في الجزائر يترتب علينا البحث عن الأماكن التي تتمركز فيها كميات التساقط الكبيرة، ففي بدايات الإستعمار الفرنسي للجزائر بين سنوات 1843-1903م، تم تحديد المتوسط السنوي للتساقط في الجزائر وضواحيها ب666ملم/سنة [3]، فالمتتبع لهذا المعدل السنوي يلاحظ تقارب كبير بين كميات التساقط رغم الإختلاف الطفيف بين كل سنة وأخرى [4]، مما يسمح لنا بإسقاطها على فترات سابقة لها، ففي التوزيع الجغرافي للتساقط تشير خريطة الأمطار السنوية والمبنية على متوسط 24 سنة زراعية أنه يوجد اختلاف بين نسب التساقط بين الشمال والجنوب[5]مثل ما يبينه الجدول التالي:

---

(1) الزهار (أحمد الشريف)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف مدينة الجزائر(1754-1830م)، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركةالوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر1974م، ص155.

(2) سعيدوني (ناصر الدين)، الحياة الريفية باقليم مدينة الجزائر (دار السلطان)، أواخر العهد العثماني (1791-1830م)، طبعة خاصة، البصائر الجزائر، 2013م، ص324.

(3) Philippe-Gaspard (Gauckler), La pluie à Alger. In: Annales de Géographie, T. 12, n°64, 1903. pp. 338.

(4) للإطلاع على كميات التساقط لكل سنة راجع :

- Philippe-Gaspard(Gauckler)…op.cit.p327.

(5) Hildebert (Isnard), La répartition saisonnière des pluies en Algérie. In: Annales de Géographie, T. 59, n°317, 1950. pp. 357-358.

التوزيع السنوي للتساقط في الجزائر:

التساقط السنوي / المناطق	التقسيم حسب نسب التساقط	كميات التساقط ملم/سنة	النسبة(٪)	عدد المحطات
المناطق الأولى	المناطق الساحلية الضيقة	أكثر من 600	70-80(٪)من الاجمال الكلي للتساقط لفصلي الخريف والشتاء	40محطة
المناطق الثانية	المناطق المحاذية للساحل	أكثر من 600		52محطة
المناطق الثالثة	المناطق الوسطى	/	60-70(٪)من الاجمال الكلي للتساقط لفصلي الخريف والشتاء	29محطة
المنطقة الرابعة	المناطق الداخلية	350-500	40-50(٪)من الاجمال الكلي للتساقط لفصلي الخريف والشتاء	44محطة
المنطقة الخامسة	المناطق الصحراوية	/	لاتتجاوز40(٪)من الاجمال الكلي للتساقط لفصلي الخريف والشتاء	/

من خلال الجدول يمكن استنتاج مايلي:

-أكبر كميات التساقط مسجلة في شهر ديسمبر في حين أصغر كمية تم تسجيلها في فصل الصيف.

- المنطقة البحرية (الساحلية) تتميز بنظام تساقط مرتفع للأمطار وهي المناطق الأكثر عرضة للفيضانات.

-كميات التساقط ترتبط بعوامل مناخية أخرى منها الحرارة والغطاء النباتي.

- التوزيع الجغرافي من الشرق نحو الغرب على اتجاه عرضاني ففي الشمال:يوجد تقارب كبير بين المناطق الساحلية والتلية، الواقعة على نطاق واحد وهذا راجع الى التشابه في نظام التساقط ونورد مثال للتساقط السنوي بمنطقتين هما السهول القريبة من الساحل الوهراني (الجهة الغربية)، في حين تقع المنطقة الثانية بالجهة الشرقية بالسهول القسنطينية ويلاحظ تقارب كبير في نسب التساقط السنوي الذي وصل إلى 450-455 ملم/السنة بين المنطقتين[1] وتبين تراجع تدريجي للأمطار من الشمال نحو الجنوب .



نموذج للتساقط السنوي في محطات من القسم الشمالي للجزائر

---

[1] Hildebert (Isnard), op.cit, p354.

3-الأعــاصير(العواصف البحرية والزوابع الرملية):

من أكثر الظواهر الطبيعية التي تحدثت عنها المصادر المحلية[1] والأجنبية[2]، وهي عبارة عن تساقط للأمطار مصحوب برياح شديدة خاصة الشمالية- الغربية والشمالية- الشرقية المتزامنة مع فصل الشتاء[3]، خاصة على المناطق الساحلية التي المعرضة للعواصف الهوجاء التي كانت تقذف أمواجها بالسفن عن الموانئ مما أدى بالبحارة لربطها بالحبال أوقات الشتاء[4]، وقد أحصى ألبير دوفو(Devoulx, Albert)، مايقارب38 عاصفة بحرية بين سنوات(1592-1835م)،مست سواحل الجزائر مخلفة خسائر مادية وبشرية [5].

أما على طريق البر خاصة الصحراوية، **فقد شكلت الزوابع الرملية عائقا طبيعيا** بسبب هبوب الرياح الجنوبية التى تتعرض لها القوافل، اذ تخلف قتلى في بعض الأحيان[6]، أو تؤدى الى زوال آثار القوافل التى يتبعها المسافرون أو التجار، هذه الأثار التى تتبعها الجمال من أجل تفادي خطر التخبط والضياع أو الهلاك[7]، إلى جانب اختفاء الأثار التى يتبعها التجار تقوم هذه الزوابع بطمس معالم الآبار ليتعذر بذلك الوصول إليها، مما يهلك الناس بالعطش[8]، "وسلكنا في مهمه مغبرة أرجاؤه،كأن أرضه سماؤه، قد سخرت فيه الرياح للرمال،

---

(1) الرسالة:207 رسالة من مصطفى رئيس قائد السفينة الجزائرية مفتاح الجهاد المتوجهة إلى الإسكندرية إلى حسين باشا 12رمضان1242ه وقد كتب مصطفى رئيس رسالته من تونس وتحدث عن الأضرار التى أصابت سفينته بسبب العاصفة التي اصطدم بها بعد أن غادر الجزائر، وأجبره ذلك على التوجه إلى تونس لإصلاح الأعطاب (ترجمة فرنسية رقم 3207/1/207). المجموعة رقم:3190: أغلبها عبارة عن مراسلات وصلت الى باشوات الجزائر من الباب العالي ومن وكلائهم في عدد مدن الدولة العثمانية وتغطي الفترة الزمنية 1748-1830م.راجع: حماش (خليفة)،كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة، الجزائر، 2010، ص 90.

(2) De Pardis(Venture), Voyage a Alger ou description de cette ville, des ses environs et Royaume D'Alger, paris, 1830, p09. Shaw, …op.cit, p9-10.

(3) Shaw, op.cit, p9-10.

(4) De Pardis (Venture), Alger au 18e siécle…, op.cit, p05.

(5) Devoulx (Albert), Quelques tempêtes à Alger Revue africaine, n° 89, 1871, pp342-352 et suiv..

(6) Carette, recherche sur la géographie et le commerce…, op-cit., p97.

(7) D'esayrac, op-cit., p02.

(8) أستيتو(محمد)، معوقات الاقتصاد المغربي في العصر الوطاسي-السعدي من خلال كتب الرحلات والجغرافيا(أنموذج كتاب"وصف افريقيا"للحسن الوزان)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع6، قسنطينة، 2005، ص80.

تحملها أمامها كالجبال حتى لايكاد الرجل، أن يعرف مسايره، ولا يسمع مسامرة....والرمال أمامنا كالسيل... ولا تفتح العين إلا ملئت رمالا..." [1].

4-الجـفاف:

الجفاف في اللغة ما جف من الشيء الذي تجففه، وجفافا:يبس، والجفيف مايبس من النبت، والجفيف:مايبس من أحرار البقول، وقيل هو ما ضمت منه الريح، والجفف أي الغليظ اليابس من الأرض[2].

وهو ظاهرة طبيعية بالنسبة للمناخ الذي يتميز بتغيرات كبيرة، و نتيجة مباشرة لتذبذب تساقط الأمطار والفوارق الذي تشهده الجزائر في كميات التساقط من عام إلى آخر، إذ أن تذبذب الأمطار ينتج عنها تعاقب فترات تساقط غزيرة وفترات جفاف كبيرة تؤثر على المردود الزراعي[3]، تؤدي بالإيالة في بعض الأحيان إلى استيراد كميات كبيرة من الحبوب لتجاوز محنتها مثل ما حدث في عام1535م إذ اجتاحت مجاعات وهران إلى الجزائر إلى عنابة وقد تأثر بها خاصة الجنود وتضوروا جوعا خاصة بعد انتظارهم لسفينة محملة بالقمح باء وصولها إلى الميناء بالفشل[4]،هذه الظاهرة تساهم فيها عدة عوامل إلى جانب قلة التساقط منها الرياح الجافة القادمة من الجنوب خاصة شهر جويلية و أوت [5]، مما يتسبب في حدوث انعكاسات فيما بعد على شكل أوبئة ومجاعات[6]، خاصة في الفترات التي يطول فيها مثال ذلك الجفاف الذي حل بالايالة طيلة تسع سنوات(1603-1612م)، مخلفا مجاعات في باقي مناطقها وبالأخص مدينة قسنطينة [7]، ونزول الجوائح

---

(1) العياشي (أبو سالم عبدالله بن محمد)، الرحلة العياشية ،تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، الامارات العربية، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2006، مج1، ص ص 111-113 .

(2) ابن منظور، لسان العرب، مج9، ص ص28-30.

(3) سعيدوني (ناصر الدين)، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص324.

(4) H.D. de Grammont. Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), ed.Ernest LEROUX, PARIS, 1887, p17-18.

(5) Shaw, op.Cit, p10.

(6) John (Kington), Fluctuations climatiques : une étude synoptique du climat, fin XVIIIe-début XIXe siècle. In: Annales. Economies، sociétés, civilisations. 32année, N. 2, 1977. pp. 227-236.

(7) القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر...، المرجع السابق، ص93.

واستفحال القحط الذي استمربها سنتين متواليتن وغياب الإهتمام بالفلاحة في العهد التركي فقد كانت ضعيفة جدا ولم تكن هناك كميات كافية من الحبوب لمواجهة هذه الأزمة [1].

وقد عبر عليها العنتري بقوله:" ...فحصلت للناس شدة ومجاعة قد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك خصوصا بعض نواحي القبلة فانهم تشتتوا عن منازلهم وتفرقوا بسبب الهول الواقع في وطنهم مع الشر والمصائب التى حلت به من قبل من يبس الزرع، وعدم الحرث، ونزول القحط والفتن الى غير ذلك مما غير ذلك مما تقدم ذكره.."[2]، وارتفعت أسعار الحبوب في الأسواق وقل بعضها حتي قيل مايلي في القمح[3]:

القمح يا باهي اللون   من شبعتك لازيادة.

أنت قوت كل مسكين   بك الصلاة والعبادة.

آمن سيبت بنات الحجبة والوسادة.

وقد أدى ذلك أيضا إلى انخفاض موارد الايالة من مداخيلها السنوية القادمة من البايلكات كما جاء في أحد الرسائل التي بعث بها الحاج أحمد باي إلى حسين باشا 11ذي القعدة1243ه أولاد مقران يدفعون جزءا من الغرامة المفروضة عليهم ويعتذرون عن عدم دفع الباقي بسبب الجراد وقلة الخصب في أراضيهم[4].

ومن أكثر الأقسام الذي تبرز فيه ظاهرة الجفاف هو القسم الجنوبي لقلة التساقط فيه، والتي تصل إلى أقل من 150ملم/سنة، مثل ما توضحة الخريطة التالية:

---

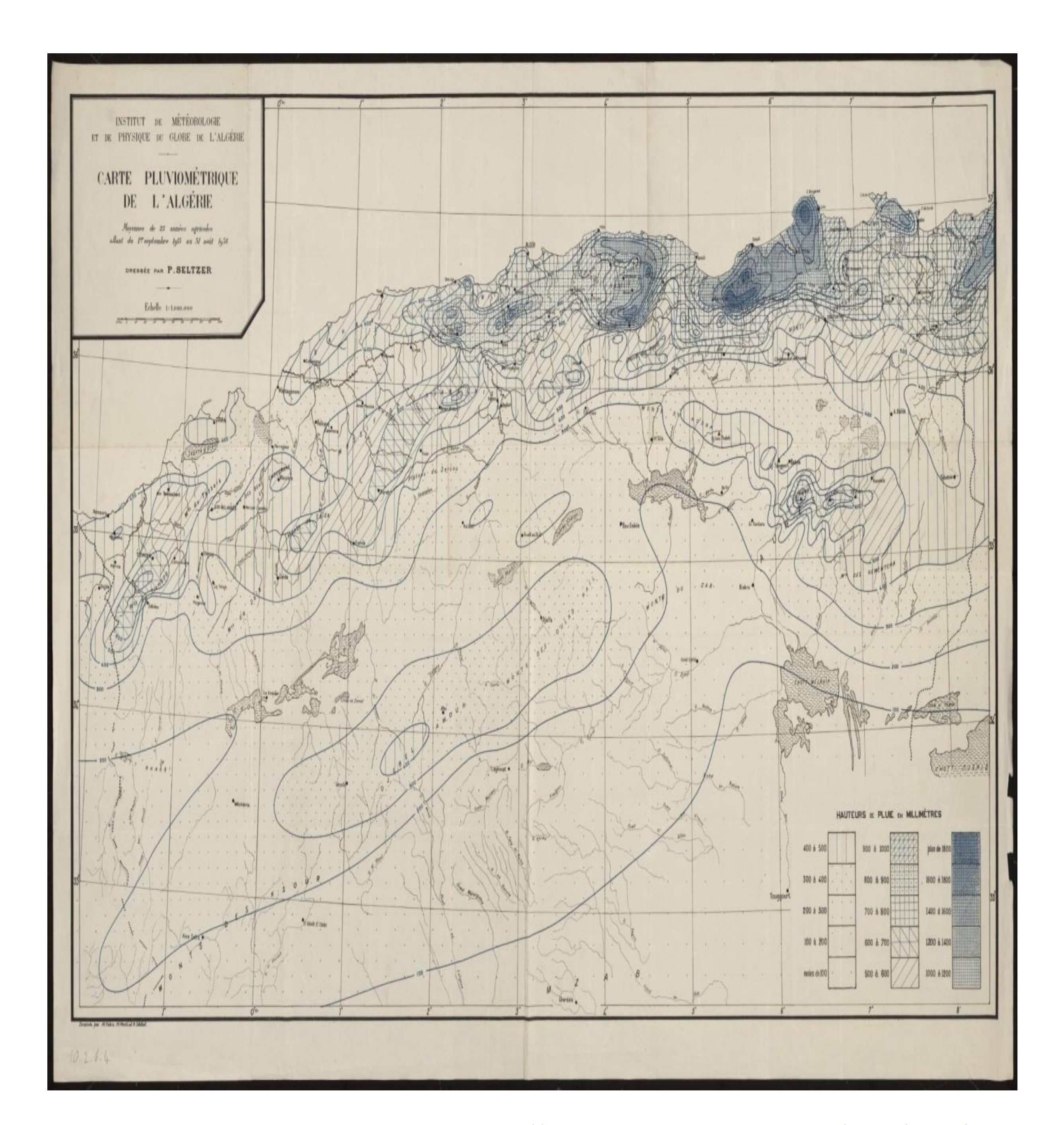
[1] صالح (العنتري)، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974 م، ص13-14.

[2] نفسه، ص33-34.

[3] نفسه، ص43.

[4] حماش (خليفة)،كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية...، المرجع السابق، ص64، وكذلك الرسالة رقم25 المجموعة رقم:1642م تحتوي هذه المجموعة على 30 رسالة باللغة العربية أرسلها محمد باي و أحمد باي في قسنطينة الى حسين باشا في الجزائر بين سنوات1816-1830م وكلها أصلية.

خريـطة التســاقط في الجزائر



-Carte pluviométrique de l'Algérie - Seltzer : http://1886.u-bordeaux-montaigne.fr/items/show/9634

5- غــزو الجراد:

يصنف الحس الوزان الجراد في دائرة الحشرات الطائرة(الطيور)، مشددا على دوره في إلحاق أضرار جسيمة بالإنتاج الزراعي نظرا لأعداده الهائلة[1]:"يشاهد أحيانا بإفريقيا كمية وافرة من هذه الحيوانات، حتى أنها لتحجب ضوء الشمس عندما تطير مثلما يفعل السحاب ، تأكل من الأشجار ،الفواكه والأوراق، وتترك عند ذهابها بيضا يتولد منه جراد أخر لا يطير لكنه أسوأ من أمهاته يلتهم حتى لحاء الأشجار وحيثما مر الجراد ترك مجاعة كبير..."[2]، وقد ساهمت مجموعة من العوامل في ظهوره بمعدل مرة كل أربع سنوات أو خمس سنوات ، إذ يشكل خطا كبيرا عندما يأتي عقب فترات الجفاف الطويلة [3]، إذ يقطع مسافات طويلة ، و تعد المناطق الشبه الجافة الموطن الأساسي له (على حافة الصحراء)[4]، هذا الخطر الطبيعي الفتاك الذي يهدد الثروة الريفية و الاقتصاد الريفي خاصة في تونس، الجزائر المغرب و طرابلس وحتى مصر فهو يصنف من أكثر الأخطار الطبيعية إذ يتجاوز خطر الحريق وحتى الطوفان ورياح الصحراء فهو يلتهم كل شئ في طريقه[5]،نظرا للخصائص التي يمتلكها اذ ينتقل الجراد ويتكاثر خاصة في المناطق المعتدلة عكس الباردة مما يجعلها أي المناطق المعتدلة أكثر عرضة للخراب[6]، **أما عن تركيبته البيولوجية** فالدراسة التشريحية تشير و تكشف عن كمال نادر التدمير لدى الجراد أو الجندب ، فهذه الحشرة تمتلك تنظيم للرحلة اذ (تقطع فيها مايقارب80كلم[7]، والتنقل على الأرض ، ومسلحة ضد أصعب

---

(1) أستيتو (محمد)، معوقات الاقتصاد المغربي...، المرجع السابق، ص81.

-Shaw, op.cit, p21-22.

(2) الوزان (الحسن بن محمد)، وصف إفريقيا، تر:محمد حجي،محمد الأخضر،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، مج2،ص278-279.

(3)سعيدوني (ناصر الدين)، الحياة الريفية باقليم مدينة الجزائر (دار السلطان)، أواخر العهد العثماني (1791-1830م)...، المرجع السابق، ص325.

(4) Burzet, Bellarmin-Vincent (Abbé). Histoire des désastres de l'Algérie, 1866-1867-1868, sauterelles, tremblement de terre, choléra, famine, par l'abbé Burzet, ALGER, 1869, p7.

(5)Maurin(Amédée), Invasion des sauterelles : histoire, anatomie, marche, moeurs, reproduction,ravages, leur importance en agriculture, moyens de destruction, Paris,1866 p2-3.

(6) Maurin (Amédée), op.cit, p12.

(7) Burzet, op.cit, p27.

النباتات الجافة الصلبة التي تقف في طريقه، ويتكون الجراد من الأجزاء المختلفة التالية: الرأس، الجذع أو الصدر، البطن، الأعضاء، الأجنحة، وأخيراً أجهزة التكاثر(1).

فبالنسبة للهيكل تُشير الأبعاد القياسية أن الجراد من أكبر الحشرات في إفريقيا وأقواها، إذ يصل قياس الأنثى 12 سنتمتر ومتوسطها غالبا ما يكون من 7الى8 سنتمتر في حين يكون الذكر أقل من **الأنثى** بـ:1سنتمتر التي تكون أكثر قوة منه، والتي تتميز عنه باللون البني الداكن والأطراف الصغيرة ذات اللون الأرجواني أو الرمادي والصدر العلوي، في حين يتميز **الذكر** أنه لديه عدد قليل جدا من الأجزاء الرمادية، مع لون أصفر جميل للرأس ، ما عدا قمة الرأس والصدر والبطن والساقين، مما يجعل من السهل تمييزه عن الأنثى(2).

أما **الرأس** فهو جزء مهم من هذه الحشرة مستطيل الشكل متجه نحو الأرض فكه العلوي أكبر من الفك السفلي، في حين يكون موضع **العينين** على كل جانب من الجزء العلوي، بـ(1ملم) مليمتر من المسافة من بعضها البعض، على شكل مستطيل، منحنية جدا، مع خطوط بيضاء بالتناوب مع خطوط بنية متوازية وضعت أمام العينين وضعت سيقان مفصلية ومرنة هي للاستشعار، والتي يظهر فيها التشريح الدقيق أنبوب موصل ذونهاية منتفخة، هذه هي الهوائيات، وهي جهاز للتحسس الذي يحذره من أي خطريهدده ، هذا الجهاز يتحرك في كل الاتجاهات، أما الأطراف العلوية أو الساقين، تعلق على القمة الصدر لتحديد الهدف(3)،كما يمتلك الجراد يمتلك اثنتين من **الأسنان** قويتين جاهزتين للتقطيع.

أما **الصدر** فهذا الجزء من الحشرة متين للغاية يمكنه من تحمل الصدمات الخارجية ويحمي الأجهزة الهامة من التنفس والتغذية، إنه قفص غضروفي تقريبا يتألف من عدد كبير من القطع تماما مفصلية ومترابطة بواسطة أغشية

(1) Maurin (Amédée), op.cit, p13.
(2) Ibid, p14.
(3) Maurin (Amédée), op.cit, p14.

قوية قصيرة ومرنة، ويتكون القفص الصدري من جزأين مهمين:الجزء العلوي ، يمثلها لوحة كبيرة والتي تغطي الرقبة نحو الطرف الظهري العلوي[1] .

وفي نهاية الجزء السفلي نجد ظهر عريض وفي الوسط حدبية دائرية وفي كل جهة نجد زوجين أو أكثر من المخالب، أما **الحلقات المفصلية** فهي حلقات متصلة فيمابينها سمكها ثلاثة ملليمتر للواحدة منها ، عددها تسعة ، تتقلص ، وتتمدد، قادرة على الإطالة أو التقصير بحسب إرادة الحشرة ، مما يسمح بالحركات الشاملة أو حتى جزئية في الطرف الخلفي والأدنى من البطن ، نجد أجهزة التناسل ، مختلفة جدا في الذكور والإناث .

وعند الحديث عن أعضاء الجراد يستلزم الوقوف عند **الأرجل** فالزوج الأول من الساقين هو الأقصر، وهي توضع تحت الأخدود الذي يفصل الرقبة عن الصدر أما الثانية هي أطول قليلا والثالثة، أو الطرف السفلي ، هو الأطول إلى حد بعيد وأفضل شكل لخدمة الحشرة في حركتها المتوسطة أو الحركة السريعة، في كل الاتجاهات، إذ أن الحركة بسرعة كبيرة ؛تستعمل عندما يتعرض للتهديد، أما **الأجنحة** فهي تخدمه بقوة تنقله في الفضاء على مسافات كبيرة جدا من المكان الذي غادرمنه عددها أربعة، زوج من الأجنحة القصيرة تحت زوج الأجنحة الطويلة موضع إدراجها في الجزء العلوي الظهراني، كدرع، والتي تطوى أثناء الراحة، ولون الأجنحة
يختلف في الذكور عن الأنثى: على خلفية صفراء، أما أجنحة الذكر لها بقع رمادية[2].

يتكاثر الجراد بعد عملية التلقيح، تقوم الأنثى بوضع البيض في الأرض بعد إخصابها، في مدة تتراوح من 10الى 15 يوما وقد تصل إلى 20يوما، إذ تضع ما يقارب 80 إلى 90بيضة (تاريخ18) في حفرة في الأرض بعمق10الى 15سم لإسقاط مجموعاتها من البيض وهذا بعد حفرها بواسطة أجهزة على شكل أشواك تشبه المثقب متواجدة بأرجلها الخلفية[3].

---

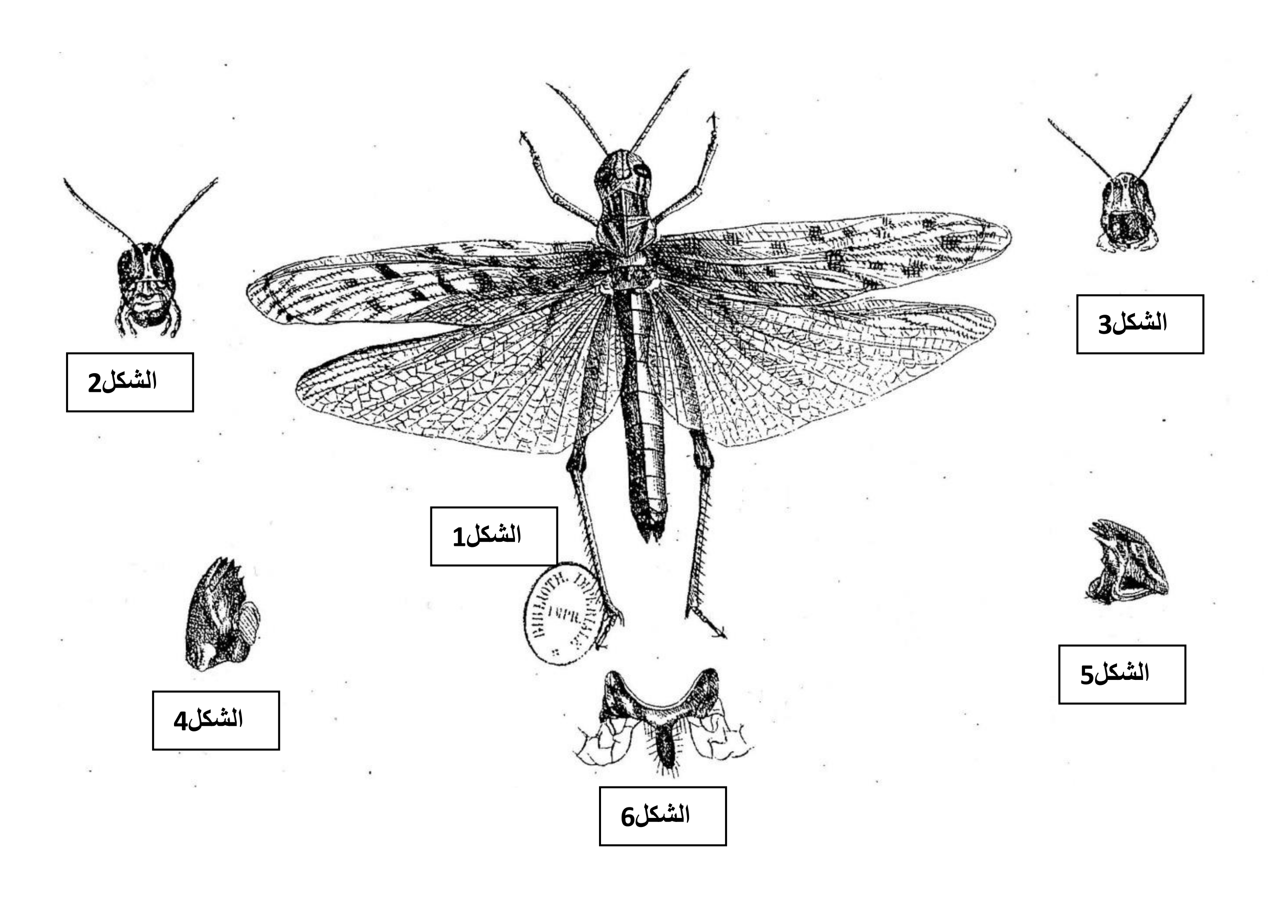
(1) Maurin (Amédée), op.cit, p16-15.
(2) Ibid, pp17-20.
(3) Maurin (Amédée), op.cit, p24.

شكل **البيض** مستطيل توضع إلى جانب بعضها البعض في شكل سلاسل ،البيضة الواحدة منها بحجم حبة القمح، يجمعها غشاء شفاف[1]، تفقص في مدة تقارب الثلاثة أسابيع (معدل 18 يوما)[2]، على شكل **يرقة** اذ تمتلئ بيضة الجراد بمادة صفراء، دون تدخل المواد الزلالية إذ تشبه تماما بيضة الدجاج، وتبقى اليرقة وقتا طويلا مدفونة في الأرض متغذية على المادة الصفراء التي تحيط بها ، ويمكن لعامل الحرارة المرتفعة أن يتسبب في موتها، وتقدر الفترة في التربة بين وضع البيض إلى ظهور الحشرة بين شهر إلى ستة أسابيع منها 15 يوما إلى 18يوم داخل البيضة، و15يوما إلى20 يوما تنمو اليرقة في باطن الأرض لتخرج بعدها، وتعد هذه المراحل الأولى للنمو أضعف المراحل التي يمكن فيها للمزارعين القضاء عليها[3].

ولتتكون لنا صورة واضحة عن هذا الكائن إخترنا المقاطع التالية:

[1] Maurin (Amédée), op.cit, p30.
[2] Burzet, op.cit, p18.
[3] Maurin (Amédée), op.cit, pp34-36.

المقطع الأول: جراد طائر[1].



الشكل1: جراد طائر

الشكل2: الرأس

الشكل3: رأس خال من الشفة العلوية

الشكل4: الفك السفلي (مقطع مكبر)

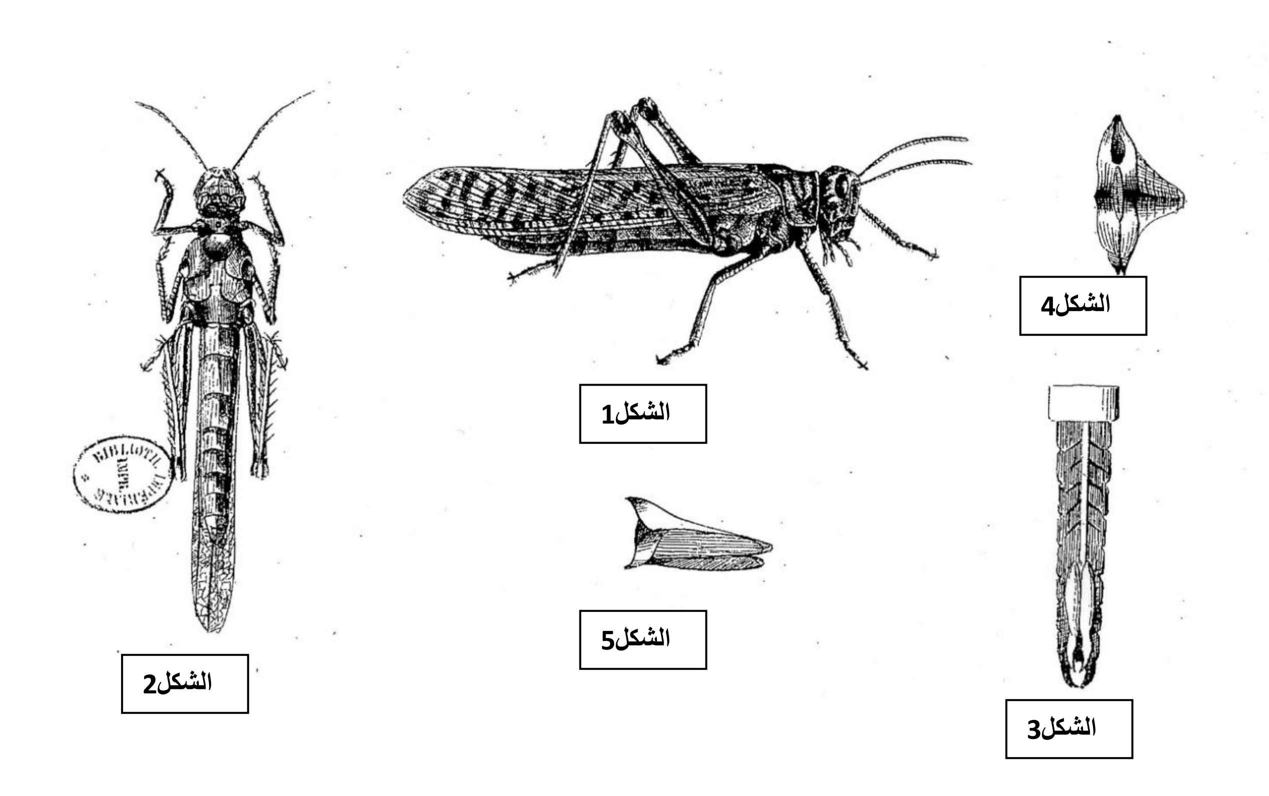
الشكل5: الفك السفلي (مقطع مكبر)

الشكل6: حديبة ما قبل القصور.

---

[1] Maurin (Amédée), op.Cit, p53.

المقطع الثاني: جراد على الأرض[1].



الشكل1: جراد بوضعية أرضية

الشكل4: وضعية المبيض من الجهة الأمامية

الشكل2:الجزء السفلي للجراد(جهة البطن)

الشكل5: المبيض من الجهة الجانبية

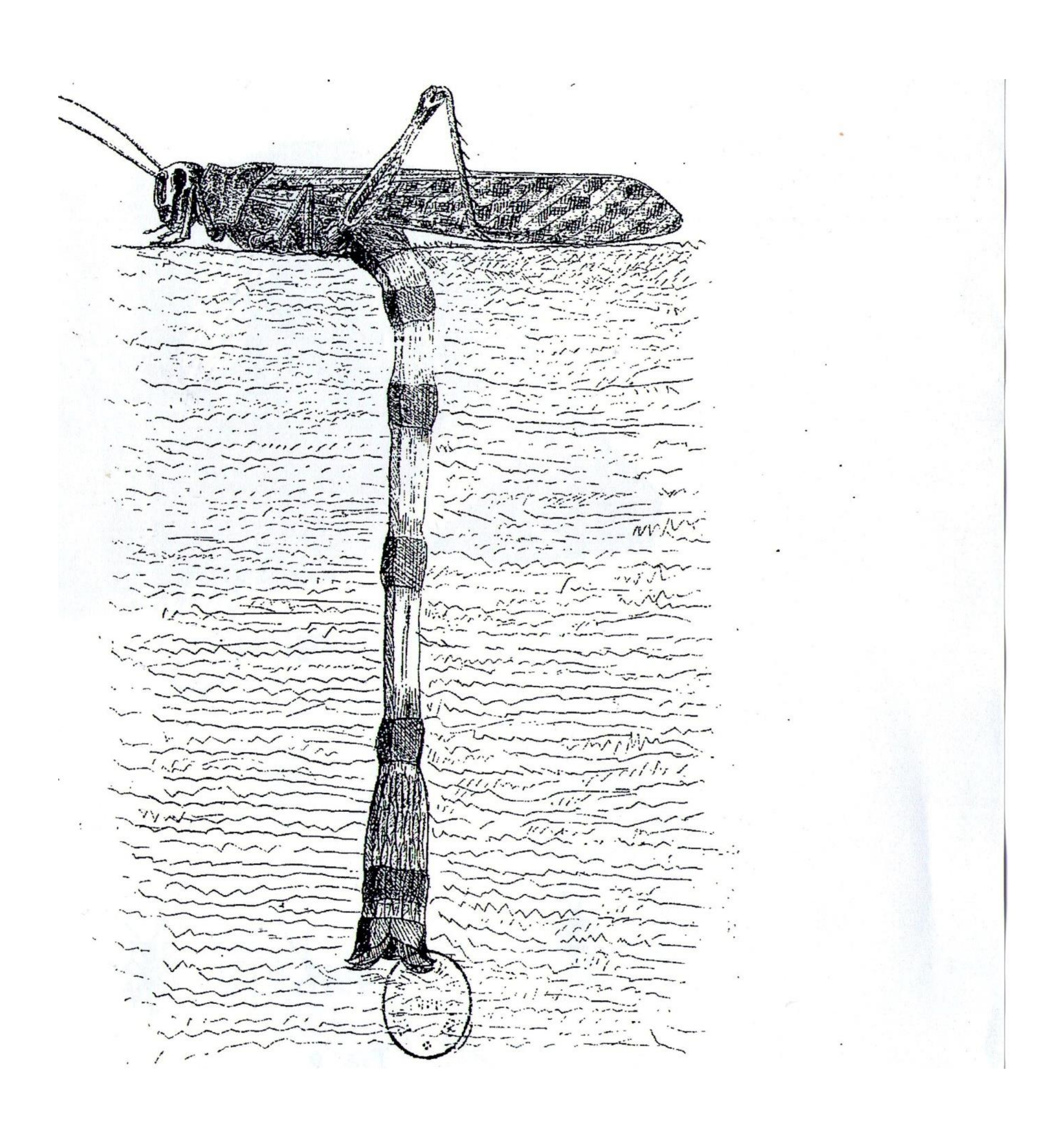
الشكل3 مقطع من البطن–وضعية التبييض

المقطع الثالث: أنثى الجراد في وقت وضع البيض[2].

---

[1] Maurin (Amédée), op.Cit, p55.

[2] Maurin (Amédée), op.Cit, p57.



المقطع الرابع: وضع البيض تحت الأرض[1].

---

(1) Maurin (Amédée), op.Cit, p59.

المقطع الخامس: جراد صغير بعد بضعة أيام.



هجرته: يهاجر الجرد خاصة الى الأماكن الدافئة والتى تعرف كوارث أي معنى يرتبط ظهوره بظهور المجاعات والأوبئة والجفاف والطاعون وقد أثبتت الدراسة التشريحية للجراد المهاجر أنه منظم من أجل عملية التخريب والتدمير للمناطق الزراعية وليست هجرة عشوائية(1)، هذه الهجرة التي يقطع فيها مسافات طويلة تصل كل مرة

(1) Maurin (Amédée), op.cit, p13.

الى80كم في اتجاهه من الجنوب نحو الشمال رغم عائق الرياح الذ يقف كحاجز أمام هجرته في بعض الأحيان[1]، ورغم خطورة الجراد وضرره بالمحاصيل الزراعية فان السكان المحليين يعتبرونه من أسعد الحوادث فالبعض منهم يأكلونه مطبوخا والبعض الأخر يجففونه في الشمس ثم يسحقونه، فيحصلون من ذلك على نوع من الدقيق يستهلكونه[2].

6-الأوبئة والمجاعات:

أولا:الأوبئة:

لغة: الوَبأُ وهو الطاعون، وقيل كل مرض عام ،وجمع الممدود منه أوبية، وجمع المقصور أوباء، وقد وبئت الأرض توبأُ، وأرض وبيئة على وزن فعيلة، و وبئة على وزن فعلة، وموبوءة :كثيرة الوباء، إذاكثر مرضها[3].

ويطلق على الوباء مرادفات أخرى مثل: القرف: مُقارفة الوباء، يقال احذر القرف في غنمك، و قارف فلان الغنم أي رعى بالأرض الوبيئة، وقيل القرفُ بمعنى العدوى، فأقرف الصحاح الجرب أي أعداها[4].

ويطلق على الوباء أيضا لفظ الموت (بضم الميم) يقع في الماشية[5].

-الوباء في الاصطلاح الطبي:

يطلق اسم الوباء على الأمراض التي تصيب أهل بلد من البلدان وتشمل أكثرهم، خاصة وأن الناس يشتركون في استعمال الهواء الذي يستنشقونه، وبالتالي إذاكان الهواء فيه نوع من المرض عم ذلك المرض على أهل ذلك البلد

---

(1) Burzet, op.cit, p27.

(2) الوزان، وصف إفريقيا...، المصدر السابق، مج2، ص279.

(3) ابن منظور، المصدر السابق، مج1، ص189.

(4) نفسه، مج9، ص280.

(5) سمية (مزدور)، المرجع السابق، ص20.

وفي ذلك نوع من التعميم[1]، ويعرفه الأنطاكي بقوله:"تغير الهواء إلى الفساد"[2]، والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان[3].

كما يطلق أيضا على الأوبئة بالأمراض الوافدة "لأنها قادمة على الناس من بعد مع الهواء "[4].

تنوعت التعريفات في صياغة مفهوم واضح للوباء في تشخيصه إلا أنها أجمعت على أنه مرض عام ناتج عن سبب رئيسي هو فساد جوهر الهواء[5] سواء أكان بعوامل طبيعية وسماوية كالرحوم في الصيف[6]، وأرضية منها انتشار الجيف وكثرة التعفن والحشرات[7]، أو بسبب عوامل اقتصادية واجتماعية خاصة زمن المجاعات وغلاء الأسعار والاضطرار إلى تناول الأغذية الفاسدة[8]، وهذا ما يؤكد عدم التعارض فيما بينها ،كما أن هذه التعاريف لا تختلف كثيرا عن التعاريف العلمية الحديثة في ما هو معروف عليه الآن رغم التطور الذي عرفته البشرية في ميدان الطب، فهو أيضا مرض عام مشترك بين الإنسان والحيوان تسببه بكتيريا أو فيروسات تكون سريعة الإنتقال من الشخص المصاب إلى الشخص السليم عن طرق عدة وسائط منها الماء والهواء، أو حتى بعض الحيوانات[9] كالفئران مثلا [10]، فالأمراض الوبائية هي في الأصل أمراض معدية تصيب الأعداد الكبيرة من البشر [11].

---

(1) مزدور (سمية)، المرجع السابق، ص20.

(2) الأنطاكي (داود عمر)، خلاصة تذكرة داود المسمى بغية المحتاج في المجرب من العلاج بالأعشاب، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 2008م، ص314.

(3) قويسم (محمد)، الصون في ذكر ما يتعلق بالصون بالوباء والطاعون، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية رقم 09210، ورقة8.

(4) ابن خاتمة الأندلسي ص162-163.

(5) مصطفى (آمال)، الحج والوباء خلال القرنين 18 و19م، تونس انموذجا، المجلة التاريخية المغاربية، ع/162،تونس2016،ص117.

(6) نفسه ، ص117.

(7) قويسم (محمد)، المصدر السابق، ورقة8.

(8) بوجرة (حسين)، الطاعون وبدع الطاعون...، المرجع السابق، ص ص 515-517.

(9) www.futura-sciences.com/sante/définitions/vie-épidemie-3837/2019.

(10) مصطفى (آمال)، المرجع السابق، ص119.

(11) واتس (شلدون)، الأوبئة والتاريخ المرض والقوة والامبريالية، تر:أحمد محمود عبد الجواد،مراجعة عماد صبحي، عايدي علي، ط1 ،القاهرة، 2010، ص2.

وقبل الإنتقال إلى نوع الأوبئة التي شهدتها الجزائر خلال العهد العثماني وجبت الإشارة إلى التفريق بين مفهوم الوباء والطاعون لأنه ورد عند اللغويين بمفهوم واحد[1]، وقد تسمي المصادر أحيانا الوباء الطاعون دون ذكر سبب هذه التسمية أو خصوصيات المرض المذكور وفي ذلك خلط بين الوباء والطاعون[2]، فماهو الفرق بينهما؟

ثانيا–الفرق بن الوباء والطاعون:

يعتبر التعميم الذي لازم الإخباريين حين ذكرهم لأوبئة من بين الإشكاليات الأولى التي واجهت الباحثين في موضوع الأوبئة ، و تشخيص المرض ووصفه، فقد ورد خلط في الحوليات والمخطوطات غالبا بين الطاعون والوباء وبين الأمراض الأخرى، ولم تتردد في إطلاق تسمية طاعون على كل مرض ينتشر انتشار واسع بين الناس،ولم تقدم وصف دقيق لأعراضها[3]، سواء في الفترة الحديثة "فما تمدنا به مصادرنا من أرقام ينبغي أن نأخذه مأخذ الحيطة والحذر الشديدين ، إذ يبدو من الصعب ايلاؤها كبير اعتبار ثم إننا يتعذر علينا في معظم الحالات أن نحيط بطبيعة المرض الوبائي ،كما كان هذا الأمر يتعذر على من عاصروا تلك الأوبئة...والكلمتين وباء وطاعون في العربية ليس لها معنى بائن معلوم، فينبغي الاحتراس من رد الوباء كله إلى العدوى الناجمة عن التقاط عُصية الطاعون، فقد يكون كل شأنه أنه وباء فتاك، لذلك ترانا نجعل في معظم الأحيان كلمة طاعون بين مزدوجين لعدم استطاعتنا تحديد المرض المقصود بها"[4].

أو التي سبقتها إذ عندما يتحدث أهل العصر الوسيط المتأخر عن الوباء فإنهم لا يقفون عند الطاعون لوحده بل يتعدى الأمر في بعض الحالات إلى مرض الكوليرا التي كانت تتسبب بدورها في مقتل أعداد كبيرة من البشر، لأن

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص189.

(2) السعداوي (أحمد)، المجاعات والأوبئة في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط: النتائج الديمغرافية، الديموغرافيا التاريخية في تونس والعالم العربي لمجموعة باحثين، دار سراس، تونس، 1993م، ص39.

(3) LAMARQUE(Léonce), recherches historiques sur la médecine dans la régence d'Alger , Imprimerie Baconnier, Alger, 1951, n°1p.101.

(4) روزنبرجي (برنار)، والتريكي (حميد)، المرجع السابق، ص15.

المصادر التاريخية هنا تتحدث عن الوباء بشكل عام دون تخصيص[1]، فقد جاءت في كتاباتهم لفظي الوباء والطاعون للدلالة على كل مرض فتاك[2]، دون التفريق بينهما مما يصعب على الباحث معرفة نوع المرض السائد لأي فترة زمنية يحدث فيها[3]، في حين كان مفهوم الوباء في الاصطلاح العلمي أشمل وأعم من مرض الطاعون فكل طاعون وباء ،وليس كل وباء طاعون أي أن الطاعون نوع من الأوبئة [4]، ويرجع البعض ذلك الخلط إلى الحالة الفكرية التي وصفوها بعدم التجديد والتطور منذ القرن14م خاصة أمام انتشار المعتقدات واجترار ماخلفه السلف[5].

1- الطاعون:

تعريف الطاعون يكتنفه الغموض لعمومية المعلومات التي ترتبط به كمصطلح ، فنجد لفظ الوباء والطاعون يطلقان على كل مرض فتاك سواءا أكان طاعونا أو أي وباء يتميز بالانتشار الواسع وحصد أعداد كبيرة من الضحايا[6]، وقد حاولنا الفصل بين المصطلحين فيما سبق وفي مايلي نورد بعض التعاريف الواردة للطاعون.

-التعريف اللغوي: الطاعون في اللغة داء معروف والجمع طواعين، وطُعن الرجل والبعير فهو مطعون، وطعين أصابه الطاعون، والطاعون المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان[7].

-التعريف الفقهي: لا يخرج هذا التعريف في الغالب عما كتبه شُراح اللغة كالجوهري ، وأول ما تناولته

---

[1] فتحة (محمد)، الوباء الجارف بالغرب الإسلامي-معطيات ومواقف، جمعته بنعدادة (آسيا)، المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط، 2002م، ص87.

[2] الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص115.

[3] السعداوي (أحمد)، المجاعات والأوبئة...، المرجع السابق، ص39.

[4] سمية (مزدور)، المرجع السابق، ص21.

[5] الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص118.

[6] نفسه، ص118.

[7] ابن منظور، لسان العرب، مج13، ص266.

التعاريف الفقهية هو مسألة التمييز بين الوباء والطاعون[1]، على المستوى اللغوي أو الإصطلاحي، انطلاقا من كون الطاعون في التصور الديني الجماعي هو شهادة ورحمة للمسلمين وعقاب للكفار[2]، استنادا الى الحديث النبوي الشريف"....الطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ، ورجز على الكافرين"[3]، وكون الجامع المشترك بينهما هو كثرة الموت في كليهما وهذا ما يفسر أي وباء فتاك طاعونا[4]، "إذ أن كل طاعون وباء ،ويطلق عليه اسم الوباء لما كان الوباء ينشأ عنه كثرة الموت وكان الطاعون أيضا كذلك"[5].

–التعريف الطبي: يعرفه الأنطاكي بقوله:"علة تحدث في الزمن الوبائي غالبا وأول من يتأذى منه الأطفال، ومن يليهم في لطف المزاج كالحبشة خصوصا الأعراب لبعد ائتلافهم الهواء.

وهو خراج يقع غالبا في المراق السخيفة،كخلف الأذن والإبط، والمغابن فجأة فان لم يتغير معه العضو ولم يقترن بحمى ولاخفقان فسليم وإلا فهلك خصوصا ما ضرب إلى السواد أو الخضرة أو الكمودة وهو سمي يقتل بإيصال الكيفيات إلى القلب[6]، وعرفه المشرفي بقوله":خروج شي في مغابن الإنسان كاءبطيه يشبه الجوزة، يَسوَدُ ما حولها، أو يحمَرُ، ويقال له وباء الحبة، يمرض الإنسان به أياماً عديدة وربما يعيش[7].

ولا تختلف هذه التعاريف على **الروايات الأجنبية** التي عاصرت الطاعون خلال العصر الحديث[8]، وقد أخذنا نموذج لأحد القناصلة الانجليز وهو دجاكسون (James.Grey.Jackson) بالمغرب في وصفه

---

[1] ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن محمد)، بذل الماعون في أخبار الطاعون، مخطوط (نسخة مصورة من موقعwww.alukah.net)، ورقة 13، قويسم (محمد)، المصدر السابق، ورقة8.

[2] ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ورقة 13، قويسم (محمد)، المصدر السابق، ورقة 4.

[3] قويسم (محمد)، المصدر السابق، ورقة 4.

[4] الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص119

[5] ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ورقة 13.

[6] الأنطاكي، المصدر السابق، ص316.

[7] الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص123.

[8] MOUNIER (Alain), A propos de… Les hommes et la peste en France et dans les pays européens et méditerranéens ;,etudes sur pezenes et l'herault, Revue 1978 n° 3,p21-28.
-Panzac Daniel. La peste à Smyrne au XVIIIe siècle. In: Annales. Economies, sociétés, civilisations. 28 années, N° 4, 1973. pp.1071-1093.

لطاعون1798:"تبدأ أعراض الطاعون أحيانا برعشة مفاجئة قوية، وأحيانا بهذيان مفاجئ يليه عطش قوي لا يرتوي، ويتحول الماء البارد إلى ملاذ، ويتلهف إليه المصابون بقوة وتهور، وقد أظهرت التجربة هلاك من استباح هذا الإسعاف اللحظي ، كما تظهر دملة أو اثنان أو ثلاثة، وهي الدمل التي تتشكل وتكبر خلال يوم لتصير في حجم الجوزة أو عين الجمل ، و آخرون تظهر بهم نفس العدد من الجمرات أو الفحمات ، تتكون غالبا في المغبن وفي الإبط أو قرب الصدر،أما المصابون بالرعشة المفاجئة القوية فلا تظهر عليهم دمل أو فحمات أو بقع ولا أي تشوهات خارجية، إلا أنهم يهلكون حتما في أقل من أربع وعشرين ساعة[1].

-التعريف الطبي الحديث للطاعون: أثبت الطب الحديث أن الأسباب الأولى للطاعون هي جرثومية، حيث تم تحديد الطاعون على أنه مرض وبائي ناتج عن جرثومة برسين[2] (yersinia pestis)، أو تسمى باسيل الطاعون، أو باسيل يرسين نسبة الى ألكسندريرسين Alexandre Yerrsinالذي اكتشفها سنة 1894م[3]، وهو باحث فرنسي من أصل سويسري(1863-1943م)، وتعيش هذه الجرثومة وتتكاثر في العادة في أجسام بعض القوارض البرية التي تعد خزانات لذلك وأهمها الأرانب والأرانب البرية، والجرذان السوداء، وقد أحصاها الأخصائيون بحوالي200 جنس مختلف من الثديات يحمل الخطر نفسه، وتنتقل إلى البشر عبر ناقلات وهي البراغيث المصابة ، هذه الإصابة تأتي من البيئة الحيوانية[4].

2-طريقة العدوى: عندما ينتشر مرض الطاعون بين الفئران يؤدي ذلك الى وفاة أعداد كبيرة منها تترك البرغيث المعدية المتطفلة على الفئران أجسام الفئران الميتة الى جسم الانسان وتلدغه فتنتقل الباسيلات من البراغيث الى

---

[1] الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص124.

[2] نفسه، ص134.

[3] رويان (بوجمعة)، الطاعون والزهري بالمغرب خلال عهد الحماية1912- 1938م، ضمن أعمال بنعدادة (آسيا)، المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط، 2011م، ص188، خياطي(مصطفى)، الأوبئة والمجاعات...، المرجع السابق، ص20.

[4] خياطي(مصطفى)، الأوبئة والمجاعات ...، المرجع السابق، ص20.

الإنسان وقد تتم العدوى مباشرة عن طريق الجلد عند الاحتكاك بحيوانات مصابة بالطاعون عن طريق الرذاذ من مريض مصاب بالطاعون الرئوي[1].

وتعتبر منطقة أواسط آسيا (منغوليا- منشوريا) المهد الايكولوجي للطاعون [2]، ومن بين الخصائص السريرية له هو ارتفاع درجات الحرارة، وتدور الحالة الصحية بالكامل[3]، أن الإنسان يصاب بالتهاب في الجهاز اللمفوي، ونزيف في الأنسجة [4]، بالإضافة إلى سرعة في النبض مع العطش ونزيف معوي ،ويعرف عن هذه البكتيريا أنها تنخر الخلايا ، وتسد الأوعية الشعرية، ويتسرب إلى الغدد اللمفاوية،والشبكات العصبية ،ويقدر من يموت بالإصابة مباشرة ب2٪، وفي اليومين الأولين مابين30و40٪وخلال الأسبوع الأول مابين 50و55٪[5].

3-أنواع الطاعون:

توجد ثلاثة أنواع من الطاعون:

-الطاعون الدملي: ويسمى أيضا بالحيواني لأنه يصيب في الغالب الحيوانات خصوصا منه القوارض الجرذان، وتنتقل العدوى من حيوان مصاب إلى الإنسان بواسطة وخز الإنسان من طرف البراغيث الحاملة للجرثومة من الجرذان، ومن أعراضه بروز سريع لدمل في الإبط وأعلى الفخذ ويهلك المصاب في الغالب خلال مدة تقدر بخمسة أيام إلى ثمانية(5-8أيام)، ويمكن أن تتطور من حالة طاعون دملي إلى حالة طاعون رئوي، كما أثبتت الدراسات الحديثة إمكانية انتقال عدّواه من الإنسان للإنسان عن طريق البراغيث[6]، اذ يصيب الغدد اللمفاوية

---

[1] الكاديكي (عثمان)، الأمراض المعدية، ط3، دار الكتب الوطنية، بنغازي1998، ص207-208.

[2] الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص134.

[3] خياطي(مصطفى)، الأوبئة والمجاعات ...، المرجع السابق، ص20.

[4] الكاديكي (عثمان)، المرجع السابق، ص207.

[5] Hildesheimer (Françoise), Fléaux et société : de la Grande Peste au choléra, XIVe-XIXe siècle, Hachette, 1993.p16-17.

[6] الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص134.

في الرقبة أو في الإبط حيث تتضخم حجمها في حجم بيض الدجاج[1]، ويعتبر هذا النوع الأكثر شيوعا بأكثر من٪90من الحالات وهو قاتل في٪80من الحالات[2]، ومن بين الأسماء التي اشتهر بها لدى المغاربة "بوكبار" أو" الولسيس" أو "بوطابك"[3].

–الطاعون الرئوي:الذي نتقل من الإنسان إلى الإنسان عن طريق التنفس ، ويتميز بإلتهاب رئوي حاد، ويتوقف انتشاره إلى العوامل المناخية المساعدة كالرطوبة الجوية والحرارة التي لا تقل عن 15درجة مئوية ونظرا لسرعة تطوره فالطاعون الرئوي يقضي على المصاب بالفيروس خلال بضع ساعات إلى يومين [4]، على أساس أنه التهاب رئوي يصحبه سعال مع عسر التنفس ، و ازرقاق في البشرة، ونفث دم يمور بباسلات الطاعون[5]، كما ترتفع درجات الحرارة عند المصاب إلى41 درجة مئوية[6]، وهذا النوع الأكثر انتشار عن طريق العدوى وقاتل في جميع الحالات[7].

–الطاعون اللمفاوي (التعفني–أو الإنتاني): ويمثل هذا النوع التطور النهائي لطاعون دملي ورئوي ، إذ يجتاح فيه الطاعون كامل الجسم الذي يتعرض إلى حالة تعفن خطير للدم[8]، وتتمثل أعراضه الأساسية في الحمى الشديدة للمريض التي تصل إلى 42 درجة مئوية ويتحول لون بشرته إلى البنفسجي، ثم يرتعش وتنتابه نوبات من العطش يؤدي به إلى الهلاك في يومه[9]، ويطلق عليه اسم الطاعون الأسود [10].

---

(1) الكاديكي (عثمان)، المرجع السابق، ص208.

(2) خياطي(مصطفى)، الأوبئة والمجاعات ...، المرجع السابق، ص22.

(3) رويان (بوجمعة)، المرجع السابق، ص188.

(4) الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص134.

(5) رويان (بوجمعة)، المرجع السابق، ص188.

(6) القشاعي (فلة)، الواقع الصحي....، المرجع السابق، ص223.

(7) خياطي (مصطفى)، الأوبئة والمجاعات ....، المرجع السابق، ص22.

(8) الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص134.

(9) القشاعي (فلة)، الواقع الصحي...، المرجع السابق، ص223.

(10) خياطي (مصطفى)، الأوبئة والمجاعات ...، المرجع السابق، ص22.

والمتتبع لدورات الأوبئة في الجزائر العثمانية يجد أن وباء الطاعون كان أكثرها انتشار مقارنة مع باقي الأوبئة، حتى أن ضرباته كانت بمعدل مرة كل سنة أو سنتين، فقد تم إحصاء أكتر من 151سنة شهدت فيها الجزائر العثمانية ضربات للطاعون وهذا بين سنوات(1552-1830م)[1].

إلى جانب وباء الطاعون شهدت بيئة الجزائر العثمانية أمراض أخرى منها الحمى الصفراء[2] ، والجذري الذي شاع في الجزائر في شكل وباء دوري بداية القرن السادس عشر عندما ضرب الحامية الاسبانية في بجاية عام 1509م، وعام1560م، والجزائر سنوات 1789م، 1803م[3]، والملاريا أو حمى المستنقعات خاصة بالأماكن التي انتشرت فيها المياه الملوثة كسهل متيجة [4]، وقد أعطيت أسماء مختلفة لهذا المرض الناتج عن الهواء الفاسد منها البرداء[5]، إلى جانب الملاريا نجد التيفوس وهو أحد الأمراض المعدية التي انتشرت في الجزائر في شكل وباء مستوطن كانت جرثومة الركتيسا سببا رئيسيا له والتي تنتقل عن طريق قمل الجسم البشري [6]، وقد زادت في انتشاره عوامل أخرى منها براغيث الفئران مما خلف تراجع ديمغرافي[7]، أما مرض الزهري فقد كان الأسرى من أهم ناقليه إلى الجزائر الذي ظهر بها خاصة سنوات 1792م، و1817م،كما عانى سكان الجزائر العثمانية من الالتهابات الرئوية[8]، في حين سجلت الايالة غياب أمراض المفاصل أو الروماتيزم، والنقرس على حد قول حمدان خوجة[9]، كل هذه الأمراض كانت ناتجة أما عن سوء التغذية، أو عدم الالتزام بالقواعد الصحية[10].

---

[1] Touti (Ismet), la peste et le commerce extérieur de l'Algérie a l'époque ottomane, revue d'histoire maghrébine, n154-155, Tunis 2014, 97.

[2] Marchika(Jean), La Peste en Afrique Septentrionale : Histoire de la peste en Algérie de1363 à 1830, Alger 1927.p156.

[3] خياطي (مصطفى)، الأوبئة والمجاعات...، المرجع السابق، ص76.

[4] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي...، المرجع السابق، ص254.

[5] خياطي (مصطفى)، الأوبئة والمجاعات ...، المرجع السابق، ص91.

[6] نفسه، ص107.

[7] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي...، المرجع السابق، ص261.

[8] نفسه، ص258.

[9] Khodja (Hamdan), le Miroir (aperçu historique sur la régence d'Alger), tafat, L'Algérie 2015, p74.

[10] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي...، المرجع السابق، ص253.

ثالثا–المــجاعات:

الضبط اللغوي: الجُوع إسم للمخمصة، وهو نقيض الشبع، والفعل جاع يجوع جوعاً وجَوعة ومجاعةً، فهو جائع وجوعان، والجمع جوعى وجياعُ.وهي خلاء البطن من الطعام جوعا[1].

وللمجاعة عدة مرادفات لغوية نذكر منها:

القحط: احتباس المطر، والقحط الجدب لأنه من أمره ، و قحطت الأرض فهي مقحوطة، والقحط ضرب من النبت أي ليس ينبت، والقحطي من الرجال :الأكول الذي لا يبقي من الطعام شيأ[2].

المسغبة: أسغب الرجل فهو مسغب، إذا دخل في المجاعة كما تقول أقحط الرجل إذا دخل في القحط، ويتيم ذو مسغبة أي ذو مجاعة[3].

الجائحة: **الجوائح**: في اللغة جاح الشئ بمعنى استأصله، ومنه الجائحة يعني الشدة والنازلة العظيمة التى تنزل بالناس وتأتي في أغلبها على الثمار وروى الشافعي قال:"الجوائح ما أذهب الثمر أو بعضها من أمر سماوي بغير جناية لآدمي[4].

اللزبة: الشدة، وجمعها لزب، وسنة لزبة شديدة، واللزوب هو القحط، ويقال أصابتهم لزبة يعني شدة السنة وهي القحط[5].

تعد المجاعات إحدى الكوارث الطبيعية التي يمكن أن تتعرض لها منطقة معينة، وربما البلاد بأكملها ، فهي تضاف إلى لائحة الكوراث الطبيعية كالزلازل والعواصف والفيضانات، وزحف الجراد إلا أنا ما يميزها أن وقعها يمس

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مج8، ص61.

(2) ابن منظور، لسان العرب ، مج7، ص374.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص486.

(4) نفسه، مج3، ص338.

(5) نفسه، مج1، ص783.

بالدرجة الأولى العنصر البشري[1]، إذ ارتبطت هذه الظاهرة بالعوامل الطبيعية خاصة المناخ الذي لعب دورا في حصول المجاعات ، إذ أن الانحباس المطري وطول فترات الجفاف والإرتفاع الشديد لدرجات الحرارة من بين العوامل المؤدية لها [2]، فالجفاف يساهم في حدوث مجاعات نظرا للتأثير السلبي الذي يحدثه المناخ على الإنتاج الزراعي مما يساهم أيضا في ظهور أوبئة كالطاعون[3]، مما يساهم في التراجع الديمغرافي للساكنة مثل ماحدث على اثر مجاعة1580م، شهدت مدينة الجزائر مابين 17جانفي1580الى 17فيفري من نفس السنة وفاة حوالي 1656شخص جراء الجفاف الذي خلف هذه المجاعة[4]، أو التي أحدثتها مجاعات 1867-1868م[5]، كما ساهمت أسراب الجراد وغلاء الأسعار في ذلك، كالجراد عام 1814م الذي ضرب الايالة بدايات القرن19م بموجة من الجراد وقد أورد ذلك أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر متحدثا عن ولاية عمر باشا في ربيع الثاني من عام1230هـ قائلا:"وجاء الجراد في هذه السنة ،أوله طائرا،ثم غرس وأقام في الأرض ثم خرج وأكل الزرع والأشجار والثمار ، ووقع الغلاء في تلك السنة وأعطى الأمير القمح لجميع الخبازين وجعل له سعر أيام الرخاء وأمر الخبازين أن يقوموا بعمل ما يلزم للبلاد ..."[6]، وقد استمر الحال حتى زمن الاحتلال الفرنسي ففي سنة1847م"قد نزل بالوطن في السنة المذكورة فأكل الزرع ولم ينتج من الأكل فيها إلا القليل وفيها حصل الضرر لبعض الفلاحين، واستمر أكل الجراد الزرع في السنتين اللتين بعدها أيضا "[7].

---

[1] كريمي (ماجدة)، قراءة في المدينة الموحدية والمرينية من خلال أزمة المجاعات والأوبئة، الجمعية المغريبية للبحث التاريخي، الجديدة، 2002، ص106.

[2] بنحيون (ماجدة)، مساهمة المناخ في حصول المجاعات والأوبئة بشمال افريقيا خلال العهود القديمة، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الجديدة، 2002، ص14، البزاز (محمد الأمين)، تاريخ الأوبئة والمجاعات ، المرجع السابق، ص37.

[3] Kington(John). Fluctuations climatiques : une étude synoptique du climat, fin XVIIIe-début XIXe siècle. In: Annales. Economies sociétés, civilisations. 32 années, Nº 2, 1977. pp. 227-236.

[4] De Haëdo (Fray Diego) , HISTOIRE DES ROIS D'ALGER TRADUITE ET ANNOTÉE par H.-D. DE GRAMMONT, ALGER 1881, p178.

[5] Taithe (Bertrand), La famine de 1866-1868 : anatomie d'une catastrophe et construction médiatique d'un événement », Revue d'histoire du XIXe siècle [En ligne], 41 | 2010, consulté le 30 septembre 2016, p118.

[6] مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص117.

[7] صالح (العنتري)، المصدر السابق، ص51.

وقد أثر هذه الظاهرة على سلوكيات الأفراد كما ترسخت في ذاكرتهم الجماعية فأطلق على عام المجاعة في قسنطينة أيام صالح باي بعام "قرامو"لشدة القحط وغلاء الأسعار، وقد قيل في ذلك الأبيات الشعرية التالية[1]:

جـل جلالة ذا العام كـاد الرجالة.

ريــــت الهجالة تـبكي بالجـوع.

ياخالقي حن علينا هذا العام المشؤوم خلف الخلايق تهوم.

مما ساهم في انتشار اللصوصية في المدن والشوارع وفي بعض الأحيان تحول ذلك إلى القتل[2]، علما أن معظم المجاعات التي أصابت الجزائر خلال العهد العثماني حدثت خلال القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر وتمركزت أساسا في كل من الجزائر وقسنطينة بسبب العوامل السالفة الذكر (الجفاف-أسراب الجراد)، فالجفاف لم ينقطع عن الايالة من عام 1800الى عام1828م[3]، ففي رسالة من أحمد باي إلى حسين باشا بتاريخ11ذي القعدة1243هـ، يخبره فيها أن بعض القبائل اعتذرت عن دفع جزء من الغرامة المفروضة عليهم بسبب الجراد وقلة الخصب في أراضيهم[4]، وقد كان الجراد سببا في 16مجاعة من أصل 37 تم تسجيلها في القرن الثامن عشر، أضف إلى ذلك بعض العوامل الاقتصادية إذ أسهم التجارة الفرنسيين في إلحاق الضرر بالأسواق من خلال استمرارهم في تصدير كميات كبيرة من القمح والشعير خارج الايالة خاصة عهد الديات مما أدى إلى إرتفاع

---

[1] نفسه، ص44-45.

[2] Burzet, Bellarmin-Vincent (Abbé). Histoire des désastres de l'Algérie, 1866-1867-1868, sauterelles, tremblement de terre, choléra, famine, par l'abbé Burzet, 1869, p91-92.

[3] حياطي (مصطفى)، الأوبئة والمجاعات ...، المرجع السابق، ص213.

[4] حماش (خليفة)،كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية ...، المرجع السابق، ص64.

أسعارها وفي بعض الحالات إلى انعدامها[1]، خاصة بعد تأسيس الشركة الملكية الإفريقية [2]، إذ تعتبر العلاقات التجارية الجزائرية–الفرنسية ذات أهمية كبيرة في حوض المتوسط مقارنة مع باقي الدول الأوروبية[3].

ختاما يتبين لنا من هذا المبحث المفاهيمي أن الكواث الطبيعية تتنوع وتختلف من ظاهرة الى أخرى من حيث المفاهيم والخصائص رغم التعتيم والخلط الذي ساد البعض منها كعدم التمييز بين الوباء والطاعون في بعض المصادر، لكنها تشترك في كونها ظواهر طارئة شكلت صدمة للمجتمع الجزائري، فتعددت بذلك أصنافها وأنواعها، مما اقتضى علينا القيام بمسح شامل لها ، فكان لابد من تسليط الضوء على تلك الكوارث العديدة التي مست جزائر العهد العثماني مجالا وزمانا والكشف عنها وذلك من خلال حصرها في دائرة تعكس طبيعتها من أجل تسهيل تتبع دورتها وهو محور دراستنا في المبحث الثاني.

---

[1] خياطي (مصطفى)، الأوبئة والمجاعات ...، المرجع السابق ، ص213.

[2] أمين (محمد)، الإختراق التجاري الفرنسي للجزائر خلال العهد العثماني(1518–1830م)، ط1، دار كوكب علوم، الجزائر، 2016م، ص252.

[3] Amine(Mohamed), géographie des échanges commerciaux de la régence D'Alger a la fin de l' époque ottomane 1792-1830 , Revue d' Histoire Magrébine, nº 71-72, Tunis, 1993,p288.

المبحث الثاني: دورة الكوارث الطبيعية في الجزائر العثمانية.

تعرض المجال الجغرافي للجزائر عبر الحقب التاريخية المتعاقبة إلى سلسلة من الكوارث الطبيعية في ظل التغيرات المناخية الحاصلة[1]، والتي نالت نصيب من اهتمامات المؤرخين، هذه السلسلة أو الدورة كان لها الأثر على مختلف المجالات وفي مستويات متعددة، بغض النظر عن القوى السياسة المتعاقبة والمتجاذبة على هذا المجال، فحاولنا بذلك إعطاء لمحة تاريخية وتعقب هذه الكوارث في الفترات[2] التي تسبق مجال الدراسة (العهد العثماني) الذي ينضوي ضمن العصر الحديث ليكون بذلك البحث أكثر شمولية من حيث الفترة الزمنية وفي نفس الوقت متسائلين هل هذه الأخطار والإكراهات التي واجهها المجتمع الجزائري حديثة عهد به أم أنها سلسلة متعاقبة لتقلبات الطبيعة على الإنسان؟ ثم الوقوف عليها خلال العهد العثماني الذي يتجاوز ثلاث قرون في محاولة احصائية لها وتقديم قراءة رقمية رغم صعوبة ذلك باعتبارها مرتبطة بالظاهرة الإنسانية والاجتماعية التي يكتنفها الغموض والتعقيد والتي يصعب تكميمها والتعبير عنها بقيم محددة ودقيقة ، متسائلين عن أكثر القرون العصيبة التي مرت بها الجزائر وأكثر الكورات الطبيعية تأثيرا عليها؟

---

[1] تؤكد الدراسات الحديثة أن المناخ في ثبات نسبي لفترة لاتقل عن 25الى30 سنة بعدها تبدأ تظهر ملامح التغير ينظر:

-Lévêque (Christian), Écologie De l'écosystème à la biosphère, Collection : UniverSciences, Dunod, Parution : Paris, mai 2001.

- Keltouma (Mlle IKTITEN), Contribution à la modélisation du climat de la Kabylie, diplôme de Magister, Ecologie et Environnement, Université ABDERRAHMANE MIRA-Bejaia ,2013/2014, p2.

[2] مرت البشرية بحقبات تاريخية أربعة،اعتمد المؤرخون فيها تصنيف زمني يستند الى تواريخ جرى فيها تغير جذري للحضارة راجع: ريحانا(سامي)، شعوب الشرق الأدنى القديم ، نوبليس،ص ص6-7.

أولا:لمحة تاريخية عن الكوارث الطبيعية:

1-في الفترة القديمة: تعتبر الكوارث الطبيعية من بين الاكراهات والأخطار التي واجهها الإنسان في شمال إفريقيا وبالخصوص طيلة الفترة الرومانية، فنالت بذلك نصيبها الوافر من الدراسات المحلية[1] والأجنبية[2] على حد السواء خاصة فيما تعلق بالفيضانات والزلازل، والجفاف والطاعون، وغيرها من الكوارث .

-الفـيضانات:

لقد كانت الحضارات في الفترة القديمة تعتمد أساسا على الماء كشرط أساسي لإنشاء مدنها،وبقدر ما شكل الماء عنصر حيوي لقيامها تحول في بعض الأحيان إلى خطر يهدد وجودها ،لذا اختارت الحضارات القديمة بناء الأنوية الأولى لعمرانها في مجالات جغرافية مرتفعة تفاديا لمجرى الماء،وهذا تجنبا لخطر فيضان الأودية وارتفاع منسوب مياهها[3]، وقد تعددت الإشارت النصية والابيغرافية الدالة على هذه الظاهرة لخطورتها خاصة في القرن الثالث الميلادي الذي تميز بهذه الكارثة الطبيعية[4]، خاصة في شمال إفريقيا ومنها الجزائر وهذا راجع إلى النسب المرتفعة للتساقط بهذا المجال الجغرافي المتوسطي الذي يتجاوز 800ملم /سنة، مثل ما توضحه الخريطة التالية[5]:

---

[1] أيت أومغار (سمير) ، المدن وسبل مكافحة الفيضانات في شمال افريقيا خلال المرحلة الرومانية، هسبرس-تمودة، المغرب، 2019،ص ص65-95.

- FAREH (Hédi), CATASTROPHES NATURELLES, FAMINES ET ÉPIDÉMIES EN AFRIQUE DU NORD ANTIQUE (146 av. J.-C. / 698 ap. J.-C.), Histoire Ancienne, l'Université de Sousse, tunis, 2017.

- Ferdi (Sabah) et Harbi (Assia), Roman literary and epigraphic sources for the study of historical seismicity in Algeria, circa 42–420 ad, Journal of Seismology,volume18-Nº2, (2014): PP277-287.

[2] Lepelley(Claude), "L'Afrique du Nord et le prétendu séisme universel du 21 juillet 365," Mélanges del'École Française de Rome-Antiquité, 96-1 (1984): 463-91 ; (Senay) Pierre, "Le mouvement circulaire de Carthage etles tremblements de terre du IVe siècle de notre ère," in Lixus, Actes du colloque de Larache (8-11 novembre 1989),Collection de l'École Française de Rome, 166 (Rome: l'École française de Rome, 1992): 387-91.

[3] أيت أومغار (سمير)، المرجع السابق، ص ص65-66.

[4] Leveau(Philippe), L'environnement de l'Afrique dans l'Antiquité. Climat et société, un état de la question، IKOSIM, N°5, (2016):pp 61- 64.

[5] Ibid, p58.

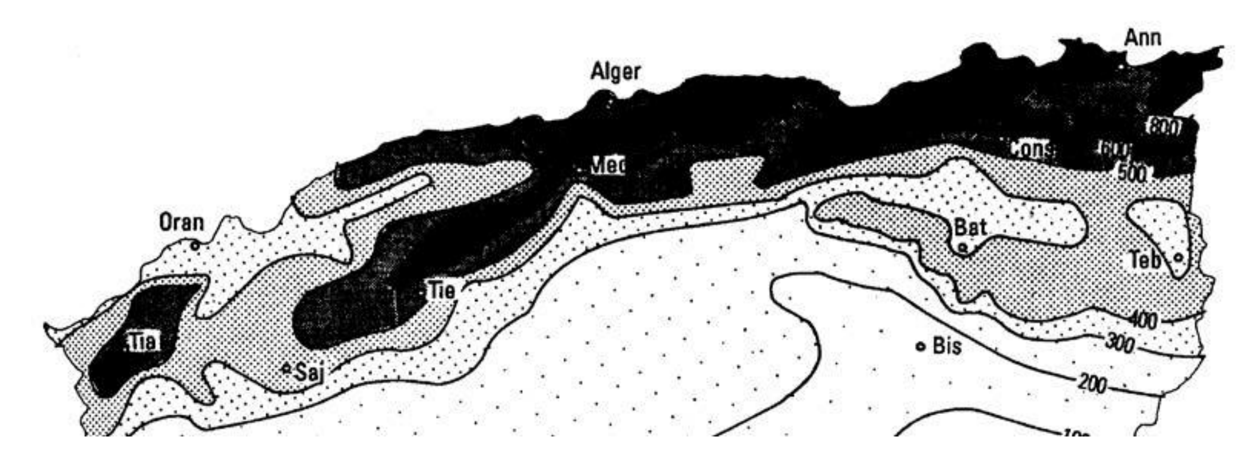


Fig. 1 - Répartition des précipitations en Algérie (d'après M. Cote 1996, p. 37). La zone en noir Cumule des totaux annuels supérieurs à 600 m. La zone en gris foncé reçoit encore plus de 500 mm. Les quantités décroissent vers le sud. Celles qui reçoivent moins de 300 mm sont figurées en pointillé plus espacés. Le Sahara reçoit moins de 200 mm. L'Oranie sulittorale accuse un déficit notable.

ومن أكثر المجالات التي يهددها خطر الفيضانات الأراضي الززراعية ومحاصيلها وكذلك الطرق كالطريق الرابط بين سيرتا(Cirta) و روسيكادا (Rusicade)خلال القرن الثالث للميلاد(3م) في نوميديا القديمة[1] وقد أشارت الدراسات التي قام بها المورفولوجي الفرنسي جون لويس بالي (Jean-Louis Ballais).

أن المرحلة الممتدة مابين250 قبل الميلاد إلى مابين200 و 250ميلادي تميزت بندرة الفيضانات لقلة التساقط،في حين شهدت المرحلة التى تلتها أي من200- 250ميلادي إلى حوالي600 ميلادي بروز لظاهرة الفيضانات والتراكم الشديد للطمي في قعور الأودية مثل واد العرب ،وواد ملاح وواد ملاقو، وهذا ما يؤكد تضاعف خطر الكارثة، ففي منطقة الأوراس مثلا تبين اختفاء كامل لموقع قسيرا(Vescera) تحت طمي واد بسكرة حتى أصبح موقعها مجهولا تماما[2]، وهذا ما أدى بالرومان في شمال إفريقيا إلى اتخاذ تدابير حمائية ووقائية حسب ما أكدته الدراسات وهذا من خلال ما كشفته معاينة المنشآت المائية القديمة في الشمال الإفريقي منها تشييد السدود بهدف الحد من التعرية والتصدي للارتفاع الموسمي الكبير والعنيف للأودية، أو من خلال استغلال هذه المياه مثل استغلال سد البنيان المشيد بواد بردي في الجنوب الشرقي لمدينة الجزائر وذلك في ري الأراضي

---

(1) أيت أومغار (سمير)، المرجع السابق، ص 67.

(2) Ballais(Jean-Louis), RECHERCHES GÉOMORPHOLOGIQUES DANS LES AURÈS (Algérie), paris, 1981, pp 449-450.

الزراعية[1]، في حين تم بناء بعض الجدران الصغيرة بهدف التخفيف من حدة الفيضانات،ورفع مستوى أرضية الطرق القديمة الرابطة بين المراكز الحضارية فوق مستوى المجاري المائية وتشييد العديد من القنوات المائية والجسور تجنبا لخطر الفيضانات خلال القرن الثالث للميلاد[2]، أضف الى ذلك تم بناء مجموعة من الحواجز على ضفاف الأودية كمحاولة لاحتواء الفيضانات العنيفة ومنع عبور مياه الأودية الى المدن وتشييد المساكن في المرتفعات ورفع أرضية الطرق البرية وتنظيف وصيانة المجاري المائية وتحويل مسارها في حالة اختراقها للنسيج الحضري كتدابير وقائية لحماية المدن من خطر الفيضانات[3].

-الزلازل: لقد أحصت الدراسات الحديثة في الفترة القديمة ما يقارب 11 موقع تعرض لهزات أرضية [4]خاصة في القسم الشمالي للجزائر باعتباره غير مستقرة جيولوجيا مقارنة بالقسم الجنوبي لها[5]، هذه الظاهرة التي أفادت بها النصوص الأدبية والأبيغرافية وكذلك تقارير علماء الأثار والجيولوجين، والتي تبين تعرض شمال إفريقيا لضربات الزلازل بدءا من القرون الأولى قبل الميلاد، فقد سجل من أربعة إلى خمسة زلازل خلال الفترة الممتدة من 100ق.م الى 365 م، تليها الفترات التالية 306-310م و362-365م منها في شمال إفريقيا[6] كان أعظمها زلزال 21جويلية365م العالمي[7].

حاولنا تتبع هذه الكارثة في الجزائر خلال الفترة القديمة كرنولوجيا في الجدول الأتي:

---

(1) أيت أومغار (سمير)، المرجع السابق...،ص 75.

(2) نفسه، ص76.

(3) نفسه، ص81-82.

(4) Ferdi (Sabah) **&**Harbi (Assia)…, op.cit, p283.

(5) Belhai(Dgelloul), histoire de la geologie de l’Algerie, Editions ANEP, 2012, p17 et suiv.

(6) Fareh (Hédi) “L’Afrique face aux catastrophes naturelles, In Africa et in Hispania, De Abdellatif Mrabet et j.rodrigues, Edicions Universitat Barcelona, 2007, p146.

(7) Claude (Lepelley). L'Afrique du Nord et le prétendu séisme universel du 21 juillet 365. In: Mélanges de l'École française de Rome. Antiquité, tome 96, n°1. 1984. pp. 463-491.

التاريخ	الموقع (المكان)	المدى		الشدة	الآثار المسجلة	المصدر
		الطول E°	العرض N°			
42م	Rusucurru	3.89	36.92	مدمر	/	Sabah Ferdi & Assia Harbi(2014),p 283.
267م	Nigrenses Maiores	7.48	34.45	ضار		Sabah Ferdi & Assia Harbi.p283
267م	Lambaesis	6.26	35.49	مدمر		Sabah Ferdi & Assia Harbi.p283.
355م	Thubursicu Numidarum	7.65	36.2	مدمر	تضرر التماثيل	Sabah Ferdi & Assia Harbi,p283.
361-362م	Thubursicu Numidarum	/	/	/	تضرر التماثيل	Claude (Lepelley).1984,p488.
364م	Madauros				تضرر الحمامات	Claude (Lepelley).p488.
364-367م	Lambaesis	/	/	/	تضرر المنابع	Claude (Lepelley).p488.
365م	Cuicul	5.37	36.31	مدمر	انهيار المعابد	Fareh (Hédi), 2007 ,p165.
365م	Mostaganem	0.09	35.93			Rozet et Carette (1850) L'Algérie,p44.
383-392م	Sitifis	/	/	/	/	Claude (Lepelley).p488.
ق4-ق5م	Sitifis	/	/	/	/	Fareh (Hédi) ,p166
419م	Sitifis	5.41	36.19	مدمر		Sabah Ferdi & Assia Harbi,p283
الفترة القديمة	Saldae	5.08	36.75	مدمر	تضرر التماثيل	Sabah Ferdi & Assia Harbi, p283
الفترة القديمة	Caesarea	2.19	36.61	مدمر		Sabah Ferdi & Assia Harbi, p283.
الفترة القديمة	Calama	7.43	36.47	مدمر		Sabah Ferdi & Assia Harbi,p283.
الفترة القديمة	Theveste	8.12	35.41	مدمر	تضرر تمثال الامبراطور كركلا	Sabah Ferdi & Assia Harbi, p283.
الفترة القديمة	Thamugadi	/	/	/	تضرر المنازل	Claude (Lepelley).p488.
الفترة القديمة	thibilis	/	/	/	تضرر المنابع	Claude (Lepelley).p488.

–الجـفاف: ترتبط هذه الظاهرة بالتساقط كعنصر أساسي في المناخ والجزائر باعتبارها دولة متوسطية فهي تمتاز بنفس الخصائص الموروثة والتي تخضع للبحر الأبيض المتوسط المعروف بكثرة التساقط [1]، في حين تقف السلاسل الجبلية أمام هذه التأثيرات كلما توغلنا باتجاه الجنوب أين يقل التساقط[2].

وشمال إفريقيا كباقي مناطق العالم القديم انتابتها تغيرات و ذبذبات مناخية بارزة المعالم حسب ما بينته الدراسات الجيولوجية والبقايا الأثرية وهذا استنادا إلى مجموعة من الدلائل وماحملته لنا النصوص التاريخية حول الظاهرة ، فإذا كان القسم الشمالي معروف بمناخه المعتدل وبأمطاره الغزيرة وأوديته المتعددة وخصوبته العالية حسب قدماء الجغرافيين والمؤرخين أمثال هيرودوت، فان القسم الجنوبي عرف جفافا لكونه منطقة جرداء وقاحلة تنعدم فيها المياه ومغطى بالرمال وخال بسبب جفاف السماء والأرض، لكن هذا لا يعني أن شمال إفريقيا لم ينعم دائما بالمناخ المعتدل إذ تعرض لموجات حرارية شديدة صاحبتها تراجع في كميات التساقط أدت بالمنطقة إلى أن تتشهد الجفاف، وقد أورد استرابون نصوص أشار فيها "إلى انعدام المطر بشمال ليبيا والى الجفاف الناتج عن كثرة الحرارة "، وهذا مما لاشك فيه أنه أثر على المردود الزراعي[3]، إذ مثل الجفاف على مدار الفترات القديمة حاجزا أما الاقتصاد الروماني خاصة في التأثير على محاصيله الزراعية[4].

وهذا ما لا شك فيه أنه أثر على المردود الزراعي، وقد أدت طول فترات الجفاف إلى ممارسة بعض الطقوس من أجل الإستسقاء، وحتى الرياح القادمة من الجنوب والتي تحمل اسم السيروكو(siroco)، وهي لفظ إغريقي يعني جاف، وهي رياح تهب بشدة تصاحبها غبرة، وحارة تحدث صيفيا، وتأثيرها يوهن الكائنات الحية

---

[1] Lespès (René), Alger, Étude de Géographie et d'Histoire urbaines, PARIS, 1930, p 63.

[2] بنحيون (ماجدة)، مساهمة المناخ في حصول المجاعات والأوبئة بشمال إفريقيا خلال العهود القديمة، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الجديدة، 2002، ص09.

[3] بنحيون (ماجدة)، المرجع السابق، ص ص10-16.

[4] Fareh (Hédi),op.Cit، pp155-158.

ويببس النباتات، مما تساهم في حدوث مجاعات غير متوقعة، علما أن الجفاف لم يكن شاملا لكل مناطق شمال إفريقيا إذ يصيب مناطق دون غيرها[1].

-**الأوبئة والمجاعات**: ارتبط بالتغيرات المناخية انتشار الأوبئة والأمراض وخاصة في المناطق ذات المناخ الحار والرطب ، والتي تنتشر فيها البرك والمستنقعات والمياه الملوثة، والتي تكثر فيها جراثيم يؤدي استهلاكها إلى تسرب الطفيليات إلى الجسم مما ينتج عنه اضطرابات مرضية تضعف الجسم وتوهنه ويصبح غير قادر على مقارمة الأمراض ، وقد أشارت بعض النقائش القديمة إلى أسباب بعض الوفيات خاصة في فئة الأطفال مرده الأوبئة وبالأخص الطاعون (pestis)، وقد كان أهمها بالنسبة لشمال إفريقيا الذي ظهر أول مرة عام 430 قبل الميلاد في إثيوبيا ثم انتقل إلى شمال إفريقيا [2]، أضف إلى ذلك طاعون القرن الثالث للميلاد لينتقل بدوره إلى جميع دول حوض المتوسط عن طريق الطرق البحرية [3].

هذا الوباء الذي يرجع إلى العصور القديمة كان سببا في حصاد الملايين من الضحايا عبر مختلق أنحاء العالم [4]، أما فيما يخص منطقة شمال إفريقيا فقد آتى ذكره في الفترة الرومانية حيث شهدته المنطقة في العديد من المرات كسنوات450 ق.م،و399 ق.م، وفي الجزائر في عام 125 ق.م، وقد انتشر حسب مؤرخي تلك الفترة إلى أسراب الجراد المتعفنة على وجه الأرض وقد كانت موجات الجراد في العصور القديمة تشكل إنذارا بظهور وقدوم الطاعون، ففي عام 542م انطلق الطاعون من مصر، لتشهده الجزائر سنوات 594م، 599م، واستمر إلى غاية 600م [5]، في حين ذهبت بعض الدراسات إلى القول بأن البيئة الصحية لنوميديا (الجزائر القديمة) كانت خالية

---

[1] بنحيون (ماجدة)، المرجع السابق، ص ص15-19.

[2] نفسه، ص20-22.

[3] Philippe(Contamine).Biraben (Jean-Noël). Les hommes et la peste en France et dans les pays européens et méditerranéens. Tome I : La peste dans l'histoire. Tome II : Les hommes face à la peste. Paris-La Haye, Mouton, 1976. In-8°, 455 et 416 pages, 12 cartes et 30 graphiques dans le texte, 16 planches hors texte. In: Bibliothèque de l'école des chartes. 1978, tome 136, livraison 1. Pp171.

[4] خياطي (مصطفى)، الأوبئة والمجاعات...، المرجع السابق، ص19.

[5] بنحيون (ماجدة)، المرجع السابق، ص ص22-26.

من الأمراض[1]، لكن هذا الرأي يتنافى بعض البعض الأخر الذي أكد استطان هذا الوباء بمنطقة شمال إفريقيا منذ القدم[2].

-**الجراد**: من بين الظواهر الطبيعية التي سادت شمال إفريقيا هي أسراب الجراد التي هددت المنطقة في فترات مختلفة خاصة 125ق.م والقرن السادس للميلاد الذي تزامن مع الفترة البيزنطية حسب ما أشارت إليه النصوص الأبيغرافية[3]، وقد وصفه البعض بقوله:"هجم الجراد على شمال إفريقيا محدثا خرابا لايوصف فكان يتقدم في شكل سحب كثيفة باتجاه البحر ثم يسقط ويموت لتقوم الرياح بعد ذلك بنقل بقاياه المتعفنة في جميع الاتجاهات محدثة وباء انتشر إلى كافة أنحاء المنطقة"[4]، وقد تمت محاربته بالنار حرقا وتدمير بيضه لمنع تكاثره والتقليل من مخاطره[5]. وبالتالي تنوعت الكوارث الطبيعية التي سادت شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة من فيضانات وزلازل مرورا إلى الأوبئة والمجاعات وموجات للجراد كل هذه الكوارث مازال يكتنفها الغموض في التاريخ القديم ويصعب على الدارس تحديدها والوقوف عليها بدقة و تفصيل .

2-في الفترة الوسيطة:

شهد العصر الوسيط على غرار الفترة القديمة سلسلة من الأزمات والكوراث الطبيعية لكن الكتابة التاريخية ظلت سجينة وحبيسة الحدث السياسي، إذ بقي الحديث عن موضوع الكوارث الطبيعية أمرا مهمشا[6]، رغم أهميته في زوال بعض الأمم وانقضاء أعمارها على حد قول ابن خلدون عندما ربط حدوث الوباء بنهاية عمر الدولة، وما يحدث في أخرها من كثرة المجاعات والفتن مع ما يصاحبها من عجز على مستوى السلطة لإخمادها[7]، أو بما

---

(1) Marchika(Jean), op.Cit, p14.
(2) Philippe (Contamine). Biraben (Jean-Noël), op.cit, p171.
(3) Fareh (Hédi), op.Cit, pp155-158.
(4) خياطي (مصطفى)، الأوبئة والمجاعات...، المرجع السابق، ص24.
(5) Fareh (Hédi), op.Cit, p59.
(6) كريمي (ماجدة)، المرجع السابق ص106.
(7) سمية (مزدور)، المرجع السابق، ص244.

تحدثه بالإنسان من كارثة ديمغرافية والتي أرجعها ابن خلدون إلى ثلاثة عوامل"كثرة الموتى لها ثلاثة أسباب هي كثرة المجاعات وكثرة الفتن لإحتلال الدول، فيكثر الهرج والقتل، أو وقوع الوباء"[1].

كما أكدت الكثير من الدراسات على أن البحث في تاريخ المناخ ،وما يترتب عنه من تقلبات وكوارث طبيعية لايزال في بداياته الأولى في بلاد المغارب في حين قطع أشواطا بعيدة في أوروبا[2]، لذا حاولنا في هذا العنصر التعرف على أهم الكوارث الطبيعية التي شهدها المغرب الأوسط لإعطاء موضوع البحث صبغة أكثر شمولية للفترات التي تسبق الإطار الزماني لبحثنا (العهد العثماني) أو العصر الحديث.

كثيرة هي الكوارث الطبيعية التي ضربت المغرب الأوسط في سكانه ومجاله الجغرافي نظرا لموقعه الجغرافي وطبيعة تضاريسه الذي غدا عنصرا متحكما في نوعية المناخ السائد، بل اعتبره البعض قاسما مشتركا بين المناخ والتاريخ فبعض الحضارات تنمو وتزدهر أوتفنى وتزول بفعل عوامل طبيعية على حد قول ابن خلدون بالحتمية المناخية[3]، وقد ارتأينا الوقوف عند أكثرها فتكا وضررا بالساكنة ،كما تميز الفضاء المتوسطي خلال العصر الوسيط بمجموعة من الكوارث كان لهها الأثر على بلاد المغارب ومصر وباقي المجالات المتوسطية[4] .

فكان عامل المناخ بذلك سببا رئيسيا في حدوث بعض الكوارث **كالفيضانات**[5]، لأرتفاع كميات التساقط في بعض الأحيان أو الجفاف لتراجعه، أو الزلازل لوقوع المنطقة في موقع غليان جيولوجي على حد قول فريناند بروديل (del Fernaned Brau)كان يؤدي إلى حدوث زلازل عنيفة ترتبت عنها خسائر مادية وبشرية[6]،

---

(1) السعداوي (أحمد)، المجاعات والأوبئة في تاريخ الغرب الاسلامي الوسيط...، المرجع السابق، ص27.

(2) بوالقطيب (الحسين)، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن ، الرباط، 2002، ص07.

(3) نفسه، ص 13-14.

(4) Mrabet(Abd-ellatif), L'historique des calamités …op.Cit, p285.

(5) جسوس (عزالدين)، الكوارث الطبيعية والأوبئة ومدى تأثيرها على العلاقة بين الرعية والسلطة السياسية خلال حكم المرابطين، الجمعية المغريبية للبحث التاريخي،الجديدة،2002، ص54.

(6)Besnier (Robert). Leroy Ladurie (Emmanuel) - Histoire du climat depuis l'an mil. In: Revue économique, volume 19, n°3,1968. pp. 549-551.

خاصة خلال السنوات التالية:(1049-1365م)[1]، أوحدوث مجاعات كمجاعة تلمسان512هـ/1118م : "وكان في هذه السنة غلاء ووباء عظيم، وبلغ ربع الدقيق عشرين درهما "[2].

أو الطاعون الذي شكل أكثر الأوبئة انتشار في العصر الوسيط لما خلفه من ضحايا في المجتمعات ورعب حقيقي استمر لسنوات، وقد تم إحصاء تسع أصناف من الكوراث في مايقارب 129سنة من العصر الوسيط بين السنوات التالية :232هـ/847م-900هـ/1494م،كما هو موضح في الجدول التالي[3]:

طبيعة الكارثة	عدد سنوات الكارثة
1-زلازل	04
2-موجات الجراد	06
3-تقلبات جوية	13
4-جفاف	25
5-غلاء	32
6-طاعون وأمراض معدية	48
7-مجاعات	56
8-حرائق	02

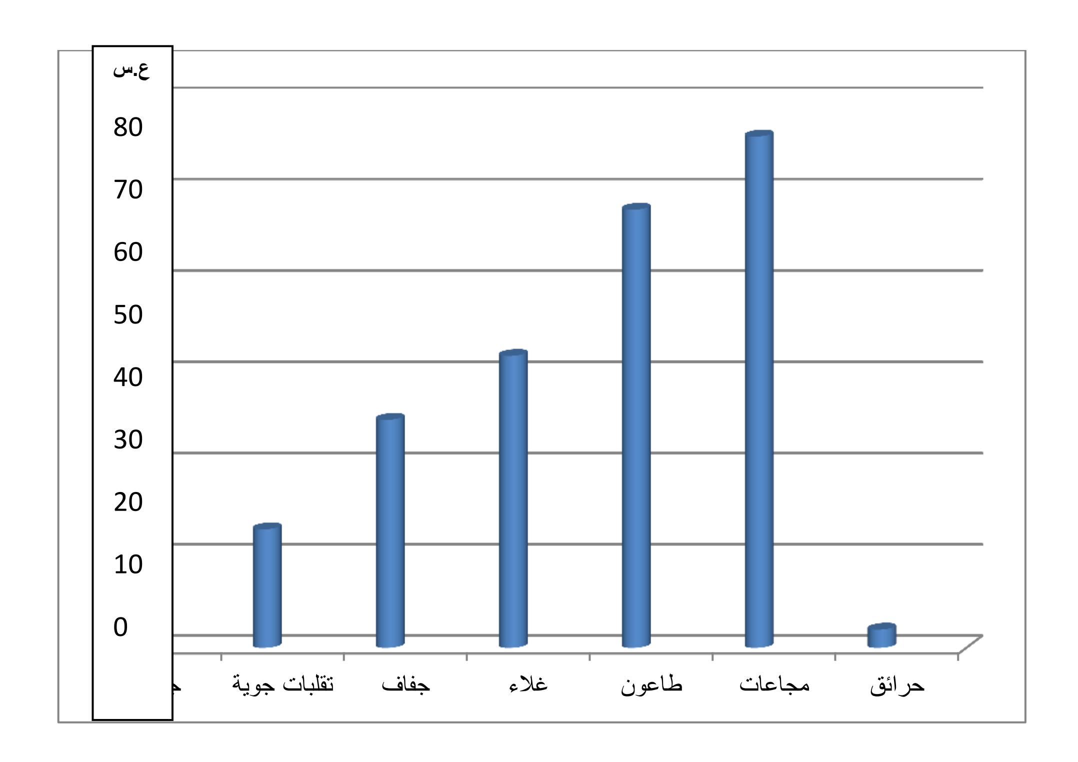
---

(1) Ferdi (Sabah) &Harbi (Assia)…,op.Cit, p279.

(2) ابن عذارى المراكشي ،كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، بيروت1943، ص307، نقلا عن السعداوي (أحمد)، المرجع السابق، ص34.

(3)Mrabet(Abd-ellatif), L'historique des calamités,…op.Cit, p296-297.

أنواع الكوارث في المغرب الوسيط بين (232هـ/847م-900هـ/1494م)



أضف إلى الأنواع المذكورة في الجدول: الزوابع الرملية والعواصف ليصبح عدد أنواعها عشرة، وقد انتشرت هذه الكورات في مدن وأرياف المغرب الوسيط أهلكت الزرع[1]، والساكنة مما أدى الى تراجع في النمو الديمغرافي[2]كما هو موضح:

تطور سكان شمال افريقيا(المغرب-الجزائر-تونس-ليبيا-مصر) خلال سنوات1000-1850م

السنوات(م)	1000	1100	1200	1300	1400	1500	1600	1700	1800
عددالسكان **مليون نسمة**	11.5	10	9.8	7.8	7.7	8.4	8.7	9.1	13

(1)Mrabet(Abd-ellatif), L'historique des calamités,…op.Cit, p 297.
(2) Ibid, p301.





مما سبق يتبين لنا أن القرون التالية 11م–12م–13م–14م نهي القرون الأكثر كارثية خاصة بين سنوات 452هـ/1061م–458هـ/1066م[1].

كل هذه الكوارث ساهمت في التدهور الديمغرافي الى غاية نهاية القرن15م،"فبينما كانت الدول الأوروبية تتعافى وتطهر سكانها،شهدت المناطق المغاربية في هجرة ونقص السكان.."[2]،ولم تخلو هذه المناطق حتى من موجات الجراد التى صاحبت المجاعات أهمها التي وقعت سنوات115هـ/733م،207هـ/822م،229هـ/894م،حتى غلت الأسعار ،617هـ/1220م .

[1] Mrabet (Abd-ellatif), L'historique des calamités,…op.Cit, p 299.
[2] Ibid, p301.

أتبعها غلاء[1] وقحط وجراد [2]، هذا الجراد الذي شدد الوزان على دوره في الحاق اضرر الجسيم بالانتاج الزراعي بفعل كثرته لأنه "يشاهد أحيانا، بافريقيا كمية وافرة من هذه الحيوانات،الحيوانات، حتى انها لتحجب ضوء الشمس عندما تطير مثلما يفعل السحاب نتأكل من الاشجار الفواكه والأوراق،وتترك عند ذهابها بيضا يتولد منه جراد آخر يطير ، لكنه أسوأ من أمهاته يلتهم حتى لحاء الأشجار، وحيثما مر الجراد ترك مجاعة كبيرة..."[3].

أما القرون الأخيرة من العصر الوسيط، خاصة القرن14م فقد عرف دورات للطاعون الأسود والذي ساد جميع الفضاء المتوسطي وبالأخص الدول الأوروبية وقد تم تسجيل 50 سنة من الوباء (الطاعون)، خلال العصر الوسيط مخلفا العديد من الضحايا والجدول الأتي[4] يبين لنا القرون الأكثر وباءا:

تطور الطاعون بالمغرب بين867-1494م	
الفترات الزمنية	عدد ضربات الطاعون
867-898م	1
913-939م	6
1002-1093م	4
1103-1193م	2
1203-1294م	8
1322-1397م	8
1400-1494م	19
المجموع	**48**

---

(1) ابن قنفذ القسنطيني (أبو العباس أحمد)، أنس الفقير وعز الحقير، تصحيح :محمد الفاسي و أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص70.

(2) القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني..، المرجع السابق،ص59.

(3) استيتو(محمد)، معوقات الاقتصاد المغربي في العصر الوطاسي-السعدي من خلال كتب الرحلات والجغرافيا،...، المرجع السابق، ص 81.

(4) Mrabet(Abd-ellatif), L'historique des calamités,…op.Cit, p 302.

ومن أكثر الحواضر المغربية المتضررة من الطاعون[1] كل من تونس–فاس – بجاية – تلمسان في المغرب الأوسط خاصة سنوات 740هـ/1340مو765هـ/1364م[2]، إذ خلف رعبا في الذاكرة الجماعية والفردية للمغرب خلال العصر الوسيط سلطة ومجتمعا وفي مختلف المجالات خاصة الإقتصادية والنفسية[3]، إذ شكل استقرار الوباء أثر على سلوك الناس ، حتى ساد الاعتقاد بأن الوباء هو عقاب الهي[4]، وقد وصف ابن خلدون تلك المرحلة العصيبة بقوله "انقلبت أحوال المغرب أثناء الطاعون الجارف الذي طوى محاسن العمران ومحاها فخلت الديار والمنازل..."[5]، وبالتالي فالجزائر قبل العهد العثماني لم تكن بيئة خالية من الأمراض .

ثانيا: كرونولوجيا الكوارث الطبيعية خلال العهد العثماني.

تعاقبت سنوات الكوارث الطبيعية على الجزائر خلال العهد العثماني مستهدفة المجتمع بمختلف فئاته سواءا في المدن أو الأرياف، فكان المجتمع الجزائري يعيش مختلف مظاهر السوء والخوف وهاجس هذه الأزمات باستمرار التي تحولت عند تعاقبها وتسلسها إلى كوراث ديمغرافية ، لذا حاولنا تتبعها زمانيا ومكانيا في مختلف المصادر خلال الفترة الممتدة من بداية القرن السادس عشر إلى بداية القرن التاسع عشر التي شهدت فيها الجزائر التواجد العثماني باعتبار أن موضوع الرسالة يعالج العهد العثماني كله وهي مدة تجاوزت ثلاث قرون من الزمن ولكي نرصد عناصر هذه الكوارث الطبيعية بصورة فها نوع من الدقة كمحاولة احصائية لها وتقديم قراءة رقمية رغم صعوبة ذلك باعتبارها مرتبطة بالظاهرة الإنسانية والإجتماعية التي يكتنفها الغموض والتعقيد والتي يصعب تكميمها والتعبير

---

[1] Mrabet(Abd-ellatif), L’historique des calamités,…op.Cit, p 304.

[2] فتحة (محمد)، الوباء الجارف بالغرب الإسلامي–معطيات ومواقف، جمعته بنعدادة(آسيا)، المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية–الرباط، 2011،ص88.

[3] Mrabet(Abd-ellatif), L’historique des calamités,…op.cit, p 305.

– لقد أنجزت دراسة جديدة في هذا الميدان معنونة بـ:الخوف ببلاد المغرب في العصر الوسيط ، أخر إصدارات الأكاديمي التونسي محمد العادل لطيف،عن دار زينب، تونس، 2019، يندرج الكتاب ضمن الدراسات الحديثة التي تحاول التركيز على مواضيع جديدة في البحث التاريخي، خاصة مبحث التاريخ النفسي الاجتماعي الذي تعاني فيه المكتبة العربية نقصا شديدا حسب أراء الباحثين، اذ يحاول فيه الباحث رصد أصول وأشكال الخوف المعنوية والمادية والأضرار المترتبة عنها ببلاد المغرب على مدى ستة قرون(3–9هـ)،منها الخوف من الأوبئة والأمراض والكوارث الطبيعية.

[4] فتحة (محمد)، المرجع السابق، ص97.

[5] سمية (مزدور)، المرجع السابق، ص244.

عنها بقيم محددة ودقيقة على حد قول الكثير من الباحثين، اعتمدنا على نظام الوحدات الزمنية، متسائلين عن أكثر القرون العصيبة التي مرت بها الجزائر وأكثر الكورات الطبيعية تأثيرا عليها؟

1-دورة الكوارث الطبيعية خلال القرن السادس عشر 16م (1518-1599م):

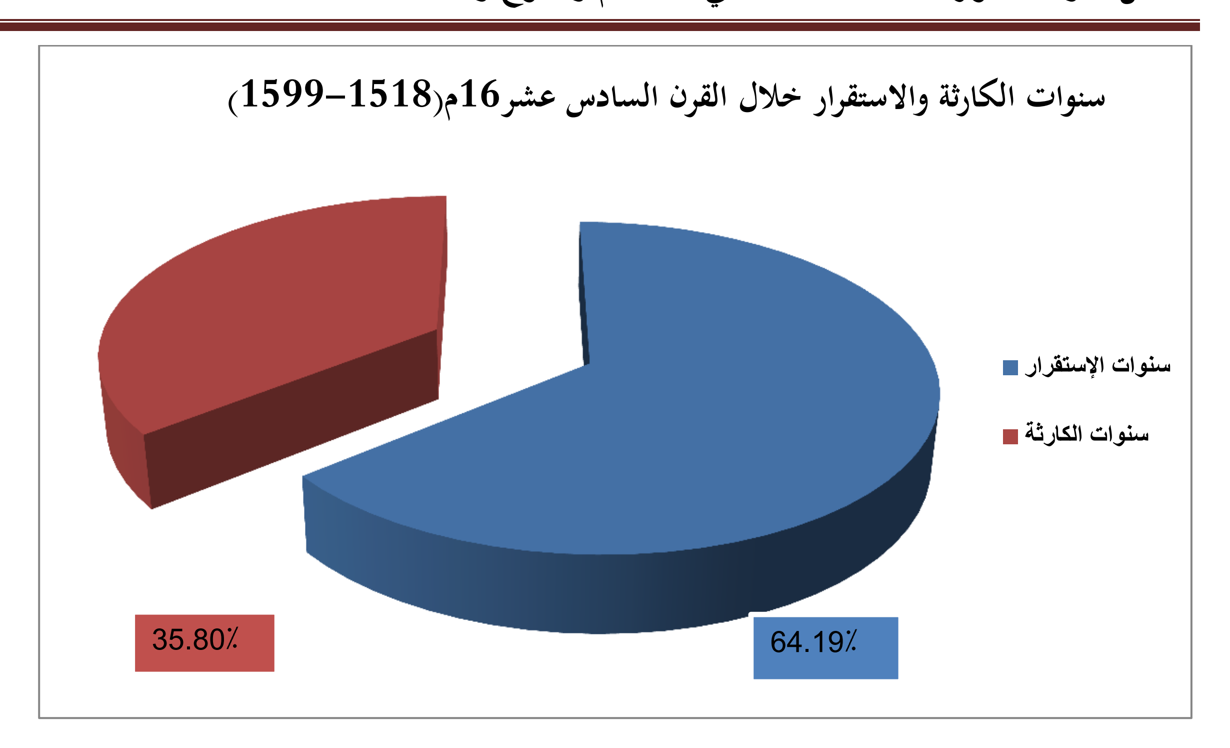
شهدت الجزائر دورة لمختلف الكوارث الطبيعية حاولنا الوقوف عليها في هذه الدراسة الإحصائية المستخرجة من مختلف المصادر على شكل جداول تفصيلية خاصة بكل قرن[1]، مع الوقوف عليها خلال كل سنة لكي نرصد عناصر هذه الكوارث بصورة فيها نوع من الدقة، وهي مرفقة بالملاحق نظرا لطول هذه الجداول وماتحدثه من انقطاع عند إيرادها في المتن ، وبعدما أنجزنا دراسة شاملة للقرن السادس عشر (السنوات التي

تتوافق والوجود العثماني) فتحصلنا على النتائج التالية:

	السنوات الإجمالية (1518-1599م)	سنوات الكارثة	سنوات الإستقرار
العدد	81	29	52
النسبة المئوية(٪)	100	35.80	64.19

شهدت إيالة الجزائر استقرار نسبي بـــ52 سنة وهذا عند المقارنة بين السنوات التي شهدت مختلف الكوارث المقدرة بـ 29سنة، مثل ما توضحة نسب الرسم البياني التالي:

[1] للإطلاع على الجدول التفصيلي الخاص بكل سنة من سنوات القرن السادس عشر ينظر الملحق رقم: 01 ص ص 340-344



إن المتتبع لهذه الكوارث الطبيعية كرونولوجيا يتبين له أن السنوات الأولى من التواجد العثماني بالجزائر شهدت استقرار نسبي من عام 1518إلى 1535م ليعود الوباء من جديد إلى مدينة الجزائر، وقد يعود ذلك إلى غياب المادة الخبرية التي تغطى الفترات الأولى للتواجد العثماني بالجزائر.

-كما أن اغلب الكوارث تم رصدها بالمدن الكبرى كمدينة الجزائر أو وهران لأن المصدر تناولت وتناقلت أخبار الكوارث في أهم الحواضر دون ذكر الأرياف مما يصعب في تقديرات الباحث ويجعلها تتصف بالعمومية والمبالغة في بعض الأحيان.

-شكل الطاعون وباء مستقر بالجزائر ابتداءا من سنة 1552م اذ تُشكل هذه السنة بداية انتشاره في الإيالة و الذي سيصبح وباءا مستقر بها ليتسلط عليها بشكل مستمر نظرا لعدد ضرباته المتوالية فقد تم تسجيل 24 دورة خلال القرن السادس عشر مابين (1518-1566م) خاصة على المناطق الساحلية وعلى رأسها مدينة الجزائر التي اشتد بها إذ كان عدد الموتى في تزايد مستمر كل يوم[1]، اذ شكلت الواجهة المتوسطية مصدرا أساسيا له إذ كانت على اتصال بالعالم المتوسطي وهو مصدر مختلف الأوبئة الطاعونية فقد شكل المتوسط خلال هذا القرن

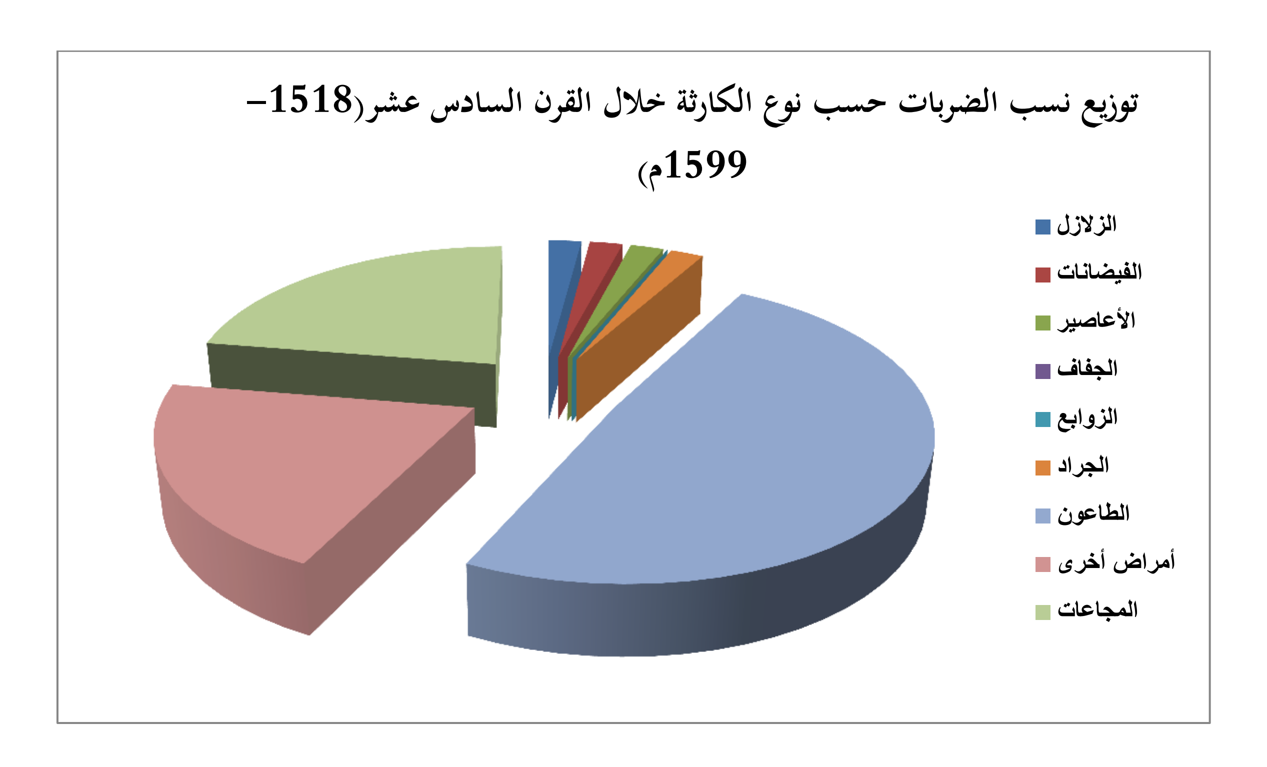
(1) Devoulx (A), Assassinat du pach mohmmed Tekeherli, In R.A.N°15.Année1871, paris1871, p82.

بالرغم من انقساماته السياسية والثقافية والإجتماعية والدينية مايسميه بروديل (اقتصاد–عالم) أي حيز قائم بذاته نسجت الروابط التجارية وحركات التبادل التجاري بين مناطقه وأرجائه وحدة اقتصادية عضوية"[1]، وذلك من خلال نشاط التجاروالبحارة والحجاج وتنقل الإنكشارية والطلبة والمسافرين ، ومن جهة أخرى خاصية العدوى التي يتميز بها وباء الطاعون (الرئوي) الذي ينتشر بين الساكنة عن طريق الهواء خاصة في الأماكن التي تعرف كثافة سكانية عالية ، في حيت تقل ضرباته كلما توجهنا الى الداخل باتجاه الجنوب أين ترتفع درجات الحرارة وتقل الكثافة السكانية، وبمقارنتة مع دائرة الكوارث نجده يحتل النسبة الأكبر منها أي ما يقارب معدل ضربة كل عامين وهذا بالنسبة للعدد الإجمالي للسنوات المقدر ب81سنة (29×81÷100=23.49 شهر) مثل مايوضحة الجدول التالي:

[1] بروديل(فرناند)، المرجع السابق، ص11.

	الزلازل	الفيضانات	الأعاصير	الجفاف	الزوابع	الجراد	نوع الأوبئة		المجاعات	اجمالي الضربات
	توزيع عدد الضربات حسب نوع الكارثة									
							طاعون	أمراض أخرى		
العدد	01	01	01	00	00	01	24	10	11	49
النسبة٪	2.04	2.04	2.04	00	00	2.04	48.97	20.40	22.44	100٪

وبالرجوع الى أواخر القرن السادس عشر ابتداءا من سنوات1584إلى غاية 1590ستشهد الايالة حالة خمود للوباء رغم الجفاف والمجاعات، ومع نهاية القرن السادس عشر تشير الدراسات الأجنبية إن شمال افريقيا شهدت موجة لوباء الطاعون ويعود ذلك بالأساس الى العوامل المناخية المتسببة في الجفاف وإتلاف المحاصيل الزراعية التي نتج عنها مجاعات حادة[1]، فكان اجتياح الطاعون نهاية القرن السادس عشر1590-1592م لكامل الايالة بمدنها وأريافها وقد كان مصدره من الجهة الشرقية قادما اليها من إيالة تونس حتى حمل اسمها "وباء تونس"[2]، **فكان بذلك أكثر الأوبئة انتشار خلال القرن السادس عشر مقارنة مع باقي الكوارث الطبيعية مثلما يبينه الرسم البياني التالي والمستخلص من الجدول التفصيلي المرفق بالملاحق :**



[1] Kington (John), Fluctuations climatiques : une étude synoptique du climat, fin XVIIIe-début XIXe siècle. In: Annales. Economies, Sociétés, civilisations. 32 années, N. 2, 1977. pp. 227-236.

- القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني...، المرجع السابق، ص89-90.

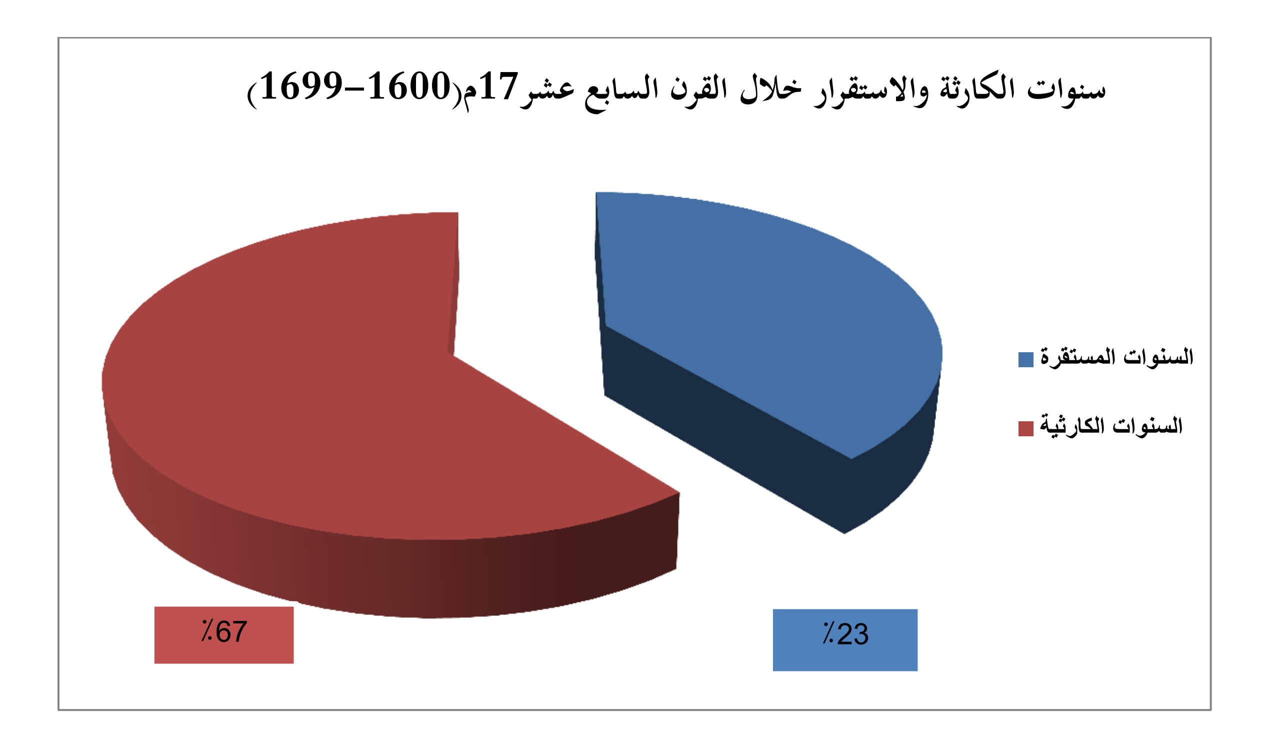
[2] Marchika, op.cit, p35.

2- دورة الكوارث الطبيعية خلال القرن السابع عشر17م (1600-1699م):

مايقال عن القرن السابع عشر نظرا لتقسيم دورة الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني الى وحدات زمنية يتبن أنه القرن سجل عدم استقرار كلي اذا ما قارنا بين عدد سنوات الأزمة وسنوات الإستقرار مثل ما يوضحه الجدول التالي المستخلص من الجدول التفصيلي الخاص بالقرن السابع عشر المرفق بالملاحق:

	السنوات الإجمالية (1600-1699م)	سنوات الكارثة	سنوات الإستقرار
العدد	100	67	23
النسبة المئوية(٪)	٪100	٪67	٪23

شهدت إيالة الجزائر خلال القرن السابع عشر تصاعدا واشتداد لمختلف الأزمات اذ تم تسجيل 67سنة عصيبة مر بها المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة مقابل 23سنة من الإستقرار النسبي فيها مثل ما توضحه نسب الرسم البياني التالي:



	توزيع عدد الضربات حسب نوع الكارثة									
	الزلازل	الفيضانات	الأعاصير	الجفاف	الزوابع	الجراد	نوع الأوبئة		المجاعات	اجمالي الضربات
							طاعون	أمراض أخرى		
العدد	02	01	05	10	00	00	36	18	14	86
النسبة٪	2.32	1.16	5.81	11.62	00	00	41.86	20.93	16.27	100٪

لقد سجل القرن السابع عشر تزايد تواتر الكوارث الطبيعية مقارنة مع القرن السادس عشر فقد اجتاح الطاعون على سبيل المثال مدينة الجزائر خلال سنوات 1609-1614م وهذا راجع الى المجاعة التي ترتبت عن جفاف كبير نتج عنه ندرة الحبوب من جهة ومن جهة أخرى تصدير ما هو موجود الى فرنسا وذلك على حساب حاجات السكان الذين عانوا من تلك الأزمة[1]، وبالرغم من تراجع الطاعون في مدينة الجزائر1614-1620، مثل ماتوضحة دورة الكوارث الطبيعية في الجزائر[2]، ليعود بقوة بداية من سنة1620 م لينتشر بشكل واسع بالأرياف والحواضر مخلفا حالات الرعب والخوف على نفوس سكان الايالة، ومتسببا في انهيار ديمغرافي هام في الجزائر[3]، مع العلم أن باقي البلدان المتوسطية عرفت نفس الدورة [4]، فهو بذلك يبقى على رأس قائمة الكوارث الطبيعية التي عصفت بالإيالة خلال هذا القرن بمعدل 36سنة من أصل 67سنة من مجمل سنوات الأزمة أي بمعدل ضربة كل عامين(36×67÷100=24.12شهر)، وتليه المجاعات من حيث شدة الأزمات علما أن المناطق المتضررة من هذا الوباء هي جلها من المناطق الساحلية المطلة على المتوسط وكذلك التي تسجل كثافة عالية من حيث السكان (قسنطينة، الجزائر، وهران، عنابة)، وهذا لاينفي توغله الى المناطق الداخلية مثل ماتم تسجيله في بسكرة عام1663م وذلك نظرا لتعدد آليات العدوى المتمثلة أساسا في القوافل التجارية التي تجوب مختلف الجهات والأماكن[5].

ومع بداية النصف الثاني من القرن17م سيبدأ الوباء في التراجع والإختفاء من الايالة بين سنوات 1650-1654م ، عكس نهاية النصف الثاني منه التي شهدت الايالة ضحايا بمعدل 25000الى45000 ضحية

[1] Grammont, H.-D. de, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), paris, 1887, p150.

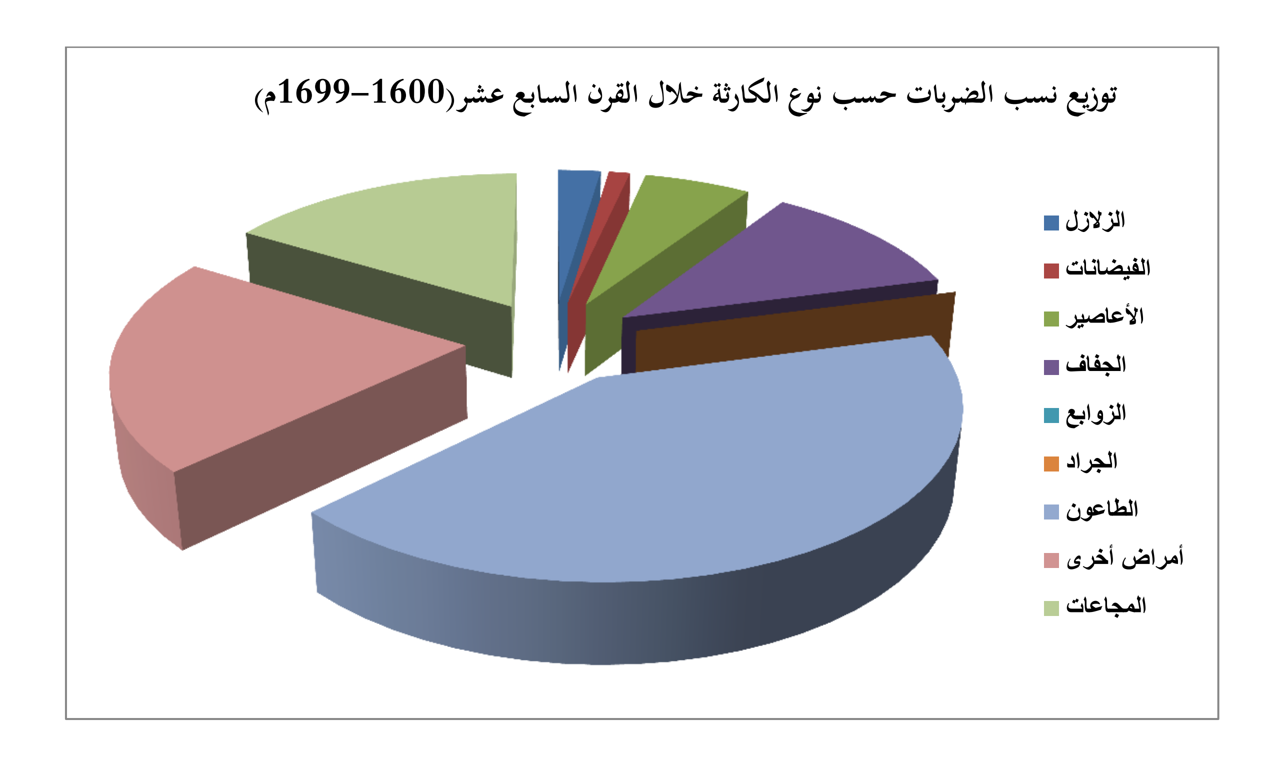
[2] انظر الجدول االتفصيلي الخاص بالقرن السابع عشر17م في المحق رقم01 ص ص 335-339.

[3] Marchika, op.cit, p40.

[4] رونبرجي(برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص26.

[5] الرحلة العياشية ، المصدر السابق، مج2، ص546.

سنويا[1]، لذا فالطاعون أكثر الأوبئة انتشار خلال القرن السابع عشر مقارنة مع باقي الكوارث الطبيعية خاصة في الحواضر الكبرى كقسنطينة والجزائر ووهران وتلمسان لطابع العدوى التي تعتبر خاصية من خصائص الطاعون، مثلما يبينه الرسم البياني التالي والمستخلص من الجدول:



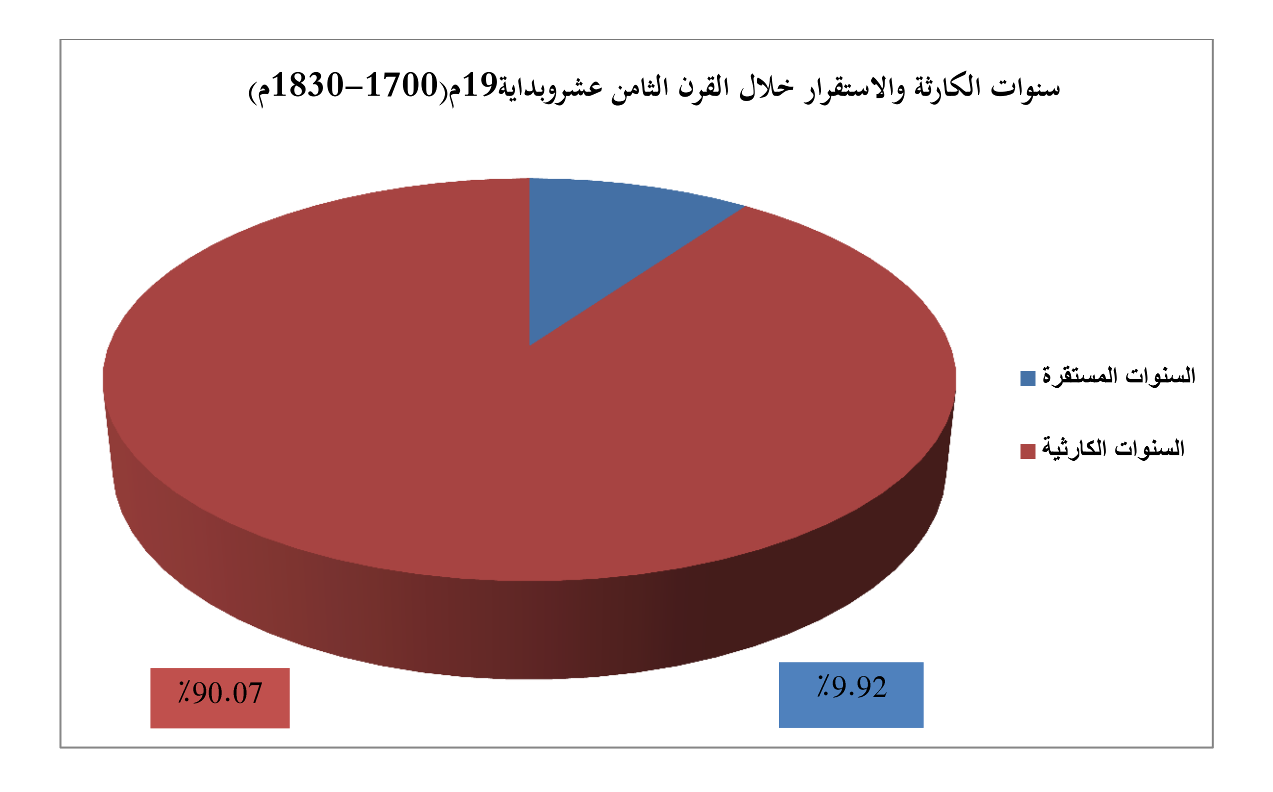
(1) De. Grammont., Histoire d'Alger, op.cit, p268-269.

03- دورة الكوارث الطبيعية خلال القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر(1700-1830م):

توالت سلسلة الكوارث الطبيعية على ايالة الجزائر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر فقد اشتدت هذه الكوارث وعلى رأسها الطاعون والمجاعات التي فتكت بالساكنة ،فقد كانت الإيالة كل سنة تشهد أزمة أي مايقارب 118 سنة منها 90سنة من القرن الثامن عشر و28سنة مع بداية القرن التاسع عشر وهذا بحسب تتبع دورة هذه الكوارث كل سنة[1] فكانت النتائج المتوصل اليها مايلي:

	السنوات الإجمالية (1700-1830م)	السنوات الكارثية	السنوات المستقرة
العدد	131	118	13
النسبة المئوية(٪)	٪100	90.07	9.92

لقد شكلت هذه الفترة من تاريخ الإيالة أشد المراحل العصيبة في تاريخها خلال العهد العثماني وهذا ماتشير اليه النسب المتحصل عليها خلال تتبعنا لسلسة هذه الكوارث المبينة أدناه:



[1] راجع الجدول التفصيلي لدورة الكوارث الطبيعية خلال القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر في الملحق رقم01، ص ص349-366.

لقد سجل القرن الثامن عشروبداية التاسع عشر تزايدا مستمرا لدورة الكوارث الطبيعية بجميع أنواعها مقارنة مع القرون السابقة السادس والسابع عشر رغم ما عرفته **الجزائر بدايات القرن الثامن عشر من استقرار نسبي لتعود** هذه الكوارث (طاعون-مجاعات-زلازل-غزوات للجراد وموجات الجفاف) بقوة في حواضر الجزائر ومدنها مع الثلاثينات منه حتى أطلق على عام1737م بعام الطاعون مع اشارة التقارير الفرنسية في الكثير من المناسات الى أن السبب يرجع إلى تسرب العدوى من الواجهة المتوسطية [1].

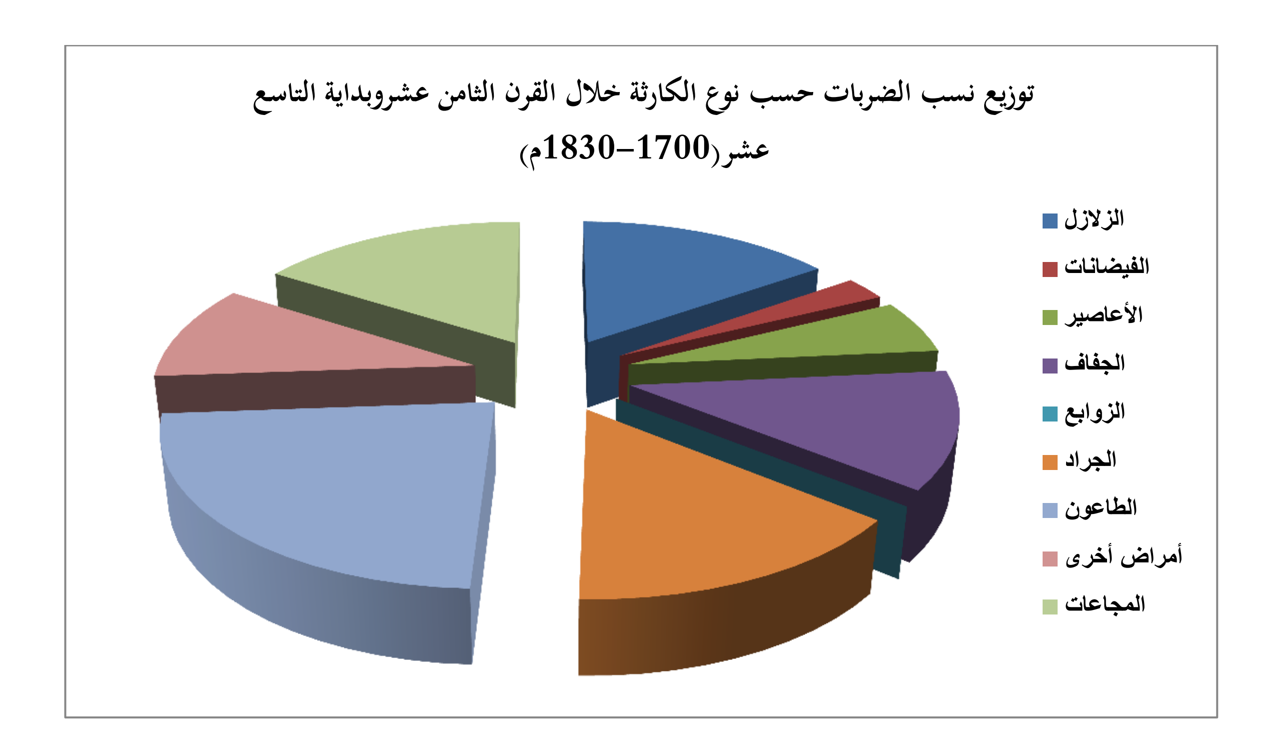
لقد شهدت الإيالة أواخر الحكم العثماني وخاصة في الثلاثين سنة الأخيرة إكراهات ومخاطر طبيعية شديدة فكل سنة منها كادت لا تخلو من هذه الظواهر فقد تم تسجيل 45كارثة (13دورة لغزوات الجراد،و12 لكل من الطاعون والمجاعات و7ضربات للزلازل وثلاث(03) اعصارات على سواحلها، ودورتين للفيضانات) من أصل 232 من العدد الاجمالي لها مثل مايوضحة الجدول التالي الخاصة بالفترة ككل:

[1] Touili(M), op.Cit, p788.

	توزيع عدد الضربات حسب نوع الكارثة									
	الزلازل	الفيضانات	الأعاصير	الجفاف	الزوابع	الجراد	نوع الأوبئة		المجاعات	اجمالي الضربات
							طاعون	أمراض أخرى		
العدد	36	06	29	21	00	35	55	24	26	232
النسبة٪	15.51	2.58	12.50	9.05	00	15.08	23.70	10.34	11.20	100٪

لقد شكل بايلك الشرق أكثر المجالات عرضة لدورة الكوارث الطبيعية خاصة الوباء الطاعوني لإعتبارات منها نشاطة التجاري وانفتاحه على الواجهة المتوسطية ،وذلك الى جانب مدينة الجزائر التي تجمع الدراسات التي تناولت وباء الطاعون في بلاد المغارب على أن مصدره خارجي أكثر منه محلي. علما المناطق الداخلية أقل عرضة لدورة الكوارث الطبيعية مقارنة مع المناطق المنفتحة على الواجهة المتوسطية حسب اشارات المصادر.

كما تصدر الوباء الطاعوني دورة الكوارث الطبيعية من حيث الانتشار تليه سلسلة من المجاعات والجراد والجفاف وهذا مايفسر ارتباط هذه الكورات ببعضها البعض، وهذا مايوضحه الرسم البياني التالي:



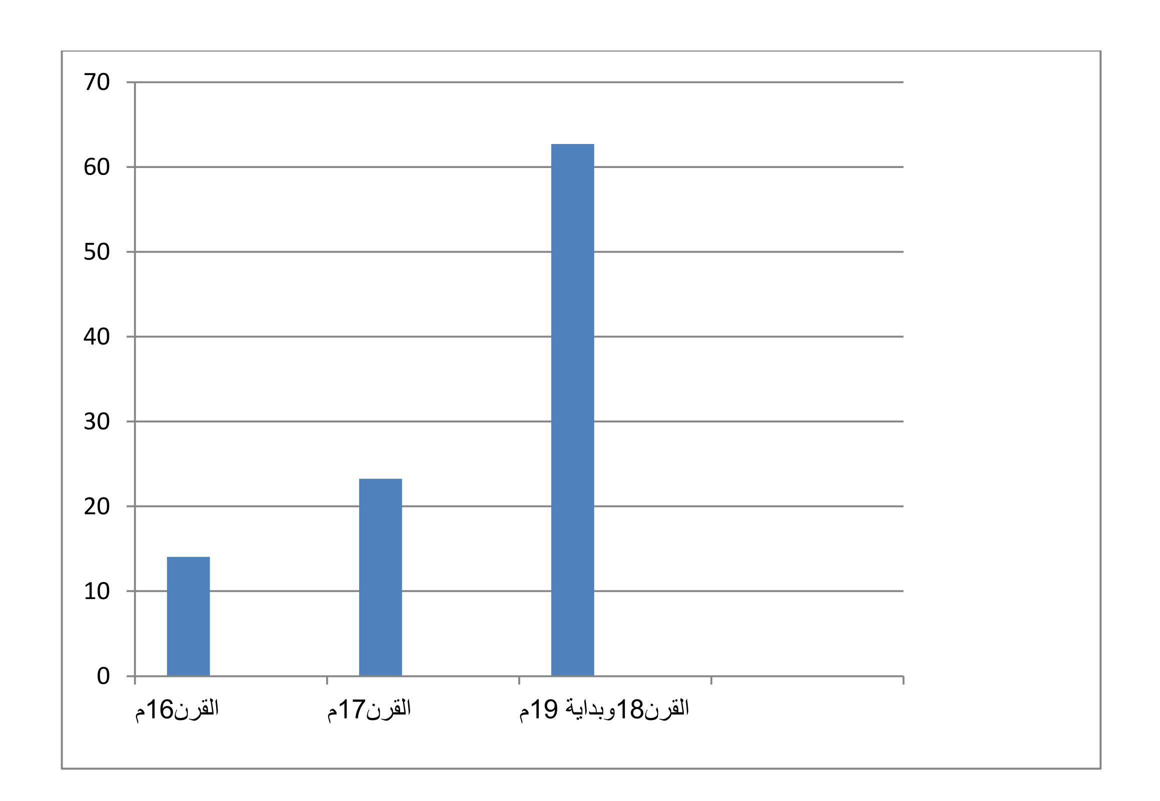
مماسبق نستنتج أن دورة الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها شكلت مرحلة عصيبة تفاوتت شدتها من مرحلة لأخرى وهذا باختلاف الزمان والمجال الجغرافي بالإيالة حاولنا الوقوف عليها باعتماد نظام الوحدات الزمنية خلال العهد العثماني اذ تبين أن الفترة الأخيرة هي الأكثر ضررا وبالأخص من الوباء الذي تصدر دائرة الكوارث الطبيعية لتليه سلسلة من المجاعات وغزوات الجراد ودورات الجفاف اذ تبين أن هذه السلسلة ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا وقفت كحاجز أمام سيروة النمو الديمغرافي والاقتصادي للمجتمع الجزائري العثماني علما أن هذه الاحصائيات

التى توصلنا اليها تبقى نسبية فقط وغير مطلقة حاولنا حصر مجملها في الجدول التالي الذي حول الى أعمدة بيانية ليعبر أكثر عن كل وحدة زمنية:

مجمل ضربات الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني(1518–1830م)

	القرن 16	القرن17	القرن 18وبداية19م	العدد الاجمالي
العدد	52	86	232	370
النسبة٪	14.05	23.24	62.70	100٪

أعمدة بيانية تمثل: نسب مجمل ضربات الكوارث الطبيعية خلال العهد العثماني.



المبحث الثالث: قراءة في أسباب الكوارث الطبيعية.

تعددت تفسيرات الكوراث الطبيعية في مختلف الحضارات الإنسانية ، فقد ترسخ عبر التاريخ الاعتقاد بأن هذه الظواهر عقاب سماوي، ومن هنا تحدد الأصل العقائدي والديني لها إذ كانت بمثابة عقاب إلهي للمجتمعات والأفراد على خطاياهم وذنوبهم، ففي الموروث المغاربي ساد نفس الإعتقاد لدى الإخباريين وارتبط أساسا بما ترسخ في الذهنية الجماعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في تفسير بعض الكوارث[1]، كما نالت الخرافة نصيبها في تفسير لهذه الكوارث مما يعكس حالة الركود الثقافي والعلمي التي عاشها المجتمع المغاربي بصفة عامة والجزائري بصفة خاصة ،فحاولنا بذلك الوقوف على نظرة المجتمع الجزائري لأسباب هذه الكوارث من خلال مانقلته لنا المصادر التاريخية، وهو ما سنحاول الكشف عنه في هذا المبحث بخصوص المجتمع الجزائري العثماني من خلال معرفة تفسيره لهذه الظواهر الطبيعية، فماهي تلك الأسباب ياترى؟ .

أولا–الزلزال بين الخرافة والحقيقة:

لطالما كانت الزلازل في الجزائر الشمالية بفعل تكوينها الجيولوجي وطبيعتها الطبوغرافية الأسباب الأولى لتفسير هذه الظاهرة[2]، لكنها بقيت من بين الكوارث الطبيعية التي استند المجتمع الجزائري في تفسيرها تفسيرا عقائدي وديني نجد الزلازل، فكان الراسخ في المعتقد "هو تجلي الحق سبحانه للأرض"[3]، وهذا المعتقد راسخ في الفكر الصوفي الذي يرى أن الله سبحانه وتعالى أذا أراد أن يخوف عباده اظهر للأرض منه شيئا فأرتعدت [4]، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على غلبة التصورات الغيبية والمعتقدات الشعبية التي كانت راسخة في تلك الفترة وغياب للثقافة العلمية التي تأخذ بالمسببات الحقيقية في تفسير الكوارث داخل المجتمع من جهة و من جهة أخرى تهميش للطبقة

---

[1] الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص116.

[2] سعيدوني (ناصرالدين)، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، الفترة الحديثة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت2001، ص102.

[3] الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، المصدر السابق، ص 211.

[4] غالم (محمد)، المرجع السابق، ص49.

العاملة واهمال لدورها[1]، ومن بين التفسيرات القائمة على التفسير العقدي نورد مثال بزلزال مدينة وهران سنة1790م

:" الزلزلة هي ارتجاج الأرض وحركتها وسببها المعروف تجلي الحق سبحانه للأرض "[2]، لقد صدق ابن سحنون في وصفه للزلزال لكنه أرجع سبب ذلك إلى أمور غيبية ، مستندا في حججه إلى بعض الأحاديث النبوية كالذي رواه ابن عباس عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال:"إذا أراد الله أن يخوف خلقه تبدّى لها"[3]، وفي ذلك نفي لقول أهل الحكماء وفساد رأيهم وتفسيرهم، وهذا الرد إنما يرتبط أساسا في تكوينه الفقهي التقليدي من خلال الروايات المتعلقة والمتناقلة عن الصحابة وأقاويلهم التي أسردها[4]، ومن جهة أخرى اعتبار الزلازل غضب الاهي وبالتالي فهو علامة من علامات الله كقوله تعالى:﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾ الآية (59) من سورة الاسراء.

وبالتالي كان الزلزال في نظره تعاظم الغضب الإلهي على الأسبان الكفرة وأفعالهم الدنيئة من قوله: "وأخبر النصارى أنهم رأوا بأبصارهم قبيل وقوعها (أي الزلزلة) أربعة أشخاص على هيئة المسلمين يمشون في الهواء وسط مدينتهم ، ووقف كل واحد منهم على زاوية من زواياها ثم أشار واحد منهم بثوبه ، وهم ينظرون ولا يقدرون على الكلام، فلم يتم إشارته حتى مالت بهم الأرض وسقطت الدور على أهلها"[5]،أضف إلى ذلك الرؤيا التي كانت تنبئ بفتحها "ومنها كثرة مرائي المسلمين المبشرات له بفتحها وتواتر إشارات الأولياء إليه وتصريحهم بأنه الذي يفتحها، فمن ذلك رؤيا بعض أهل الخير والمسكنة ..."[6]، كل ذلك إنا يفسر المعتقدات الغيبية التي ميزت رجال الدين والمتصوفة وفي المقابل تهميش ورفض الفكر العلمي والأخذ بالعقل مما يؤكد جمود وركود الحية

---

(1) غالم (محمد)، المرجع السابق، ص52.

(2) الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، المصدر السابق، ص211.

(3) نفسه، ص211.

(4) غالم (محمد)، المرجع السابق، ص54.

(5) الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، المصدر السابق، ص211.

(6) نفسه، ص214.

الثقافية في المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة[1]، كما لم تخلو ذهنيات المجتمع الجزائري من الخرافة حيث أُعتبر سبب الزلازل "أن بعوضة خلقها الله تعالى وسلطها على الثور الذي عليه الأرض فهي تطير أبدا بين عينيه، فإذا دخلت أنفه حرك الثور رأسه، فيتحرك جانب من جوانب الأرض "[2]، حسب ما ورد في حديث عامة الناس لقول ابن سحنون:"وكان من حديث هذه الزلزلة أنه لما كان الوقت المذكور ارتجت الأرض بالناس ارتجاجا عظيما اهتزت منه البيوت، واضطربت السقوف اضطرابا قويا، فانزعج الناس من مضاجعهم داهشين...، واشتغلوا بالتحدث عنها وكيفية شعورهم بها وما شاهدوا من هولها، سنة الله التي خلت من قبل في إكثار الناس التحدث عن كل حادث."[3]، غير أن هذا النظرة لا تنفي وجود لأهل العلم الذين استندوا للعقل ومختلف العلوم في تفسيرهم للزلازل أورد ابن سحنون قولا في تعريف الحكماء للزلازل بقوله:"أن الزلازل إنما تكون عن كثرة الأبخرة الناشئة عن تأثير الشمس واجتماعها يعني الأبخرة تحت الأرض بحيث تقمعهما برودة حتى تصير ماء، ولا تتحلل بأدنى حرارة لكثرتها ، ويكون وجه الأرض صلبا بحيث لا تنفذ البخارات منها فإذا أصعدت ولم تجد منفذا اهتزت الأرض منها واضطربت كما يضطرب بدن المحموم لما يثور في بدنه من بخارات الحرارة، وربما انشق ظاهر الأرض فتخرج منه تلك الموارد المحتبسة..." [4]، وهو التعريف الأقرب إلى الحقيقة العلمية حسب التعريف العلمي الحديث الذي أوردناه سالفا، مقارنة مع التعريف العامي السائد آنذاك[5].

---

[1] غالم (محمد)، المرجع السابق، ص56.

[2] الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، المصدر السابق، ص211-212.

[3] نفسه، ص219.

[4] الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، المصدر السابق، ص211.

[5] غالم (محمد)،المرجع السابق، ص54.

ثانيا : الفيضانات، الأعاصير والجفاف:

ترتبط هذه الكوارث بعنصر أساس في المناخ وهو التساقط إذ أن الفيضانات وفترات الجفاف نتيجة مباشرة لتذبذب تساقط الأمطار، طبيعية بالنسبة للمناخ الذي يتميز بتغيرات كبيرة وفوارق في كميات التساقط من عام الى آخر ، تذبذب الأمطار ينتج عنها تعاقب فترات تساقط غزيرة وفترات جفاف كبيرة[1]، يحدث الفيضان بعد هطول الأمطار وغزارة تساقطها لتندفع المياه بكثافة من المرتفعات نحو المنحدرات والمنخفضات[2]خاصة في المجالات المتوسطية التي تتجاوز فيها نسب التساقط 800ملم/سنة[3]، وهذا ما ينطبق على ايالة الجزائر بإطلالتها المتوسطية شمالا[4]، وانفتاحها على الصحراء جنوبا[5]، على أساس أن مناخ الجزائر ينقسم إلى قسمين شمالي وجنوبي ولكل قسم خصائصه الجغرافية[6]، ففي الشمال السماء مشحونة بالغيوم الكثيفة والطقس ملبد بها والقادمة من أوروبا بفعل عامل الرياح الشمالية التي ترافقها أمطار وعواصف رعدية،هذه الأمطار تأخذ الجزائرنصيبا منها مثل ماحدث سنه1732، لكنها تقل مع فصل الصيف وتنعدم في جهة الصحراء [7] يحدث ذلك في الحالات العادية ،لكن غزارة التساقط لفترة طويلة ساهم في حوادث غير سارة بالنسبة للسكان منهم تدمير منازلهم خاصة عندما تستمر لفترة طويلة بسبب الرطوبة التي تنتجها، واذا استمر الحال لفترة أطول كان من المرجح أن تكون النتيجة تدمير المدينة بكاملها[8]، واذا كان التساقط الغزير مصحوبا برياح هوجاء فهو يتحول الى اعصار، خاصة مع الرياح الشمالية- الغربية والشمالية- الشرقية المتزامنة مع فصل الشتاء، في حين تساهم في ظاهرة الجفاف الظاهرة عدة عوامل إلى جانب قلة التساقط منها الرياح الجافة القادمة من الجنوب خاصة شهر جويلية و

---

(1) سعيدوني (ناصرالدين)، الحياة الريفية...، المرجع السابق، ص324.

(2) بن عبدالله (صالح)، المرجع السابق، ص54.

(3) Leveau (Philippe), op.cit, pp61-64

(4) Agnély (h), Le climat de L'Algérie, Alger, 1866, p 04.

(5) Shaw, Voyage dans la régence D'Alger, op.cit, pp 8-11 .

(6) Agnély (h), op.cit, p5.

(7) shaw, op.cit, p12.

(8) Ibid, p11.

أوت [1]، مما يتسبب في حدوث انعكاسات فيما بعد على شكل أوبئة ومجاعات[2]، خاصة في الفترات التي يطول فيها مثال ذلك الجفاف الذي حل بالايالة طيلة تسع سنوات(1603-1612م)، مخلفا مجاعات في باقي مناطقها وبالأخص مدينة قسنطينة[3]، ونزول الجوائح واستفحال القحط الذي استمرىها سنتين متواليتن وغياب الاهتمام بالفلاحة في العهد التركي فقد كانت ضعيفة جدا ولم تكن هناك كميات كافية من الحبوب لمواجهة هذه الأزمة [4].

ثالثا–الجــراد:

ومن أهم العوامل المساعدة على ظهوره الظروف المناخية السائدة بالجزائر، وبالمرتبطة بالمناخ الصحراوي في الجنوب وانتقال تأثيره على مناطق الهضاب العليا ومناطق التل الرعوية والزراعية في التل الخصبة المحاذية للبحر في الشمال،كما يؤدي اشتداد الجفاف لفترة طويلة نسبيا ونزول الأمطار المتأخرة بنسبة كبيرة وحدوث فيضانات مفاجئة فانه يعقبه ظهور الجراد بشكل مؤكد ويسبب اجتياحه ضررا للحقول كأمر لا يمكن اجتنابه كل أربع أو خمس سنوات كما أن انتشار المجاعات وحلول الأوبئة يكون بعده كنتيجة طبيعية لإنهيار الإنتاج الزراعي[5] مثل ماحدث عام 1722م عقب تعرض الأراضي الزراعية جراد مدمر أتى على الأخضر واليابس [6]، قول الزياني في ذلك: **"وظهر الجراد الكثير فأفسد الزرع والثمار فسادًا عظيمًا"**[7].

---

(1) shaw, op.cit, p9-10.
(2) John (Kington), Fluctuations climatiques..op.cit. pp. 227-236.

(3) القشاعي(فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر...، المرجع السابق، ص93.

-Mercier (Ernest), Histoire de Constantine, p219.

(4) صالح (العنتري)، المصدر السابق، ص13-14.

(5) سعيدوني (ناصرالدين)، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية ....، المرجع السابق، ص100-101.

(6) Vincent-Yves (Boutin), reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger , par les consuls de Kercy (1791) et Dubois-Thainville (1809), paris 1927, p68.

(7) الزياني(محمد بن يوسف)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، المصدر السابق، ص272.

وقد نالت هذه الظاهرة وصف في تقارير القناصلة الفرنسيين بهذه العبارات:"في صائفة عام1815م حل بمملكة الجزائر العثمانية جش من الجراد قدم من الصحراء ، فدمر جزء كبيرا من المحاصيل [1]، فاجتياح الجراد للمحاصيل الزراعية تسبب في انتشار المجاعات وحلول الأوبئة ومن أهم السنوات التى عرفت موجات للجراد بمدينة الجزائر جراد لسنوات 1798، 1799، 1800، وفي قسنطينة 1804م[2].

قول العنتري: "وقد نزل بالوطن في السنة المذكورة فأكل الزرع ولم ينتج من الأكل فيها إلا القليل وفيها حصل الضرر لبعض الفلاحين ، واستمر أكل الجراد الزرع في السنتين اللتين بعدها أيضا"[3]، ان هذه الشهادات الحية للمصادر التاريخية المحلية لدليل قاطع على الأثر الكبير الذي خلفته أسراب الجراد التي كانت تحط على الأرض من أجل عملية التخريب والتدمير للمناطق الزراعية كخطر فتاك يهدد الثروة الريفية والإقتصاد الريفي القائم.

رابعا-الأوبئــة:

تعددت تعاريف الأوبئة وتنوعت في صياغة مفهوم واضح للوباء في تشخيصه وأوصافه طبيا إلا أنها أجمعت تقريبا على أنه يحصل بسبب فساد جوهر الهواء سواءا كان بعوامل طبيعية أو بعوامل اجتماعية واقتصادية.

1-الأسباب الطبيعية:

-فساد الهواء والماء:

ان فساد الهواء في نظر أغلب الأطباء يعتبر العامل الأساسي المسؤول عن حدوث الأوبئة نظرا لأن الناس يشتركون جميعهم في استنشاقه وبالتالي يعرضهم للعدوى بشكل جماعي[4]، وعلى رأس هذه الأوبئة الطاعون "والطاعون

---

[1] سعيدوني (ناصرالدين)، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية ....، المرجع السابق، ص101.

[2] الزين(محمد)، نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات/مجلة الواحات للبحوث والدراسات/ع17، 2012، ص131.

[3] صالح (العنتري)، المصدر السابق، ص51.

[4] مزدور (سمية)، المرجع السابق، ص118.

المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان"[1]، وكل ذلك يؤدي الى تعكر الدم وتسمم الجسد بسبب فساد الأهوئة والمياه والأطعمة[2]، ويرجع فساد الهواء الى عدة عوامل أهمها الرطوبة والحرارة الزائدتين وكثرة التعفن اذ أن مرور الهوى بجثث متعفنة ومخالطتها يؤدي به الى فساده خاصة في حالات الحروب اين تكثر الجثث[3] ،كما سبب كثرة العمران لما ينتج عنه من العفن والرطوبة وهو السبب الذي أقره ابن خلدون الذي يرجع أسباب هذه الكارثة الديموغرافية التي حددها فيمايلي:"فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة"[4].

وهذا التفسير لا يختلف عن التفسيرات الطبية الحديثة التي تؤكد نشأة الطاعون عن عُصية يرسين وهي جرثومة هوائية تحيا في حرارة قصوى تصل الى 25درجة وتتباين درجة التسمم فيها[5].

-العوامل المناخية (الحرارة والرطوبة):

هناك علاقة وطيدة بين المناخ والأمراض حسب التقرير الذي أعدته الشركة الملكية للطب في باريس سنة1776 تحت ادارةVicq D’Azyr[6] اذ تبين أن **الحرارة والرطوبة:**

تساهم ارتفاع درجات الحرارة في انتشار المرض وقد لوحظ حلال الدراسات المقدمة أنه ينتشر بسرعة كبيرة في فصل الصيف خاصة خلال درجات الحرارة المعتدلة التي تقل عن 30 درجة[7]، وهذا ما تبين في الطاعون الذي أصاب مدينة الجزائر بين سنوات1817-1822م اذ شكلت الأشهر التالية :ماي –جوان–جويلية–أوت

---

[1] قويسم (محمد)، الصون في ذكر ما يتعلق بالصون بالوباء والطاعون، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية رقم09210، ورقة8.

[2] ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف(749هـ/1348م)، ابن الخطيب: مقنعة السائل عن المرض الهائل،ابن خاتمة: تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، الشقوري: النصيحة، تحقيق ودراسة محمد حسن،بيت الحكمة،تونس2013، ص62.

[3] مزدور (سمية)، المرجع السابق،ص118.

[4] ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، ص239.

[5] رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص183.

[6] Kington(John), op.Cit, p228.

[7] رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص188.

الاشهر الأكثر انتشار للوباء [1]، وقد أشارت الباحثة فالانسي في دراسة حول وباء الطاعون في تونس والبحر المتوسط بين القرن الثامن عشروالقرن العشرين تبين فيها أن الأشهر الصيفية هي أرضية خصبة لتكاثر هذا الوباء كما يبينه الجدول التالي[2]:

السنوات	الأشهر المسجل فيها الطاعون(+)											
	1	**2**	**3**	**4**	**5**	**6**	**7**	**8**	**9**	**10**	**11**	**12**
1702-					+	+	+	+	+			
1703-					+	+	+					
1704-	+			+	+	+	+	+	+			
1705-				+	+	+	+	+	+			
1784-				+	+	+	+	+	+	+	+	+
1785-	+	+	+	+	+	+	+	+	+			
1786-			+	+								
1794-			+	+	+	+	+	+				
1795-			+	+	+	+	+	+				
1796-	+	+		+	+	+	+	+	+	+	+	
1797-				+	+	+	+	+			+	
1798-	+											
1800-						+	+	+				

أما الرطوبة فالطاعون يرتبط بتهاطل الأمطار وارتفاع رطوبة الجو خاصة على المدن الساحلية كمدينة الجزائر سنة 1593م[3]، في حين تشهد المناطق الجافة حالة عكسية وهذا ما يفسر بقاء المناطق الصحراوية قد بقيت في حماية نسبية من العدوى لحرارتها الشديدة التي تحد مناستفحالة خاصة عندما تتجاز30 درجة، وكذلك سكان المناطق الشبه صحراوية ،كما يتمتع سكان المناطق الجبلية بنوع من الحماية فالبرودة النسبية وأنشطتهم الرعوية تقوم لهم وقاء، وانعزالهم زاد من صعوبة احتكاكهم بالوباء[4].

---

[1] Guyon, op.cit,pp 436-455.

[2] Valensi (Lucette), Calamités démographiques en Tunisie…op.Cit, p1551.

[3] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر...، المرجع السابق، ص90-91.

[4] رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص186-187.

-الفيضانات:

وترتبط أساسا بالتساقط الغزير مما يساعد في ارتفاع نسبة الرطوبة مما يؤدي إلى تكاثر الوباء في حين يساعد الجفاف الطويل في تراجع المحاصيل مما ينتج عنه سوء التغذية[1]، إذ يتسبب الجفاف في حدوث مجاعات نظر للتأثير السلبي الذي يحدثه المناخ على الإنتاج الفلاحي مما يساهم في ظهور الأوبئة ومنها الطاعون[2].

-المجاعات: تشكل المجاعات المتكررة أرضية خصبة للوباء لأنها تضعف مقاومة الأشخاص للمرض [3]، أضف إلى ذلك أن المجاعة تؤدي إلى أكل الحبوب القديمة الاختزان المتعفنة ،وبالتالي إلى الوباء الذي ينتشر في أوساط الفئات الأكثر فقرا[4]، مع العلم أنها ليست بالضرورة كلما حدثت مجاعة أعقبها وباء أو العكس[5]، إذ توجد مجاعات دون وباء ،كما تقع أوبئة دون أن تسبقها أو تعقبها مجاعات[6].

2-الأسباب الأخلاقية (التفسيرات):

اذا كانت التفسيرات الطبيعية التي تربط الوباء (الطاعون) بفساد الهواء وبالظواهر الفلكية والتغيرات المناخية وبغض النظر عن الأسباب الجرثومية التي أثبتها الطب الحديث للوباء، فذلك لم يجعل المتجمع بمعزل عن تفسيرات مرتبطة بضوابط أخلاقية واجتماعية المتمثلة أساسا في انتشار الزنا والفاحشة [7]، وهذا ما أورده التفسير الذي أخرجه أنس بن مالك عندما دخل هو ورجل على عائشة فقال لها:"ذلك الرجل يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة قالت إذا استباحوا الزنا وشربوا الخمر وضربوا بالمعازف (كذا وربما فنادا) الله في سمائه فقال للأرض تزلزلي بهم

---

[1] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر...، المرجع السابق، ص90.

[2] Kington(John), op.Cit, pp227-236.

[3] فتحة (محمد)، المرجع السابق، 89.

[4] ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، المرجع السابق، ص64.

[5] مزدور (سمية)، المرجع السابق، ص120.

[6] ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف ،المرجع السابق،ص65.

[7] الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص135.

فان تابوا ونزعوا وإلا هدمتها عليهم قال يا أم المؤمنين أعذابا لهم قالت بل موعظة ورحمة للمؤمنين وعذابا وسخطا للكافرين ..."[1].

وبما أن الزنا يقع غالب في السر نفان ذلك يفسر فجائية ظهور الطاعون كعذاب يسلط على جميع من وقعت بأرضيهم المعصية، والإزدواج الوارد في الحديث لا يعبر عن تعارض بين المدلولين مادام أنه رحمة في حق العاصي في الدنيا لتكفر عن خطاياه في الدار الآخرة، و كانت هذه الفكرة سائدة في الثقافة الاسلامية لدى أعلام الطب ،ومنهم من يقدم المسببات الأخلاقية أولا قبل الانتقال الى المسببات الطبيعية المتمثلة في فساد الهواء،قائلا:"وسبب الطاعون والوباء كثرة المعاصي وقوة البغض والحسد في القلوب وغلبة الهرج وظهور الزنا ، ثم تغير الهواء بسبب سماوي كالأشعة الشمسية ، أو أرضي كالأدخنة المتعفنة، أو بمزاج بغلبة الحرارة والرطوبة، أو بكثرة الموتى والمرضى وأنفاسهم وفضلاتهم ولباسهم وفراشهم"[2]،وقد استمرت هذ الفكرة حتى بدايات القرن التاسع عشر[3].

خامسا–المجاعات:

تعددت أسباب المجاعات في الجزائر خلال العهد العثماني بفعل عدة عوامل سواءا كانت طبيعية أو بشرية أو حتى اقتصادية أوغيرها من العوامل أكانت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

–الجفاف: يساهم في حدوث مجاعات نظرا للتأثير السلبي الذي يحدثه المناخ على الإنتاج الزراعي مما يساهم أيضا في ظهور أوبئة كالطاعون[4] ، فبسببه تنحصر الزراعات لانحباس المطر على الأراضي الزراعية خاصة في فصل الخريف التي كانت تدفع الناس لبذر وحرث ما بأيديهم من أراضي[5]، لأن هذه الأراضي تحت رحمة السماء، فنزول الأمطار يسود الرخاء وتكون المواسم جيدة ،وإذا انقطعت تراجعت المحاصيل وساء المواسم ،وترتب عنها في

---

[1] قويسم (محمد)، المصدر السابق، ورقة5.

[2] الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص ص135-136.

[3] نفسه، ص137.

[4] Kington(John), op.cit, pp 227-236.

[5] رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص31.

هذه الحالة قلة المحاصيل وترتفع الأسعار وتحل المجاعة وتنتشر الأمراض، فالبعض يرى في نزول الأمطار كمؤشر على قدوم الرخاء أو الشدة والقحط في سنوات1770-1780م شُح المطر لمدة عشر سنوات جعل الفلاح بمقاطعة الجزائر يتحول عن حقوله وأراضيه التي أصبحت تحت رحمة التقلبات المناخية[1].

-الجراد: ظهور الجراد واجتياحة للحقول سبب ضررا كأمر لا يمكن اجتنابه كل أربع أو خمس سنوات كما أن انتشار المجاعات وحلول الأوبئة يكون بعده كنتيجة طبيعية لانهيار الانتاج الزراعي[2] مثل ماحدث عام 1722م عقب تعرض الأراضي الزراعية جراد مدمر أتى على الأخضر واليابس [3]، قول الزياني في ذلك: **"وظهر الجراد الكثير فأفسد الزرع والثمار فسادا عظيما"**[4]**، فاجتياح الجراد للمحاصيل الزراعية تسبب في انتشار المجاعات وحلول الأوبئة ومن أهم السنوات التى عرفت موجات للجراد بمدينة الجزائر جراد لسنوات 1798،1799،1800، وفي قسنطينة 1804م** [5].

قول العنتري:"وقد نزل بالوطن في السنة المذكورة فأكل الزرع ولم ينتج من الأكل فيها إلا القليل وفيها حصل الضرر لبعض الفلاحين، واستمر أكل الجراد الزرع في السنتين اللتين بعدها أيضا"[6].

وفي رسالة بعث بها أحمد باي الى الداي حسين يورد فيها امتناع سكان أولاد مقران عن دفع اللزمة لأسباب منها قلة الخصب واجتياح لأسراب الجراد[7].

---

[1] سعيدوني (ناصرالدين)، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية ...، المرجع السابق، ص102.

[2] نفسه، ص100-101.

[3] Vincent-Yves (Boutin),op.Cit, p68.

[4] الزياني(محمد بن يوسف)، المصدر السابق، ص272.

[5] الزين (محمد)، المرجع السابق، ص131

[6] صالح (العنتري)، المصدر السابق، ص51.

[7] الرسالة: 25المجموعة رقم:1642م تحتوي هذه المجموعة على 30 رسالة باللغة العربية أرسلها محمد باي و أحمد باي في قسنطينة الى حسين باشا في الجزائر بين سنوات1816-1830م وكلها أصلية، راجع: حماش (خليفة)، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص59.

– **غلاء الأسعار**: إلى جانب العوامل الطبيعية للمجاعات شكلت ارتفاع الأسعار وغلائها أحد العوامل المتسببة فيها خاصة في أوساط الفئات المحرومة ذات القدرة الشرائية الضعيفة وقد طال الغلاء خاصة المواد الغذائية الأساسية كالقمح ففي قسنطينة يذكر العنتري أنه ارتفعت أسعار القمح على مدار ستة سنوات بسبب القحط حتى بلغة قيمة الصاع (الصاع يساوي 34كغ) الجزائري من القمح أربعة بجة (الريال بجة يزن10غرام فضة)والناس يموتون جوعا في الأسواق وبلغ في بعض الأوقات 15بجة وهي خمسة دورو للصاع الجزائري سنة1219/1804هـ[1]، ويرجع ذلك الى الجفاف كسبب بيئي رئيسي "فقد كانت الأسباب البيئية منشأ لما يلم بالناس من مصائب ، لكن نكاد نجد ندرة الأمطار أو انعدامها سببا دائما بين تلك الأسباب وأما شدة الأمطار أو افراطها فلم يكن يُخشى منهما قط على بلدان المغرب، فكانت عمليات البذر تتم عادة في فصل الخريف مع سقوط الأمطار الأولى التي ترطب الأرض وتسمح بمرور المحراث البسيط وتنبت البذرة وتطلع العشب الذي تحتاجه القطعان، فاذا تأخر المطر صار القلق والوجوم يخيمان على البوادي والمدن على حد السواء **وارتفعت الأسعار**، ويسير ارتفاعها في تفاحش بمرور الأسابيع ، وقد يكون سببا في حدوث بعض القلاقل"[2]، ففي رسالة من محمد باي قسنطينة الى الداي حسين بتاريخ7ربيع الثاني 1241هـ/ يخبره فيها بتدهور الوضع الاقتصادي في قسنطينة **حتى أن البقرة الواحدة صار يصعب بيعها بثلاثة ريالات**[3].

–**الفتن**: :أدت بعض الثورات القائمة بين القبائل المتحاربة فيما بينها الى تأثير سلبي على الأوضاع الاقتصادية ومن ثم حدوث بعض المجاعات مثل النزاع القائم بين قبيلة فليسة ومعاتقة سنة1769م والتي دامت سبعة

---

[1] صالح (العنتري)، المصدر السابق، ص31.

[2] رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص157..

[3] الرسالة: 08المجموعة رقم:1642م تحتوي هذه المجموعة على 30 رسالة باللغة العربية أرسلها محمد باي و أحمد باي في قسنطينة الى حسين باشا في الجزائر بين سنوات1816-1830م وكلها أصلية حماش (خليفة)، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص59.

سنوات[1]، وهو مايقال عن ثورة **ثورة ابن الأحرش 1803**م، في بايلك الشرق حيث أعقبتها أزمة قحط ومجاعة شديدة أصابت الناس لأسباب منها: نزول الجوائح واستفحال القحط الذي استمر سنتين متواليتن و غياب الإهتمام بالفلاحة في العهد التركي فقد كانت ضعيفة جدا ولم تكن هناك كميات كافية من الحبوب لمواجهة هذه الأزمة[2].

وقد وقعت هذه الثورة أواخر سنة 1803/1218م بقوله"وقع هول بالوطن سببه رجل قام دعي الشرف ناحية أعراش وادي زهور(واد يقع بين القل وجيجل) اسمه سي محمد بن عبدالله الشريف...."

بقول العنتري: "وفيها مات عثمان باي سنة 1219هـ/1804م، وتلفت خزائنه وكل ما احتوت عليه محلته من يزاق ومال ونحو ذلك، وهاته الواقعة مشهورة بوادي زهور وجلبناها هنا لما أنها أحد الأسباب التى نشأت عنها المجاعة وقلة الحبوب من كثرة الهول واضطراب الرعية بموت الباي وتشتيت أهل محلته فان أهل الأعراش قاموا على بعضهم بعضا بالنهب والفساد ومن أجل ذلك الاضطراب انعدمت الحراثة في تلك السنة أيضا في جهات كثيرة وانفقدت حبوب الزرع بقيام ذلك الهول وعز إخراجها وقل من يأتي بها للأسواق مخافة الطرقات وقتئذ."[3].

وفي المقابل شكل الاستقرار السياسي أثر ايجابي لتجاوز الأزمات ف"بتولي علي باي سنة 1808م واليا على قسنطينة ومابعد هذه السنة وما بعدها نزلت العافية في الوطن بوقوف الباي علي على تمهيده وتسديده أحواله وفيها حرث الناس وأقبلو على أشغالهم ورزقهم الله بكمال الصابة التامة ،فتبين بذلك واتضح أن سبب دوام القحط والشر على بلد قسنطينة ووطنها مدة ثلاثة أعوام مركب من أمرين أحدهما نزول الجائحة والقحط في السنة، وبقي السنتين اللتين بعدهما..."[4].

---

[1] Haëdo, op.Cit, p320.

[2] صالح (العنتري)، المصدر السابق، ص13-14.

[3] نفسه ، ص33.

[4] نفسه ، ص39.

-الحــروب:

في الرسالة التي بعث بها علي خوجة زاده وكيل الجزائر بخانية(جزيرة كريت) الى حسين باشا في 3رجب 1242هـ(31جانفي 1827م) ويدور موضوع الرسالة على أحداث الحرب اليونانية العثمانية و طلب مساعدات غذائية من الجزائر لسكان خانية المتضررين من الحرب وهذا مقتطف من الرسالة".....**بنم ولي نعمتي ،المربوط بأفندم بجزيرة كريت ،أخبرك أن هذه الجزيرة أيضا وقع اختلال دنياها ومن البحر صار عدم الأمنية (وصوابها الأمن) والقحط، وعبيدك الفقراء وأهاليهم من كل وجه صار حالهم مكدر وممزقا لأنه لا يوجد حبة واحدة دخيرة(والصواب ذخيرة) ومن مدة شهرين قبل التاريخ للآن أصبحت سائر الأفران بالكلية مغلقة، وقد أيس الجميع من الحياة**......"[1].

-السياسة الضريبية: من بين الممارسات الإدارية فلم تكن الثورات وحدها المتسبب في تراجع الإنتاج الزراعي بل تعدت إلى السياسة الضريبية التي انتهجها الحكام والتي أثقلت كاهل السكان ودفعت بهم إلى التمرد[2] "ولابد للباي كل ثلاث سنين من دخوله للجزائر ان لم يلحقه عذر من مرض ونحوه، وإلا بعث خليفته الأول عوضا عنه ،ويسمى هذا الدخول عندهم بالدنوش وعلة دخوله في كل ثلاث سنين هي إعطاؤه مال الدولة بيد الخزناجي واعطاؤه للعوائد، ويقع يوم دخوله مهرجان عظيم...."[3]، وقد اتخذت هذه السياسة أشكالا متعددة سواءا في الأرياف أو المدن نذكر منها:

أ-السياسة الضريبية في الأرياف:

تشكل هذه السياسة الضريبية مصدر دخل رئيسي للجهاز الإداري بالجزائر العثمانية،وتأتي أساسا من الإنتاج الفلاحي مع الإشارة إلى أن هذه الضرائب تختلف حسب وضعية الأراضي الزراعية كونها إما ملكيات خاصة أو

---

[1] هذه الرسالة هي الوثيقة رقم 24في الملف 1 بالمجموعة 3204 ورقم 198 في الملف 1بالمجموعة 3190 بالمكتبة الوطنية الجزائرية حماش (خليفة)، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص90.

[2] الزين(محمد)، المرجع السابق، ص132.

[3] الزياني(محمد بن يوسف)، المصدر السابق، ص250-251.

أملاك الدولة (أراضي بايليك)، أو أراضي عرش(المشاع)، أو أراضي مستعصية لبعدها الجغرافي عن مراكز الدولة أو لطبيعة مالكيها[1].

1–ضريبة الملكية الخاصة: ويطلق عليها بضريبة العشور التي تمس أراضي الخواص الخاضعين لسلطة ورقابة الدولة وتتمثل في أخذ العشر من المحاصيل الزاعية ويستكلف بها قائد العشور الذي يسهر على سريانها باعتها تمثل دخل أساسي للايالة فقد درت على سبيل المثال مداخيل أراضي العشور السنوية في بايلك التيطري ما يقدر ب1330حمولة جمل[2]، وتمس ضريبة العشور خاصة محصول القمح والشعير على غرار بايلك الشرق[3].

2–ضرائب أراضي البايليك:

تفرض هذه الضريبة على الأراضي التابعة للدولة اذ تشكل قطاعا فلاحيا هاما لها اثر كبير على الحياة الاقتصادية في الريف ، ويقوم الأهالي إما بكرائها خاصة القبائل المتنقلة حتى تتمكن من رعي مواشيها وقد تبلغ مدة الكراء[4]، ثلاث سنوات أو العمل فيه كخماسين[5]، علما أن طريقة امتلاك الدولة لمثل هذه الأراضي هي عمليات المصادرة كمصادرة أحمد باي لأراضي قبائل أولاد عبد النور بالهضاب العليا الشرقية[6].

3–ضرائب أراض العرش والمناطق البعيدة عن مركز الدولة: وقد اتخذت أشكالا متعددة منها الغرامة[7] واللزمة والمعونة والخطية،وتفرض على المناطق الخارجة عن سلطة الدولة كالمناطق الصحراوية والهضاب العليا والمناطق الجبلية

---

[1] سعيدوني (ناصرالدين)، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية ...، المرجع السابق، ص295.

[2] سعيدوني (ناصرالدين)، النظام المالي في الجزائر أواخر العهد العثماني1792–1830 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984،ص89.

[3] VAYSSETTES(E), histoire des derniers Beys de Constantine, depuis 1793 jusqu'à la chute d'Hadj-Ahmed, in Revue africaine, v3/Année1858, p115.

[4] ويعرف اسم رسم الكراء ب"الحكور"ويقدر ب:5دوروللجابدة

-Féraud (ch), Notice historique sur la tribu des Oulad-Abd-En-Nour, constontine, 1864, p151.

[5] Carette et Warnier ,Description et division de l'Algérie ,Paris, Hachette, 1847, p44-45.

[6] سعيدوني (ناصرالدين)، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية ...، المرجع السابق، ص299.

[7] VAYSSETTES(E),op.Cit, p116.

وتسدد إما عينا أو نقدا على شكل مواشي أو مواد غذائية تتوفر عند الأهالي[1]، وتعتمد الدولة في جباية هذه الأموال على تيسيير المحلات العسكرية الى هذه المناطق [2].

ب–السياسة الضريبية في المدن:

يعتبر النوع الثاني من مصادر دخل الايالة على السكان داخل المدن وتختلف مواردها باختلاف مصدرها سواءا من خلال عوائد دنوش أو الرسوم المفروضة على التجار،جزية اليهود والنصارى،رسوم الجمارك والمكس وغيرها:

–الدنوش: مصدرها البياليك (قسنطينة–التيطري–وهران) وغيرها من أوطان دار السلطان وهي عبارة عن ضرائب مفروضة تسلم في مواعيد محددة منها الكبرى خلال كل ثلاث سنوات،والصغرى خلال ستة أشهر(فصلي الخريف والربيع) وتتشكل أساسا من مختلف الموارد العينية والنقدية :أكياس النقود وأنواع من المصنوعات المحلية كالحايك والبرانس والجلود و الأقمشة و الأحذية والسروج المطرزة، والعطور وقطعان من المواشي والجمال والخيل والبغال وكميات من الشمع والعسل ومختلف المحاصيل من الأرز والحبوب وغيرها[3] وتختلف من بايلك إلى أخر حسب قوة الاقتصاد ولهذا يتصدر بايلك الشرق في معظم الأحيان الصدارة من حيث قيمة الدنوش فقد بلغ سنة 1720م في بايلك الشرق من 80000الى100000قرش مقارنة ببايلك الغرب من40000الى 50000قرش[4].

كل هذه الضرائب والرسوم كانت على عاتق السكان مما زاد في محنتهم خاصة في الأوقات العصيبة وقد أدت بهم في بعض الأحيان إلى التمرد والعصيان ضد السلطة الحاكمة.

---

[1] سعيدوني (ناصرالدين)، النظام المالي في الجزائر...، المرجع السابق، ص95-96.

[2] سعيدوني (ناصرالدين)، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية ...، المرجع السابق، ص304.

[3] سعيدوني (ناصرالدين)، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية ...، المرجع السابق، ص308-309.

[4] Dr.Shaw (Thomas),Voyage dans la Régence d'Alger au 18eme siècle, Traduiit de l'anglais par E.Mac Carthy(1830), ALGER 2007, P109.

لنستنتج في الأخير أنه تعددت أسباب الكوارث من طبيعية ليتعدى تفسيرها إلى أسباب أخرى عكست ذهنية المجتمع الجزائري العثماني ارتبطت أساسا بثقافته الجمعية بدءا بمعتقده الديني المرتبط بالعقاب السماوي من جهة ومن جهة أخرى إلى التفسير الخرافي وقد تداخلت فيها أيضا عوامل أخرى اقتصادية واجتماعية وحتى سياسية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة زادت من حدة هذه الكوارث.

من خلال المباحث الثلاثة المتناول في هذا الفصل بدءا بالوقوف على طبيعة الكوارث الطبيعية في مجال مفاهيمي

تبين أنها تتنوع وتختلف من ظاهرة الى أخرى من حيث المفاهيم والخصائص رغم التعتيم والخلط الذي ساد البعض منها كعدم التمييز بين الوباء والطاعون في بعض المصادر، لكنها تشترك في كونها ظواهر طارئة شكلت صدمة للمجتمع الجزائري، اقتضى علينا القيام بمسح شامل لها ، و تسليط الضوء عليها فوقفنا على ثمانية أنواع أساسية تنتمي لدائرة الكوارث الطبيعية هي الزلازل والفيضانات والأعاصير والزوابع الرملية والجفاف وغزوات الجراد والأوبئة والمجاعات ، مست جزائر العهد العثماني وحصرها مجالا وزمانا.

هذه السلسلة من الكوارث الطبيعية شكلت مرحلة عصيبة تفاوتت شدتها من مرحلة لأخرى وهذا باختلاف الزمان والمجال الجغرافي بالإيالة خصوصا الأوبئة التي تصدرت دائرة الكوارث الطبيعية وفقا لضرباتها المتكررة لتليها سلسلة من المجاعات وغزوات الجراد ودورات الجفاف التي تبين ارتباطها ببعضها البعض ارتباط وثيقا وقفت حاجزا أمام سيروة النمو الديمغرافي والاقتصادي للمجتمع الجزائري العثماني علما أن الاحصائيات المتوصل اليها تبقى نسبية فقط وغير مطلقة اذ لا تتوفر على تقديرات يمكن الإستناد إليها لغياب التقدير الكمي الدقيق .

ومن جانب أخر تعددت أسباب الكوارث من طبيعية ليتعدى تفسيرها إلى أسباب أخرى عكست ذهنية المجتمع الجزائري العثماني ارتبطت أساسا بثقافته الجمعية بدءا بمعتقده الديني المرتبط بالعقاب السماوي من جهة ومن جهة أخرى إلى التفسير الخرافي كما تداخلت فيها أيضا عوامل أخرى اقتصادية واجتماعية وحتى سياسية سهلت عملها سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة زادت من حدة هذه الكوارث .

الفـــصل الثانـي:

جوانب من آثار الكوارث الطبيعية على المجتمع الجزائري.

المبحث الأول: الأثار الإجتماعية

المبحث الثاني: الأثار الأقتصادية

المبحث الثالث: الأثار العمرانية

تعددت أثار الكوارث الطبيعية التي مست جوانب مختلفة من حياة الساكنة في الجزائر خلال العهد العثماني بكل فئاتها بدءا بالخلية الأولى المتمثلة في الأسرة الى تأثيراتها على النسيج الاجتماعي كعائق أمام نموه الديمغرافي، وما خلفه ذلك من ردود أفعال تجاه هذه الكوارث سواء داخل المجال الجغرافي للجزائر أو مع علاقاتها البينية مع مختلف الدول المجاورة لها،لتكتمل بذلك المأساة أمام تضارب المصادر واختلافها في تقديم إحصاء رسمي لعدد الموتى الذي طغى عليه طابع الوصف العام .

وإذا أتينا الى مجموعة الأسئلة المتعلقة بآثارهذه الكوارث فإن مايطرح منها هي الأسئلة الخاصة بالأثار الإجتماعية وأولها ماهي الحصيلة الديمغرافية لهذه الكوارث فتعاقبها سبب انهيار ديمغرافيا؟ وهل يمكن التسليم بها في ظل تضارب الإحصائيات؟ ماهي السلوكات التي أفرزتها باعتبارها صدمات توالت على المجتمع محدثة له عدة أزمات؟ ماهي الفئة الاجتماعية الأكثر ضررا منها؟.

وبعد الأثار الإجتماعية تأتي الأثار الإقتصادية: هل ألحقت ضررا بهياكل الإنتاج الفلاحي من حيث اليد العاملة والمحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية والسوق كفضاء اقتصادي مهدد؟ هل تعدت أثارها الى التجارة الخارجية من خلال تأثير الأوبئة على علاقات الجزائر البينية مع مختلف الدول المجاورة والمتوسطية كحاجز أمام المبادلات؟ وفي المقابل لم تتوقف آثار هذه الكوارث عند هذا الحد فقط بل تجاوزته الى المساس بمسكنه الذي أصبح مهددا بخطرها اذ أصبح لا يستطيع توفير الحماية له، فكيف ذلك؟ ان هذه الأسئلة العامة للفصل حاولنا الاجابة عليها في المباحث الثلاثة التالية:

المبحث الأول: الآثـــار الاجتماعية.

تعتبر الساكنة في الجزائر العثمانية أكثر الجوانب عرضة لخطر الكوارث الطبيعية وما ينجر عنها من انعكاسات خاصة من حيث قوة الدمار الديمغرافي سواءا داخل الأسرة أو القبيلة أو المدينة باعتبارها خلايا أساسية للتنظيم الاجتماعي التي عايشت الأحداث اليومية لهذه الكوارث التي شهدتها فترة الدراسة باعتبار أن الكوارث الطبيعية المشار اليها كانت ترفع من نسبة الوفيات بشكل فجائي وتؤثر على المنحى العام لنمو السكان ، والى جانب الدمار الديمغرافي للكوارث نجدها في المقابل أفرزت سلوكات غير مألوفة بالنسبة للمجتمع الجزائري خلخلت تركيبت كحالات الخوف وأزمة الجوع وغلاء الأسعار والفزع وسط السكان ، والنهب وممارسة اللصوصية، والهجرة في بعض الأحيان لتأمين حياته، وهو ما سنحاول الوقوف عليه في هذا المبحث من خلال معرفة الحصيلة الديمغرافية للكوارث الطبيعية، وماهي الفئة الإجتماعية المتضررة منها؟ وفيمَ تمثلت السلوكات الإجتماعية الناتجة عنها؟ .

أولا: الحصيلة الديمغرافية:

تتفق اغلب الدراسات الحديثة على أن عملية رصد الخسائر البشرية من المعيقات التي استعصى على الباحثين والدارسين تجاوزها، بسبب قلة المعلومات الإحصائية في كتابات هذه الفترة[1]، وهذا بغض النظر عن طبيعية الكوارث إذ يرى الباحثين صعوبة تتبع ورصد كل الأوبئة والوقوف على آثارها على مختلف الأصعدة والخروج باستنتاجات دقيقة في ظل غياب معطيات دقيقة عن أنواع الأوبئة وسعة أو ضيق المجال الجغرافي الذي انتشرت فيه والمجال الزمني الذي استمرت فيه لذا تم التركيز على الوباء الأكثر طغيانا في الانتشار والآثار.

---

(1) الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص158.

أضف إلى ذلك غياب التقارير الرسمية للإدارة العثمانية عن الوباء ومخلفاته وبالخصوص المعطيات الإحصائية مما يجعل التقارير الفرنسية والرحلات من أهم المصادر التي يمكن الإعتماد عليها[1]، لأن أغلب المصادر المحلية بمختلف أنواعها طغى عليها طابع الوصف العام (عبارات وصفية)[2]، في تقديرها للخسائر البشرية ومخلفات هذه الكوارث، فقد أشار الباحث تال شوفال (Tal. Shuval) في دراسته أنه "في جميع البلدان الخاضعة للقرآن ، لا توجد بيانات لحساب السكان. لا تهتم الحكومة وعملائها بالعناية بها، لأن الفرد المسلم لا يدفع ضريبة الاقتراع في أي مكان، وترفق الضريبة على الأرض ومنتجاتها. لا يمكن أن تحدث التحريضات المستمدة من الوفيات السنوية في البلدان التي ينتشر فيها الطاعون، ولا يتم تسجيل المواليد، وبالتالي ، فإن جميع القواعد التي تستخدم في أوروبا لتقدير عدد سكان المدينة لاغية بالنسبة لآسيا. من خلال مقارنة مدينة إسلامية بمدينة مسيحية من نفس الدرجة ، يمكن للمرء حتى الحكم على السكان فقط بطريقة غامضة للغاية "[3] .

ومن بين العبارات الوصفية ما أورده الزهار عن أثار زلزال القليعة 1802م:

"دمر هذا الزلزال مدينة الجزائر وبالأخص مدينة القليعة **مات فيها الكثير تحت الأنقاض** وقد وقف مصطفى باشا عليه بنفسه وأمر باخراج من كان تحت الأنقاض فمن كان حيا كساه وأعطاه مالا ومن مات كفنه وفرق الأموال هناك[4]، **وعن** زلزال مدينة البليدة1825م :وقد ضرب المدينة في أواخر شعبان من سنة 1825م، مُحدثا خسائر مادية وبشرية هامة ساهمت في التدهور الديمغرافي إلى جانب الطاعون.

---

(1) أمين (محمد)، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، (دط)، مطبعة آنفو، فاس، 2011، ص45-47.

(2) حالي (محمد)، المجتمع والأزمات في تاريخ المغرب في القرن الثامن عشر، ديوان أصدقاء المغرب، المغرب 2011، ص7.

(3) Tal Shuval : la ville d'alger vers la fin du xviiie siècle, population et cadre urbain, cnrs éditions, paris, 2013, pp39-55.

(4) المدني (احمد توفيق)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار،المرجع السابق،ص83.

وقد تحدث عنه الحاج احمد الشريف الزهار بالعبارات التالية:"وفي تلك السنة أي1231هـ،كانت الزلزلة التي تصدمت منها البليدة ومات بها خلق كثير، وكان ذلك في أواخر شعبان[1].

وعن الفيضانات أورد العياشي في عودته من الحج مرتحلا من الأغواط باتجاه الديار نصا مفاده :"ولما كان قريب من الظهر أرعدت السماء وأبرقت وأرخت عزاليها بماء غزير وبرَد منع الناس من المسير ...وأقاموا بقية يومهم وليلتهم وهي لا تصحو...، وفي الغد ارتحلنا ووجدنا وادي مساعد كله ماء وأرضه رخوة، فلم نقطعه إلا بمشقة عظيمة..." ، لقد كانت تلك من أثار الفيضانات التي لم يسجل فيها ضحايا لكن حيوانات الركب لم تسلم منها فقد ماتت لهم ثلاثة من الإبل من غزارة التساقط[2].

لن نجانب الحقيقة إذا قلنا أن بعض الكوارث الطبيعية بغض النظر عن خصوصياتها كوباء الطاعون مثلا كان العامل الأساسي في تراجع حركة النمو الديموغرافي[3]، لكنه ليس من السهل دراسة البنية الديموغرافية لمجتمع مدينة الجزائر مثلا إبان العهد العثماني لغياب إحصاءات رسمية حيث يجد الباحث نفسه أمام تقديرات عامة

فقط في المصادر الأجنبية، وفي المقابل عزفت المصادر المحلية عزوف عن ذكر أي تقدير وان وجدت هذه التقديرات فالغالب عليها هو عدم الدقة[4]، والبعض يذهب للقول عن عدم الأخذ بها[5].

---

(1) المدني (احمد توفيق)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...، المرجع السابق، ص155.

(2) العياشي (أبو سالم عبدالله بن محمد)، لقط الفرائد من ماء الموائد، مختصر الرحلة العياشية 1661-1663م، اعداد:سليمان القرشي ، المغرب الاقصى، دار التوحيدي، 2012، ص285.

(3) سعيدوني (ناصر الدين)، الأوضاع الصحية والوضع الديموغرافي في الجزائر أثناء العهد العثماني، المرجع السابق، ص431-445.

(4) غطاس (عائشة) من أجل اعادة النظر في البنية الديموغرافية لمجتمع مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص33.

(5) Raymound(A) :grandes villes arabes à l’époque ottomane-Paris,sidbade,1986.p60. et signe urbains et études e la population grandes –villes arabes à l’époque ottomane-bulletin d’étude orientales, nº27,1974.

1-الأسرة كوحدة (خلية) تعرضت للكوارث الطبيعية.

من حيث حجمها و عدد الأولاد فقد بلغ معدل الأولاد في الاسرة الواحدة حوالي 3ونصف وهو حجم متوسط خلال النصف الأول من القرن 18م)(1702-1750م) راجع الدراسة المستقاة من عقود سلسلة المحاكم الشرعية التى قامت بها عائشة غطاس[1] على الأسرة: تراجع معدل الأولاد من ثلاث أولاد الى ولدين ويعود ذلك إلى مجموعة من العوامل أهمها تدني الأوضاع الصحية الناتج عن كارثة وباء الطاعون الذي اشتد وطأته وضرباته في النصف الثاني من القرن18 م ونفس الكلام يقال في النصف الأول من القرن19م ماعدا السبع سنوات الأخيرة من التواجد العثماني 1823-1830م التي عرفت استقرار وهدوء على حركة النمو الديمغرافي[2].

ونفس النتيجة توصل إليها الباحث خليفة حماش القائل:" بأن السمة المميزة داخل الأسرة لمجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني كانت قلة الأولاد"[3] وقد قدر نفس الباحث معدل عدد الأولاد داخل الأسرة ب: **2.45** ولد كمعدل عام في الأسرة الواحدة[4].

وأرجع ذلك إلى عدة عوامل منها انتشار الأوبئة والأمراض وضعف الرعاية الصحية حسب ما نقلته المصادر سواءا المحلية أو الأجنبية التي غلب عليها التقدير العام وغياب الدقة الإحصائية وذلك تعبيرا عن الخسائر البشرية فقد أورد أحمد الشريف الزهار قوله:"في سنة 1201هـ/1787م جاء الوباء للجزائر حتى وصل عدد الأموات أحيانا خمسمائة جنازة كل يوم ويسمى بالوباء الكبير"[5].

---

[1] غطاس (عائشة)، من أجل اعادة النظر في البنية الديموغرافية، المرجع السابق،ص ص 40-42.

[2] نفسه، ص 42-43.

[3] حماش (خليفة)، الوفيات في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال عقود المحكمة الشرعية...، المرجع السابق، ص125.

[4] حماش(خليفة)، الأسرة في مدينة الجزائر، المصدر السابق، ص 288.

[5] المدني (احمد توفيق)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...، المرجع السابق، ص51.

وكدراسة إحصائية قدمها الباحث خليفة حماش حول الوفيات في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني مستخرجة من مصدر مهم يتمثل في سلسلة لوثائق عقود المحكمة الشرعية[1] تغطي الفترة الممتدة من (1574-1830م) لـ:734أسرة تضم 2300 ولد من ذكور وإناث منهم 942حالة وفاة مجهولة كان مردها في الغالب سوء الوضع الديمغرافي في المدينة بسبب الأوبئة والوضع الصحي الصعب وخلصت الدراسة إلى أن مدينة الجزائر كعينة إحصائية أواخر العهد العثماني لم يكن بها من الساكنة سوى 13٪من الزيادة في حين شكلت النسبة المتبقية وهي87٪ حالات وفاة وانقراض للأسر من خلال ما بينته عقود المحكمة الشرعية و حسب ما أشارت إليه المصادر التقليدية المعاصرة آنذاك سواءا المحلية أو الأجنبية [2].

وفي نفس التوجه توصلت الباحثة عائشة غطاس إلى استنتاج العلاقة بين ارتفاع حالات التركات مع الوباء فهناك توافق واضح بين اشتداد الوباء وتزايد حالات تصفية التركات المعروضة أمام بيت المالجي وقد لاحظ حمدان خوجة أن الفترة التي تشهد فيها مؤسسة بيت المال نشاطا كثيفا هي تلك التي تتزامن والوباء[3]، وبالتالي فهي مؤشر مكمل للإلمام بالوضع الديمغرافي نظرا للإحصائيات التي يمكن استخلاصها منها[4]، ففي سنة 1817-1818م تم إحصاء489 حالة وفاة بمدينة الجزائر استناد إلى دفاتر المخلفات وهذه المعلومات التي توفرها لنا دفاتر المخلفات تؤكد ما أورده مارشيكا من أن داء الطاعون بلغ ذروته سنوات1817-1818م[5]، وقد صاحب هذه الفترة تسجييل التركات (الوفيات)[6].

---

[1] **سجلات المحاكم الشرعية**: وهي رصيد ضخم يحتوي على نحو 15000وثيقة تتوزع على 153 علبة، وهو يخص معظمه مدينة الجزائر والمناطق المجاورة لها، ويغطي فترة زمنية معتبرة حيث يمتد من النصف الثاني من القرن السادس إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ينظر: غطاس عائشة :سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لمجتمع مدينة الجزائر-العهد العثماني، مجلة انسانيات،عدد3،1997، ص ص 69-86.كذلك سعيدوني ناصر الدين :نظرة حول الوثائق العثمانية بالجزائر ومكانتها في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص ص.135-157.

[2] للإطلاع أكثر على هذه الدراسة يُنظر: حماش(خليفة) ، الوفيات في مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص129ومايليها.

[3] غطاس (عائشة)، من أجل اعادة النظر في البنية الديموغرافية...، المرجع السابق، ص 39.

[4] ينظر:حمدان بن عثمان خوجة :المرآة أولمحة تاريخية واحصائية على ايالة الجزائر-تعريب وتقديم العربي الزبيري،الجزائر، ش.و.ن.ت. 1982.

[5] Marchika(Jean), op.Cit, p172.

[6] غطاس (عائشة)، من أجل إعادة النظر في البنية الديموغرافية، المرجع السابق،ص38- 39.

وارتفاع الوفيات بمدينة الجزائر مرده أنها أكثر المدن المتضررة من الوباء باعتبارها من المدن المطلة على البحر المتوسط[1]، أضف الى ذلك الدور السياسي الذي تلعبه كمقصد لمختلف المهمات الدبلوماسية وهذا مايفسر مدى الثقل الديموغرافي بمختلف شرائحه من أعيان وعلماء وتجار وجنود الانكشارية وطبقة حاكمة ...هذا الثقل الذي حظيت به مقارنة مع باقي المدن[2].

وعند الحديث عن الآثار الديموغرافية يجب الوقوف عند إشكالية تضارب تقديرات عدد سكان مدينة الجزائر،في ظل غياب إحصاء رسمي للسكان خلال العهد العثماني هذا إذا استثنينا تقديرات الرحالة والدبلوماسيين الأوروبيين والتي غلب عليها الوصف الأدبي على أنها مدينة عامرة أو آهلة بالسكان نظرا لكثرة سكانها وأنشطتها [3].

وتبقى المصادر الأوروبية في نظر البعض باختلاف طبيعتها رحلات أو مراسلات قنصلية بالرغم ما تحمله من تناقضات أهم مصدر لتقدير عدد السكان، فقد قدر عدد سكان مدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي 18م، مايقارب 100ألف نسمة الذي عرف تراجع مع نهاية القرن نفسه وقد بقي هذا المؤشر دون نقد بل تم الاعتماد عليه كمؤشر أو معيار لبعض الدراسات.مع العلم أنها ليست إحصاءات تعكس الحقيقة الديموغرافية ولا ترتقي إلى مناص الدراسات العلمية حيث يرى البعض أن تقديرات السكان يجب ربطها بالمجال الحضري الذي يعطي نظرة أقرب إلى الحقيقة فتوسع المجال الحضري يعكس زيادة في الكثافة السكانية والعكس[4].

---

[1] Restifo(guiseppe), maritime routes, epidimic routes in the eastern mediterranean (1755-1800), op.Cit, p79.

[2] أمين (محمد)، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص47-48.

[3] نفسه، ص ص43-54.

[4] ينظر دراسة أندري ريمون (ANDRÉ RAYMOND)حول:

-(ANDRÉ RAYMOND), Grandes villes arabes à l'époque ottomane, paris, sindbad, 1985, et LA VILLE ARABE, ALEP, À L'ÉPOQUE OTTOMANE, XVIe-XVIIIe siècles, Études arabes, médiévales et modernes, Damas, 1998, p380.

2-إشكالية احصائيات:

يصعب علينا تقدير أو وضع إحصائيات دقيقة للضحايا التي خلفتها الكوارث الطبيعة في الجزائر خلال العهد العثماني، و مايقال عن مدينة الجزائر ينطبق على باقي المناطق والجهات ، وهي من النتائج المتوصل إليها في البحث "لأن تحديد عدد السكان أو معرفة وضع الساكنة هو تحديد لأول فاعل ولأهم عامل في صناعة التاريخ: الإنسان و الإقتراب من المعطي الذي يرسم الحدث ..."[1].

ومن هنا يصعب على الباحث تقدير عدد الضحايا اثر كل كارثة مست البلاد[2]، بغض النظر عن محاولة استغلال مصادر أخرى لها صلة بتأثير الكوارث الطبيعية على الوضع الديمغرافي مثل استغلال الوثائق المحلية كسجلات المحاكم الشرعية ، التي تبقى العقود العائدة للفترات الأولى من التواجد العثماني بالجزائر نادرة أو مفقودة على أساس أنها أوراق منفصلة ولم يتبع موظفو المحاكم آنذاك على الدفاتر أو أصابها التلف على أيدي السلطات الاستعمارية[3]، أو أنها تغطي فترة دون أخرى ففي قسنطينة تبدأ العقود في التسجيل انطلاقا من نهاية حكم صالح باي(1202هـ/1787م) إلى غاية سقوط مدينة قسنطينة في يد الإستعمار الفرنسي سنة(1253هـ/1837م)على مدى خمسين عاما موزعة على 12سجل[4]، و سجلات البايلك للضرائب التي تحمل أسماء القبائل والأعراش وما دفعته من مستحقات نقدية وعينينة لكنها في نفس الوقت تفتقد للشمولية بحكم امتناع بعض القبائل عن الدفع [5]، وهذا ما يجعل من العملية الإحصائية غير كاملة أو متكاملة.

---

[1] مداني(طارق)، المؤرخ والمقاربة الكمية: حول الدراسات الديمغرافية لبعض الحواضر الإسلامية : عرض أُطروحات وإثارة تساؤلات ، مجلة أُسطور، ع10، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، قطر، جوان2019،ص10.

[2] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر...،المرجع السابق، ص451.

[3] عائشة (غطاس)، سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الإجتماعي والإقتصادي ...، المرجع السابق، ص70.

[4] معاشي(جميلة)، الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، (غير منشورة)، جامعة منتوري،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسنطينة،2007-2008، ص8.

[5]القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر...، المرجع السابق، ص451-452.

أما فيما يخص تقاييد الوفيات فقد اعتمد عليها الباحث تال شوفال(Tal SHuval) في دراسته حول مدينة الجزائر نهاية القرن الثامن عشر حينما تعرض لمسألة الديمغرافيا وأثر الكوارث الطبيعية والأمراض (من زلازل وموجات الجراد وسنوات الجفاف والمجاعات وضربات الطاعون) فيها، اذ قام بعملية غربلة واحصاء لحالات الوفاة الطبيعية الواردة في هذه التقاييد إلى نهاية القرن الثامن عشر حيث أكد صعوبة قراءة رقمية تكون دقيقة[1]، ومع ذلك لا يمكن الاستغناء عنها في البحث خاصة التي تغطي الفترات الأخيرة للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني والبدايات الأولى للإحتلال الفرنسي مثال ذلك سجل الوفيات للمحكمة المالكية لمدينة قسنطينة لسنة 1840–1841م[2]، وتكمن أهميته في معرفة عدد الوفيات لذلك العهد حسب كل صنف (رجال ونساء أطفال) وكذا معرفة نوع المرض المتسبب في الوفاة والتي بلغت في تلك الفترة 591حالة وفاة بقسنطينة موزعة على النحو الأتي :

الصنف	أطفال	رجال	نساء	المجموع
العدد	376	100	115	591

وقد أوردنا مثال بالعقد ورقة 23جاء فيه:"الحمدلله أمام الموذون له فيما يسطر عينا بالمحكمة المالكية بقسنطينة المرعية حضر(كذا) علي بن بلقاسم الساكن بداره أسفل (كذا) عبدالله أي المسماة بدار بن صولة يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر(كذا)وقت الزوال وذكر أن صهرته فاطمة المريضة بالبرد عمرها سبعون عاما هلكت بالمرض المذكور شطر ليلة يوم(كذا) واتى على ماذكره بشاهدين أولهما محمد بن الحجور في (كذا) حرفة ثلاثون

(1)Tal Shuval, op.cit, pp39-55.

(2) يتكون السجل من 98 ورقة قياس 36*23سم مرقمة من 11الى108 وتنقصه الأوراق العشرة الأولى ويضم في مجمله 196صفحة على أساس أن الأوراق مستعملة وجه وظهر .

عاما الساكن بما بذكره وثانيهما المرابط أحمد القبايلي نسبا الرحوم حرفة(كذا) عمره ستون عاما الساكن بما يذكره شهدا بذلك بعد الطلب والسؤال وقع ذلك يوم الجمعة من شعبان[1].

والى جانب المصادر السالفة الذكر نجد القبريات أو الكتابات الموجودة على شواهد القبور كمصدر للأبحاث الديمغرافية بالنسبة لبعض الايالات العثمانية واعتبارها أداة بحث في التاريخ الاجتماعي ومكمل للدراسات الديمغرافية [2]، لأنها تقدم معلومات على المتوفي كسبب الوفاة وباء أو موت طبيعي أضف إلى ذلك تسجيل تاريخ الوفاة على الشواهد والجنس ذكر أم أنثى لكن في الجزائر العثمانية تفتقر لتلك المعلومات فنادرا ما يتم تسجيل سبب الوفاة على قبر الميت مما يزيد في صعوبة فهم الوضع الديمغرافي [3]، أضف إلى ذلك ما يلحق بالقبور من ضرر سواء بفعل عوامل طبيعية كالفيضانات مثلا أو غيرها من العوامل التي تؤدي إلى اضمحلال القبور وشواهدها

إلى جانب المصادر المحلية لا يمكن الاستغناء عن المصادر الأجنبية وبالأخص المراسلات القنصلية التي تعرضت في تقاريرها إلى الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها في الجزائر خلال العهد العثماني وقد تضمنت بعض الأرقام الإحصائية حول الخسائر البشرية نورد منها دراسة حول الطاعون بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني استخلصها الباحث المغربي محمد أمين وهي معلومات مستقاة من مراسلات القناصلة الفرنسيين الموجودة في ملف سلسلة بأرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا تغطي الفترة مابين (1698-1787م)[4].

---

[1] العقد الأول من الورقة 23من سجل الوفيات لمدينة قسنطينة لعام 1840، أرشيف ولاية قسنطينة (راجع الملحق رقم05).

[2] راجع أكثر أبحاث :

- Nicolas(Vatin), and Stéphane(Yerasimos), Les cimetières dans la ville: Statut, choix et organization des lieux d'inhumation dans Istanbul intra muros. Istanbul: Institut Francçis d'Études Anatoliennes, 2001.

[3] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر...، المرجع السابق، ص462-463.

[4] أمين (محمد)، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث...، المرجع السابق، ص58-59.

المصدر	التاريخ	عدد الضحايا	ملاحظات
J.1355	04أغسطس1698م	24000	حسب القنصلDurandكان وباء مدمرا
J.1355	28يونيو1700م	4في ثمانية أيام	تعجب القنصلDe Jonville من وقوع الوباء خلال هذا الفصل
J.1362	24أغسطس1741م	/	لاحظ القنصلDe Jonville استمرار الوباء مع خفة حدته
J.1362	8أغسطس1753م	من40الى50في اليوم	لاحظ القنصل André-Alexandre Lemaire استمرار الوباءء دون أن تسجل أي زيادة أو نقصان في حدته ومع ذلك يزداد عدد الضحايا
J.1363	30أبريل1753م	8الى 9 فاليوم	لاحظ André-Alexandre Lemaireأن تأثير الوباء سيئ على سكان الجزائر العاصمة
J.1364	03سبتمبر1787م	400منذ بداية الشهر لاحظ أن عدد الضحايا ليس مهما بالنسبة الى عدد السكان المرتفع	لاحظ André-Alexandre Lemaireأن عدد الضحايا ليس مهما بالنسبة الى عدد السكان المرتفع
J.1371		16721 بالنسبة للشهور السبعة الأولى من السنة من بينهم 613 مسيحيا و1774من اليهود و14334من المسلمين أما خارج المدينة فتراوح عدد الضحايا بين خمسة وستة ألاف	لاحظ De Kercyالقنصل اختفاء الطاعون من ضواحي الجزائر

من خلال الجدول نستنتج أن المراسلات القنصلية قدمت مؤشرات إحصائية لضربات الطاعون في الجزائر باعتباره هاجس هدد دول المتوسط [1]، وبالتالي كان الإعلام ضروري لتجنبه وحماية الدول الأوروبية لمصالحها التجارية من جهة أخرى، لكن هذه المراسلات وان حملت بعض الأرقام الإحصائية تبقى غير دقيقة أو غلب عليها طابع الوصف أي تكفي بذكر الوباء فقط دون الحديث عن خسائره[2]، ومع ذلك لايمكن الاستغناء عنها في استخلاص المعلومات حول الوفيات والوضع الصحي العام في الجزائر خلال العهد العثماني .

ومن جهة أخرى يصعب على الدارسين تقديم عدد حقيقي للخسائر البشرية الناتجة عن الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني خاصة في المراحل الأولى لغياب إحصاء رسمي للسكان وان وجدت فهي متضاربة[3].

إلى جانب المراسلات نجد المعطيات التاريخية الواردة في المصادر الأجنبية التي تذكر عدد المتوفين في اليوم الواحد سواءا بالعشرات أو بالمئات وكان الغرض من ذلك في الغالب هو التعبير عن مستوى حجم الكارثة أكثر من تقدير عدد الخسائر البشرية[4]، ومن ذلك ما نقلته الصحيفة الفرنسية(La Gazette de France) عن الوباء الذي ضرب مدينة الجزائر عام 1655م بقولها: أن الوباء الذي اجتاح الجزائر في هذه المرة كان مرعبا"[5]، أو عن زلزال 03 فيفري من عام 1716م الذي تهدمت المنازل بسببه[6]، وكتب دو

---

[1] راجع رسالة القنصل البرتغالي في طنجة إلى حكومته المؤرخة في 23جويلية 1797م، الرقم التسلسلي للوثيقة328 ينظر:حماش (خليفة)،كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني الى العهد الراهن، ط1، منشورات كلية الآداب والحضارة الاسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة–الجزائر، 2018، ج1، ص226.

[2] Touili (M), Correspondance des consuls de France à Alger,(1642-1792), Inventaire Analytique des Articles .E.B[1] 115 à 145, Centre Historique des Archives Nationales, paris, (CHAN), 2001.B[1]123, registre : 9 (1733-1735), Fº114-115,05 septembre 1733, Alger.lettre de Lemaire à Maurepas.p 270.

[3] لأخذ فكرة عن ساكنة مدينة الجزائر راجع الجدول 1الملحق بمقال فيدريكو كريستي:

- Federico (Cresti), Alger à la période turque. Observations et hypothèses sur sa population et sa structure sociale. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°44, 1987. Berbères, une identité en construction. pp. 125-133.

[4] حماش (خليفة)، الوفيات في مدينة الجزائر في العهد العثماني ...، المرجع السابق، ص125.

[5] La Gazette de France, A1655.

[6] La Gazette de France, (Paris. 1631). Nº9,29 février 1716.p 97.

غرامون(Grammont.DE) عن زلزال وهران قائلا:" في ليلة 8 إلى 9 أكتوبر 1790 ، في الساعة الواحدة صباحًا ،زلزال رهيب انقلب في ثلاث دقائق تقريبا كل منازل وهران، التحصينات، الكنائس والآثار العامة. أكثر من ثلاثة آلاف (3000) شخص تم سحقهم تحت الأنقاض..."[1]، في حين صرح القنصل الفرنسي دو جونفيل(De Jonville) عن وباء 1741م الذي كان يقضي على أربعين وخمسين شخص يوميا.[2]، أما ألبير دوفو فقد قدر الخسائر البشرية لعاصفة بحرية ضربت سواحل الجزائر في 05سبتمبر1705م توفي بها 11 شخصا غرقا[3]، وبالتالي لا يمكن الإستغناء عنها إلى جانب المصادر المحلية لتغطية الوضع الديمغرافي في الجزائر العثمانية ولو بشكل نسبي لان أغلب المصادر سواءا المحلية أو الأجنبية ركزت على المدن والحواضر الكبيرة وتناست أو غابت فيها المعلومات حول الأرياف والمناطق الجبلية أو المعزولة.

ولإعطاء نظرة حول أثر الكوارث الطبيعية على الوضع الديمغرافي للجزائر خلال العهد العثماني حاولنا مقارنة دورتها من خلال الجداول المنجزة سابقا مع تطور السكان في مدينة الجزائر كعينة للدراسة نظر لتوفر إحصاء عدد سكانها[4]، مع ضربات الطاعون باعتباره الأكثر انتشار واستطانا بالجزائر العثمانية[5].

(La peste est une constante de L'Algérie) مقارنة مع باقي الكوارث من خلال الجدول التالي:

---

(1) Grammont, H.-D. de. Auteur du texte. Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), op.cit, p343.
(2) Grammont (Henri de), Correspondance des consuls français d'Alger, in R.A/vol28/1884,p 210.
(3)Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, op.cit, p p342- 352.

(4) لأخذ فكرة عن ساكنة مدينة الجزائر راجع الجدول 1الملحق بمقال فيدريكو كريستي:

- Federico (Cresti),Alger à la période turque. Observations et hypothèses sur sa population et sa structure sociale. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°44, 1987. Berbères, une identité en construction. pp. 125-133.

(5) Panzac (Danial), la peste dans L'Empire Ottomane1700-1850 ,ed , peters leuven, 1985,p212.

القرون	القرن السادس عشر (1518–1599م)	القرن السابع عشر (1600–1699م)	القرن18م وبداية 19م (1700–1830م)	ملاحظة
عدد السكان/ن	80000 نسمة	100000 نسمة	30000 نسمة	تضارب في عدد السكان
ضربات الطاعون	24سنة من أصل82سنة عرفت الطاعون	36سنة من اصل100سنة عرفت الطاعون	55 سنة من أصل 130 سنةعرفت الطاعون	قد تشهد السنة الواحدة عدة ضربات

النتيجة المتوصل إليها مما لاشك فيه أنه في حالة نقصان عدد السكان تقابلة أزمات طبيعية (زلازل، أوبئة وجفاف ومجاعات) وبالتالي تقهقر ديمغرافي، في حين يشهد تزايد عدد السكان حالات من الإستقرار وغياب الأزمات وبالتالي نمو ديمغرافي.

وهي نفس النتيجة التي توصلت إليها الباحثة فلة موساوي القشاعي التي أكدت على أن سكان مدينة الجزائر خلال القرن السادس عشر عرف نموا سريعا إلى غاية القرن السابع عشر خاصة على اثر توافد هجرات الأندلسيين سنوات 1492–1566–1609م واستقروا بالمدينة ،كما تدعمت المدينة بجنود الانكشارية التي بعث بها السلطان العثماني، وعناصر أخرى مختلفة الأصول من الأسرى الأوروبيين والتجار اليهود[1]، الذي تجاوز عددهم بداية القرن السابع عشر أكثر من8000 يهودي و 35000 من العبيد عام 1619م حسب المصادر الأجنبية[2].

[1] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر...، المرجع السابق، ص467-468.

[2] لأخذ فكرة عن ساكنة اليهود بمدينة الجزائر راجع الجدول 1الملحق بمقال فيدريكو كريستي:

- Federico (Cresti),Alger à la période turque. Observations et hypothèses sur sa population et sa structure sociale. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°44, 1987. Berbères, une identité en construction. pp. 125-133.

أما فيما يخص القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر فقد شهد انهيار ديمغرافي نتج أساسا عن الأوبئة المتكررة خاصة الطاعون وما رافقها من كوارث لا تقل خطورة عنه(زلازل وفيضانات،جراد،جفاف ومجاعات....)، كانت أثار على الساكنة مما ساهم في انخفاض عددها، فقد توصلت بعض الدراسات الحديثة انطلاقا من استغلالها للمصادر المحلية إلى نتيجة مفادها أن معدل الأولاد في الأسرة تراجع فكانت قلة الأولاد هي السمة البارزة لمجتمع مدينة الجزائر حيث كانت النتيجة2.45 ولد كمعدل عام في الأسرة الواحدة ويرجع ذلك إلى سوء الأحوال الصحية وانتشار الأمراض والأوبئة كعامل أساسي في هذا التراجع[1].

3- في تواتر الكوارث الطبيعية وتأثيراتها على المجتمع:

لقد كان وقع الكوراث الطبيعية الدورية التي كانت تعصف بالساكنة بمختلف فئاتها، والمتمثلة في القحط والجفاف والجراد والبرد والزلازل والأوبئة على رأسها الطاعون ،كلها كانت تفضي إلى الوفيات الجماعية [2].

وتجدر الإشارة إلي أن الخسائر البشرية مختلفة باختلاف التركيبة السكانية للمجتمع المدينة وشرائحه (أتراك عثمانيين-يهود-عبيد مسيحيين)[3]، فقد خلف الطاعون في عام 1786م حسب رسالة مؤرخة في29جوان1787م للقنصل الفرنسي دو كارسي[4](De Kercy) مابين29و30ضحية يوميا من مختلف الشرائح كما هو في الجدول الآتي:

الشريحة الإجتماعية	المسيحيين	اليهود	المسلمين	الأسرى	المجموع
عدد الضحايا	613	1774	14334	/	16721

[1] حماش(خليفة)، الوفيات في مدينة الجزائر في العهد العثماني ...، المرجع السابق، ص125 .

[2] بوجرة (حسين)، الطاعون وبدع الطاعون...، المرجع السابق، ص162.

[3] Touati(AliIsmet), la peste et le commerce exterieur de l'Algerie a l'Epoque ottomane, R.H.M, N°154-155, tunis 2014, p, 108.

[4] Touili (M), op.Cit, p752.

أضف إلى ذلك مايقارب 6000ضحية بالأرياف[1]، علما أن هذه الأرقام متضاربة في المصادر ففي نفس السنة نقل مارشيكا وبنفس الشهر 30جوان 1787م[2]، ضحايا الطاعون المحددة في الجدول التالي:

الشريحة الاجتماعية	المسيحيين	اليهود	المسلمين	المجموع
عدد الضحايا	170	490	3162	3882

من الجداول السابقة نستنتج وجود تباين كبير في المؤشرات الإحصائية الواردة في المصادر مما يؤكد صعوبة التسليم بها والأخذ بها بغض النظر عن اتفاقها على المسلمين كأكبر شريحة متضررة من الكوارث.

وفي محاولة لتحديد معدل الخسائر البشرية في مدينة لسنة 1818م على أساس وجود معطيات احصائية خاصة بعدد السكان حسب تقدير بنانتي (Pananti) المقدر ب100000نسمة[3]، وعدد الضحايا التي أوردها مارشيكا لنفس السنة والمقدرة ب:7951ضحية[4]، تبين أنه بلغ 7.951كمعدل سنوي للوفيات اي تجاوز الخُمس .

وتختلف الوفيات من شهر لأخر نتيجة عدة عوامل منها عامل الحرارة اذ تساهم ارتفاع درجات الحرارة في انتشار المرض وقد لوحظ حلال الدراسات المقدمة أنه ينتشر بسرعة كبيرة خاصة في فصل الصيف خاصة حلال درجات الحرارة المعتدلة التي تقل عن 30 درجة[5]، وهذا ما تبين في الطاعون الذي أصاب مدينة الجزائر بين سنوات1817-1822م اذ شكلت الأشهر التالية :أفريل-ماي –جوان-جويلية-أوت الأشهر الأكثر انتشار للوباء [6]، وقد أشارت الباحثة فالانسي في دراسة حول وباء الطاعون في تونس والبحر المتوسط بين القرن الثامن

[1] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر...، المرجع السابق، ص474.

[2] Marchika(Jean), op.Cit, pp125-135.

[3] Federico (Cresti), op.Cit, p131.

[4] Marchika(Jean), op.Cit, p172.

[5] رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص188.

[6] Guyon, op.Cit, pp 436-455.

عشر والقرن العشرين تبين فيها أن الأشهر الصيفية هي أرضية خصبة لتكاثر هذا الوباء [1]،كما يبينه الجدول التالي لسنة 1818م[2]:

الأشهر	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	المجموع
عدد الضحايا	492	746	1435	1556	1739	876	597	189	69	72	83	97	**7951**

ومن جهة أخرى تتباين الخسائر البشرية من وسط إلى أخر فالطاعون أو المجاعات وغيرها من الكوارث تكون حدتها أقوى بالنسبة لوسط الحضري خاصة المدن والحواضر الكبرى التي تكثر فيه التجمعات السكانية وتزداد فيها الكثافة العالية والاكتظاظ مقارنة بالمناطق الجبلية الريفية ذات الكثافة السكانية الخفيفة التي تتمع بنوع من المناعة[3].

مما سبق نستنتج أن الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها شكلت صدمة ديمغرافية عاشتها الجزائر العثمانية خاصة خلال الفترات الأخيرة من عمرها فكانت بذلك عاملا حاسما في هشاشة البنية السكانية للمجتمع الجزائري العثماني وعائقا أمامه للحيلولة دون تحقيق نمو ديمغرافي أمام غياب إحصاء مؤكد لضحايا الأوبئة والأرقام الإحصائية حولها كانت تستند إلى المعلومات التي يقدمها الطاقم الإداري ومن تربطهم مصالح بالقنصليات،سواء من الفرنسيين أو غيرهم ونذكر منهم أعوان التجار من الفرنسيين أو غيرهم من الجنسيات الأوروبية المختلفة أو من اليهود أو المسلمين في بعض الأحيان،وبالتالي يبقى موضوع رصد المعلومات الخاصة بالوباء من حيث المدة الزمنية التي استغرقتها أو الضحايا الناتجة عنها أمر نسبي خاصة أنا هذه المرحلة أو الفترة لم تشهد استعمال علم الإحصاء، وكان الوصف العام هو الوسيلة الوحيدة للأخبار[4]، خاصة في المصادر المحلية.

---

(1) Valensi (Lucette), Calamités démographiques en Tunisie…op.Cit, p1551.
(2) Marchika(Jean),...op.cit, p172.
(3) بوجرة (حسين)، الطاعون وبدع الطاعون...، المرجع السابق، ص187.
(4) أمين (محمد)، الإختراق التجاري الفرنسي للجزائر...، المرجع السابق، ص54.

ثانيا-الهجرة والفرار:

شكلت الهجرة و الفرار إحدى السلوكيات التي ميزت المجتمع الجزائري العثماني التي تخللت فترة الكوارث الطبيعة، وهي من بين ردود الأفعال الأولية الناتجة عن الآثار الاجتماعية لهذه الكوارث،"فقد كان لإفراغ المناطق الموبؤة من ساكنتها خلال فترات الأوبئة إما هروبا من الوباء أو بسبب الهلاك آثارا عميقة في تجديد الطاقات البشرية لبعض المدن وإحداث تحولات في المكونات البشرية لمناطق أخرى"[1]، على أساس أن البعد الديمغرافي لظاهرة الهجرة باعتبارها سلوك بشري يمارسه الإنسان وذلك بتغيير مكان الاستقرار الإعتيادي إلى مكان أخر[2].

تعددت دوافع الهجرة بالنسبة للمجتمع الجزائري باختلاف العوامل السياسة والاقتصادية والدينية والثقافية التي زادت من حدة هذه الظاهرة ، فإتباع بعض الحكام العثمانيين لسياسة القسوة والعنف بدل سياسة اللين والشورى و المآخاة إذ استفردوا بالحكم كفئة متميزة واحتكروا السلطة في أيديهم[3]، بالرغم من دخولهم للجزائر بطلب من سكانها[4]، فاللجوء إلى العنف والاضطهاد في بعض القضايا كان أحد الأسباب الرئيسية للهجرة، مثل ما فعله بايات قسنطينة [5].

[1] الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص163.

[2] بوالهوشات (نجاح)، الهجرة غير الشرعية في الجزائر والمشكلات الاجتماعية-مقاربة سوسيولجية-الهجرة، الحراك والنفي وآثارهم على الصعيد الثقافي واللغوي، ضمن سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة، اشراف الدكتور كمال فيلالي، جامعة منتوري-قسنطينة، الجزائر، جوان2010، ص 147-148.

[3] لبصير(سعاد)، دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني1516-1830، سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، ضمن سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة، اشراف الدكتور كمال فيلالي، جامعة منتوري-قسنطينة، الجزائر، 2008، ص48.

[4] سعدالله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي..، المرجع السابق، ج1، ص135.

[5] انظر نماذج أوردها:

-Gaid(M), chronique des beys de Constantine, 1978, p24.

وقد أدت هذه السياسة إلى إثارة الرأي العام على الجرائم التي "كان يرتكبها الأتراك على يد بعض البايات السفاحين الذين ضربوا الرقم القياسي في الاستخفاف بأرواح الأبرياء كآخر باي الولاية الوهرانية حسن"[1]، حتى شبه فعله بمحاكم التفتيش التي أحدثها الأسبان بعد سقوط غرناطة[2].

إلى جانب ذلك شكلت الضرائب المفروضة على كاهل الجزائريين بمختلف أنواعها سببا للهجرة [3] ،فقد استعمل في جمع هذه الضرائب المحلات(الحملات العسكرية) كوسيلة في تحصيل الضرائب من المناطق المستعصية على الحكام [4]، وقد عبر عنها نقيب أشراف الجزائر بقوله:"...صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغرم والظلمات ونهب أموال المسلمين ، وما وقع هذا حتى صار الناس فجارا والأمراء ظالمين.."[5].

وفي المقابل اختارت النخبة الهجرة إلى منارات العلم كفاس بالمغرب الأقصى أو إلى المشرق هروبا من جور الحكام العثمانيين وسوء معاملتهم [6]، ولم يكن المغرب ملاذ النخبة العالمة فقط بل ملاذ لبعض العائلات التي اختارتها كوجهة للهروب من خطر الكوارث كهجرة سكان تلمسان بعد مجاعات 1805م إلى المغرب الأقصى هروبا منها[7].

كل العوامل السابقة المتسببة في ظاهرة الهجرة أو الفرار لم تكن تضاهي الأثر الذي خلفته الكوارث الطبيعية على الساكنة في الجزائر العثمانية ،فقد كانت هذه الهجرة قصرية حفاظا على النفس وتفاديا للعدوى، والمتتبع لحركة الهجرة يقف على نوعين منها.

---

[1] الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، المصدر السابق، ص51-52.

[2] نفسه، ص52.

[3] لبصير(سعاد)، المرجع السابق، ص68.

[4] سعيدوني (ناصرالدين)، النظام المالي في الجزائر...، المرجع السابق، ص123.

[5] الزهار (أحمد الشريف)، المصدر السابق، ص35.

[6] فيلالي(كمال)، هجرة علماء غريس وتلمسان الى فاس في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر، الهجرة والرحلة،عدد خاص ضمن سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الأبحاث الاجتماعية والتاريخية حول الرحلة والهجرة،إشراف الدكتور كمال فيلالي، جامعة منتوري-قسنطينة، الجزائر، أفريل2010، ص19.

[7] الزين (محمد)، المرجع السابق، ص130.

1-الهجرة من المدن نحو الأرياف: ساهمت بعض الكوارث الطبيعية في هجرة السكان نحو الأرياف باعتبارها ملاذا آمنا من بعض الكوارث خاصة الزلازل والأوبئة لحجم الخسائر البشرية التى خلفتها في المدن نظرا لخصوصيتها ككثرة العمران وارتفاع نسبة السكان بها مثلما أحدثه زلزال 03فيفري 1716م، فقد ذكرت الجريدة الفرنسية (La Gazette) في عددها التاسع الوارد بتاريخ29فيفري1716م، أنه "في الثالث من هذا الشهر حوالي العاشرة صباحا ضرب زلزال هز مدينة الجزائر محدثا ضررا بمنازلها أدى بسكانها إلى هجرة المدينة باتجاه الأرياف وقد أدى ذلك بالقنصل الفرنسي آنذاك إلى نصب خيمة بها ،لأن الهزات ظلت متواصلة إلى اليومين التاليين 4و5 من نفس الشهر، وحتى المنازل أصبحت غير صالحة للمسكن.."[1]، إذ غادر السكان المدينة بعد زلزال 1716 واستقروا في الخيام بالأرياف مدة 9أشهر وهو ما يعادل فترة الهزات الارتدادية وقد بلغ عدد ضحايا زلزال 1716 بمدينة الجزائر 20000ضحية وعظمهم دفنوا تحت الأنقاض[2] .

حيث كانت تتردد الهزات كل نصف ساعة مما أدى الى هروب السكان نحو الأرياف وتكررت الهزات من 26فيفري الى غاية شهر جوان من نفس السنة، ليتكرر الزلزال مرة أخرى سنة 1717م[3]، كما ضرب زلزال مدينة البليدة ليلة شوال 1173الموافق ل جوان م1760بعد منتصف الليل مما أدى بسكانها للفرار باتجاه بساتينهم هربا من الهزات[4]، مما أدى إلى تشتت وهلاك الكثير من السكان وبالتالي تراجع نسبة الكثافة السكانية بمدينة الجزائر،كما بقيت مساحات كبيرة منها دون استغلال، وتحولت جزئيات كبيرة من الأملاك إلى أوقاف وتراجعت أعداد البساتين[5].

---

(1) La Gazette de France, (Paris. 1631). Nº9,29 février 1716, p 97.

(2) A.Amina, Abdessemed-Foufa, and D.Benouar : Atlas of Earthquake-Resistant Traditional Techniques in Algeria: The Case of the Casbah of Algiers.p268.

(3) سبنسر(وليام)، الجزائر في عهد رايس البحر،المصدر السابق، ص59.

(4) l.ch.feraud, Ephémmérides d'un secrétaire officielle sous la domination turque à Alger de 1775 à1805 in R.A, VOLUME 18 ANNÉE 1874 p319.

(5) سعيدوني (ناصر الدين)، فحص مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص93.

ففي يوم 11رجب1217م /1802م، حدث زلزال في الجزائر وضواحيها دام لمدة يوم واحد وفي وضح النهار تهدمت على إثره قرية القليعة ومات بها خلق كثير تحت الهدم[1]، وقد أدى ذلك ببعض الحكام إلى بناء مستقرات جديدة ففي الزلزال الذي أصاب البليدة عام1825م أمر الأغا " أن يبني المدينة الجديدة بعيدة عن المدينة المهدمة بنحو نصف ساعة تحت بساتين البلد القديم وذلك من أجل أن يأتوا بالماء المنحدر من البلدة القديمة إلى البلد الجديد، واشتروا الموضع الجديد من أصحابه ثم بعثوا للباقين من أهل البلد المهدم.."[2].

إلى جانب الزلازل نجد أن الوباء أدى الى هجرة سكان المدن هروبا بأرواحهم ففي عودة العياشي من رحلته الحج مارا ببسكرة لاحظ خلوها من السكان عقب الوباء الذي انتشر بها "وقد دخلنا المدينة عقبه(عقب الوباء) فوجدنا أكثر حوماتها خالية ، ومساجدها دائرة"[3]،كعلامة لهجرانها، كما ساهم الطاعون في هذه الحركة ففي وهران عام1192هـ/ بولاية الباي محمد بن عثمان (الملقب بالباي محمد الكبير)، والذي فتح وهران أن:"حدث بأول مملكته مسغبة عظيمة ،هلك بها أناس كثيرون ،إلى أن ألت فيها الميتة والدم ولحم الإنسان والخنزير ،والعياذ بالله من ذلك ،ثم حدث **الطاعون** الذي لم يحدث في هذا الإقليم قبله قط ،فمات به جل الناس بدوا وحضرا، آل الأمر فيه إلى أن انتقل أهل الحضر، و الباي بأهله ومخزنه **إلى البدو في خيام الشعر ظاعنين** ،ظعون الأعراب البادية زمانا طويلا، وقد جعل الباي خيمة حمراء من الوبر ،وأدار بها الزمالة.."[4]، وذلك هروبا من الوباء الذي كان يعصف بالإيالة من حين إلى آخر،كما يورد الزياني في طريقه لمدينة الجزائر 1792م قادما عليها من تلمسان قائلا :"...**ولما بلغنا لمدينة الجزائر وجدنا الوباء بها خفيفا فنزلت خارجها وبنيت مضرب ووجهت من حاشيتي**

---

[1] الزهار (أحمد الشريف)، المصدر السابق، ص83.

[2] نفسه، ص155-156.

[3] العياشي (أبو سالم عبدالله بن محمد)، الرحلة العياشية، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، الامارات العربية، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2006، مج2، ص540.

[4] الزياني (محمد بن يوسف)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران...، المصدر السابق، ص ص260-270.

من يأتيني باللوازم من لحم وحطب وعلف دواب..."[1]، وفي هذا النص إجراءات لتجنب الوباء من الابتعاد عن مكان الوباء وهجرانه وعدم الاحتكاك بسكانه تجنبا للعدوى ،وقد ذلك بالبعض للهجرة كالذي حدث مع هجرة أحمد بن سحنون وجلائه من معسكر وتركها سنة 1202هـ[2] .

كما اشتد وباء الطاعون في أوت 1817 وقد عصف بمدن وأرياف الايالة الجزائرية مخلفا أكثر من 100ضحية يوميا لينخفض إلى أربعين ضحية يوميا ليتضاءل مع بداية الخريف ويرجع مارشيكا سبب العدوى إلى الفارين من المدن نحو الأرياف والحاملين للوباء ملحقين بها ضررا وناقلين للمرض إلى تلك الجهات مثل عنابة وقسنطينة والقالة وبسكرة ووهران عن طريق جماعة البساكرة الذين كانوا المصابين الأوائل بالطاعون وقدر عدد الهالكين بحوالي400الى 450ضحية[3].

فالوباء كان عادة يدفع بالسكان إلى الفرار، أو على الأقل إلى ملازمة المنازل، أو إلى الخروج من المدن نحو الأرياف المجاورة الأمر الذي ينعكس سلبا على النشاطات الاقتصادية[4].

فقد كانت الأرياف ملاذ للفارين لاعتبارات صحية منها صفاء الهواء ونقاوته عكس المدن، ومن جهة أخرى يحتوي الريف على بعض الروائح النباتية والحيوانية كرائحة الخيل والماعز التي تطرد البراغيث الناقلة للعدوى[5].

كما يتمتع سكان المناطق الجبلية بنوع من الحماية فالبرودة النسبية وأنشطتهم الرعوية تقوم لهم وقاء، وانعزالهم زاد من صعوبة احتكاكهم بالوباء [6].

[1] الزياني (أبو القاسم)، الوجيز من الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار المعمورة برا وبحرا ...، المصدر السابق، ص87.

[2] سعدالله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830) ،ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998،ج2، ص422.

[3] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر...، المرجع السابق، ص141 نقلا عن :مارشيكا ص160/126.

[4] حسين (بوجرة)، الطاعون وبدع الطاعون...، المرجع السابق، ص186.

[5] رونبرجي(برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص186

[6] رونبرجي(برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص186-187.

2-الهجرة من الأرياف نحو المدن(الهجرة العكسية): في حركة عكسية أدت بعض الكوارث إلى نزوح سكان الأرياف(رجال البادية) نحو المدن جراء القحط والمجاعات"كانوا يغادرون منازلهم وقراهم ،ويزحفون إلى المدينة –قسنطينة–في حالة رثة تعيسة للاستنجاد برجال المخزن وببعض رجالها الموسرين [1].

وقد ذكر العنتري القبائل المتضررة في جهة الجنوب من هذه الأزمة بقوله:"سببها الجائحة فإنها قد أصابت الزرع بأكله وعدم حصاده في جهات كثيرة سيما ناحية القبلة و أعراشها كالحراكتة و النمامشة وأولاد يحي بن طالب و الخرارب وغيرهم ولم تنجو من ذلك إلا ناحية السواحل والصرواية فان زرعها لم يقع فيه ضرر كبير..."[2].

ففي دراسة للباحثة عائشة غطاس اعتمدت فيها على دفاتر المخلفات(بيت المال الدفتر58/54/49/35) تم استنتاج مايلي:

-في الفترة مابين 1799-1803: بلغت نسبة الوفيات ضمن جماعت 4.21 وتضاعف في العشرينات من القرن19حيث بلغ 9.12لاسباب منها أن الأرياف شهدت اضطرابات خطيرة انعكست سلبا على الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية التي كانت وراء النزوح الريفي سعيا لتحسين الأوضاع فالمدينة[3].

وقد أكدها العنتري بقوله:"....فحصلت للناس شدة ومجاعة قد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك خصوصا بعض نواحي القبلة فأنهم تشتتوا عن منازلهم وتفرقوا بسبب الهول الواقع في وطنهم مع الشر والمصائب التي حلت به من قبل من يبس الزرع، وعدم الحرث،ونزول القحط والفتن إلى غير ذلك مما غير ذلك مما تقدم ذكره.."[4]. "...فتبين بذلك واتضح أن سبب دوام القحط والشر على بلد قسنطينة ووطنها مدة ثلاثة أعوام مركب من أمرين أحدهما نزول الجائحة والقحط في السنة، وبقي السنتين اللتين بعدهما[5]، وقد قيل في ذلك نظم نذكر منه[6]:

---

(1) العنتري (صالح)، المصدر السابق، ص13-14.
(2) نفسه، ص28.
(3)غطاس (عائشة)، من أجل إعادة النظر في البنية الديموغرافية...، المرجع السابق، ص37.
(4) العنتري (صالح)، المصدر السابق، ص33-34.
(5) العنتري (صالح)، المصدر السابق، ص39.
(6) نفسه، ص44.

ياخالقي حنّ علينا هذا العام المشؤومْ خلّفْ الخـلايق تْهُومْ.

وقد تواصلت هذه الظاهرة حتى بعد وقوع قسنطينة تحت يد الاحتلال الفرنسي فقد ذكر العنتري أنا المجاعة لما اشتدت بالأرياف بدأ الناس يزحفون إلى قسنطينة جماعات ووحدانا ،نساءا ورجالا "فالطرق بهم ممتلئة يمينا وشمالا، وجوهم مقشعرة بالية، وأرجلهم حافية وظهورهم عارية"[1].

وما تجدر الإشارة اليه أن الهجرة تجاوزت المجال الجغرافي للجزائر العثمانية فقد سجلت حالات للهجرات الفردية والجماعية للساكنة خارج الجزائر خاصة في فئة التجار، فقد قدرت نسبة التجار اليهود من أصول شمال افريقيا 13٪[2]، ففي سنة 1806م سجلت بعض حالات للهجرة جراء الأزمة الفلاحية التي مرت بها الجزائر،كهجرة أربعين يهوديا جزائريا إلى مدينة مرسيليا، فقد وجدت فيها خلال القرن الثامن عشر مقبرة إسلامية لدفن موتى الجزائريين المسلمين الذين حصلوا عليها بطلب منهم[3].

لقد تركت تلك الهجرة أثار سلبية على الحياة الاقتصادية فالهجرة والهروب من الوباء جعل بعض المحاصيل من دون حصاد لقلة اليد العاملة، حتى أصبحت البذور منعدمة[4].

علما أن هذه الظاهرة لم تشهدها الجزائر فقط ،بل وفي المجال المغاربي ففي المغرب الاقصى عام1627م، بمدينة مراكش هجر الطاعون 7000عائلة، على شكل تسرب وفرار فردي أو جماعي من الوباء، وفي نظيرتها ايالة تونس عام 1676م، عدد كبير من النخب الاجتماعية بما فيهم التجار المسلمين واليهود والمسيحيين غادرت تونس هروبا من الوباء الذي حل بالعديد من مدنها و أريافها[5].

---

[1] لعنتري (صالح)، المصدر السابق، ص18.

[2] Mohamed(Amine),géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.Cit, p309.

[3] الشنتوف (الطيب)، الحضور المغاربي بمرسيليا في القرن الثامن عشر، الهجرة المتوسطية بين الأمس واليوم، جامعة الشريف الإدرسي المفتوحة، 1988 ، دار الهلال العربية، الرباط 1992، ص39.

[4] Lucette(Valensi), Calamités démographiques en Tunisie et en Méditerranée…op.Cit, p 1548.

[5] Boubaker (Sadok), la peste dans les pays du Maghreb, attides face au fléau et impacts sur les activités commerciales 16-18eme siècles, R.H.M, N°79-80, Tunis1995, p326.

ثالثا-أزمـــة الجوع:

ارتبط الجوع بالجفاف الذي أصاب الحرث فقد" كانت عمليات البذر تتم عادة في فصل الخريف مع سقوط الأمطار الأولى التي ترطب الأرض وتسمح بمرور المحراث البسيط وتنبت البذرة وتطلع العشب الذي تحتاجه القطعان، فاذا تأخر المطر صار القلق والوجوم يخيمان على البوادي والمدن على حد السواء **وارتفعت الأسعار،** ويسير ارتفاعها في تفاحش بمرور الأسابيع ، وقد يكون سببا في حدوث بعض القلاقل"[1]، فالجفاف كان من بين دورة الكوارث الطبيعية التي أصابت الايالة في كثير من المناسبات، وقد زاد من حدة الأزمة موجات الجراد فظهوره واجتياحه للحقول سبب ضررا كأمر لا يمكن اجتنابه كل أربع أو خمس سنوات كما أن انتشار المجاعات وحلول الأوبئة يكون بعده كنتيجة طبيعية لإنهيار الإنتاج الزراعي[2]، قول الزياني في ذلك: **"وظهر الجراد الكثير فأفسد الزرع والثمار فسادا عظيما"**[3]، فاجتياح الجراد للمحاصيل الزراعية تسبب في انتشار المجاعات وحلول الأوبئة ومن أهم السنوات التى عرفت موجات للجراد بمدينة الجزائرجراد لسنوات 1798، 1799، 1800 ، وفي قسنطينة 1804م[4].

قول العنتري:"وقد نزل بالوطن في السنة المذكورة فأكل الزرع ولم ينتج من الأكل فيها إلا القليل وفيها حصل الضرر لبعض الفلاحين ،واستمر أكل الجراد الزرع في السنتين اللتين بعدها أيضا"[5].

مما أدى إلى ارتفاع أسعار الغذاء:" والحاصل بعد أن كان ذلك كذلك ارتفعت أسعار الحبوب الى مالا نهاية له فبيع الصاع الواحد من البر وقتئذ بخمسة عشر ريالة،سكة الوقت، والصاع من الشعير بسبع ريالات ،ودام القحط

---

(1) رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص157.

(2) سعيدوني (ناصرالدين)، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية ...، المرجع السابق، ص100-101.

(3) الزياني (محمد بن يوسف)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران...، المصدر السابق، ص272.

(4) الزين (محمد)، المرجع السابق، ص131

(5) صالح (العنتري)، المصدر السابق، ص51.

والغلاء في الحبوب مدة سنة كاملة وهي سنة 19(يعني سنة1219هـ/1804م)..."ورغم تراجع الأسعار إلا أن حال الوطن لم يعتدل بعدها ولم يرجع الى أصله الا سنة 1808م على حد قوله.

مع العلم ان الأسعار كانت منخفضة قبل المجاعة بقوله"وقد كانت قيمة الزرع قبل تلك المجاعة والقحط مابين ريال وريال ونصف للصاع الواحد أي تضاعف لاكثر من سبع مرات على أصله"[1].

وقد تركت هذه الأزمة انطباعا على نفوس الساكنة بمختلف أصولها فقيل فيها[2]:

القمح يا باهي اللون من شبعتك لازيادة.

أنت قوت كل مسكين بك الصلاة والعبادة.

آمن سيبت بنات الحجبة والوسادة.

ومن قول اليهود مايلي:

شوفوا هذا العام الكبير والعباد منكدين.

ريت البرمة والكسكاس والبريق مسودين.

أَنغر علينا ها جبريل.

ويرى البعض أن أزمة الجوع متفاوتة بين المدينة والريف كما هي متفاوتة بين مختلف شرائح المجتمع، فالمدينة"تكون أكثر انعضاضا بالجوع من البوادي والقرى"، خاصة إذا ضعفت الإدارة غاب التنظيم في معالجة الأزمة ونقصت المخازن وانعدمت الوسائل في المدينة ، في حين كان لأصحاب البوادي مصادر أخرى لمعالجة الأزمة كالجني والقنص أو الصيد[3]، ومثل ما هو موجود هذا الإختلاف بين المناطق نجده موجود بين فئات المجتمع وشرائحه

---

[1] العنتري(صالح)، المصدر السابق، ص34.

[2] نفسه، ص43-44.

[3] رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص214

خاصة الضعفاء والفقراء منهم فهم أكثر ضررا ففي قسنطينة يذكر العنتري الذي أطلق مصطلح الشر[1] عليه في ذلك قوله:"فحصلت للناس شدة ومجاعة أشرف فيها الضعفاء على الهلاك"[2]، ويمكن للقارئ أن يدرج ضمن هذه الفئة الأطفال والمسنين لعدم طاقتهم بالجوع أو حتى الفقراء الذين لا مال لهم لأنه في الغالب يمكن الافتراض أن أصحاب المال كانوا أكثر حصانة من الجوع نظرا لما يدخرونه من مؤن وماهم من ممتلكات يلجأون لبيعها عندما تقتضي الحاجة لشراء قوتهم[3].

لقد أثرت هذه الأزمة على سلوك المجتمع "فالجوع قوة اجتماعية بوسعها أن تسلك بالجماعات البشرية مسالك غريبة وتجعلها تنساق على غير هدى إلى غايات مجهولة يحدوها الأمل الهادف في أن يكون هنالك وسيلة ما لاشباع الجوع القاتل الذي يعذبها"[4]، فقد وقفنا على بعض من تلك السلوكات التي أدت بالناس إلى أكل الميتة "حتى صاروا يقتاتون الدم والميتة وغير ذلك مما لايباح اقتياته"[5]، والبعض اختار أكل الجراد للحفاظ على حياته ففي الرحلة العياشية أورد صاحبها أن الركب وهو قادم من تونس أثناء عودته من الحج باتجاه الجزائر سرى عدد من الحجاج إلى الجراد ليلا "فأخذوا منه ما استعانوا به في زادهم تلك المدة،وكان الجراد في إبان ولادته بيوضا "[6]، لأن " أيام القحط، وغلاء الأسعار والخوف من الهلاك جوعا، تؤدي إلى تغيير طبائع المحتاجين للقوت من الفقراء ،فظهر الرجال والنساء في حالة حيوانية بدائية يأكلون أبنائهم، وذويهم والغرباء دفعا للموت جوعا"كما

---

[1] مصطلح عامي يطلق على الجوع يستعمل لغاية اليوم.

[2] صالح (العنتري)، المصدر السابق، ص 33.

[3] رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص217.

[4] البزاز (محمد الأمين)، تاريخ الأوبئة والمجاعات...، المرجع السابق، ص359.

[5] صالح (العنتري)، المصدر السابق، ص34.

[6] العياشي (أبو سالم عبدالله بن محمد)، لقط الفرائد من ماء الموائد، مختصر الرحلة العياشية 1661-1663م، المصدر السابق، ص278.

أشارت إليه الدراسات الحديثة[1]،ففي سنوات الجفاف وطولها وانتشار موجات الجراد أصبحت لحوم البشر تباع في أسواق الايالة على حد قول دو غرامون[2].

وفي المقابل انتشرت ظاهرة السطو والسرقة وقطع الطرقات وهي مظاهر تتجلى عقب كل مجاعة وتنتشر في أوساط المجتمع في حالات البؤس.

رابعا–اللصوصية وقطع الطرقات:

لقد انتشرت ظاهرة السطو على الممتلكات والسرقة وقطع الطرقات والفتك بالضحايا وهي مظاهر تتجلى عقب كل مجاعة وتنتشر في أوساط المجتمع في حالات البؤس[3]، خاصة عقب كل كارثة تحل بالمجتمعات ففي ظل غياب انفجارات اجتماعية شاملة يبرز شكل صامت من البؤس ينجم عنه تكاثر الفقراء والمشردين والتائهين وقطاع الطرق والمتسولين والمجانين و المتبطلين والأضواء التي يسطرها التاريخ على هؤلاء نادرة .

يمكن إرجاعها إلى حالة الركود الإقتصادي[4] .

ويرى البعض أن هذه الأفراد أو المجموعات التي تمارس هذا السلوك "النهب الصراح"تستغل القوة من أجل أن تحفظ لنفسها البقاء، أو تحسن من وضعها علما أن العنف بمختلف أنواعه يكون أمرا شائعا بين هذه الأفراد والمجموعات في زمن القحط[5]، وهو ماحدث في أوساط المجتمع الجزائري العثماني زمن الكوارث الطبيعية التي مسته وهذه النصوص تؤكد حقيقة ذلك فقد أدت الكوارث الطبيعية إلى انحراف المجتمع والقيام بأعمال السلب

---

[1] صالح (أشرف)، الكانيبالية في مصر خلال العصور الوسطى:دراسة تاريخية عن انحراف غريزة الغذاء(1200–1202م)، مجلة البحوث التاريخية، ع/02، الجزائر، جوان2017، ص ص106–117.

[2] Grammont, (H.-D. de), op.cit, p 278.

[3] البزاز(محمد الأمين)، تاريخ الأوبئة والمجاعات...، المرجع السابق، ص360.

[4] بروديل (فرناند)، المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب وايجاز مروان أبي سمرا، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993م، ص133.

[5] رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص222–223.

والنهب لتأمين حياته والنجاة من الجوع وهذا ماحدث في مدينة الجزائر على اثر الفيضانات التي ضربت المدينة عام م1579، حين قام سكانها باقتحام منازل أغنياء الأتراك وسرقة محلاتهم والإستيلاء عليها[1] .

وانعكست الأوضاع سلبا نظرا لما خلفته المجاعة بالمجتمع الجزائري فانتشرت بذلك ظاهرة اللصوصية وقطاع الطرق وغاب فيها الكسب الحلال ومن ذلك نورد مايلي:" وقد كان الحشم المعروفون لا يُؤتى من عندهم بالجاني ,ولا ينالهم من المخزن أكبر ضر حتَّى كثر فسادهم وقطعُهم الطريق ,وتراميهم على الطاعة ,وعدم توقيرهم للإمرة، وقلَّة مراعاتهم الشَّريعة، فخافهم القريبُ والبعيدُ وتعطَّلت من جهتهم السُّب، وتقاعد الأمراء عن غزوهم، ولم يكن لهم فيهم نكايةٌ أكبر من أن يظفروا بالواحد منهم والإثنين فيقتلونهم..."[2].

لقد انتشرت ظاهرة السرقة والتمرد في أوساط المجتمع بعد هذا الزلازل الذي أصاب العاصمة عام1716 الذي تصدى لها الداي بمعاقبة المذنبين[3].

كما اغتنم سكان مدينة وهران زلزال 1790م، الفرصة لممارسة النهب والسلب لبيوت الأثرياء منهم[4] ، واستغل اللصوص هذه الكارثة لسرقة منازل الأغنياء فزادوا بذلك من سوء الوضع[5]، وقد عبر عنها ابن سحنون بقوله:"والزلزلة تعتورهم مرة بعد مرة فيتزايد فزعهم ودورهم مع ذلك تتناثر مرة عقب أخرى حتى صاروا ولا يحوم حولها منهم إلا السرَّاق المختلسين فيموت أكثرهم ..."[6].

وفي المجاعات التي أصابت قسنطينة عام 1804م يذكر العنتري حالة الاضطراب والعصيان والنهب اواقع جراءها :"وفيها مات عثمان باي سنة 1219هـ/1804م/وتلفت خزائنه وكل ما احتوت عليه محلته من يزاق ومال

---

(1) DE HAEDÛ,(DON DIEGO), TOPOGRAPHIE ET HISTOIRE GÉNÉRALE D'ALGER , Traduit de l'espagnol par MM. Le Dr MONNBRau et A. berbrugger. In R.A.N15.Année1871, paris1871, p309.

(2) الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون ، المصدر السابق، ص146.

(3) سبنسر(وليام)، المصدر السابق، ص59.

(4) بوعزيز(يحي)، مدينة وهران عبر التاريخ، ط2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص62.

(5) Grammont, (H.-D. de), op.cit, p343.

(6) لراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، المصدر السابق، ص220.

ونحو ذلك ، وهاته الواقعة مشهورة بوادي زهور وجلبناها هنا لأنها أحد الأسباب التي نشأت عنها المجاعة وقلة الحبوب من كثرة الهول واضطراب الرعية بموت الباي وتشتيت أهل محلته فان أهل الأعراش قاموا على بعضهم بعضا بالنهب والفساد ومن أجل ذلك الاضطراب انعدمت الحراثة في تلك السنة أيضا في جهات كثيرة وانفقدت حبوب الزرع بقيام ذلك الهول وعز إحراجها وقل من يأتي بها للأسواق مخافة الطرقات وقتئذ."[1]، بالرغم من المجهودات التي بذلتها السلطة للوقاية من هذه الكوارث ومخاطرها، فقد كلف القبابجة أيضا بالوقوف على حفظ خبزها لئلا يقع النهب فيه هذا ماكان من أمر الباي زمان الشر والقحط"، كما عمل البايات على تأخير جمع الضرائب دون تركها إلى غاية تيسر حالة الرعية :"وقد قيل إن بعض البايات كان لا يترك المطلب المذهبي رأسا وإنما يتربص بطلبه إلى وقت تيسيير حال المصابين فيأخذه منهم وهذا أقرب بالنظر لضعف ذلك المخزن "، كما يحسب على السلطة في بايلك الشرق عدم فتح مخازن البايليك، والتصدق على الضعفاء بشئ من الحبوب أو منح قروض من مال الخزينة لأعانت أنفسهم مما أصابهم، في حين يفسر البعض ذلك بفراغ الخزينة من الصرف في الأوقات التي صادفتها المجاعة حتى قيل في ذلك الوقت أن الراعي الأصلح هو الذي يجبر كسر الرعية ومادون ذلك فلا[2].

وما تجدر الإشارة إليه إلى أن هذه الظاهرة الاجتماعية انتشرت في بلاد المغارب خاصة في المحطات التي كانت تعتبر مناطق عبور لجموع القوافل التجارية أو مواكب الحج الآتية من المغرب باتجاه المشرق لتأدية فريضة الحج،مرورا بالجزائر إلى تونس وطرابلس الغرب وصولا إلى مكة المكرمة، وقد تناقلت لنا كتب الرحلة بمختلف أنواعها باعتبارها مصدر من المصادر المحلية معلومات قيمة حول هذه الظاهرة فكانت بذلك شهادات حية خصوصا إذا علمنا أنها كانت بلسان وقلم مغاربي عن أحداث تاريخية شهدتها هذه الأقطار، لذلك حاولنا تسليط الضوء على هذه الظاهرة الاجتماعية التي شهدتها بلاد المغارب بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة خلال القرنين السابع عشر

---

[1] صالح (العنتري)، المصدر السابق، ص33.

[2] نفسه، ص41-43.

والثامن عشر الميلاديين (18/17م) وذلك من خلال قراءة للمصادر المحلية التي تضمنت مادة علمية دسمة حفظتها لنا كتب الرحالة .

لقد كانت الجزائر من ضمن الدول المغاربية شهدت ظاهرة اللصوصية أو قطاع الطرق خلال الفترة العثمانية هذه الظاهرة في تجارتها التي تحدث عنها الكثير من الرحالة الذين لم يسلم ركبهم منها حتى انه تم الحديث عنها بإيسهاب علما أن هذه الظاهرة لم تكن جديدة في البلدان المغاربية خلال القرنين(18/17م)، وتواصلت حتى دخول بلاد المغارب تحت الهيمنة الاستعمارية القرن 19م[1]، وإذا ما تتبعنا ظاهرة اللصوصية في الطرق بين ايالة الجزائر والبلدان المتاخمة لها(تونس والمغرب الأقصى) فهي تعود الى القرن السادس عشر ميلادي(16م)، حسب ماأكده لنا الحسن الوزان في وصفه للطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان قائلا:"قلّما ينجو التجار من شرهم لاسيما في فصل الشتاء"[2]، وحتى ركب الحجاج لم يسلم من ذلك رغم القدسية والهيبة التي يحملها، فقد ورد في رحلة أبي مدين الدرعي الحجازية لأحمد السوسي وصفه لمحطة فجيج كمحطة من محطات الطريق بأن الحجاج كثيرا ، ما يتعرضون للصوصية في الطريق قائلا:"وهذه أول بلاد اللصوص، لما صلينا العشاء تداعت علينا اللصوص تداعي الذئاب وتختطف اختطاف الثعالب، فلم نزل معهم بالبارود والصياح إلى الصباح، وما رأينا قبلهم أقل حياء وأجسر منهم..."[3] ، حتى أن هذه الظاهرة تثير الرعب في أوساط الحجاج قول العياشي في ذلك"حصلت للركب روعة لخبر أخبروه أن بإزائهم قوم من العرب يريدون الإغارة، فشمر الناس للقتال، وأخرجوا

---

[1] الأرشيف الوطني، قسم السلسلة التاريخية ، الحافظة 212، الملف 237، تاريخ1856-1868م، الوثائق15-2-6-17-29، (وقد أشار الباحث حماش خليفة الى هذه الوثائق وما تضمنته في كتابه:كشاف تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي، منشورات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية- قسنطينة،سلسلة أدوات البحث والبيبليوغرافيا،2013 ،ص ص117-131، مراسلة من حاكم باتنة بالجزائر، يوضح فيها تعرض قافلة خرجت من تونس قادمة الى الجزائر وتعرضها للاغارة ،مع قيمة الخسائر البشرية والمادية لذلك.

[2] الوزان الزياني (الحسن بن محمد المدعو ليون الافريقي، ت 1548م)، وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الاخضر، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983.ج2، ص11.

[3] القاضي (محمد)، رحلة أبي مدين الدرعي الحجارية لأحمد الصغير السوسي، مجلةالتاريخ العربي، الامارات العربية، ع2010/51، ص51.

عدتهم للحرب، وهيئوا آلة حربهم فلم يلقوا كيدا، وتبين بعد ذلك أن الخبر لا أصل له"[1]، وفي الرحلة الناصرية وصف صاحبها الدرعي محطة أم الحران في طريقه إلى الجزائر بقوله:"والمحل معلوم بالسرقة و الإختلاس"[2].

ومن الجزائر إلى تونس لم تسلم القوافل أيضا من ذلك، بل تفاقمت أكثر كونها مناطق عبور خاصة لقوافل الحجيج، وقد مارست هذه الظاهرة بأكثر خاصة في المناطق الصحراوية اذ كانت تجارتها تعترضها هجمات اللصوص، وقطاع الطرق سواءا كانوا من البدو الرحل، أو الطوارق الملثمين[3]، أو مجموعة من القبائل التي تتزعم الصحاري كقبيلة ورغمة التي كانت تقوم بأعمال قطع الطريق على الأراضي التونسية[4].

وقد اشتهرت بعض المحطات بهذه الظاهرة خاصة توزر التي ورد ذكرها في العديد من نصوص الرحلة فقد وصفها الدرعي بقوله"وتوزر فإنها أكثر بلاد الله سرقة"[5]، أما الورثيلاني فعبر عن ذلك إلى حد التنبيه بقوله:"وتوزر وقابس محطة الخطفة، بل توزر أعظم فكل من غفل عن حاجة في يده إلا خطفوها فإياك والغفلة فيها....."[6].

آما فيما يخص الرحلات الحجازية المغربية فقد وردت فيها نصوص تؤكد خطورة الطريق جراء انعدام الأمن، فقد امتاز الرحالون بمعرفة الطرق معرفة شاملة بما تحتويه عليه من ظواهر طبيعية واجتماعية فدونوا مراحلها تدوينا يحتوي على جميع المعلومات المفيدة للمسافر فكانت بمثابة دليل أو خريطة تصويرية من منطقة الانطلاق إلى الوصول لبلاد الحرمين الشريفين خاصة على الطريق البري باعتبار الجزائر على هذه الطرق سواءا الطريق الشمالية

---

[1] العياشي (أبو سالم عبدالله بن محمد)، الرحلة العياشية، المصدر السابق، مج1، ص 112.

[2] حساني (مختار)، الأحوال الثقافية والسياسية للجنوب الجزائري من خلال رحلة الدرعي، ضمن أعمال طريق القوافل، المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ ، الجزائر،2001، ص28.

[3] بوعزيز(يحي)، طرق القوافل والأسواق التجارية كما وجدها الأوربيون بالصحراء الكبرى، خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة، الجزائر، ع1980/59، ص132.

[4] الأغواطي، رحلة الاغواطي الحاج ابن الدين في شمال افريقيا والسودان و الدرعية، ترجمة و تحقيق أبو القاسم سع الله ،طبعة خاصة، الجزائر، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011 .ص102.

[5] الدرعي (أحمد بن محمد،ت 1129هـ)، الرحلة الناصرية 1709 -1710م، تحقيق عبد الحفيظ مملوكي، الإمارات العربية، دار السويدي للنشر والتوزيع ، 2011.ج1، ص54-55.

[6] الورثيلاني (الحسن بن محمد، ت1193-1194 هـ/1779-1780م)، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثيلانية)، الجزائر، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، 1908.مج1، ص128.

التلية من فاس إلى تلمسان إلى الجزائر ثم قسنطينة وتونس إلى أن تتصل بالطريق الساحلية أو الطريق الجنوبي أو ما يطلق عليه باسم طريق الواحات المغربية، الجزائرية والتونسية مرورا بفكيك وتوات و ورقلة والزاب والجريد وقابس إلى طرابلس[1] .

حتى إن بعض المواضع كان لها وقع إعلامي عند الحجاج فكانت معروفة لديهم بأعمال النهب والسرقة ونورد من ذلك أمثلة مقتطفة ونصوص من بعض الرحلات حول ايالة الجزائر مايلي:

رحلة أحمد الهشتوكي[2]، خلال القرن السابع عشر(17م)، في حديثه عن بسكرة بإعتبارها مقاطعة في بايلك الشرق بقوله"نسأله تعالى ان يحفظ إبلنا ويحفظ ركبنا من السرقة فإنها هنا ببسكرة كثيرة"وأما عن سيدي خالد فيضيف بقوله "وأما أهل وادي نبي الله خالد على نبينا وعليه السلام فقد كثرت السرقة بينهم على عادتهم خصوصا أعراب السلالمة لا سلمهم الله"[3].

أما عن الرحلة الحجازية للحضيكي خلال القرن 18م فقد ورد فيها اسم لمحطة سيدي خالد ،فبعد أن سار الركب غير بعيد فذا بمجموعة متسلحة تركض نحو الركب وتأهب الناس لقتالهم فرجعوا خاسئين صاغرين على حد قول الرحالة[4].

لطالما كانت سوء الظروف والأحوال الإجتماعية والإقتصادية الأسباب الأولى التي توضع في المقدمة لتفسير هذه الظاهرة فقد مرت الجزائر خلال العهد العثماني بعدة أزمات خلفت عدت أثار كمثل هذه الظاهرة، فقد أدى غلاء الأسعار إلى استفحالها وارتفعت ارتفاعا فاحشا حتى بيع الصاع الواحد من الحبوب بخمسة عشر ريالا من

---

[1] ماكامان (محمد)، الرحلات المغربية ق 11-12هـ/17-18م، ط1، مطبعة الأمنية، الرباط، 2014، ص146.

[2] أحمد بن محمد بن داود الجزولي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 147 ورقة36.

[3] ماكامان (محمد)، المرجع السابق، ص151.

[4] الحضيكي (ابي عبد الله محمد بن أحمد)، الرحلة الحجازية ، ضبط وتعليق عبد العالي لمدبر، الرباط (المغرب)، مركز الدراسات و الأبحاث و احياء التراث، 2011،ص85.

سكة ذلك الوقت لقلتها في الأسواق[1]، خاصة القمح حتى تغنى به الناس في قصائدهم بقولهم[2]:

القمح يا باهي اللون من شبعتك لازيادة.
أنت قوت كل مسكين بك الصلاة والعبادة.

ذلك من جملة العوامل التي أدت إلى انحراف الأهالي و إقدامهم على ارتكاب الجرائم والسرقات واستمروا على هذا الحال زمن الكوارث ،"فالجائعون تحولوا إلى لصوص وقطاع الطرق للنهب والسرقة."[3]،حتى أدى بالسلطات الى التبليغ عنهم في مرسلاتهم الى والي الجزائر بل و الى سجنهم ونفيهم خارج البلد مثل ما أورده والي تلمسان في رسالته[4].

ويؤكد العياشي ذلك أثناء عودته من رحلته الى البقاع المقدسة أثناء مروره بالجزائر بموضع سيدي خالد بالجنوب الجزائري قوله :"ونزلنا ظهرا بالمكان المسمى بالدويسة بينه وبين أولاد جلال نحو فرسخ، وهناك تحقق الناس أمر العرب وأنهم معترضون للركب قاصدون أخذه معهم نحو ثلاثمائة فارس، وأنهم ارتحلوا بحللهم ونزلوا بأعلى واد سيدي خالد على حافتي الطريق ،ومرادهم اذا توسطهم الركب وثبوا عليه رجالا ونساء وصبيانا، وأخبرنا أهل البلد أنهم في غاية مايكون من الجوع ،وقالوا لنا لاطاقة لكم بهم ،ولو قاتلتموهم وقتلتم ما عسى أن تقتلوه فأن ذلك لا يردعهم عنكم، **لشدة جوعهم**......"[5]، من هذا النص يتبين لنا خطورة الطريق وتعرض ركب الحجاج لهجمات

---

[1] صالح (العنتري)، المصدر السابق، ص13.

[2] نفسه، ص43.

[3] L'Abbé Burzet,Histoire des désastres de l'Algérie, 1866-1867-1868, Sauterelles, Tremblement De Terre, Choléra, Famine, p70-71.

[4] راجع: المجموعة رقم: 3190، الملف الثاني، الرسالة15، أغلبها عبارة عن مراسلات وصلت الى باشوات الجزائر من الباب العالي ومن وكلائهم في عدد مدن الدولة العثمانية وتغطي الفترة الزمنية 1748–1830م،نقلا عن حماش (خليفة):كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية ، المرجع السابق، 2010، ص167.

[5] العياشي (أبو سالم عبدالله بن محمد)، لقط الفرائد من ماء الموائد، مختصر الرحلة العياشية...، المصدر السابق، ص283.

اللصوص وقطاع الطرق وما أكثرهم مما حتم عليهم التهيأ للتصدي لهذه الأخطار عن طريق مجموعة من الإجراءات[1].

أما فيما يخص الإجراءات المتخذة للتصدي لمخاطر الطريق فقد كان الأمن في الطرق من بين الأمور المحسوب لها من طرف التجار لذا فقد كانوا دوما يتخذون مجموعة من الاحتياطات والتدابير اللازمة التي يواجهون بها أي خطر أو طارئ قد يحدق بهم وبأملاكهم ومن ذلك إسناد مهمة لحراسة القوافل وتأمينها إلى القبائل ذات النفوذ، وأهم هذه القبائل قبيلة الشعامبة في الجنوب الجزائري[2]،يقوم تجار القوافل بتزويد قوافلهم بالسلاح، من أجل الدفاع عن أموالهم، والتصدي لهجمات اللصوص [3]، فقد ذكر العياشي في الركب المرافق له أنه"...شمر الناس للقتال، وأخرجوا عدتهم، وهيئووا آلة حربهم..." [4].

إضافة إلى تزويد القوافل بالحراس وعادة ما تكون أصول هؤلاء مختلفة الانتماءات القبلية لتكثر عصبيتهم تكون مهمتها حماية القوافل[5]، وتنظيم استعلامات مهمتها إعلام القوافل بأي خطر مسبق للاحتياط، أو الاستعداد للمواجهة، خاصة على الطرق الصحراوية، وقد أطلق عليها إسم شرطة الصحراء[6].

وان اشتد الخطر فإن القافلة تقوم في بعض الأحيان بتغيير الطريق إلى مسلك ثاني إن وجد أو التوقف ريثما زال الخطر كحل لتفادي قطاع الطرق .

---

(1) ينظر:الإدريسي (الفقيه)، ركب الحاج المغربي بين إكراهات المجال وجاذبية المقامات المقدسة من خلال رحلة"ماء الموائد"لأبي سالم العياشي، ضمن أعمال الندوة العلمية المنعقدة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال في موضوع: ركب الحاج المغربي والتواصل الروحي والحضاري بين المغرب والمشرق، تنظيم مجموعة الدراسات والأبحاث في العلاقات المغربية المشرقية بتاريخ 29-30 مايو2013، ص237.

(2) Carette, du commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale et les états barbaresques, Paris, 1844, p25.

(3) المدني(محمد)، الطريق من طرابلس الى فزان، مجلة البحوث التاريخية، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، ع1/جانفي1979، ص99.

(4) بوعزيز (يحي)، طرق القوافل والأسواق...، المرجع السابق، ص133.

(5) الرحلة العياشية ، المصدر السابق، مج1، ص 112.

(6) الزبيري (محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين 1792-1830، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص112-113؛ بوعزيز، المرجع السابق، ص133.

لقد كانت هذه من بين الإجراءات المتخذة من طرف التجار لحماية قوافلهم، إلا أنها لم تكن في مأمن تام من اللصوصية وقطاع الطرق، كما أن تكاليف الحماية من دفع مبالغ للحراس أو لقبائل الطريق كانت على عاتق التجار، فكلما زادت نقصت فوائد الربح فقد كان عامل الأمن أكبر هاجس للتجار لما ينتج عنه من انعكاسات، وقد أكد ذلك ابن خلدون بقوله: "أن حدوث العدوان على الناس في أموالهم يذهب الآمال، والتحصيل والإكتساب لما يرون أن غايتها ومصيرها(مصير الأموال)، انتهى من أيديهم وبالتالي كان السعي وراءها مستحيل[1] .

مما سبق نستنتج أن ظاهرة اللصوصية من أكثر الظواهر الاجتماعية انتشارا خلال القرن السابع والثامن عشر للميلاد بالجزائر بغض النظر عن اختلاف أسبابها، حتى نالت نصيبها الوافر من الذكر في المصادر المحلية وبالأخص كتب الرحلة الحجازية منها ،أضف إلى ذلك ما أوردته الوثائق الأرشيفية عنها، لذا وجب التطرق إلى مثل هذه الظواهر للكشف عن جانب مهم ساد تاريخ المجتمعات المغاربية بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة خلال العهد العثماني الذي واجهته اكراهات ومشاق لم تكن ناتجة فقط عن أخطار الطبيعية ومتغيرات المناخ بل كانت تقف في وجهه موانع وتحديات أخرى أكثر تهديا لأمنه [2].

وفي المقابل أدت بعض الكوارث الطبيعية بالسكان الى الإقدام على بيع ممتلكاتهم منها العقارات وهذا تحت تأثير الحاجة إلى النقود وتلبيه حاجياتهم المختلفة، وقد لاحظ صالح العنتري في مؤلفه مجاعات دور اليهود الذين استولوا في هذه الأزمات على أملاك المسلمين عن طريق عقود ربوية واستمر الحال على شاكلته حتى مع بدايات

---

[1] ابن خلدون (عبد الرحمن) ،تاريخ ابن خلدون (العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) ،طبعة مصححة اعتنى بها أبوصيب الكرمي، الرياض (السعودية)، بيت الافكار الدولي، ص144.

[2] الإدريسي(الفقيه)، المرجع السابق، ص251.

الإحتلال الفرنسي فأعطى مثالا على ذلك بشرا اليهود لمنازل تساوي عشرة ألاف فرنك بمائة فرنك لا غير، في كان الصناع والحرفيون أكثر المتضررين و يجابهون هذا القحط بالصبر والتحمل[1].

واضطر سكان الأرياف الهجرة نحو المدن جراء القحط "....فحصلت للناس شدة ومجاعة قد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك خصوصا بعض نواحي القبلة فإنهم تشتتوا عن منازلهم وتفرقوا بسبب الهول الواقع في وطنهم مع الشر والمصائب التي حلت به من قبل من يبس الزرع،وعدم الحرث، ونزول القحط والفتن إلى غير ذلك مما غير ذلك مما تقدم ذكره.." [2].

لقد كان استغلال اليهود للازمات من أجل تنمية أرباحهم وهذا ما حدث خلال سنوات 1868و1869م إذا قاموا بتنمية ثرواتهم من خلال القروض الربوية التي كانوا يقدمونها للمتضررين من المجاعات بأرباح وصلت إلى مائة بالمائة في مدة جد قصيرة مما ساهم في فقدان الكثير من أملاك الجزائريين وتحول بعضهم إلى خماسة[3] .

لأنه وبلا شك أن الأزمات الطويلة والمتكررة تنعكس على الساكنة إلى مستوى متدن جدا[4].

---

(1) العنتري (صالح)، المصدر السابق، ص16.

(2) نفسه، ص33.

(3) بوعزيز(يحي)، المجاعة بالجزائر أواخر عقد الستينات من القرن التاسع عشر ومواقف وآراء الجزائريين من ادعاءات الفرنسيين حول أسبابها، مجلة الأصالة، العدد 26-40، قسنطينة، 1976 ، ص12.

(4) رونبرجي (برنار)،التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص233.

خامسا–أزمة الخوف (الحالة النفسية زمن الكارثة):

لا شك أن الظهور المفاجئ لكثرة الموت وبروز أعراض الوباء على المصابين وارتفاع أعداد الجنائز الخارجة يوميا وسط المدن والأرياف يخلف حالة من الرعب والفزع والهلع في وسط الساكنة ، حيث "يسود جو من انعدام الأمان، وتفقد الحياة إيقاعها اليومي المألوف" لتحدث الكارثة مهما كان نوعها خلخلة عميقة في النفوس إيذانا بقرب نهايتها [1]، فاستقرار الوباء أثر على سلوك الناس، فالخوف من الموت، وتأكد زيف الحياة الدنيا، والإعتقاد بأن الوباء هو عقاب الهي،كلها عوامل دفعت بالناس إلى التفكير في خلاصهم[2].

ففي زلزال وهران 1790 يذكر ابن سحنون في حديثة عن الأسبان الذي نعتهم بالكفرة أو النصارى أنه "سقطت الدور على أهلها، فخرج الأحياء منهم مابين جريح وكسير وأكثرهم عاري العورة لا يستره شئ، فاجتمعوا ببراح متسع في وسط المدينة رجالا ونساء عراة حفاة لايعقل أحدهم جليسه من الدهش، وقد مات أميرهم و أهله، فلما أصبحوا سلموا في الدور ومافيها، وخرجوا جياعا إلى الفضاء الذي بين الأبراج حيث لا بناء يخافون من سقوطه، فبقوا هنالك حيارى من الفزع ،والزلزلة تعتورهم مرة فيتزايد فزعهم..."[3].

لقد خلف هذا المشهد حالة من الرعب والخوف في نفوس الساكنة على إثر الدمار والحطام الذي خلفه هذا الزلازل، كما أثارت المناطق الموبؤة حالة من الذعر والخوف سواء في ساكنتها خشية العدوى فعودت وباء الطاعون في الجزائر بقوة بداية من سنة1620 م، لينتشر بشكل واسع بالأرياف والحواضر خلف حالات من الرعب والخوف على نفوس سكان الايالة[4]. أو على المارين بها ونخص الحديث حول ركب الحجاج المغاربة إذ شكل هاجس الخوف من الأمراض والأوبئة الفتاكة وعلى رأسها الطاعون الذي ترك أثرا عميقا في نفوسهم لأنهم

---

[1] الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص138.

[2] فتحة (محمد)، المرجع السابق، ص97.

[3] الراشدي (ابن سحنون)، المصدر السابق، ص220.

[4] القشاعي (فلة)، الصحة والسكان...، المرجع السابق، ص95.

يدركون إما معاينة أو رواية حجم الأثار المدمرة التي خلفتها بعض الطواعين[1] ،لقد كانت حيرة الحجاج ومخاوفهم من الإصابة بعدوى الوباء تزداد أكثر فأكثر حينما تتوارد أخبار انتشاره في بعض المضارب والمنازل التي يمر بها الركب وقد زاد من سوء الوضع افتقاره للوعي الصحي الكاف الذي يسمح له بتجنب الإصابة بالوباء في المناطق الموبؤة ومنع انتشاره في أوساط الحجيج [2]، وقد نقل العياشي في رحلته صورا ومشاهد حية تعكس بصدق الأجواء النفسية التي كانت تخيم على الحجاج عندما عاد من البقاع المقدسة 1663م،مارا بموضع الخنقة الذي طرق الوباء أبوابها وقد تلقى أسئلة من أهلها الذين كانوا في حيرة من أمر الوباء خشية العدوى قوله :" ومن جملة ما سألونا عنه أنا وجدناهم متحيريين من أمرهم لطروق الوباء في نواحيهم، وتخوفوا أن يدهمهم في بلدهم وعزموا على الفرار.."، وأثناء مواصلته الطريق راجعا إلى الديار يمتنع ركب الحج من الدخول إلى موضع سيدي عقبة الذي كان من بين المزارات التي يقف عليها الحجاج لانتشار الوباء به:"وفي الغد جئنا لبلد سيدي عقبة وتحققنا الوباء فيه وفي البلاد التي في أطرافه وفي بسكرة ، ولم ندخل لزيارته وبتنا بينه وبين بسكرة...وقد عاقنا الوباء من دخوله هذه المرة وزرناه من خارج"، كما امتنع الركب لدخول بسكرة لنفس السبب "ونزلنا بسكرة ضحى يوم الاثنين ، وكان نزولنا خارج البلد من غربيه لأجل الوباء"[3]، وقد زاد من ذعر الحجاج الأعداد الكبيرة التي حصدها الوباء "وكان وباءا مفرطا مات به في بسكرة على ما قيل نحو سبعين ألف نفس"[4]، وقد منع الركب في بعض الأماكن من الدخول مثل ماحدث في الأغواط خشية انتقال العدوى :" ونزلنا الأغواط...وكان في الركب أعراب فقالوا لأهل البلدان :في الركب وباء فلم يتركو أحدا يدخل إليهم..." ، وقد كان التعامل بحذر شديد مخافة العدوى مع الركب الذي يحمل الوباء أو يشتبه فيه ذلك"وكانوا يدلون الزرع من فوق السور ويأخذون الريال ويغسلونه ولا

---

(1) الإدريسي (الفقيه)، المرجع السابق، ص263.

(2) نفسه، ص264.

(3) الرحلة العياشية ، مج2، ص538-539.

(4) نفسه، ص540.

يتناولونه إلا بعد الغسل، والله تبارك وتعالى يكتب السلامة والعافية آمين"[1]، لكن كان هذا الأسلوب كإجراء وقائي لمنع انتقال الوباء والاحتراز منه من قبل ساكنة الأغواط.

وفي بايلك الشرق أدى زوال الوباء إلى إضفاء حالة من الارتياح والطمأنينية بسبب زواله من مدينة قسنطينة عام1787م، ففي رسالة بعث بها صالح باي إلى وكيل الباستيون عام 1787م،يطلب فيها قدوم الطبيب الفرنسي من القالة إلى قسنطينة يخبره فيها بعدم إبداء أي تخوف من الوباء الذي حل بالمدينة لأنه توقف انتشاره[2].

كما ولّدت طول فترات الجفاف حالة من عدم اطمئنان للنفوس خاصة بالنسبة للفلاحين "...فتبين بذلك واتضح أن سبب دوام القحط والشر على بلد قسنطينة ووطنها مدة ثلاثة أعوام مركب من أمرين أحدهما نزول الجائحة والقحط في السنة، وبقي السنتين اللتين بعدهما.

والثاني هو أعظمها وهو ترادف الأفتان والأهوال التي لم تطمئن نفوس الناس للحراثة معها ، وصار الناس يسمون تلك المجاعة بعام الخمسطاس(أي 15)أعنى كون الزرع يباع بتلك القيمة المتقدمة فيه والبعض يسمي تللك المجاعة باسم عبدالله باي لوقوعها في زمانه، والحق أن ابتداءها في زمن ولاية عثمان باي وامتدت بعدهاكما قدمناه..."[3]، **فالخوف من الجفاف يعني الخوف من الجوع** الذي يرتبط بالجفاف الذي أصاب الحرث فقد" كانت عمليات البذر تتم عادة في فصل الخريف مع سقوط الأمطار الأولى التي ترطب الأرض وتسمح بمرور المحراث البسيط وتنبت البذرة وتطلع العشب الذي تحتاجه القطعان، فاذا تأخر المطر صار القلق والوجوم يخيمان على البوادي والمدن على حد السواء **وارتفعت الأسعار**، ويسير ارتفاعها في تفاحش بمرور

---

[1] الرحلة العياشية ، مج2، ص 546.

[2] المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة رقم1641، الرسالة 84.

[3] العنتري(صالح)، المصدر السابق، ص39-40.

الأسابيع ، وقد يكون سببا في حدوث بعض القلاقل"[1]، مما يؤدي إلى ارتفاع أسعار الغذاء: " والحاصل بعد أن كان ذلك كذلك ارتفعت أسعار الحبوب إلى مالا نهاية له فبيع الصاع الواحد من البر وقتئذ بخمسة عشر ريالة،سكة الوقت ،والصاع من الشعير بسبع ريالات ،ودام القحط والغلاء في الحبوب مدة سنة كاملة وهي سنة 19(يعني سنة1219هـ/1804م)..."ورغم تراجع الأسعار إلا أن حال الوطن لم يعتدل بعدها ولم يرجع الى أصله إلا سنة 1808م على حد قوله، وقد تركت هذه الأزمة انطباعا على نفوس الساكنة بمختلف أصولها فقيل فيها[2]:

القمح يا باهي اللون من شبعتك لازيادة.
أنت قوت كل مسكين بك الصلاة والعبادة.

كما كان لتزامن ظهور الكوليرا بالجزائر عام1833 م، مع توسع القوات الفرنسية لأثر العميق في تعميق الشعور بأن التقاء المصيبتين في آن واحد هو من علامات الفناء،حتى فضل البعض من السكان الموت بالوباء على الخضوع للاحتلال "يود أهل الواسطة لو يموت منهم كل يوم كذا وكذا وهم تحت راية الإسلام ، ولَمَا عاشوا أصحاء وهم تحت أحكام عبدة الأصنام ...."[3].

مما سبق نستنتج أن هذه النصوص والشهادات تؤكد الأثر العميق الذي حفرته الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها إبان العهد العثماني ، بدءا بالوفيات التى خلفتها كل كارثة عند مرورها الى تضرر الفئات الهشة من المجتمع التي زاد حالها سوءا خلال هذه الأزمات الى حدوث خلخلة عميقة في نفوس المجتمع الجزائري العثماني من خوف وجوع وغلاء في الأسعار الى ممارسة سلوكات جديدة من طرف فئاته كالنهب واللصوصية وقطع للطريق لتأمين حياته الى اختيار البعض للهجرة والفرار سواءا بطريقة ارادية أو قصرية هروبا من آثارها الى غاية مروره المسغبة والوباء والجفاف وغيرها فتنخفض الوفيات وتعود الحياة الى طابعها المألوف، وفي المقابل يؤثر هذا الوضع بشكل سلبي في حالة الإنحصار الإقتصادي بمختلف أنشطته وهوماسنتطرق إإليه في المبحث التالي.

---

(1) رونبرجي (برنار)،التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص157.
(2) العنتري (صالح)، المصدر السابق، ص43-44.
(3) الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص140.

المبحث الثاني: جوانب من أثار الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية.

كان من شأن توالي صدمات الكوارث الطبيعية أن تترك آثارها المباشرة على سير الحياة الاقتصادية، في ظل نظام اقتصادي قائم على الكفاف حيث يسود النشاط الفلاحي ، تتضرر مختلف قوى الإنتاج المحركة للديناميكية الاقتصادية مما يؤثر على وتيرة الإنتاج التي ستميل حتما إلى الركود والتراجع [1]سواء على المستوى الداخلي وذلك بتضرر اليد العاملة بسبب الوباء و المحاصيل الزراعية بسبب الجفاف الذي يعقبه تراجع رهيب في الثروة الحيوانية وغلاء في الأسعار لتصبح الأسواق فضاءا اقتصاديا مهددا بهذه الكوارث ، أو على المستوى الخارجي القائم خاصة على النشاط التجاري للإيالة بمختلف الإتجاهات خاصة زمن الوباء اذ تصبح التجارة رهينة له مما ينعكس عليها بالسلب ، وهذا الموضوع يطرح عدة تساؤلات :ماهي الأضرار التي لحقت بهياكل الإنتاج الفلاحي والنشاط الحرفي القائم ؟ وماهو تأثير الأوبئة على التجارة الخارجية للجزائر العثمانية البينية مع مختلف الدول المجاورة والمتوسطية ؟

أولا–النشاط الفلاحي:

- **الهياكل الإنتاجية:**

"بامتصاصها الفلاحين من الأرض، وإتلافها التجهيزات، أدت هذه الكوارث الطبيعية المتكررة إلى تخريب شروط أي تطور أو تراكم في الخبرات والمهارات،وحكمت بالتالي على الهياكل الإنتاجية بالثبات والركود"[2].

1–اليد العاملة: لقد شكلت ندرة اليد العاملة أولى التجليات المباشرة للكوارث الطبيعية منها الأوبئة [3]، فقد شكلت الهجرة و الفرار إحدى السلوكيات التي ميزت المجتمع الجزائري العثماني التي تخللت فترة الكوارث الطبيعية، وهي من بين ردود الأفعال الأولية الناتجة عن الآثار الاجتماعية لهذه الكوارث، "فقد كان لإفراغ المناطق الموبؤة من

(1) الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص166.

(2) البزاز (محمد الأمين)، تاريخ الأوبئة والمجاعات ...، المرجع السابق، ص126.

(3) الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص166.

ساكنتها خلال فترات الأوبئة إما هروبا من الوباء أو بسبب الهلاك آثارا عميقة في تجديد الطاقات البشرية لبعض المدن وإحداث تحولات في المكونات البشرية لمناطق أخرى"[1]، على أساس أن البعد الديمغرافي لظاهرة الهجرة باعتبارها سلوك بشري يمارسه الإنسان وذلك بتغيير مكان الاستقرار الاعتيادي إلى مكان أخر[2]، فتشتت وهلاك الكثير من السكان وبالتالي تراجع نسبة الكثافة السكانية للمدن أدى إلى بقاء مساحات كبيرة دون استغلال وتحولت جزئيات كبيرة من الأملاك إلى أوقاف وتراجعت أعداد البساتين[3] ،وبقيت بعض الأراضي دون حرث[4]، وتدل هذه الأوصاف كما يؤكده الباحث البزاز على وجود فراغ بشري كبير وانكماش للرقعة الزراعية وتعلل هذه الظاهرة في هذه الفترة بالذات (القرن الثامن عشر) بما عرفه من مجاعات و أوبئة وما يتبعها حتما من نقص للسكان ، وندرة للسواعد البشرية اللازمة لخدمة الأرض[5] لقد تركت تلكك الهجرة أثار سلبية على النشاط الريفي فالهجرة والهروب من الوباء جعل بعض المحاصيل من دون حصاد لقلة اليد العاملة، كما أصبحت البذور منعدمة[6]، وبالتالي كان لصحة السكان تأثير واضح على الأوضاع الاقتصادية في جميع المناطق، فالسالمون من الأوبئة والمجاعات ،يستطعون تأمين الجوع وطرد شبح الفقر في جميع القطاعات التي تخضع بالدرجة الأولى إلى سلامة السواعد المنتجة[7].

2-المحاصيل الزراعية: أثرت الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها سلبيا على الإنتاج الفلاحي وفي مقدمتها الطاعون وضرباته المتكررة ففي سنة 1702م، تسبب هذا الوباء في إهمال الزراعة وترك مساحات واسعة دون

---

[1] الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص163.

[2] بوالهوشات (نجاح)، المرجع السابق، ص 147-148.

[3] سعيدوني (ناصر الدين)، فحص مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص93.

[4] العنتري (صالح)، المصدر السابق، ص33.

[5] البزاز (محمد الأمين)، تاريخ الأوبئة والمجاعات ...، المرجع السابق، ص29.

[6]Lucette(Valensi), Calamités démographiques en Tunisie et en Méditerranée orientale aux XVIIIe et XIXe siècle. In: Annales Economies, sociétés, civilisations. 24 années, N. 6, 1969. p 1548.

[7] الزبيري (محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ...، المرجع السابق، ص49.

حرث اتبعها مجاعة مرعبة[1]، لقد شهدت بعض المدن الجزائرية تردي الأوضاع الإقتصادية أواخر القرن 18م نتيجة عدة عوامل كان أبرزها الكوارث الطبيعية المدمرة والأوبئة الفتاكة التي تسببت في إفقار فحص مدينة الجزائر أهمها:زحف الجراد 1722-1794، اشتداد الجفاف 1800-1804، وحدوث الزلازل المدمرة سنوات 1716،1717،1755، فكانت نتيجة ذلك اشتداد الضائقة الإقتصادية، وغلاء في الأسعار، وشح في الأقوات، وإتلاف للمحاصيل الزراعية[2]، خاصة في الفترة الأخيرة من التواجد العثماني(1815-1830م) أين عرفت فيها الأوضاع الزراعية للايالة وبالخصوص دار السلطان تدهورا بفعل توالي وتواتر الكوارث الطبيعية المدمرة منها اجتياح الجراد للحقول والباستين عام 1815م، والجفاف الذي حل عام1817م[3]، الذي شكل أكثر الكوارث الطبيعية خطورة على الإنتاج الفلاحي بمختلف أنواعه فقد كان أكبر هاجس أمام الفلاح الذي"كان يعيش دائما في رهان مع الطبيعة، بحيث تتقلب بين العطاء والشح والنعيم والبؤس، وأن الطعام الذي يوفره هؤلاء المزارعون الرعويون يتوقف على كمية المطر...فإذا جادت السماء تمكن الناس من زراعة الأرض في اطمئنان، وجاءت الصابة أما إذا حدث الجفاف فمعنى هذا ضعف المحصول أو بطلانه وارتفاع أسعار الغلال"[4]، فقد" كانت عمليات البذر تتم عادة في فصل الخريف مع سقوط الأمطار الأولى التي ترطب الأرض وتسمح بمرور المحراث البسيط وتنبت البذرة وتطلع العشب الذي تحتاجه القطعان، فإذا تأخر المطر صار القلق والوجوم يخيمان على البوادي والمدن على حد السواء وارتفعت الأسعار، ويسير ارتفاعها في تفاحش بمرور الأسابيع ، وقد يكون سببا في حدوث بعض القلاقل"[5]، وفي المقابل شكل التساقط الغزير وحدوث الفيضانات خطر على المزروعات

---

[1] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني ...، المرجع السابق، ص438.

[2] سعيدوني (ناصر الدين)، فحص مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص93.

[3] سعيدوني (ناصر الدين)، دراسة تاريخية في الملكية...، المرجع السابق، ص97-98.

[4] البزاز (محمد الأمين)، تاريخ الأوبئة والمجاعات ...، المرجع السابق، ص34.

[5] رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص157.

فيؤدي ذلك إلى قطع المواصلات والاتصال بالحقول وغيرها من الإنعكاسات[1]، ففي بايلك الشرق أدت كثرة نزول الأمطار والثلوج طيلة فترة الشتاء حال دون القيام بالأعمال الفلاحية[2].

لا تقف أضرار الجفاف عند المحاصيل الزراعية فقط بل تتعدى إلى الإنسان لتسبب حدوث مجاعات نظر التأثير السلبي الذي يحدثه المناخ على الإنتاج الفلاحي مما يساهم في ظهور الأوبئة ومنها الطاعون[3].

إلى جانب الجفاف شكلت موجات الجراد المتعاقبة سببا من أسباب القحط "فذا حلت الأسراب الكثيفة من هذه الحشرات بإقليم من الأقاليم ، فإنها تقضي على الحياة النباتية قضاء تاما، وتترك الحقول الزاهرة صحراء قاحلة، وتحرم الناس من أسباب العيش"[4]، فخطره يتجاوز خطر الحريق وحتى الطوفان ورياح الصحراء فهو يلتهم كل شئ في طريقه فالمروج الجميلة ، وحقول القمح والشعير والبطاطس وكروم العنب تختفي خلال يوم واحد فيخلف وراءه أرضا عارية [5]، فاجتياحه لسنة 1780م، تسبب في إتلاف المحاصيل الفلاحية،حيث فقد الفلاح بذوره، وغذائه وحتى حيواناته وأصبح الناس مشردين في الأرياف يأكلون جذور النباتات باحثين في باطن الأرض عما يأكلونه فهلك الكثير منهم [6]، فقد ذكر الزياني أن ظهور الجراد" **الكثير أفسد الزرع والثمار فسادا عظيما"**[7]، **وفي بايلك الشرق أضر الجراد بالزرع والفلاحين"** وقد نزل بالوطن في السنة المذكورة فأكل الزرع ولم ينتج من الأكل فيها إلا القليل وفيها حصل الضرر لبعض الفلاحين ،واستمر أكل الجراد الزرع في السنتين اللتين بعدها أيضا"[8]، في ولاية عمر باشا ربيع الثاني1230هـ/1814م يذكر الزهار أنه جاء الجراد في هذه السنة1814م، أوله أتى طائرا ثم غرس أي حط على الأرض وأقام أياما بها ثم خرج وأكل الزرع والأشجار والثمار

---

[1] رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص34.

[2] العنتري(صالح)، المصدر السابق، ص16.

[3] John (Kington), op.Cit, pp. 227-236.

[4] البزاز (محمد الأمين)، تاريخ الأوبئة والمجاعات ...، المرجع السابق، ص34.

[5] Maurin (Amédée), op.Cit, p31.

[6] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني ...، المرجع السابق، ص440.

[7] الزياني (محمد بن يوسف)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران...، المصدر السابق، ص272.

[8] العنتري (صالح)، المصدر السابق، ص51.

ووقع الغلاء في تلك السنة وأعطى الأمير القمح لجميع الخبازين وجعل له سعرا على سعر أيا الرخاء وأمر الخبازين أن يقوموا بعمل ما يلزم للبلاد لكن صار الناس يقتتلون على ذلك الخبز وبقي الأمر كذلك إلى أن وجد الزرع الجديد ،وقد خصبت الأرض في تلك السنة ورخصت الأسعار والحمدلله[1].

3-الثروة الحيوانية:إلى جانب الخسائر البشرية لم تسلم الحيوانات من هذا الوباء فتعرضت هي الأخرى للموت لقول أحد المداوين الجزائريين آنذاك :تموت الحيوانات بالطاعون مثل ما يموت الرجال إذ هلك 14حصان في إسطبل قصر الداي[2] ، ولا شك أن الجفاف الذي مس المحاصيل الزراعية انعكس سلبا على قطعان الماشية وغيرها من الحيوانات فقد فقد الفلاح غذائه وغذاء حيواناته[3]سواء الأليفة منها القطط، والخيول، والبغال والأبقار والخراف والدواجن، فعلى سبيل المثال أدت الجائحة التي أصابت الايالة عام1822م الى عواقب وخيمة على الثروة الحيوانية الى هلاك أعداد كبيرة من القطعان[4]،كما أدت أسراب الجراد إلى إتلاف المزروعات والأشجار والنباتات مما أثر على قطعان الماشية بل أدى إلى موتها مثل ما أحدثه في عام 1868م[5].

فالجزائر خلال هذه الفترة كانت بلدا فلاحيا بالدرجة الأولى على قول البعض، فقد كانت مراعيها تزخر بمختلف الحيوانات مثل الأبقار والغنم والماعز وغيرها[6]، والتي يصعب تقديرها إحصائيا ، لكن بالنظر إلى الإحصائيات التي أوردها الإدارة الفرنسية بعد الاحتلال بأزيد من ثلاثين سنة1863م التي ذكرت بأن أعداد البقر لا تقل عن مليون رأس، وعدد الأغنام يزيد عن ثمانية ملايين وهي أرقام ضخمة ، وتشير نفس المصادر أن الجزائريين كانوا يصطادون السمك بالقرب من سواحلهم ، وأن الأسماك بها كثيرة[7]، مما يعكس الأثر السلبي الذي خلفه الوباء خاصة على المدن الساحلية التي كان أكثر عرضة لخطر العدوى باعتبارها في اتصال مفتوح مع باقي

---

[1] مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...، المصدر السابق، ص 117.

[2] Marchika, op.Cit, p178.

[3] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني ...، المرجع السابق، ص440.

[4] Marchika, op.Cit, p179.

[5] العنتري(صالح)، المصدر السابق، ص17.

[6] الزبيري (محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري...، المرجع السابق، ص57.

[7] نفسه، ص60-61.

الدول المتوسطية، وفي المقابل يرى البعض من الباحثين أمثال محمد العربي الزبيري أن الوباء لم يؤثر على الحياة الاقتصادية فقد ظلت الايالة تصدر ثروتها الحيوانية إلى البلدان المتوسطية خاصة الأبقار منها" كما أن الوكالة قد صدرت في تلك السنة (1794م)، إلى مدينة مرسيليا خمسمائة بقرة(500) اشترتها دفعة واحدة من إسطبلات الباي ذاته، وقد كانت تلك هي أول مرة تخرج فيها أبقار الجزائر إلى أوروبا"[1].

إن اهتمام المجتمع الجزائري بتربية الحيوانات غاية في الأهمية، فقد اشتهرت المنطقة التلية بتربية الأبقار في حين انتشرت الأغنام والجمال بكثرة في منطقة الهضاب أما الماعز والخيول والبغال فنجدها عند القبائل، وقد شاعت تربيتها خاصة في كل من الأرياف والمناطق الجبلية ولا تكاد أسرة ريفية تنعدم فيها تربية الأبقار والماعز والحمير والدواجن وخلايا النحل التي كانت مكملة لإنتاجها الزراعي والحرفي فالمجتمع الجزائري مجتمع ريفي في معظمه[2]، فتضرر الثروة الحيوانية من الكوارث هو تضرر لمالكها.

لقد خلقت الكوارث الطبيعية شروطا غير ملائمة لحصول إنتاج فلاحي كاف، وبالتالي فان ندرة الأقوات وقلتها حتما ستكون تحصيلا حاصلا لهذه الفترة، وهذا الوضع يسهل ظروف انتشار الأمراض والأوبئة والجوع والغلاء على الساكنة نتيجة الكوارث الطبيعية المختلفة التي أضرت بالمحاصيل والثروة الحيوانية [3]، أضف إلى ذلك الأساليب التقليدية المعتمدة في خدمة الأرض من غياب لأدوات حديثة ووسائل الري[4]،كلها عوامل ساهمت في تراجع الإنتاج الفلاحي وتضييق مجاله.

---

[1] نفسه، ص51-52.

[2] شويتام (أرزقي)، المرجع السابق، ص312-313.

[3] حالي (محمد)، المرجع السابق، ص 5.

[4] سعيدوني (ناصر الدين)،النظام المالي للجزائر...، المرجع السابق، ص33.

– غلاء الأسعار:

توصل المؤرخون الإقتصاديون المختصين بتاريخ الأسعار إلى القول بالتزامن بين ارتفاع أسعار الحبوب وارتفاع عدد الوفيات كظاهرة متلازمة يستحيل التفريق والتمييز بينهما فالموت جوعا أو الموت بالأمراض والأوبئة راجع في الأساس إلى سوء التغذية حسب جان موفري(J.Meuvret.)[1]، فتواتر الكوارث الطبيعية يتبعها أزمة ديمغرافية بسبب نقص المدخرات الغذائية ليليها ارتفاع في أسعار الحبوب وبالتالي استقرار في المسغبة يخلف وفيات كبيرة وإقبال للضعفاء على تناول الأطعمة الفاسدة والرديئة والأعشاب ينتج عنها أوبئة هضمية وبالتالي الهلاك الذي يرتبط أساسا بعدة عوامل منها غلاء القمح والحبوب عامة وقد أدى بالبعض للقول إن الطاعون يتبع المجاعة والغلاء[2].

فالأزمة المعاشية وليدة الظروف الطبيعية(من قحط وجفاف)، التي" أفضت إلى فترات غلاء و مساغب ومجاعات" وهيأت المجال للوباء بأن جعلت أحوال السكان الغذائية والصحية تتردى[3] .

إن تراجع الإنتاج خلال فترات الكارثة كان يشجع على ارتفاع الأسعار بشكل كبير قد تزيد عن 50٪ عن سعرها الأصلي أو تتجاوز ذلك [4]، ومن ذلك نورد أمثلة حيث ارتفعت أسعار القمح على مدار ستة سنوات بسبب القحط حتى بلغة قيمة الصاع الجزائري من القمح أربعة بجة والناس يموتون جوعا في الأسواق وبلغ في بعض الأوقات 15بجة وهي خمسة دورو للصاع الجزائري سنة1219/1804هـ[5]، ويرجع سبب ذلك إلى مخلفات الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها فقد احدث الجراد مثلا فسادا في المحاصيل والأشجار"**وظهر الجراد الكثير**

---

[1]Meuvret (Jean). Les crises de subsistances et la démographie de la France d'Ancien Régime. In: Population, 1 année, n°4,1946. pp. 643-650.

[2] بوجرة (حسين)، الطاعون وبدع الطاعون...، المرجع السابق، ص66-67.

[3] نفسه، ص173.

[4] رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص218.

[5] الزهار (أحمد الشريف)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...، المصدر السابق، ص31.

فأفسد الزرع و الثمار فسادا عظيما"[1]، وقد كان في مقدمتها الجفاف الذي تجاوز في بعض الأحيان ست (6) سنوات متتالية، تراجعت فيها المحاصيل التي شهدت اجتياح لموجات الجراد التي زادت من تأزم أوضاع الايالة حتى أصبحت بعض الأسواق تبيع لحم البشر في الأسواق[2]، وعن قائمة الأسعار في بايلك الشرق قدم لنا العنتري وصفا دقيقا بقوله":" والحاصل بعد أن كان ذلك كذلك ارتفعت أسعار الحبوب إلى مالا نهاية له فبيع الصاع الواحد من البر وقتئذ بخمسة عشر (15) اريالة سكة الوقت ، والصاع من الشعير بسبع اريالات، ودام القحط والغلاء في الحبوب مدة سنة كاملة وهي سنة19(يعني سنة1219هـ/1804م) "ورغم تراجع الأسعار إلا أن حال الوطن لم يعتدل بعدها ولم يرجع إلى أصله إلا سنة 1808م على حد قوله، مع العلم أن الأسعار كانت منخفضة قبل المجاعة بقوله:**"**وقد كانت قيمة الزرع قبل تلك المجاعة والقحط مابين ريال وريال ونصف للصاع الواحد أي تضاعف لأكثر من سبع مرات على أصله[3].

أضف إلى ذلك غلاء الأسعار صاحبه ندرة في العملة وتراجع القدرة الشرائية "إلا أن الدراهم قليلة جدا في ذلك الزمان، وعزيزة إلى الغاية، إذ لو كانت كثيرة وميسرة لما حق الفقير في الناس من ذلك الشر شئ "[4]، إن هذا الوصف يعكس مدى ضعف المستوى المعيشي للمجتمع وما آل إليه الوضع الاقتصادي آنذاك وقد أكد ذلك الرسالة التي بعث بها محمد باي قسنطينة إلى حسين باشا في 07 ربيع الثاني من عام1241هـ تحدث فيها عن تدهور الوضع الاقتصادي في قسنطينة حتى أن البقرة الواحدة صار يصعب بيعها بثلاثة ريالات[5].

---

[1] الزياني(محمد بن يوسف)، دليل الحيران وأنيس السهران...، المصدر السابق، ص272.

[2] Grammont, H.-D. de., op.cit, p278.

[3] العنتري(صالح)، المصدر السابق، ص34.

[4] العنتري(صالح)، المصدر السابق ، ص34.

[5] الرسالة 8، المجموعة رقم1642، المكتبة الوطنية الجزائرية، وقد قدم لها الباحث خليفة حماش ملخصا في مؤلفه:كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية...، المرجع السابق، ص60-61.

ولإعطاء صورة أكثر توضيحا عن الوضع حاولنا الوقوف على بعض أسعار المنتوجات في الجدول التالي[1]:

المنتوجات	السعر	ملاحظات
الصاع الواحد من البرّ	15ريال.	الصاع من الحبوب يقابله 130كيلوغرام.
الصاع الواحد من الشعير	07ريال.	الريال البوجو يقابله 3.3فرنك فرنسي أما الريال مجبور يقابله1.5فرنك فرنسي.
البقرة الواحدة	أربعة أريالات وخمسة.	/
الكبش	خمسة أثمان ريال.	/
1كغ من اللحم	تونسية أو صوردين	الريال بوجو يقابله33 تونسية.
قدحة من الزبدة (2كغ) أو أكثر	ربع ريال.	ربع من الزبدة يقابله3.63كلغ.
رطل من التمر	ريالين	الرطل الكبير يقابله 921.5غرام.

من خلال الجدول نستنتج أن أسعار المحاصيل والثمار هي الأكثر غلاءا مقارنة مع باقي المنتوجات ويرجع ذلك إلى قلتها بسبب الكوارث الطبيعية كالجفاف والقحط وضعف أمر الحراثة وقد كانت قبل ذلك بخسة الثمن (1الى1.5 ريال للصاع الواحد من الزرع) قبل زمن القحط[2].

إن سوء الحالة الإقتصادية وانتشار المجاعات والقحط ساهم في إختفاء الأقوات من الأسواق مما أثر على الحالة المعاشية للسكان[3]، من جهة ومن جهة أخرى ربما إلى المضاربة والاقتراض فارتفاع الأسعار في وقت القحط يزيد من الفوارق الاجتماعية في السلم الاجتماعي ويوسعها [4].

[1] العنتري(صالح)، المصدر السابق، ص34-35، فيما يخص العملات الوطنية ومايقابلها من العملات الأجنبية ، وأهم وحدات الأوزان والمكاييل راجع: الزبيري(محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة...، المرجع السابق، ص71-72.

[2] العنتري (صالح)، المصدر السابق، ص35.

[3] سعيدوني (ناصر الدين)، الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهدالعثماني، مجلة الأصالة، العدد 34، مطبعة البعث، قسنطينة، 1976، ص96.

[4] رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق،ص222.

ثانيا-النشاط الحرفي:

عرف المجتمع الجزائري في العهد العثماني نشاطا في المجال الصناعي يتمثل في الصناعات التقليدية ، التي كانت تستمد موادها الأولية في الأساس من الإنتاج الزراعي والحيواني، وقد أدى تنوع المواد الأولية إلى تنوع الإنتاج، فكانت بذلك كل منطقة تشتهر بصناعتها الخاصة لدرجة أن بعض الصناعات يستهلك محليا ويصدر فائضه إلى الخارج، فهل كان من شأن تواتر ضربات الكوارث الطبيعية أن تترك آثارها المباشرة على سير الحياة الإقتصادية؟.

كانت الصناعات أو الحرف التي مارسها المجتمع الجزائري سواء داخل المدن أو الأرياف متمثلة أساسا في الصناعات النسيجية ، والحريرية ، والقطنية ، والجلدية، والمعدنية،والخشبية، والفخارية، وقد كانت اليد العاملة العصب الرئيسي التي قامت عليه هذه الحرف.

1-اليد الحرفية : لم تكن بعض الحرف مقتصرة فقط على فئة الرجال، بل ساهم العنصر النسوي بقسط وافر في انتاج بعض المصنوعات النسيجية والفخارية خاصة في الأرياف باعتبار هذه الحرف هي مصدر لرزق هذه الأسر الريفية أو كنشاط مكمل لنشاطها الزراعي تنتهي بتسويق جزء من إنتاجها[1]، أما في المدن فقد كان الحرف والحرفيون أكثر تنظيما حسب ماتؤكده مختلف المصادر[2].

وقبل الحديث عن الأثر السلبي للكوارث الطبيعية في وجه هذه الحرف وجب الوقوف عند أهمها خاصة تلك التي تعتمد في مواده الخام على الإنتاج الزراعي و الحيواني .

---

[1] شويتام (أرزقي)، المرجع السابق ، ص318.

[2] راجع: مخطوط قانون أسواق مدينة الجزائر، المكتبة الوطنية الجزائرية،رقم 1378، وكذلك

-Devoulx(A), Tachrifat recueil de notes historiques sur l’administration de l’ancienne régence D’ALGER ,Alger,1852.

إن المتتبع لجغرافية النشاطات الحرفية يجدها أكثر تنظيما ، فقد كانت تنجز في ورشات خاصة من طرف عدد من الحرفيين المنظمين في نقابات مهنية وعلى رأس كل حرفة أمين[1] ، كما تحتل هذه الجماعات الحرفية مجالا جغرافيا (شارع) يطلق عليه اسم "السوق" [2]، وما تجدر الإشارة إليه أن هذا التنظيم كان منتشرا في معظم المدن الجزائرية كمدينة الجزائر وقسنطينة [3]، وباقي الولايات العثمانية [4]، ففي مصر كانت تقدر هذه الجماعات الحرفية ب250جماعة وفي تونس بلغت83 جماعة، ولم تكن مدينة الجزائر تحتوي سوى على32 [5]جماعة حرفية لأن الأسطول حسب البعض أو البوابة البحرية كان لها الأثر الكبير في إنعاش النشاط الإقتصادي من خلال المداخيل المختلفة طيلة ثلاث قرون[6].

لقد كانت كل حرفة بالمدن الجزائرية تحتل شارعا معينا في المدينة والذي غالبا ما يحمل اسم الحرفة الموجودة به [7]، إن هذا النظام المتخصص يعد إحدى الخصائص المميزة للمدينة العربية إذ كان إحدى القواعد السارية عليه النشاط الإقتصادي بالمدن الجزائرية وهو ما تعكسه حقيقة الأسماء التي يحملها كل سوق' نذكرمنها أسواق مدينة الجزائر التالية: سوق الدباغين، سوق الشماعين،سوق الحدادين ،سوق الزرع، سوق الحلفاويين، سوق الخضارين، دار الدباغة، سوق الغزل سوق الجمعة[8]، وغيرها من الأسواق في باقي مدن الايالة على غرار مدينة

---

[1] شويتام (أرزقي)، المرجع السابق ، ص319.

[2] Ben Hamouche(Mustapha), souqs et metiers d'alger a l'epoque ottomane d'âpres les archives ottomane et le manuscrit de Devoulx, la marine et les routes commerciales ottomanes, étude réunies et préfacées par prof.Abdeljelil TEMIMI, TUNIS ,2000.p17.

[3] Feraud (C), les corporations de métiers à Constantine avant le la conquêtes française ,traduction d'un manuscrit arabe in R.A.Nº16, Alger 1872, pp451-454.

[4] Raymond(A), les grandes villes arabes à l'époques ottomane, open Edition.Books.

[5] في احصائية جديدة اعتمدت فيها الباحثة عائشة غطاس على المصادر المحلية تم احصاء 51سوقا بمدينة الجزائر ينظر،الحرف والحرفيون...، المصدر السابق، ص208-209.

[6]Ben Hamouche(Mustapha), op.Cit, p17.

[7]شويتام (أرزقي)، المرجع السابق، ص319.

[8] غطاس (عائشة)، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص ص204-209، وكذلك

- Ben Hamouche(Mustapha), op.cit, p27.

قسنطينة[1]، لقد عرفت بعض الصناعات الحرفية انتشارا واسعا نظر لوفرة المواد الخام كالصناعات النسيجية والجلدية التي تعتمد على الصوف، والحرير ، والكتان، والجلود كمواد أولية لها فكانت المدن والقرى تنسج الزرابي، والحياك، والأغطية، والشواشي، والأحزمة الصوفية والبرانس، ومن الجلود تنتج الأحذية ولوزام الخيول كالسروج والألجمة لاهتمام بعض القبائل بتربية الخيول[2]، لقد لقت مثل هذه الصناعات رواجا كبيرا في مدن الايالة وأريافها حتى أن بعض الرحالة أشادو بذلك ففي حديثه عن مدينة الجزائر وأسواقها عام 1516م عبر الحسن الوزان عنها قائلا:"الجزائر وهي كبيرة جدا،أسوارها رائعة وقوية للغاية، وتتألف من بيوت جميلة وأسواق جيدة التنسيق لكل منها مكانها الخاص"[3]، وفي طريق العودة من رحلتة الى استطنبول أمضى التمقروتي شهرين في مدينة الجزائر التي عبر عنها بأنها أفضل من جميع بلاد افريقية وأعمر وأكثر تجارا وفضلا ، وأنفذ أسواقا وأوجه سعة ومتاعا حتى أنهم يسمونها اصطمبول الصغرى[4].

لقد ازدهرت في العديد من المدن صناعات تعتمد أساسا على المواد الأولية ،و في مقدمتها صناعة الأقمشة والمنسوجات القطنية والكتانية والصوفية والحريرية[5]، وقد كان مصدر هذه المواد المناطق الداخلية[6] فقد كان سوق الدباغية في قسنطينة يعتمد أساسا على جلود البقر والماعز والأغنام القادم من أرياف الأوراس، والقبائل [7]، في حين يعتمد الكواشة (الخبازين) في إخراج الخبز على مادة القمح بالدرجة الأولى[8].

---

(1)Feraud (C), les corporations de métiers à Constantine… op.Cit, pp 451-454.

(2) شويتام (أرزقي)، المرجع السابق، ص ص321-325.

(3) نقلا عن غطاس (عائشة)، الحرف والحرفيون، المصدر السابق، ص207.

(4) الطبي (أمين)، لمحة عن الحياة الإقتصادية في المغرب الأوسط (ايالة الجزائر) في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي من خلال رحلتي الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي) وعلي بن محمد التمقروتي، المجلة التاريخية المغربية، العدد93-40، تونس1985، ص493.

(5) نفسه، ص486.

(6)غطاس (عائشة)، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص204.

(7) Feraud (C), les corporations de métiers à Constantine… op.Cit, p 453.

(8) Ibid, p 454.

وتشير المصادر الى انتشار الأفران في كل شارع من شوارع المدينة "الخبازَت متاع الشوارع"[1]، هذا التوزيع نابع من تنظيم السلطة الحاكمة من أجل توفير هذه المادة الغذائية(الخبز) للسكان خاصة في أوقات المجاعات[2] ومثال ذلك ما أورده الزهار في مذكراته حيث تحدث عن مجاعة 1230هـ/1814م، اذ أمرت السلطات الفرانين بتوزيع الخبز على الأهالي بالقسط مع المحافظة على الأثمان كما كانت في السابق[3]، وهي من عادة الحكام ي مثل هذه الأوقات العصيبة ففي بايلك الشرق أمر الباي بالحرص على توفير الغذاء:" وكذلك الكوش (الكوش يراد بيها الأفران) فقد كلف القبابجة أيضا بالوقوف على حفظ خبزها لئلا يقع النهب فيه هذا ماكان من أمر الباي زمان الشر والقحط"[4].

إن هذه الأفران كانت تسير من طرف عدة فئات تتقاسم هذه الحرفة ضمن جماعات مختلفة مكونة لمجتمع مدينة الجزائر كالجماعات الجيجلية والميزابية وقد كانت في تنافس شديد بينهما حول من يتصدر زعامة هذه المهنة أدى في بعض الأحيان إلى عقد صلح بين هذه الجماعات[5]، أما في قسنطينة فقد كانت اليد العملة بها(بالأفران) من القبائل [6]، لكن الآثار الإجتماعية والإنكماش الذي أصاب الساكنة بسبب الكوارث ساهم في ندرة عامل الإنتاج والإستهلاك حتى إن اليد العاملة تراجع نشاطها الاقتصادي[7].

وبالتالي من شأن توالي الصدمات الديمغرافية أن تترك أثارا مباشرة على السير العادي للحياة الإقتصادية وعلى هذا شكلت ندرة اليد العاملة أولى التجليات المباشرة للأوبئة[8].

---

(1) قانون أسواق مدينة الجزائر، مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم2311 ،ورقة04(تحمل عنوان الكواش).هي مقسمة إلى 10أقسام تحميل ترقيم من12الى 21.

(2) Ben Hamouche(Mustapha), op.cit, p29.

(3) الزهار (أحمد الشريف)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...، المصدر السابق، ص117.

(4) العنتري(صالح)، المصدر السابق، ص41-42.

(5) الشويهد (عبدالله بن محمد)، قانون أسواق مدينة الجزائر(1107-1117هـ/1695-1705م)، تحقيق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006، ص61-62.

(6) Feraud (C), les corporations de métiers à Constantine… op.Cit, p 454.

(7) Valansi (lucette), le maghreb avant la prise D'ALGER(1790-1830), flammarion,1969, p25.

(8) الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص166.

2-المواد الأولية

إن هذه الحرف كانت ترتبط أساسا بالإنتاج الزراعي أو الحيواني كمواد أولية تشكل وقود هذه الحرف، فقد أدى تنوع المواد الخام إلى تنوع الإنتاج، فقد كان لكل منطقة صناعتها الخاصة[1] فتضرر هذا الإنتاج الزراعي أو الحيواني بسبب الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها ينعكس بلا شك سلبا على هذه الحرف وحرفييها، فارتفاع عدد الضحايا بسبب الطاعون والكوارث أثر من دون شك في اقتصاديات مدينة الجزائر المتنوعة فقد أثر الشلل الديموغرافي أثر كبير على مختلف المهمن والحرف بالمدينة، فمثلاطاعون 1787م قضى على عدد كبير من الحرفيين من صناع نسيج الحرير والأحزمة مما انعكس سلبا على صادرات المدينة من المصنوعات التقليدية وتراجعها[2]، خاصة أن هذا الوباء ذهب بعدد كبير من اليهود والمسيحيين وأغلبهم من الناشطين اقتصاديا في المدينة [3]، مما أدى إلى نقص الأيدي العاملة [4]، ومن جهة أخرى إلى تضرر المحاصيل الزراعية وهلاك الثروة الحيوانية التي تمثل الخامات الأساسية لمثل هذه الحرف ففي سنة 1814م" جاء الجراد في هذه السنة1814م، أوله أتى طائرا ثم غرس أي حط على الأرض وأقام أياما بها ثم خرج وأكل الزرع والأشجار والثمار ووقع الغلاء في تلك السنة وأعطى الأمير القمح لجميع الخبازين وجعل له سعرا على سعر أيا الرخاء وأمر الخبازين أن يقوموا بعمل ما يلزم للبلاد لكن صار الناس يقتتلون على ذلك الخبز وبقي الأمر كذلك الى أن وجد الزرع الجديد ،وقد خصبت الأرض في تلك السنة ورخصت الأسعار والحمدلله"[5].

---

[1] شويتام (أرزقي)، المرجع السابق ،ص318.
[2] Valansi (lucette), le maghreb avant la prise D'ALGER…op.Cit, p20-21.
[3] أمين (محمد)،الإختراق التجاري الفرنسي للجزائر...، المرجع السابق، ص55.
[4] شويتام (أرزقي)، المرجع السابق ، ص316.
[5] الزهار (أحمد الشريف)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...، المصدر السابق، ص117.

وفي سنة 1805م سجلت الايالة الجزائرية انعدام البذور أعقبه غلاء رهيب في الأسعار ووفيات بسبب الجوع في قسنطينة مما أدى بالسكان الى التمرد وقد عبرت عن ذلك الوضع الباحثة لوسات فلانسي(Valansi lucette) بقولها[1]:

En 1805, c’est la régence d’Alger qui manque de grains: flambée des prix dans les villes ; morts d’inanition dans la province de constontine, ou la révolte éclate.

3-الركود الحرفي:

إن الآثار الاجتماعية والانكماش الذي أصاب الساكنة بسبب الكوارث ساهم في ندرة عامل الإنتاج والاستهلاك حتى إن عدد الرجال تراجع نشاطهم الاقتصادي[2]، فقد كان للخسائر الديموغرافية في أوساط الحرفيين وهلاك الزبائن دور سلبي كبير في حالة الانحصار الإقتصادي سواءا الصناعي أو التجاري التي صاحبت فترات الأوبئة على المستوى المحلي أو في المجال المغاربي والمتوسطي ففي مدينة فاس بالمغرب عام 1834م"تعطلت معيشة الناس وأغلقت الدكاكين بسبب الكوليرا"[3]، هذه الدكاكين التي وصفها الرحالة الألماني فاغنر بقوله:"وكانت للجزائر أسواق تحتوي على أكثر من أربعين محلا، الا أن القسم الأكبر منها ،بل أجملها وأجدرها بالاعتبار قد هدم ،وقامت في مكانها محلات ودكاكين تجار أوروبيين ولا تقل جمالا عن دكاكين من الدرجة الثانية مثل طولون ونيس، أما دكاكين التجار من الأهالي ،وهي تقع خارج هذه الأسواق فانها صغيرة..وعبارة عن ثقوب مربعة تغلق في الليل..."[4].

---

[1]Valansi (lucette), le maghreb avant la prise D’ALGER…op.Cit, p24.
[2] Ibid, p25.
[3] الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص167.
[4] دودو(أبو العيد)، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830-1855، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989، ص111.

لقد كان من شأن إغلاق الدكاكين هو التأثير على سير الحياة العادية للساكنة منها انعدام المواد الغذائية التي تنوعت لدى أوساط مجتمع مدينة الجزائر فقد كشفت الدراسة التي قدمتها الباحثة عائشة غطاس عن ذلك فقد تنوعت هذه المواد بين مصدر حيواني ونباتي كمايلي[1]:

مواد غذائية ذات مصدر حيواني	الخليع والسمن.
مواد غذائية ذات مصدر نباتي	الكسكسي-السكر-الزيت-الزيتون-العسل-الخضروافواكه-الخل-البرغل-العولة-الدقيق-الفول-القهوة.

وما تجدر الإشارة إليه أن الفئة الأكثر ضررا هي الطبقة الفقيرة التي كانت تحرص بشكل يومي على توفير المواد الغذائية للاستهلاك اليومي وهذا لاينفي أن الفئة الميسورة الحال مستثناة من ذلك فعلى سبيل المثال تبين الدراسات أن مادة الخليع من بين المواد الغذائية الأساسية والمستهلكة على نطاق واسع وسط مختلف الشرائح الفقيرة أو الغنية [2]، ومما كان يزيد من استفحال الظاهرة الجفاف الذي زاد من حدة المجاعات والأزمات الغذائية خلال السنوات ذات المحاصيل السيئة فقد عبر عنها فرناند بروديل بالقول:"إن غلة سيئة قد تمر، والأسعار ترتفع، والمجاعة لا تستقر منفردة أبدا"[3]، لاشك أن تلك السنوات الجافة ستجعل من الأسواق التي تحمل اسم سوق الخضارين أو سوق الزرع [4]خالية من محتواها أيام الجفاف ، وقد خلص الباحث محمد الأمين البزاز إلى القول عن أثار الكوارث على الاقتصاد بالقول:"بامتصاصها الفلاحين من الأرض، وإتلافها التجهيزات أدت هذه الكوارث الطبيعية المتكررة الى تخريب شروط أي تطور أو تراكم في الخبرات والمهارات وحكمت بالتالي على الهياكل الانتاجية بالثبات والركود"[5].

---

[1] غطاس (عائشة)، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص297-298.

[2] نفسه، ص297-298.

[3] الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص167.

[4] Ben Hamouche(Mustapha), op.Cit, p22.

[5] البزاز (محمد الأمين)، تاريخ الأوبئة والمجاعات ...، المرجع السابق، ص126.

ثالثا-الكوارث الطبيعية و النشاط التجاري:

تعتبر التجارة نشاط اقتصادي مكمل وموازي لباقي القطاعات (الفلاحة والصناعة) ، فإذا كان القطاع الفلاحي والصناعي يتميزان باستقرار الفاعلين فيهما في أماكن محددة، فان الفاعلين في ميدان التجارة يجمعون بين الاستقرار في المدن والقرى وبين الحركة والتنقل بين الأسواق الداخلية والخارجية في شكل قوافل برية وبحرية تجول مختلف الجهات والبلدان المجاورة[1]، فالتجارة بلا شك هي إحدى القنوات والمنافذ الرئيسية التي تتنقل من خلالها مختلف السلع والأموال والمعارف والتأثيرات المختلفة بين المجتمعات في ظل مجالية مغاربية ومتوسطية بل وقد تتجاوز ذلك من خلال التفاعل بين هذه الأقاليم كما أكده بروديل فالتاريخ الشامل الذي وضعه للعالم المتوسط ليس جمعا لتواريخ البلاد والأقاليم المتوسطية بمختلف أقطارها (أوروبا-شمال افريقيا —الشرق الأوسط)، بل هو تاريخ تفاعل هذه البلاد والأقاليم وتداخل مستويات اجتماعها البشري وتكاملها، فالعالم المتوسطي حسب بروديل هو حيز أو حركة ينتقل فيها البشر بين أنحائه وجهاته فضلا عن تنقل المواد والسلع والموض والأفكار والتقنيات والحروب والأوبئة..." [2]، إن هذا النشاط القائم على الحركة يطرح إشكالية العدوى زمن الأوبئة من جهة ومن جهة أخرى يطرح اشكالية المخاطر الطبيعية بمختلف أنواعها برا وبحرا في وجه التجارة والتجار في الجزائر كعوامل وقفت أمام نموها وازدهارها خلال العهد العثماني؟

إن معرفة مدى تأثير هذه الكوارث الطبيعية بمحتلف أنواعها على النشاط التجاري للجزائر العثمانية يستوجب الوقوف عليه داخليا وخارجيا.

---

[1] شويتام (أرزقي)، المرجع السابق، ص334.

[2] بروديل(فرنان)، المتوسط والعالم المتوسطي، المرجع السابق، ص11.

أولا– التجارة الداخلية:

بتنوع الإنتاج الزراعي والحيواني ازدهر النشاط التجاري ، فأصبحت المدن الجزارية مراكز تجارية مهمة يتوافد عليها السكان من مختلف الجهات لعرض سلعهم وقضاء حاجياتهم للتشكل بذلك روابط بين المدن والأرياف[1]، فنجد أن مدينة الجزائر ارتبطت بالمناطق الداخلية فعن طريق باب عزون كانت تدخل المواد الأولية الموجهة للاستهلاك الى أسواقها[2]، وفي قسنطينة كان سوق الدباغية يعتمد أساسا على جلود البقر والماعز والأغنام القادم من أرياف الأوراس والقبائل[3]، لقد ازدهرت في العديد من المدن صناعات تعتمد أساسا على المواد الأولية، و في مقدمتها صناعة الأقمشة والمنسوجات القطنية والكتانية والصوفية والحريرية[4]، حتى أخذت بعض المدن وصفا في كتابات بعض الرحالة ففي طريق العودة من رحلتة الى استطنبول أمضى التمقروتي شهرين في مدينة الجزائر التي عبر عنها بأنها أفضل من جميع بلاد افريقية وأعمر وأكثر تجارا وفضلا، وأنفذ أسواقا وأوجه سعة ومتاعا حتى أنهم يسمونها اصطمبول الصغرى[5] ، وانطلاقا من ذلك حاولنا الوقوف على أهم طرق التجارة الداخلية ووسائل النقل فيها مرورا بأهم المرافق التجارية من أسواق وفنادق ودكاكين وغيرها من الفضاءات التي تشكل عصب التجارة.

1–السوق فضاء اقتصادي مهدد:

السوق فضاء متعدد الوظائف فقد كان بذلك أكثر من "وعاء"للأنشطة الاقتصادية إذ هو فضاء لإعادة إنتاج مجموعة من الممارسات والعلاقات فقد اعتبره البعض فضاء سوسيو–جغرافي[6].هذا الفضاء يقوم بوظائف متعددة

---

[1] شويتام (أرزقي)، المرجع السابق، ص335.

[2] غطاس (عائشة)، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص204.

[3] Feraud (C), les corporations de métiers à Constantine… op.Cit, p 453.

[4] Ibid, p486.

[5] الطبي (أمين)، المرجع السابق، ص493.

[6] Chombart de Lauwe, Des hommes et des villes [compte-rendu] , Population Année 1966 21-3, pp. 593-594

وأهما تلك التي لها صبغة اقتصادية ومنها التجارة[1]، اذ تتم التجارة في الأسواق المحلية أو الجهوية التي تعرض كل مايحتاج اليه السكان من منتوجات ومصنوعات محلية أو مستوردة [2]، علما أن الأسواق التي كانت تتم داخل المدن أكثر تنظيما وفق نظام التخصص واذا أخذنا مدينة الجزائر أو قسنطينة كنماذج نجد أنها تحمل أسماء تعكس النشاط الاقتصادي الساري بها كسوق الدباغين–سوق الخياطين–سوق الصباغين–سوق الجلابين [3]، والداخل إلى هذه الأسواق من القوافل تفرض عليه رسوم تختلف باختلاف نوع السلعة[4]، وذلك من أجل عرض سلعهم حتى أخذت بعض الأماكن أسماء تعكس طبيعة المنتوجات والسلع المعروضة وفق تصنيف مكاني ونظام تسيير محكم، فنجد سوق للزرع وسوق للماشية وسوق للخضارين وسوقا للشماعين وغيرها من المعروضات[5]، حسب مختلف الطوائف الحرفية التي تحمل اسم الجماعات[6]، أما خارج المدن فتعقد أسواق أسبوعية في ساحة كبيرة يأتيها المنتجون والمستهلكون من المناطق المجاورة[7]، وتقعد في مختلف المناطق التلية وقد لقت اهتماما من طرف الإدارة لأهميتها الإقتصادية والسياسية من حيث مداخيلها وإخضاع بعض القبائل أو جذبها اليها، ويمكن حصرها كمايلي[8]:

---

[1] بن يدر(كريم)، الحرف والحرفيون بمدينة تونس خلال القرنين 18و19، مركز النشر الجامعي، تونس،2007، ص141.

[2] الزبيري، التجارة الخارجية ...، المرجع السابق، ص64.

[3] أحصت الباحثة عائشة غطاس في دراستها إسم 51 سوقا بمدينة الجزائر، في حين أورد فيرو العديد من أسماء الأسواق في مدينة قسنطينة ينظركل من: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، المرجع السابق، ص208-209، وكذلك:

- Feraud (C), les corporations de métiers à Constantine… op.Cit, p 453-454.

[4] قانون أسواق مدينة الجزائر، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم2311 .

[5] Ben Hamouche(Mustapha),… op.Cit, pp27-30.

[6] هلايلي (حنيفي)، النشاط التجاري في مدينة الجزائر العثمانية على ضوء مخطوط قانون على الأسواق، المجلة التاريخية المغاربية،ع/117، تونس2004، ص113.

[7] الزبيري، التجارة الخارجية ...، المرجع السابق، ص64.

[8] شويتام (أرزقي)، المرجع السابق، ص340-341.

المنطقة	الأسواق
دار السلطان	البليدة وبوفاريك
بايلك الشرق	سوق أولاد عبد النور-الحراكتة-السقنية-تلاغمة-وادي العثمانية قرب قسنطينة.
بايلك التيطري	سوق العذاورة-أولاد مختار-أولاد عنان-أود الربايع جنوب المدية.
بايلك الغرب	سوق الجعفرة-أولاد عياد-أولاد الأكراد-أولاد الشريف -سوق اللوحة قرب تيارت.

إن هذه الأسواق كوحدة اقتصادية وفضاء تجاري تشكل تجمع بشري يلتقي فيه البائع والمشتري والسلعة "فهي الإطار الأساسي لعمليتي الإنتاج والتوزيع"[1]، وتشكل مناسبة لإنتقال عدوى بعض الأوبئة وبالأخص الطاعون إذ يلتقي فيها تجار مطعونون بغيرهم عن طريق تبادل السلع والبضائع قد تزيد من الوضع سوءا إذ يتسارع انتشار الوباء بعد رجوع المصابين إلى أوطانهم مثل ما حدث في مدينة البليدة في شهر ديسمبر من عام1818م، أين شهدت ضربة للطاعون قادما إليها من مدينة الجزائر، أو ما حدث في مدينة بجاية عندما عاد إليها تجار الزيت العائدين من مدينة الجزائر حيث أودى انتقال عدوى الطاعون إليها إلى وفاة 15 فردا من الساكنة[2]، ومن جهة أخرى شكل طول سنوات الجفاف الذي تجاوز في بعض الأحيان ست (6) سنوات متتالية تراجعت فيها المحاصيل التي شهدت اجتياح لموجات الجراد التي زادت من تأزم أوضاع الايالة حتى أصبحت بعض الأسواق تبيع لحم البشر [3] إن هذا الوصف يعكس مدى جفاف الأسواق وخلوها من مختلف المواد الغذائية.

في حين اختارت بعض القوافل العدول عن بعض الأسواق ودخولها هروبا وخوفا من الوباء فقد أورد الرحالة العياشي اثناء عودته من الحج مرورا بمدينة بسكرة قوله:"ونزلنا بسكرة ضحى يوم الإثنين ، وكان نزولنا خارج البلد

[1] بن يدر(كريم)، المرجع السابق، ص141.

[2] Marchika, op.Cit, p 168-169.
[3] Grammont, op.Cit, p 278.

من غربيه لأجل الوباء" وحتى الناس الذين دخلوا البلد كان دخولهم اضطراريا لأنها اشتهرت بسوقها فقد أورد لها العياشي وصفا "هذه المدينة من أعظم المدن جمعت بين التل والصحراء ،ذات نخيل كثير وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد ...إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والقول وكثرة اللحم والسمن في أسواقها"[1]، لكن كل هذه الميزات الإقتصادية جعل منه الوباء مدينة خالية هجرها سكنها بسبب الوباء "وقد دخلنا المدينة عقبه (عقب الوباء) فوجدنا أكثر حوماتها خالية ، ومساجدها داثرة"[2]،كعلامة لهجرانها، ومن جهة أخرى أغلقت بعض الأسواق أبوابها في وجه التجار والقوافل خوفا من العدوى فقد منع الركب في بعض الأماكن من الدخول مثل ماحدث في الأغواط خشية انتقال العدوى :" ونزلنا الأغواط...وكان في الركب أعراب فقالوا لأهل البلدان :في الركب وباء فلم يتركو أحدا يدخل اليهم..." ، وقد كان التعامل بحذر شديد مخافة العدوى مع الركب الذي يحمل الوباء أو يشتبه فيه ذلك"وكانوا يدلون الزرع من فوق السور ويأخذون الريال ويغسلونه ولا يتناولونه إلا بعد الغسل، والله تبارك وتعالى يكتب السلامة والعافية آمين"[3]، لقد كان هذا الأسلوب كإجراء وقائي لمنع انتقال الوباء والاحتراز منه من قبل ساكنة الأغواط، لكنه في نفس الوقت من شأنه أن يضر باقتصاد المدينة باعتبارها محطة مهمة في طريق القوافل الدينية أو التجارية.

2- التجار و المراكز التجارية أمام الكوارث الطبيعية:

شكلت الأمراض سببا مباشر في هلاك العديد من الصناع والتجار وتركت السوق مفتوحة للتجار الأجانب لتصدير المنتوج المحلي، ففي سنة 1787م قضت الأوبئة بمدينة عنابة على أغلب النساجين ولم يعد هناك من

---

[1] العياشي ، مختصر الرحلة العياشية، المصدر السابق، ص280.

[2] العياشي ، الرحلة العياشية ، المصدر السابق، مج2، ص540.

[3] العياشي (أبو سالم عبدالله بن محمد)، الرحلة العياشية ، المصدر السابق، مج2، ص 546.

يعالج الأصواف وحياكة البرانس، وقد وصفت التقارير الأجنبية ذلك بأن ثلثي أبواب منازل المدينة كان مغلقا مما يتبين للمرء مدى الخراب الذي ألم بها جراء الوباء الذي حل بها[1].

مما أدى الى غلق المراكز التجارية وهذا ماحدث بعد انتشار الوباء في مدينة عنابة سنة 1822 وإرسال موظفو الشركة الملكية الإفريقية لرسالة عاجلة مؤرخة في 22جوان إلى باي قسنطينة آنذاك السماح لهم بإغلاق المركز التجاري التابع لهم بالمدينة بسبب الأوبئة التي تجتاحه من حين لآخر، فوافق الباي على هذا الطلب لتفادي هذا الوباء[2]، وهو نفس الموقف الذي اتخذه صالح باي حين وافق على غلق الباستيون بسبب إنتشار الوباء في عنابة[3].

لقد كان للخسائر الديموغرافية في أوساط الحرفيين وهلاك الزبناء دور سلبي كبير في حالة الانحصار الاقتصادي سواءا الصناعي أو التجاري التي صاحبت فترات الأوبئة على المستوى المحلي أو في المجال المغاربي والمتوسطي ففي مدينة فاس بالمغرب عام 1834م"تعطلت معيشة الناس وأغلقت الدكاكين بسبب الكوليرا"[4]، لقد كان من شأن إغلاق الدكاكين هو التأثير على سير الحياة العادية للساكنة منها انعدام المواد الغذائية التي تنوعت لدى أوساط مجتمع مدينة الجزائر فقد كشفت الدراسة التي قدمتها الباحثة عائشة غطاس عن ذلك فقد تنوعت هذه المواد بين مصدر حيواني ونباتي [5].

---

(1) venture de paradis, Alger Au xviiie Siècle (Éd.1898), p22.

-سعيدوني (ناصر الدين)،الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني...، المرجع السابق، ص97.

(2) Berbrugger (A), Mémoire sur la peste en Algérie de1552 a1819, paris1847.p226.

– العربي(الزبيري)، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص198.

(3) المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة1641، الرسالة رقم 130، دون تاريخ.

(4) نقلا عن: الفرقان (حسن)، أدبيات الأوبئة...، المصدر السابق، ص167.

(5) غطاس (عائشة)، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص297-298.

ثانيا– التجارة الخارجية:

يرتبط ازدهار الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية في أية دولة أساسا بمدى الإستقرار الذي تعرفة بعيدا عن الإضطرابات السياسية والحروب والكوارث الطبيعية، باعتبار أن الأمن مهما كان نوعة سياسي أو غذائي أو صحي يُعد ركيزة أساسية للدول وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله: "أن حدوث العدوان على الناس في أموالهم يذهب الآمال، والتحصيل والإكتساب لما يرون أن غايتها ومصيرها (مصير الأموال)، انتهى من أيديهم وبالتالي كان السعي وراءها مستحيل[1]، والجزائر كبلد متوسطي لم يسلم من بعض تأثيراته على غرار باقي الدول المتوسطية بالرغم من انقساماته السياسية والثقافية والإجتماعية والدينية، هذا ما يسميه بروديل بـ:(اقتصاد–عالم) أي حيز قائم بذاته نسجت الروابط التجارية وحركات التبادل التجاري بين مناطقه وأرجائه وحدة اقتصادية عضوية"[2]، تأثر وتتأثر فيما بينها فكانت لضربات الطاعون العديدة ومختلف الأوبئة والكوارث الأثر السلبي على التجارة الخارجية للجزائر العثمانية ؟.

ولمعرفة ذلك الأثر وجب الوقوف على حجم التجارة الخارجية للجزائر بتحديد الأطراف التي كانت تتعامل معها ونوعية السلع والبضائع المصدرة والمستوردة وتتبع الطرق سواءا البحرية(حركة السفن) أو البرية(تجارة القوافل)، وكيف تعاملت هذه الأطراف مع الايالة زمن الكوراث؟

إن دراسة جغرافية التجارة الخارجية للجزائر خلال العهد العثماني تسمح لنا بالإجابة على العديد من هذه التساؤلات، وعلى هذا الأساس يمكن تصنيف التجارة الخارجية للجزائر العثمانية إلى مبادلات مع: حوض البحر المتوسط: (فرنسا–الجزر الإيطالية–مالطا–اسبانيا–انجلترا)، والمشرق(مصر–سوريا–اسطنبول)،و الإيالات المغاربية (تونس–طرابلس الغرب)، والمغرب الأقصى، وبعض دول افريقيا جنوب الصحراء .

---

[1] ابن خلدون (عبد الرحمن)، تاريخ ابن خلدون (العبر و ديوان المبتدأ و الخبر...، المصدر السابق، ص144، وكذلك أمين (محمد)، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث...،المرجع السابق، ص45.

[2] بروديل(فرناند)، المرجع السابق، ص11.

- التـــــجارة والأوبـئة:

1-التجارة في حوض البحر المتوسط:

شكلت الواجهة البحرية المتوسطية أهمية كبيرة في التجارة الخارجية للجزائر العثمانية نظرا لما تتوفر عليه من إمكانات، رغم تأكيد العديد أن القرصنة البحرية لطالما كانت عائقا أمام سيرورتها مع الدول المسيحية[1]، إلا أن ذلك لم يمنع من قيام روابط تجارية مختلفة الاتجاهات مع العديد من الدول الأوروبية انطلاقا من موانئها العديدة حاولنا الوقوف على أهمها:

- مع مرسيليا:

عرفت حركة المبادلات التجارية حيوية بعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية مطلع القرن السادس عشر16م، خاصة بعد الامتيازات التي تحصلت عليها فرنسا بعد إبرامها لمعاهدة 1535م التي خولت لها امتيازات واسعة في الولايات العثمانية[2]، فقد بلغ عدد المعاهدات المبرمة بين ايالة الجزائر وفرنسا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين17و18م حتى مطلع القرن التاسع عشر19م أربعون (40) معاهدة خاصة وعامة[3] كانت أغلب مضامينها حسب الباحث محمدأمين تثبيت لمصالح فرنسا ودعم لنفوذها التجاري بشتى أشكاله وصوره[4]، إن هذا الامتياز سمح للتجار الفرنسيين بالسيطرة على جزء كبير من التجارة الخارجية للجزائر في ظل وجود تسهيلات من حكام الجزائر فبناءا على معاهدة1353م أسس تاجران من مرسيلياعام1561م

---

(1)Mohmed(Amine), geoghraphie commerciaux de la regence d’Alger…op.Cit, p288.

(2)شويتام (أرزقي)، المرجع السابق، ص355.

(3) قنان(جمال)، معاهدات الجزائر مع فرنسا1619-1830،دار هومة، الجزائر،2010،ص ص311-402.

(4) أمين(محمد)،الإختراق التجاري الفرنسي للجزائر...، المرجع السابق، ص33.

مؤسسة تجارية ومركزا لصيد المرجان في القالة عرفت فيما بعد بحصن الباستيون[1](Bastion de France)، وهو أول حصن بناه الفرنسيون على الساحل الجزائر صار يستعمل لتجارة الحبوب فيما بعد[2].

فالتجارة مع فرنسا هي الأهم مقارنة مع باقي الشركاء الأوروبيين خاصة بعد توقيع معاهدة12مارس 1619م كأول معاهدة بين الطرفين وذلك لتنظيم العلاقات بين البلدين في حوض المتوسط كمعاهدة أمان للحفاظ على مصالحها التجارية مع الايالة في ظل التنافش الأوروبي الشديد عليها[3].

لقد أدى تطور هذه العلاقات بالفرنسيين إلى تأسيس مؤسسات تجارية أهمها الشركة الملكية الإفريقية التي تأسست وفق مرسوم ملكي صدر بتاريخ1741/2/22م الى غاية زوالها عام1794م، وقد أُوكلت مهامها للتجار المرسيليين كان هدفهم الأول هو جلب أكبر كميات ممكنة من حبوب الشرق الجزائري إلى مرسيليا[4] ،باعتبارها الميناء الأكثر مع الجزائر حسب ما تبين في الوثائق الأرشيفية ،فهي ميناء مفتوح على باقي الموانئ المتوسطية ،وقد زادت أهميتها التجارية مع القرن 17و18م فبالرغم أنها ليست الأكبر حجما كليفورن أو هولندا أو انجلترا لكنها الأكثر نجاحا[5].

لكن هذا النجاح لميناء مرسيليا الأكثر تعاملا بالسلع والبضائع مع الجزائر وقفت في طريقه بعض العقبات خاصة في أوقات الوباء اذ أثر الطاعون على التجارة البحرية بسبب عدواه، فقد استوطن الطاعون بالجزائر العثمانية مثلها مثل باقي البلدان المغاربية فقد تم تسجيل 151عاما من الطاعون خلال سنوات 1552م–1830م أي بمعدل

[1] شويتام (أرزقي)، المرجع السابق ،ص357.

[2] العربي(الزبيري)، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص193.

[3] قنان(جمال)، معاهدات الجزائر مع فرنسا1619–1830...، المرجع السابق، ص64.

[4] العربي(الزبيري)، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص195–196.

[5] Mohmed(Amine),geoghraphie commerciaux de la regence d’Alger…op.Cit, p293.

ضربة في كل عامين [1]،كان الساحل المتضرر الأول منه بأكثر من 90٪ من حالات الطاعون، استحوذت منه مدينة الزائر حوالي53.8٪ ، وتلاها بايللك الشرق بـ:26٪ في حين شهد بايلك الغرب 14.9٪منه[2] .

مخلفا دمارا ديمغرافيا ومؤثرا على حركية التجارة الخارجية[3]، فقد شكلت تجارة القمح المنتوج الأكثر تضررا خاصة بين سنوات 1654-1657م،وذلك في إشارة وردت في مراسلة قنصلية فرنسية في 27 أكتوبر 1692ككتب فيها أحد القناصلة الفرنسيين قائلا"هناك مرض معدي يمنع تجارة القمح وإحيائها وحتى خروجها" لأن الطاعون استوطن بالمملكة(الجزائر) ابتداءا من 1689 إلى غاية1702م ،فقد سجل في عنابة سنة1700م، وفي وهران سنة1702م، لقد أثر ذلك على تجارة القمح بين شرق الجزائر وفرنسا خلال القرن السابع عشر(17م)[4].

فالوباء يتسبب في حدوث شلل يصيب النشاط التجاري بسبب انتشار خبره فكلما ضرب الطاعون العاصمة وضواحيها إلا وكان اثر ذلك على عدد التجار والسفن القادمة إلى الجزائر، وبالتالي هو مساس بانتعاش اقتصاد المدينة بالدرجة الأولى فقد أدى ذلك بالكثير من الدول الأوروبية إلى اتخاذ إجراءات رسمية بموانئها من أجل إيقاف أي نشاط تجاري مع هذه المدينة فمثلا اصدر برلمان بروفانس قرار يتم بموجبه منع التجار الفرنسيين من الاقتراب من شواطئ البلدان المغاربية إبان طاعون 1688م[5]، وقد أوردنا بذلك نماذج من الدول المتوسطة التي تعاملت مع الجزائر تجاريا كمرسيليا، فكلما ضرب الطاعون سواحل الايالة أثر ذلك على التجار والبواخر القادمة إليها مما أثر على انتعاشها الاقتصادي بالدرجة الأولى في ظل إغلاق الدول الأوروبية لموانئها باتخاذهم لإجراءات رسمية لإيقاف التعامل مع هذه المدينة، فمثلا في طاعون 1638م، أصدر البرلمان الفرنسي قرار بموجبه يمنع على التجار

---

(1) Touati(AliIsmet), le commerce du blé entre la régence D'Alger et la France de 1559-1830, thèse de doctorat, université Paris 4, sorbonne, Paris,2009,v1, pp 200-205.

(2) Touati(AliIsmet), la peste et le commerce exterieur de l'Algerie a l'Epoque ottomane, R.H.M, Nº154-155, tunis2014, p, 97.

(3) Touati (AliIsmet), la peste et le commerce exterieur…op.Cit, p99.

(4) Ibid, p101.

(5) l.Bergasse, Histoire du commerce de Marseille de1599 à 1660 plon1954, p38.

الفرنسيين الإقتراب من الشاطئ المغاربي الممتد من مدينتي الجزائر وتونس ويطبق القرار أيضا على البضائع والتجار القادمين من نفس المناطق[1].

وفي 31 جوان1720م أصدر برلمان بروفانس قرار يعلن فيه مدينة مرسيليا مغلقة برا وبحرا بسبب ظهور الوباء بها ويتم العمل بهذا القرار لمدة ثلاث سنوات ولم يعلن رفع الحجر الصحي إلا في 30جوان 1723م[2].

وزاد من حدة الأثر الطاعون الذي ضرب مرسيليا عام 1720م، ادى بها الى تراجع عدد السفن المحملة بالقمح من الجزائر قابله الجفاف الذي مرت بها الايالة سنوات 1718-1724م مثل مايوضحه الجدول الأتي[3]:

السنوات	عدد السفن المحملة بالقمح من الجزائر الى مرسيليا
1718-1719م	14
1719-1720م	17
1720-1721م	02
1721-1722م	07
1722-1723م	18
1723-1724م	30

من خلال الجدول يتبين أن السنوات التي تشهد ضربات للطاعون أو للجفاف تسجل تراجع في عدد السفن الوافدة من مرسيليا الى الجزائر وهذا لانخفاض كمية المنتوج مثل ماحدث سنة1720-1721م حيث بلغ عددها سفنتين فقط.

لقد أدى الطاعون في بعض الأحيان إلى انقطاع تام للتواصل التجاري بين الجزائر ومدينة مرسيليا مثل ما حدث سنوات 1721م-1722-1723م، أين تم تسجيل غياب كلي لحركة السفن التجارية ،هذا الغياب الذي يفسره انخفاض المحاصيل الزراعية بسبب الآثار الكارثية التي أحدثها الجفاف بالايالة ابتداءا من

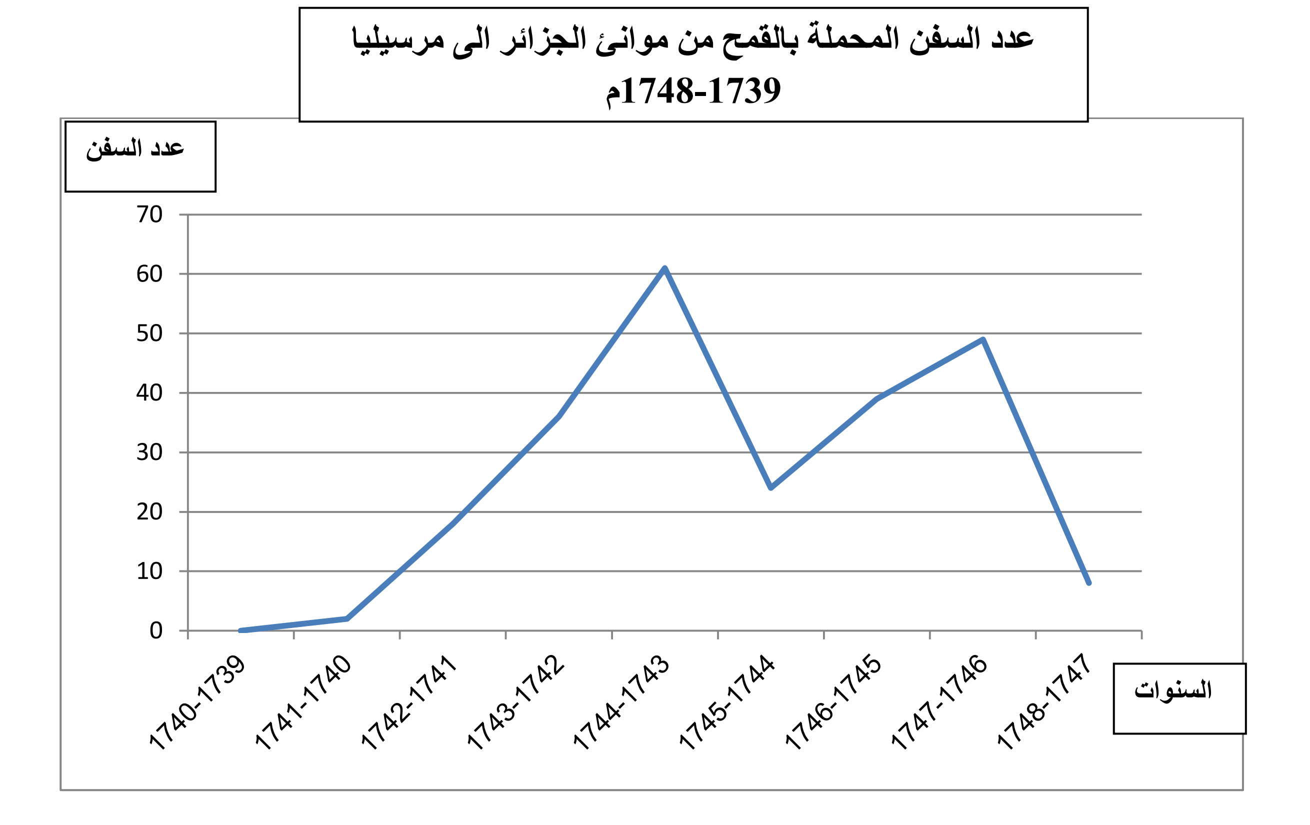
(1) l.bergasse, Histoire du commerce de Marseille de1599 à1660 plon1954,p 62.
(2) G.Rambert, Histoire du commerce de Marseille de 1589 à 1789, Paris, plon, 1954, T4, p609.
(3)Archives Département des Bouches du Rhone, 200E477-480 copier sur Touati (AliIsmet), la peste et le commerce exterieur…op.Cit, p102-103.

سنة1718م[1]، أو تفاديا للعدوى بسبب الطاعون الذي شهدته سواحلها فقد ظهر الوباء في بايلك الشرق، و سُجل بعنابة عام1700م ،وأدى في بعض الأحيان الى تغيير مسار الطريق مثل ماحدث عام 1733 لبعض السفن الفرنسية[2]، وفي سنوات 1740-1745م انتشر ليشمل الجزائر –مستغانم-قسنطينة-ووهران[3].

وهذا مايفسر تراجع عدد السفن المحملة بالقمح من الموانئ الجزائرية سنوات الجفاف أو الطاعون ومن ذلك نورد أمثلة بين سنوات 1739-1747م مثلما يوضحه الجدول التالي:

السنوات	عدد السفن المحملة بالقمح من الجزائر الى مرسيليا
1740-1739	**00**
1741-1740	**02**
1742-1741	**18**
1743-1742	**36**
1744-1743	**61**
1745-1744	**24**
1746-1745	**39**
1747-1746	**49**
1748-1747	**08**

(1) Touati (Ali Ismet), la peste et le commerce exterieur…op.Cit, p104.
(2) Touili (M),..op.cit, p270.
(3)Touati (Ali Ismet), la peste et le commerce exterieur…op.Cit, p105.



من خلال الشكل نستنتج أن السنوات التي تشهد كوارث طبيعية تتوافق مع انخفاض في عدد السفن الوافدة على الموانئ الجزائرية ففي سنة 1739-1740 نسجل غياب كلي للسفن بسبب طول مدة الجفاف الذي أصاب البلاد مسببا أزمة معاشية بين سنوات 1734-1737م، امتدت أثارها إلى غاية1741مؤثرة بذلك على التجارة الخارجية لها ، فين شهدت الجهة الشرقية (بايلك الشرق) موجة لضربات الطاعون ابتداءا من سنة 1740الى غاية 1743م، مأدى إلى تراجع عدد السفن المحملة للقمح ،ففي سنة 1740-1741م تم تسجيل سفينتين فقط قدمت الى السواحل الجزائرية من مرسيليا، في حين ارتفع عددها الى 61 سفينة خلال سنة 1743-1744م حيث شهدت سواحل بايلك الشرق اختفاء للطاعون[1].

لقد شكل ظهور الأوبئة خطر على بعض الموانئ المتوسطية التي تتعامل مع الجزائر تجاريا مما أدى بها الى اتخاذ مجموعة من التدابير فقد أدى تخوف القنصل الفرنسي لومير(lemaire) الذي أخبر في أحد رسائله إلى نواب

[1] Touati (Ali Ismet), la peste et le commerce exterieur…op.Cit, p107-108.

الغرفة التجارية بمرسيليا والمؤرخة في 30افريل 1753م، بأنه يهدد بالقتل كل من أخبر الأوروبين بتطور الوباء وعدد ضحاياه خوفا على أن يؤثر ذلك على المصالح التجارية الخاصة، وقد قام بدفع المال لجواسيسه الذين كلفهم بتغطية أبواب المدينة من حيث المعلومات الخاصة بعدد الضحايا الذين يدفنون كل يوم. ومن هنا يتبين يقظة القناصلة الفرنسيين وتتبعهم لكل ما من شأنه أن يضر بمصالحهم[1]، خاصة بعد الكارثة الديمغرافية التي خلفها سنة1752م حيث بلغت 50ضحية خلال اليوم بمدينة الجزائر وبحصيلة قدرت ب40.000ضحية خلال ظهور الطاعون عام1749م بمعدل 30ضحية خلال اليوم[2].

وفي إحدى عشر (11) رسالة بعث بها القنصل الفرنسي لومير(Lemaire) بتاريخ 07ديسمبر1752م[3]، أكد فيها على تأثير الطاعون على التجارة في جزء من هذه السنة1752–1753م،بصفة سلبية من خلال تراجع عدد السفن المتنقلة بين ميناء الجزائر باتجاه مدينة مرسيليا وقد وقفنا على عدده بين سنوات 1748–1754م وتبين مايلي[4]:

السنوات	عدد السفن المحملة بالقمح من الجزائر الى مرسيليا
1749–1748	13
1750–1749	10
1751–1750	15
1752–1751	12
1753–1752	07
1754–1753	14

(1) أمين(محمد)، الاختراق التجاري الفرنسي للجزائر ...، المرجع السابق، ص56.
(2) Touati (Ali Ismet), la peste et le commerce exterieur…op.Cit, p108.
(3) تحتوي هذه الرسالة على تفاصيل أكثر حول الوباء ومصدر انتشاره ينظر:
- Touili (M),..op.cit, p405.
(4) Touati (Ali Ismet), la peste et le commerce exterieur…op.Cit, p109.

من خلال الجدول يتبين أن السنوات التي تشهد ضربات للطاعون تسجل تراجع في عدد السفن الوافدة من مرسيليا إلى الجزائر كانعكاس جد سلبي على التجارة الخارجية للجزائر مع مرسيليا.

لقد كان لنتائج الأوبئة والأمراض تأثير كبير على الوضع الاقتصادي للمدن الجزائرية الساحلية منها مدينة عنابة، إذ كانت تجتاح المدينة في فترات متلاحقة غير متقطعة طيلة العهد العثماني خاصة خلال القرن 18م بين سنوات 1756-1786م وهذا حسب التقارير التي كان يرسلها موظفوا الشركة الملكية الإفريقية إلى وكالاتهم بمرسيليا[1] ، أو المرسلة من قبل القناصلة الفرنسيين بالجزائر ففي رسالة مؤرخة في 28 أفريل 1786م تتناول حركة الموانئ أشارت إلى وجود انتشار الوباء في مدينة عنابة وضواحيها أدت إلى إعاقة الحركة التجارية بين البلدين[2]، كما تبينه أيضا حركة السفن بين ميناء الجزائر ومرسيليا التالي:

السنوات	عدد السفن المحملة بالقمح من الجزائر الى مرسيليا
1782-1781	10
1783-1782	38
1784-1783	36
1785-1784	50
1786-1785	60
1787-1786	96
1788-1787	60
1789-1788	56
1790-1789	40

[1] سعيدوني (ناصر الدين)، الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهدالعثماني...، المرجع السابق، ص94-95.
[2]Touili (M), op.Cit, p744.et Touati (Ali Ismet), la peste et le commerce exterieur…op.cit, p111.

من الجدول نلاحظ تذبذب في عدد السفن الوافدة على ميناء الجزائر تعكس حالة عدم استقرار البيئة الصحية للموانئ الجزائرية خاصة وأن السواحل الجزائرية معرضة للوباء بنسبة تتجاوز 90٪ بالمئة مقارنة مع المناطق الداخلية [1].

إلى جانب عدم استقرار البيئة الصحية للجزائر العثمانية تجدر الإشارة إلى أن تعكر صفو العلاقات السياسية بين البلدين انعكس تأثيرها على التجارة الخارجية البينية ، نهاية القرن الثامن عشر(18م)وبداية القرن التاسع عشر،خاصة بعد الحملة الفرنسية على مصر1798م في عهد نابليون بونابرت، أو بعد حملة اللورد اكسماوث سنة1816م، أو خلال الحصار المفروض على الايالة عام1827م، فبين سنة 1805–1806م، لم تدخل ميناء الجزائر سوى 12سفينة ،وبين سنة 1809–1810م نجد 21سفينة، لتعود العلاقات التجارية من جديد بعد حملة اللورد اكسماوث بين سنوات1816–1822م أين شهد ميناء الجزائر دخول74سفينة قادمة من مرسيليا لخلو سواحلها من الوباء[2]، ليعود الوباء اليها من جديد عام 1822م كأخر سنة تشهد فيه الايالة دورة للطاعون حسب ما أجمعت عليه الدراسات[3].

أما فيما يخص طبيعة السلع البينية الصادرة والواردة فقد وقفنا على نموذج لسنة 1810م ، تظهر فيها الصادرات والواردات البينية بين البلدين أغلبها من المنتوجات الزراعية[4] والحيوانية حسب ماورد في الوثائق الأرشيفية كمايلي[5]:

---

[1] Boubaker (Sadok), la peste dans les pays du Maghreb,.. op.cit, p323.
[2]Touati (Ali Ismet), la peste et le commerce exterieur…op.Cit, p112-113.
[3] القشاعي، الواقع الصحي والسكاني...، المرجع السابق، ص 155.
- Boubaker (Sadok), la peste dans les pays du Maghreb…op.Cit, p312et322.
[4] شكلت المنتوجات الزراعية أهمية كبيرة في قائمة واردات فرنسا خاصة في هذه الفترة بالذات التي تلت الثورة الفرنسية ومانتج عنها من حروب ومجاعات في فرنسا ينظر:
-Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d’Alger…op.Cit, p298- 299.
[5]Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d’Alger…op.Cit, p298.

السنة	(شهر جوان وجويلية) 1810م
الصادرات	أغلبها من المنتوجات الحيوانية والزراعية:800قطعة من الجلود المملحة- الحبوب-الشمع –الصوف.
الواردات	الخشب الأصفر للصباغة-الجلود الأوروبية-الخشب الاسود-الكاكاو-السكر.

-مع الجزر الإيطالية (ليفورن و جنوة):

تعتبر موانئ ليفورن وجنوة أهم موانئ ايطاليا اذا ما قورنت بموانئ المدن الأخرى كميلان ونابولي والبندقية من حيث النشاط التجاري خاصة مع الجزائر وأوروبا المتوسطية،وهذا بفضل فئة التجار اليهود من جهة ومن جهة أخرى البيئة الصحية الخالية من الوباء والنظام الحمائي الذي تمتاز به موانئها ،فقد سجلت خلال القرن الثامن عشر من عام 1752م لمدة تسعة أشهر(09) دخول 235 سفينة أجنبية الى موانئها(فرنسية-اسبانية-انجليزية-هولندية-سويدية....)[1].

وقد تطورت هذه العلاقة التجارية لتشمل ايالة الجزائر، رغم المنافسة الشديدة من قبل ميناء مرسيليا الفرنسي،حي تم تسجيل حركة للسفن بين سنوات1770-1795م بمعدل اثنين(02)الى ثلاث(03) سفن تجارية لتحتل بذلك ايالة الجزائر المرتبة الثانية في قائمة الدول المتعاملة مع ليفورن بعد تونس في شمال افريقيا[2].

لقد شكلت هذه الفترة المزدهرة للتجارة البينية بين ليفورن وموانئ الجزائر خاصة الجهة الشرقية وذلك بسبب تراجع نفوذ التجار الفرنسيين خاصة بعد ما أصيبت الشركة الملكية الإفريقية بعجز مالي وأصبحت غير قادرة على مراقبة السوق في موانئ بايلك الشرق مما أدى الى تراجع احتكارها لعمليات التصدير والتوريد بمقتضى الكثير من المعاهدات والاتفاقيات الموقعة بين الطرفين[3].

[1]Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.Cit, p301-302.
[2]Ibid, p305.
[3] العربي(الزبيري)، التجارة الخارجية...،المرجع السابق، ص141.

أما السلع المتبادلة بين ليفورن وشرق الايالة فقد تمثلت في تصدير بايلك الشرق للصوف والجلود والشمع وريش النعام والمرجان والحبوب خاصة القمح والشعير والتمور والخضر وكذلك البقوليات واللحم المجفف، في حين كانت تستورد السكر والقهوة والكاكاو، والتوابل والخردوات والرخام،وغيرها نهاية القرن الثامن عشر[1]، وقد بلغ عدد السفن التجارية الجزائرية التي دخلت ميناء ليفورن نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر347سفينة محتلة المرتبة الثانية بعد تونس بالنسبة للسفن التجارية المغاربية موزعة كمايلي[2]:

السنوات	1794–1798	1816–1820	1821–1825	1826–1830
عدد السفن	54	69	91	133

ما يمكن ملاحظته أنه هناك نوع من الحركية التجارية في العقد الأخير 1821-1830 ويمكن تفسير ذلك إلى تراجع الهيمنة التجارية الفرنسية في بايلك الشرق خاصة بعد غلق الشركة الملكية الإفريقية عام 1794[3] من جهة ومن جهة أخرى تعكر صفو العلاقات السياسية بين الجزائر وفرنسا خلال هذه الفترة خاصة بعد الحصار الفرنسي على السواحل الجزائرية سنة 1827 أثر على مسار التجارة الخارجية لها[4].

إن ما اعترض التجارة الخارجية من حواجز طبيعية وعلى رأسها الأوبئة بين الجزائر وفرنسا يمكن إسقاطه على الجزائر والجزر الايطالية فكلما ضرب الطاعون العاصمة وضواحيها أثر ذلك على التجار والبواخر القادمة إليها مما أثر على انتعاشها الاقتصادي بالدرجة الأولى في ظل إغلاق الدول الأوروبية لموانئها باتخاذهم لإجراءات رسمية لإيقاف التعامل مع هذه المدينة [5]، على أساسا أن المتوسط بالرغم من انقساماته السياسية والثقافية والاجتماعية

---

[1] Mohamed(Amine),géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.Cit, p305-306.

– العربي (الزبيري)، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص142

[2] Valensi (Lucette), le Maghreb avant la prise D'ALGER …, op.Cit, p103.

[3] العربي (الزبيري)، التجارة الخارجية...، المرجع السابق،ص211.

[4] نفسه، ص145.

[5] أمين (محمد)، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث...، المرجع السابق، ص62.

والدينية مايسميه بروديل (اقتصاد-عالم) أي حيز قائم بذاته نسجت الروابط التجارية وحركات التبادل التجاري بين مناطقه وأرجائه وحدة اقتصادية عضوية"[1].

-مع مالطا:

يشكل موقع جزيرة مالطا في المتوسط أهمية كبيرة بالنسبة للتجارة الخارجية للجزائر ،فهي تقع في وسط البحر المتوسط ، تبعد حوالي 93كلم جنوب صقلية، و288كلم شمال-شرق تونس، فهي تتوسط بذلك الحوض الشرقي والغربي للمتوسط ، ما أكسبها أهمية جغرافية و استراتيجية منذ القدم انعكس على مختلف المجالات [2].

عُرفت مع بداية الوجود العثماني بالجزائر بعدائها الصليبي ضد المسمين (ضد القراصنة)، فاشتهرت أسواقها بتجارة الأسرى (العبيد) المسلمين المغاربة على وجه الخصوص البحارة التجار في المتوسط وبيعهم في الموانئ الأوروبية كتوسكانا، وقد شكل ذلك أكبر عائق للتجار المغاربة في ما يطلق عليه بالقرصنة البحرية[3]، أما الحديث عن العلاقات التجارية بين الجزائر ومالطا خلال العهد العثماني فقد شهدت تراجع كبير إن لم نقل غياب سبه دائم، وحتى التعامل المباشر بين ايالة الجزائر وجزيرة مالطا فانه لم يكن، إنما يتم مع وسائط تجارية أخرى فقد كان فرسان القديس يوحنا في اتصال دائم بالشركة الملكية الإفريقية والوكالة من بعدها لشراء ما يحتاجونه من الحبوب[4]، رغم المنافسة الشديدة من قبل تونس وطرابلس الغرب الأقرب إلى مالطا[5]، وقد بقيت على هذه الحال الى غاية سقوطها في يد البريطانيين عام 1800م حيث تولى هؤلاء مسؤولية تموين الجزيرة، فقد تضاعفت عدد الحمولات التي كانت تصلها من الايالات العثمانية في شمال إفريقيا، وخاصة من موانئ بايلك الشرق التي كانت تزود الجزيرة بالمنتوجات الزراعية والحيوانية (الحبوب و الأبقار) [6].

---

[1] بروديل(فرناند)، المرجع السابق، ص11.

[2] Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.Cit, p328.

[3] Ibid, p328-329.

[4] العربي (الزبيري)، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص134.

[5] Mohamed(Amine),géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.Cit, p329.

[6] العربي (الزبيري)، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص135.وكذلك:

-Mohamed(Amine),géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.Cit, p329-330.

ففي احصائية بين سنوات 1804-1806 قدت عدد الأبقار المصدر إليها من موانئ الجزائر حوالي 700 رأس، وقد زاد تطور العلاقات التجارية بين الطرفين خاصة بعدما تم تحويل المؤسسات التجارية في شرق الايالة الى بريطانيا، فأصبح التعامل والتفاوض يتم مباشرة مع الباي فيما يخص عمليات شراء الحبوب والمواشي[1].

إن الهدف من وراء ذلك ليس فقط هو مساعدة المالطيين على استغلال التجارة والصيد في موانئ الشرق الجزائري بل لضمان طرد الفرنسيين من حوض المتوسط وإنشاء قاعدة عسكرية في عنابة أو القالة لفرض سيطرة كاملة على البحر المتوسط نلكن ذلك لم يدم طويلا بعد تعكر صفو العلاقات السياسية بين بريطانيا والجزائر خاصة بعد الحملة الإنجليزية الثانية على الجزائر عام1824م واستمر الحال على ذلك حتى 1830 بسقوط الجزائر تحت الهيمنة الفرنسية[2].

إن موقع هذه الجزيرة الجغرافي ذو الأهمية الإستراتيجية جعلها في بعض الحالات عرضة لانتشار عدوى الوباء عن طريق نشاط التجار وحركيتهم وبالتالي أثر ذلك في علاقاتها التجارية مع الجزائر[3]، نتيجة اتصال المدن الساحلة بالخارج، وانفتاحها على المبادلات التجارية باعتبارها نقاط ربط وملتقى الطرق التجارية البحرية في البحر الأبيض المتوسط[4]، وبالتالي أثر ذلك على مسار التجارة الخارجية لكلا البلدين زمن الوباء.

---

(1) العربي (الزبيري)، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص135-136.

(2) نفسه، ص138.

(3) ينظر موقعها في الخريطة على الطريق البحري للسفن التجارية خلال القرن الثامن عشر لسنوات 1765-1768م نقلا عن:

-Aller en caravane :le cabotage lointain en Méditerranée, 17eme et 18eme siècles, revue d’histoire moderne et contemporaine ,2005/1, N°52-1, p33.

(4) سعيدوني (ناصر الدين)،الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني...، المرجع السابق، ص95.

- مع اســبانيا:

قبل الحديث عن العلاقات التجارية بين الجزائر واسبانيا خلال العهد العثماني وجب الوقوف عند العلاقات السياسية البينية التي اتسمت بالصراع السياسي -العسكري الذي انعكس بدوره على الجانب الإقتصادي، باعتبار اسبانيا أقرب البلدان للسواحل الجزائرية جهة الخوض الغربي للمتوسط ، فتعكر صفو العلاقات السياسية في الكثير من المناسبات والتي نذكر أهمها انتصاب الحكم التركي-العثماني بسواحل شمال افريقيا مهددا الوجود الاسباني في الكثير من الموانئ مشكلا عائقا أمام مصالحهم، خاصة بعد فشل حملة شارلكان (شارل الخامس) على السواحل الجزائرية عام 1541م في إطار الحروب الصليبية ، أو في المحطة الثانية عام1792 أين تم تحرير وهران من الغزو الاسباني وطردهم منها[1].

تشير الوثائق الأرشيفية إلى وجود العلاقات التجارية القائمة بين موانئ اسبانيا والجزائر خاصة بين سنوات 1808-1809-1810م،التي تبين دخول السفن الاسبانية للموانئ الجزائرية ، فقد قارب عددها بين سنوات1792-1830 حوالي 33 سفينة متجهة نحو اسبانيا خاصة سنوات 1803-1808-1809-1810، مصدرة للجلود المملحة وجلود الخراف، وريش النعام ومستوردة للصودا النباتية، والصويا، والحرير وغيرها من المنتوجات النباتية والحيوانية، وفي دراسة قدمها الباحث المغربي محمد أميين انطلاقا من الوثائق الأرشيفية عن عدد السفن التجارية الصادرة من الجزائر باتجاه اسبانيا بين سنوات 1793-1808م تبين مايلي[2]:

---

(1)Mohamed(Amine),géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.Cit, p319-320.
(2)Ibid, p323-325.

عدد السفن الصادرة والواردة بين الجزائر وبرشلونة1793–1808

السنوات	عدد السفن الجزائرية باتجاه برشلونة	عدد السفن من برشلونة باتجاه الجزائر
1793	06	04
1794	08	02
1795	03	07
1796	05	05
1797	10	01
1798	06	01
1799	02	01
1800	02	01
1801	03	02
1802	05	01
1803	04	01
1804	02	/
1805	11	/
1806	06	/
1807	06	/
1808	06	/
المجموع	82	26

من خلال قرائتنا للجدول يتبن مدى أهمية الجزائر وموانئها بالنسبة للتجارة الخارجية لاسبانيا والعكس في المتوسط فهي تأتي في المرتبة الثانية بعد ايالة تونس ومتفوقة على موانئ المغرب الأقصى كمراكش من حيث عدد السفن في المبادلات التجارية مع اسبانيا بـ:158 موزعة على موانئها كما يلي (مدينة الجزائر 85، 34لأرزيو، 25لعنابة ، 14لوهران) مقارنة مع تونس بـ:178سفية خلال الفترة الممتدة بين سنوات 1793-1808م[1]، ويرجع ذلك ربما لاستقرار في العلاقات السياسية من جهة ومن جهة أخرى تراجع النفوذ الفرنسي الاقتصادي التجاري في الجزائر خاصة بعد حل الشركة الملكية الإفريقية سنة1794م.

[1]Mohamed(Amine),géographie commerciaux de la régence d’Alger…opCit, p326.

إن هذه الأهمية التجارية ونشاطها مع الدول المتوسطة وخاصة الأوروبية كثيرا ما تعرض لعوائق وحواجز أثرت على اقتصاديات المدينة المعتمدة بالدرجة الأولى من التجارة "فكثيرا ماكان بلوغ الخبر عن ظهور الوباء بالجزائر سببا في اتخاذ إجراءات رسمية بالموانئ الأوروبية لأجل إيقاف أي تعمل مع هذه المدينة وما يليها من البلدان[1].

-مع انجلترا:

لم يكن اهتمام انجلترا بالتجارة المتوسطية كبيرا خلال القرنين السادس والسابع عشر، مقارنة مع القرن الثامن عشر أين تمت السيطرة على مضيق جبل طارق عام 1805م، وبالخصوص بعد 1789م في صراعها ومعارضتها لفرنسا ، وحتى مع الجزائر بسبب القرصنة البحرية التي امتد تواجدها حتى في المحيط الأطلسي ،وانتهت العلاقات بين الدولتين إلى حد القطيعة بعد تعرض موانئ الجزائر إلى القصف على غرار حملة اللورد اكسماوث سنة1816م، لكن ذلك لم يمنع قيام علاقات اقتصادية بين هما كانت بدايتها بطلب من الساسة البريطانيين من الجزائر المساعدة في تضييق التجارة على الدول الصغيرة كالدنمارك وهولندا والدويلات الايطالية في ظل الرفض الفرنسي من طرف قناصلها بالجزائر حسب ما أشارت إليه مراسلات القناصلة الفرنسيين إلى بلادهم[2].

ومن جهة أخرى حاول التجار الانجليز إيجاد مكان لهم داخل السواحل الشرقية للايالة خاصة بعد تراجع نفوذ التجار الفرنسيين، في موانئ القالة وجيجل كموانئ إستراتيجية للحفاظ على مصالحها التجارية في مضيق جبل طارق وجزيرة مالطا[3]، هذا الامتياز الاقتصادي للانجليز داخل الايالة شهد مرحلة ركود خاصة في الفترة مابين 1814-1818من حيث عرفت تحريض الانجليز للدول الأوروبية على الايالة باعتبارها عش للقرصنة خاصة في مؤتمري فيينا 1814، واكس لاشابيل 1818م الذي شهدت فيه الجزائر تحالف انجليزي-أوروبي ضدها، لتعود العلاقات الإقتصادية ابتداء بين سنوات 1819-1823، خاصة جهة السواحل الغربية للايالة حيث تم تصدير

(1) أمين (محمد)، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث...، المرجع السابق، ص62.

(2) Mohamed(Amine),géographie commerciaux de la régence d’Alger…op.Cit, p313-314.

(3) العربي (الزبيري)، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص 137.

منتوجات زراعية (قمح وشعير)، وحيوانية(3000 رأس بقر) باتجاه جبل طارق عام 1822، لتتوقف مرة أخرى هذه العلاقات التجارية بعد الحملة الانجليزية الثانية على الايالة عام 1824م[1].

تمثلت السلع والبضائع المصدرة من الجزائر لجبل طارق في مختلف المواد الغذائية –الزيت–القمح– وبعض الأدوات الحربية من مختلف الأسلحة، كمادة البارود الخاصة بالمدافع وقت الحروب حسب ما تنص عليه الاتفاقيات البينية المبرمة[2]، والرصاص والخشب، وبعض المصنوعات من الأقمشة والمنسوجات الذهبية والفضية،والحرير والتوابل، والحديد والقصدير وغيرها ،في حين تستورد الجزائر كميات من السكر و الشاي والأقمشة الهندية وتوابلها ، وحوزة الطيب وغيرها خاصة في الفترة بين 1792-1830م[3]

لقد كانت هذه المحطات التجارية للإنجليز (مالطا–مضيق جبل طارق) على طريق التجار المتوسط فلطالما كانت هي الأخرى عرضة للوباء نتيجة الحركية الاقتصادية لمختلف السفن والتجار، إن موقع هذه الجزيرة وهذا المضيق الجغرافي ذو الأهمية الإستراتيجية جعلها في بعض الحالات عرضة لانتشار عدوى الوباء عن طريق نشاط التجار وحركيتهم وبالتالي أثر ذلك في علاقاتها التجارية مع الجزائر[4] ، نتيجة اتصال المدن الساحلة بالخارج ، وانفتاحها على المبادلات التجارية باعتبارها نقاط ربط وملتقى الطرق التجارية البحرية في البحر الأبيض المتوسط[5]، وبالتالي أثر ذلك على مسار التجارة الخارجية لكلا البلدين زمن الوباء، فقد أشارت الأبحاث والدراسات المعتمدة على المصادر والحوليات وأرشيف القنصليات الأوروبية، والرحلات،ومراسلات التجار أن تواتر وارتداد الأوبئة من سنة1500م إلى نهاية 1822م أنه تم الوقوف على 157سنة مسها الطاعون أي ما يعادل دورة كل عامين[6].

---

[1] Mohamed(Amine),géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.Cit, p316.
[2] Masson (Paul), histoire des établissements,…op.Cit, p157.
[3] Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.cit, 317-318.
[4] ينظر موقع الجزيرةفي الخريطة ملحق رقم:.. على الطريق البحري للسفن التجارية خلال القرن الثامن عشر لسنوات 1765–1768م نقلا عن:
-Aller en caravane :le cabotage lointain en Méditerranée, 17eme et 18eme siècles, revue d'histoire moderne et contemporaine , 2005/1, N52-1, p33.
[5] سعيدوني (ناصر الدين)،الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني...، المرجع السابق، ص95.
[6] Boubaker (Sadok), la peste dans les pays du Maghreb,…op.cit, p311

إلى جانب الأوبئة شكلت العواصف البحرية أكبر الحواجز الطبيعية أمام التجارة الخارجية للجزائر خاصة مع الدول المتوسطية وأغلبها كانت سفن أوروبية حاولنا الوقوف عليها من حيث الموانئ التى ارتادتها ونوع الخسائر في جدول كالتالي[1] :

جدول لأهم العواصف البحرية على السواحل الجزائرية مابين 1592-1835.

اتجاه العاصفة	السنة	المكان	نوع الخسائر(مادية أوبشرية)
رياح جنوب-شرق	1592م	مدينة الجزائر	**حطمت جزء كبيير من سفن خير الدين باشا**
رياح جنوبية-غربية	1619م	سواحل الجزائر	25سفينة.
	17أفريل 1690	سواحل الجزائر	غرق سفينة فرنسية
	28اكتوبر1690	سواحل الجزائر	غرق سفينة فرنسية(مرسيليا)بقيادة جوزي ماريا
	أفريل1691	شرشال	خسائر مادية
	26جانفي1695	سيدي فرج	غرق سفينة
	جانفي1697	سواحل الجزائر	سفينة حربية فرنسية (100برميل ومدفعين) متوجهة الى مدينة براست الفرنسية
	15ديسمبر1701	شرشال	غرق سفينة
	16مارس1703	30ميل على مدينة الجزائر	غرق سفينة(خسائرمادية)
	مارس 1706	بجاية	/

[1] Devoulx (Albert), Quelques tempêtes à Alger,...op.cit, pp 342-352.

رياح جنوبية-جنوبية-شرقية	ديسمبر1706	ميناء الجزائر	ارساء سفينة انجليزية تدعى férgate banventureمحملة ب300برميل و24مدفع وعلى متنها40شخص و80مسافر برتغالي،تجنبا لهذه العاصفة.
رياح جنوبية-شرقية	09جانفي1719	مرسى تنس	بقايا سفينة subtile
	14جوان1709	بجاية	/
رياح جنوبية-جنوبية-شرقية	فيفري1710	شرشال	سفينة تريد تحميل القمح
	05سبتمبر 1705	شرشال	غرق قاربst-hilaire ووفاة11شخص
	14جوان1709	بجاية	/
رياح جنوبية-جنوبية-شرقية	فيفري1710	شرشال	سفينة تريد تحميل القمح
	05سبتمبر 1705	شرشال	غرق قاربst-hilaire ووفاة11شخص
	جانفي1715	ميناء tareutبالقبائل	سفينة Golere-rose
	ليلة 02نوفمبر1720	ميناء الجزائر	ثلاث عواصف
	مارس1727	ميناء جيجل	سفينة fortune de la mer
رياح جنوبية-جنوبية	24ديسمبر1731	ميناء الجزائر	سفينة حربية(6أفران)
رياح جنوبية-جنوبية-	18مارس 1733	ميناء الجزائر	ضياع قارب

شرقية			
رياح جنوبية	08أكتوبر1734	ميناء الجزائر	غرق ثلاث سفن وتعطيل مسار سفينة انجليزية محملة 5.000قنطار لقوة العاصفة حتى اليوم التالي 09اكتوبر
	15ديسمبر1736	/	سفينة سويدية
رياح جنوبية-جنوبية شرقية	الجمعة 03شعبان 1153هالموافقل10نوفمبر 1740م	ميناء الجزائر	ضياع ثلاث سفن فرنسية وتضرر البنيات المقابلة للميناء وانقطاع حبل المرسى لسفينة انجليزية كما تضررت سفينة البايلك عند اصطدامها بصخرة الغفنة.
رياح جنوبية-جنوبية شرقية	ليلة 28نوفمبر 1742م	ميناء الجزائر	تضرر سفينة فرنسية بميناء الجزائر وكانت مدة العاصفة 24 ساعة
	31ديسمبر1753	ميناء الجزائر	خسائر مادية
رياح جنوبية-جنوبية-شرقية	02فيفري 1754	ميناء الجزائر	تضرر المباني المطلة على البحر والمرسى
	05جانفي 1755	ميناء القل	تضرر سفينة محملة بالملح وغرق 7نساء وطفلين بها.
	04ماي 1755	سواحل الجزائر	سفينة محملة بالسلع قادمة من الاسكندرية متوجهة الى تطوان على مثنها 125مسافر غرق 100منهم.
	ديسمبر 1756	تنس	ضياع سفينة أجنبية

رياح جنوبية	17ديسمبر1757	واد الحراش	تضرر سفينة فرنسية قادمة من مرسيليا
	سبتمبر1766	على بعد 30ميل على جبل طارق	تضرر سفينة محملة بالمسافرين من كلا الجنسين نجا منها شخص واحد من مرسيليا بعمر40سنة بالسواحل الجزائرية اسمه -magdeleine milane
	أفريل 1791	ميناء تازة بين بجاية والقل	غرق سفينة.فرنسية
رياح جنوبية	12-13ديسمبر1792	ميناء الجزائر	تضرر السفن التي كانت راسية بالميناء
رياح جنوبية-جنوبية-شرقية	26جانفي1812	ميناء الجزائر	تضرر السفن التي كانت راسية بالميناء
	28جانفي1812	ميناء الجزائر	تضرر السفن التي كانت راسية بالميناء(سفينة انجليزية)
رياح جنوبية-ج-ش	23ديسمبر1816	ميناء الجزائر	رياح قوية
رياح جنوبية-ج-ش	28/27اكتوبر1830	ميناء الجزائر	عاصفة (ضربة رياح)
رياح جنوبية-ج-ش	11/10-فيفري1835	ميناء الجزائر	تضرر 19سفينة .

من خلال الجدول يتبين لنا أن العواصف شكلت خطرا كبيرا على التجار الخارجية للجزائر وأن أكثر السفن المتضررة كانت أجنبية (فرنسية أو انجليزية)، خاصة في الأشهر الشتوية أين تشتد الأعاصير مما ساهم في تضرر النشاط التجاري وإلحاق خسائر مادية وبشرية به.

-مع المغرب الأقصى:

اتسم المناخ السياسي بين الايالة والمملكة بين الفترة الممتدة بين القرن السادس عشر (16م) والقرن التاسع عشر(19م) بطابع العداوة والصراع ، فقد أحلقت الايالة في العديد من المناسبات خسائر بالمملكة ففي القرن

الثامن عشر على سبيل المثال لا الحصر شهد السلطان مولاي إسماعيل ثلاث خسائر متتالية ، مما احتم على المملكة إلى تغيير سياستها والنظر في العلاقات البينية ، باعتماد أسلوب جديد يتمثل في حسن الجوار مع الأتراك-العثمانيين[1]، لكن بالرغم من المشاكل السياسية القائمة بين البلدين إلا أنه تكونت هناك علاقات اقتصادية بينهما خاصة خلال موسم الحج السنوي سواء على طريق البحر (المغرب-الجزائر-الإسكندرية) إذ يقوم التجار خلال هذه الرحلات بالتبادل التجاري، فقد أورد ابن حمادوش نموذجا لمعاملات التجارية في رحلته البحرية قوله:"وكان عندي صندوق فيه ثلاثة وأربعون تزينة شِشية تونسية، وسبعة حزم حرير...،وجملة سارميتي[*] في هذه السفرة المباركة ثمانون ومائتا سلطاني ذهب..."[2].

أو على طريق البر (تازة-الجزائر-تونس) متوجهة نحو مكة[3]، ومن أهم هذه القوافل قافلة المغاربة التي تنطلق سنويا من فاس قبل ثلاث أسابيع من شهر رمضان مرورا بالجزائر إلى تونس لتعود قبل حلول هذا الشهر[4] إلى المغرب مرورا بقسنطينة-الجزائر-معسكر-تلمسان حيث تقوم بمختلف عمليات البيع والشراء في كل محطة من محطاتها التجارية، والتي شكلت بعض المدن محورا أساسيا لها خاصة تلمسان التي تبعد عن مدينة وجدة بحوالي

(1) Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.cit, p363.

(*) كلمة محلية يقصد بها رأس المال.

(2) ابن حمادوش الجزائري (عبد الرزاق)، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة"لسان المقال في النبا والحسب والحال"، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعدالله، الجزائر،2007، ص32.

(3)Valansi (lucette), le Maghreb avant la prise D'ALGER…, op.Cit, p59.

(4) فيما يخص معدل سير القافلة فان المصادر قدرت معدلها اليومي من 10-12 ساعة،في كل ساعة حوالي 06 كيلومترات والبعض يرى أنها أربعة كيلومترات هذا بالنسبة للقافلة التي يصل عدد جمالها الى1000 بعير وبالتالي في اليوم تسير القافلة مابين 60-72 كيلومتر،راجع: مروان (محمد عمر)، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية في غدامس خلال العهد العثماني الثاني 1835-1912 ، بنغازي، دار الكتب الوطنية ،2009.ص363.

70كلم، فقد لعبت دور الوسيط التجاري بين البلدين[1]، وقد حولنا الوقوف على أهم الطرق الرابطة بينهما وأهم السلع الصادرة والواردة كذلك في الجداول التالية:

1:مسيرة القوافل بين الجزائر والمغرب:

الطريق	المسافة المقدرة بالأيام	المصدر أو المرجع
تافيلالت –توات	-مسيرة 14 يوم	-Renou (Emilien), description géographique de l'Empire de Maroc, Paris, imprimerie royale, 1841, p140.
	-مسيرة 20 يوم	- رحلة العياشي، المصدر السابق، مج1، ص ص75-79.
تافيلالت –تلمسان	-مسيرة 12 يوم	-Renou , op-cit., p131.
فجيج –تلمسان	-مسيرة 09أيام	-Renou , op-cit., p116.
تافيلالت-الاغواط	-على الخط المستقيم690 كلم	-Renou , op-cit., p120.
فاس-توات	-39 يوم	- بوعزيز، تاريخ افريقيا الغربيةالاسلامية من مطلع 16م الى مطلع القرن 20م، دط، الجزائر، دار هومة، 2001، ص46.
وجدة-تلمسان	-40ميل[2] حوالي 70كم	- الوزان ، وصف افريقيا، مج2،ص08.

[1] Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.cit, p364.

[2] يقدر الميل ب:1848متر أي 1.848كلم ينظر:صبحي (محمد)، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل و الأوزان والنقود الشرعية، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، 2008، ص71.

تنوعت صادرات و واردات الجزائر إلى المغرب من مختلف المواد و المنتوجات والمصنوعات تمثل أهمها فيما يلي[1]:

الصادرات	الواردات
الخيول- دواب الركوب،الماشية، الفواكه المجففة، التمور الجزائرية، والسودانية، خيوط الحرير القادمة من تونس، الفضة، الخردوات، أقمشة الصوف من الواحات الجزائرية، الملابس المطرزة، الاقمشة الصوفية، البرانس، الحايك، الأسلحة النارية والسيوف، الحبال، البرادع، و الدروع، الأحزمة.	العسل،السكر، القطن والحديد، الجلد الفيلالي(من تافيلالت)، الذهب الخام، ريش النعام،العاج ،القطن الحايك،القبعات الحمراء، الأقمشة، حجاب الصوف مش الحرير،الأفرشة، أغراض الحمام، القطن، البخور، العبيد، البلغة، الصابون.

رغم تنوع الصادرات والواردات البينية تبقى حجم التجارة جد ضيئلة مقارنة مع نظيرتها مع الدول الأوروبية رغم القرب الجغرافي، وقد زادت من تقليص هذا الحجم عوامل أخرى طبيعية تظهر في تأثير الوباء على التجارة الخارجية للايالة مع المملكة زمن الوباء فقد أدى انتقال العدوى من الجزائر إلى المغرب الأقصى

سواء عن طريق البحر أو البر خاصة من خلال الاحتكاك القائم بين المناطق الحدودية بين القبائل والقوافل التجارية وتحرك الجيوش والحجاج كلها كعناصر لانتقال العدوى مثل ماحدث عام 1554م حينما ضب الطاعون مدينة الجزائر وبعد انتشاره في مدينة تلمسان بأشهر قليلة نجده انتقل الى الريف المغربي عام1557م ومنها الى فاس ونفس الحديث يقال عن سنوات 1590-1605م،1620-1624م،1640-1648م،1675-1679م، 1783-

[1]فرج محمود (فرج)، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1977.ص70.

- بن خروف، المرجع السابق، ص59-60.

- Carette (E), du commerce de l'Algérie..., op.cit, p23.
-Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.cit, p363.
- Venture,op-cit,p16.

- الزبيري، التجارة الخارجية ...، المرجع السابق، ص105.

- شويتام، المرجع السابق، ص352.

1799م، 1816-1822م[1]، وبنفس الطريقة دب الطاعون الى المغرب عن طريق التجار الجزائريين بين سنوات1742-1744م، وعن طريق الحجاج عام 1799م[2].

إن مثل هذه الموجات أدت بالفاعلين الاقتصاديين في مختلف القطاعات خاصة فئة التجار بالفرار والى إغلاق المدن لأبوابها وهروب بعض العائلات خوفا من الوباء وانعدام الأمان [3] ، مما أدى إلى فرض هاته الأخير حجرا صحيا عام 1797م خاصة على السفن القادمة من وهران ، وهذا يبين مدى الآثار التي خلفها وباء الطاعون على العلاقات التجارية الجزائرية-المغربية وتأثر البنيات الاقتصادية بين البلدين[4]، حتى أن بعض قنصل البرتغال في طنجة راسل حكومته بتاريخ 23 جويلية 1797م، برسالة يتحدث فيها عن "وصول قافلة من جهة الشرق حيث توجد الأراضي الجزائرية وينتشر الطاعون إلى مدينة فاس، مما أدى بالقناصل الأوروبيين بالاتصال بالسلطان لتنبيهه إلى وجوب اتخاذ إجراءات صارمة لمنع انتشار المرض في مملكته "[5]،ولتفادي انتقال العدوى من ايالة الجزائر إلى المغرب عام 1817م عقد المجلس الصحي الدولي بطنجة اجتماعا طارئا لإقامة حزام صحي بين المملكة والايالة الأمر الذي عرقل وشل حركة التجارة بينهما واثر بالسلب عليها[6].

-العلاقات مع الايالات المغاربية:

رغم الاتجاه المتوسطي للتجارة الخارجية الجزائرية ، وبالخصوص مع الدول الأوروبية من جهة ، ومن جهة أخرى تعكر صفو العلاقات السياسية تبقى فيه علاقات اقتصادية بين الجزائر والولايات العثمانية المغاربية (تونس-وطرابلس الغرب)، خاصة في بعض المناسبات الدينية منها موسم الحج لوقوع هذه البلدان على طريق القوافل[7].

---

[1]Boubaker (Sadok), la peste dans les pays du Maghreb,…op.Cit, p323-324.
[2]Abdelmounim(Aissa), l'état sanitaire du Maroc pré-colonial 1742-1912, R.H.M, 31[eme] année Nº115, Tunis 2004, P09.
[3]Boubaker (Sadok), la peste dans les pays du Maghreb,…op.cit, p326.
[4] أمين (محمد)، الاختراق التجاري...،المرجع السابق، ص51-52.
[5] حماش (خليفة)،كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني الى العهد الراهن...،المصدر السابق، ج1، ص206
[6] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر....، المرجع السابق، ص445.
[7] Boubaker (Sadok), la peste dans les pays du Maghreb,…op.Cit, p356-357.

1-التبادل التجاري بين الجزائر وايالة تونس:

بالرغم إن الإيالتين تمثلان أجزاء من الإمبراطورية العثمانية في شمال إفريقيا إلا أن العلاقات السياسية بينهما انتابتها حساسية خاصة على مسألة الحدود ، ونشوب عدة معارك بين الطرفين كالتي وقعت خلال حكم حمودة باشا(1782-1814م)، خلال عام 1807م، لكن تعكر صفو المناخ السياسي لم يمنع من قيام علاقات تجارية بين البلدين سواء على جهة الساحل أو جهة البر موسم الحج كوحدة دينية تجمعهما ، واعتبار ايالة تونس كمعبر بري للقوافل ،أو محطة من محطات الطريق البحري للسفن الحاملة للحجاج مرورا بالإسكندرية ،هذه المناسبة الدينية التي تعتبر كفرصة للتجار للمتاجرة ،ولبعض المدن أين تمر بها القوفل الجزائرية-المغربية التي تحمل معها مختلف النتوجات (أقمشة –توابل-زيوت-صابون-وغيرها من المنتوجات مقابل المرجان من طبرقة، والتمور من جربة)[1]، هذه القوافل التي قدرت مسيرتها بين الايالتين على النحو الأتي

الطريق	المسافة القدرة بالأيام	المصدرأو المرجع الذي ذكر المعلومة
-الجزائر-تونس	12يوم	- ميشال (أبار)،الجزائر في القرن السابع عشر لرحالة اسكتلاندي ،تر: حنفي بن عيسى،مجلة الثقافة، الجزائر، ع1971/3،ص ص45-47.
بسكرة-قابس	-11 يوم	- رحلة المصعبي، المصدر السابق.
الوادي-نفطة	-05أيام	- العربي، التجارة الخارجية ...، المرجع السابق، ص152.
الوادي-قفصة	-03 أيام	- العربي، التجارة الخارجية ...، المرجع السابق، ص154.
قسنطينة-تونس	-15 يوم -10أيام	- العربي، التجارة الخارجية ...، المرجع السابق، ص 152. - بلحميسي (مولاي)، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، ط2،الجزائر، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،1981،ص 183.

تشير الوثائق أن بعض التجار أمثال الحاج السعيد بولحسن ذو أصول قسنطينية، أرسل من تونس الى الجزائر 34 قبعة، وكميات من ملح البارود ، والزيت، وكميات من الورق، والدّكير محملة في قارب متوجه نحو الجزائر عام

[1] Boubaker (Sadok), la peste dans les pays du Maghreb…, op.Cit, p359.

1810م، وقد زادت أهمية تونس التجارية للجزائر إذ لعبت دور الوسيط التجاري على الطريق البحري مع بعض الأطراف المتوسطية كليفورن[1].

في حين تمثلت حمولة القوافل على طريق البر كما يبينه الجدول التالي:

نوع السلع	صادرات تونس الى الجزائر	المصدر/ المرجع	صادرات الجزائرالى تونس	المصدر/المرجع	ملاحظات
الحيوانية (الماشية)	الجمال	Prax, algerie meridionale…,op-cit, p200.	البقر-الغنم -الابقار والماعز	- ابن أبي الضياف ،المصدر السابق،ص40-41 - ينظر :الارشيف الوطني التونسي،دفتررقم 1769،ورقة32/23(بيان للبقر والماعز الذي بيع بتونس من قبل جزائريين). Thomassy(r),o- p-cit,p41.	-كانت ترسل من طرف دايات الجزائر مع مبعوثين جزائريين مع تحديد سعرها. -الجزائر كانت تحتوي على ثروة هائلة من هذا النوع فكانت من صادراتها
المواد الغذائية	التوابل	- Emerit, un mémoire inédit …op-cit,p176.	-التمور الجيدة من سوف	Carette, du commerce…op-cit., p22.	لقد كانت أجود الانواع،تنتجها كل من توقرت،وسوف،ونفطة (ينظر: Prax ,l'Algerie meridionale ou Sahara Algerien ,le dattier et le chameau, R.

[1] Boubaker (Sadok), la peste dans les pays du Maghreb,…op.Cit, p359-360.

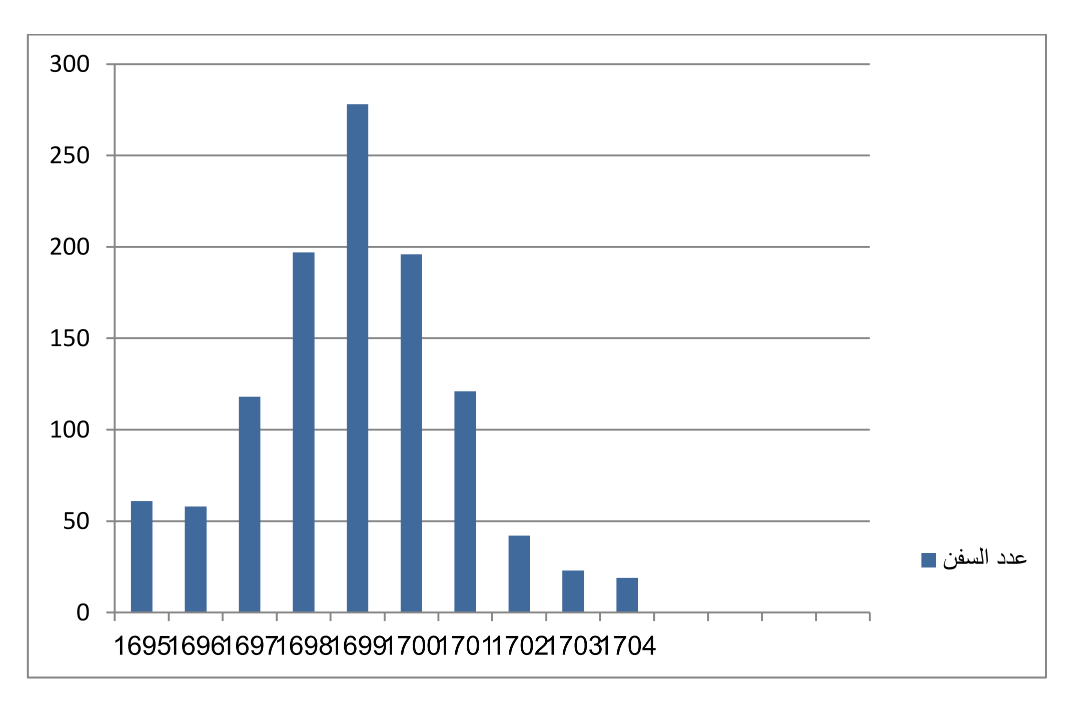
					O.A.C,T5,Paris, 1849, p208.
	السكر	Dumas,op-cit,p21.	/	/	/
	-الحبوب بكميات كبيرة	-الامام،المرجع السابق، ص300.	-التوابل	- Prax, commerce de constantine… po-cit,p33.	من وادي سوف
			-السمن والجوز	-قاسم،المرجع السابق،ص314.	/
المواد الأولية	-الصوف	Valansi,op-cit., -p60.	-ريش النعام	-Valansi, p60.	/
	-الكبريت	Carette, du commerce…op-cit., p22.	-الصوف الجيدة وسعف النخيل	Carette, du commerce…op-cit., p22.	/
			-الشمع،الجلود الجافة،الحرير	Thomassy,op-cit,p41.	/
	-التبر والعاج وريش النعام وحزم الصوف وشعر الابل	Prax, Algérie meridionale…op-cit,p200.	-الحديد(الذكير)	-قاسم،المرجع السابق،ص314.	يستعمل في صناعة السكاكين
	-الحرير،الذهب والمرجان	- Prax, commerce de constontine…po-cit,p33.			لقد كان الذهب مطلوب بكثرة في تونس خاصة بعد

	-الحرير	- بن يدر(كريم)، ص223.			استيلاء الجزائريين على جميع ثروات تونس من الذهب وأخذها الى الجزائر،سنة 1756،من أجل صك العملة.ينظر: de candia(farrugia),mo-nnaies husseinites, , R.T.,n 17,1934, p85
	-القبعات والبرانس	Valansi ,op--cit,p60.	-القبعات	- Carette, du commerce…op-cit., p22.	/
	-الوشاح التونسي الحريري، المفروشات، أقمشة الحرير، حايك الجريد	Carette, du commerce…op-cit., p22-24			
المنسوجات	-القبعات الحمراء:الشاشية	- Prax, commerce de constontine…po-cit, p33.	-الحايك والبرنوس السوفي	-Prax, Algérie meridionale…op-cit, p200.	لقد كانت الشاشية التونسية في جودتها واتقانها أكبر حتى من القبعات الاروبية،مع العلم أن الصوف الذي تصنع منه كان يستورد من اسبانيا ينظر: Maggil (T),p170.
	-الاوشحة	Thomassy, op-cit, p41.			
	-السجاد	سعيدوني ،بوعبدلي ، ص73.			
	-العطور	Carette, du commerce…op-cit., p22-24			

العطور وأدوات الزينة	-بخور السودان والزباد	-Prax, Algérie meridionale…op-cit,p200.			الجزائر لم تكن تصدر العطور الى تونس
	-البخوروالمسك	- Prax, commerce de constontine…po-cit,p33.			
	-بخور الورد	Thomassy,op-cit,p41.			
	-عطور الورد والياسمين	-تركي،المرجع السابق،ص341			
	-الجواهر	-Emerit, un mémoire inédit …op-cit,p176.			
العبيد	العبيد	-Prax, Algérie meridionale…op-cit,p200.	العبيد	Valansi,op--cit,p60.	/
المصنوعات	-الاسلحة.	Carette, du commerce…op-cit., p22-24	-قبعات من سعف النخيل	-شويتام ،المرجع السابق، ص349.	/ /
	-سيوف المبارزة، البنادق، والرصاص	- Prax, op cit,p33.	-مسحوق البارود	- سعيدوني بوعبدلي المهدي، المرجع السابق، ص73	
			-المظلات والتبغ	- الزبيري التجارة الخارجية...المرجع السابق، ص155.	
	-الادوية	سعيدوني، بوعبدلي ، المرجع السابق، ص73.	-العملة الجزائرية	-Emerit, op-cit,p176.	
سلع أروبية	-الاقمشة	Valansi, opcit,p60			/

إن هذا التنوع في المنتوجات الصادرة من الجزائر إلى تونس والواردة اليها اعترضته مجموعة من الحواجر على غرار باقي الشركاء التجاريين المتعامليين مع الجزائر حسب ماتشير إليه الوثائق الأرشيفة فقد أدى انتشار الوباء في حوض البحر المتوسط إلى اتباع ايالة تونس لنظام حمائي ضد السفن الوارد اليها تجنبا للعدوى ، فقد اثر على على تجارتها البحرية وقيمة مبادلاتها التجارية خاصة بين سنوات 1654-1705م مع الأطراف الأوروبية(موانئ مرسيليا-جنوة-ليفورن ومالطا)،فقد شهدت الايالة التونسية خلال هذه الفترة ثلاث موجات من الوباء خلال 1675-1678، 1689-1690، 1701-1705 ،وهذا ماتؤكده حركة موانئ ايالة تونس مع الدول الأوروبية بين سنوات1695-1705م كالأتي(1):

عدد السفن الصادرة والواردة بين تونس والدول الجنوبية لأوروبا ما بين1695-1704



من خلال الرسم البياني يتبن أن السنوات الوباء التي تشهد موجات للوباء تشد تراجع في عدد السفن الواردة على الموانئ مما يبين الأثر الكبير على حركة الموانئ الكبير الذي يخلفه على التجارة الخارجية ، وفي المقابل تشهد السنوات الخالية منه نشاط كبير .

(1)Boubaker (Sadok), la peste dans les pays du Maghreb,…op.Cit, p332-333.

أدى هذا التأثير الى اتباع نظام حمائي مثلما تبينه الوثائق الأرشيفية الخاصة بعوائد الكرنتينة على مختلف السفن والمراكب الواردة الى موانئها وقد أوردنا منها عوائد شهر نوفمبر من عام 1836م[1]:

الدول	قيمة العوائد بالريال	مدة الحجز
مالطة	96	10 أيام
جبل طارق	52	/
بحر المورة	112	15 يوما
سفن انجليزية قدمت من مالطا	52	/
مرسيليا	52	/
اسبانيا	52	/

من خلال الجدول يتبين أن هذا النظام الحمائي شكل مورد مالي لإيالة تونس كضريبة مفروضة على السفن والمراكب الأجنبية الواردة على موانئها ، فكلما زادة مدة الحجز أو المكوث زادت قيمة الضريبة وقد أوردنا مثال على النحو الأتي[2]:

مدة الكرنتيتة	قيمة العوائد	المكان الذي قدمت السفن
05 ايام	03ريالات دورو	أي برّ من برور النصارى
20يوما	من 30الى 32ريالات دورو	الترك أو من الإسكندرية
40 يوما	40ريالات دورو	أي برّ كان

لقد كان هذا الاجراء من أجل حماية العباد والبلاد كما جاء في نص الرسالة التى بعث بها حسن باي تونس الى القنصل الفرنسي يخبره فيه بفرض عشرين يوما كرنتينة على السفن القادمة من فرنسا[3]، ومثل ماطبق هذا النظام

---

[1] الأرشيف الوطني التونسي، السلسة التاريخية، الصندوق:066، الملف:798، تحت عنوان:مراسلات صادرة أو واردة على المجلس الصحي خاصة من القناصل تعلقت بأوضاع الصحة العمومية والكرنتينة لتحفظ على الأوبئة(1830-1840م)، مقبوض عوائد الكرنتينة عن شهر نوفمبر1836م.راجع نص الوثيقة في الملحق رقم06.

[2] الأرشيف الوطني التونسي، السلسة التاريخية، الصندوق068، الملف:809، تحت عنوان: مراسلات متعلقة بالأوضاع الصحية بالبلاد التونسية وبالتحفظ من الأوبئة(1815-1873)،وثيقة رقم 08.انظر النص الأصلي لها في الملحق رقم06.

[3] الأرشيف الوطني التونسي، السلسة التاريخية، الصندوق068، الملف:809، تحت عنوان: مراسلات متعلقة بالأوضاع الصحية بالبلاد التونسية وبالتحفظ من الأوبئة(1815-1873)، وثيقة رقم 05 مؤرخة في ذي الحجة 1247هـ.

على مختلف الدول نجدة يطبق أيضا على السفن القادمة من الموانئ الجزائرية مما اثر من دون شك على حركية التجارة بين الإيالتين وهذا الجدول يبين قيمة العوائد الخاصة بالكرنتينة على السفن القادمة من الجزائر[1]:

الموانئ الجزائرية	قيمة العوائد المفروضة عليها في موانئ تونس
عنابة	52 ريال
مدينة الجزائر	52ريال
وهران	52ريال

من الجدول يتبين أن قيمة العوائد المفروضة على السفن الجزائرية وأن مدة الحجز تقدر ب أربعين يوما انطلاقا من قوانين هذا النظام الحمائي المسطر كما بيناه في السابق(تقدر قيمة العوائد ب40ريال للسفن التي تمكث مدة أربعين يوما والقادمة من أي برّ كان).

لقد كان هذا النظام من بين الإجراءات الوقائية المتخذة لمنع انتشار العدوى**حسب** ، خاصة على السفن الورادة الى الجزائر ونورد مثال على ذلك ما صدر عن الرسالة التى بعث بها وكيل الجزائر بتونس الحاج عمار إلى إبراهيم وكيل الخرج بتاريخ 20ربيع الثاني 1244هـ/الموافق لـ30أكتوبر1828م وفيها أخبار عن مركب قادم من ازمير الى تونس يدعى مركب(نامسة بزركان) فيه مجموعة من الحجاج ومعهم 26من اليولداش الجدد واثنين من القدماء نزلو بحلق الوادي إذ تكلم مع حاكم تونس ليخفض لهم عدد أيام الحجر الصحي بقوله"..**وأما ماكان**

[1] الأرشيف الوطني التونسي، السلسة التاريخية،الصندوق:066، الملف:798، تحت عنوان:مراسلات صادرة أو واردة على المجلس الصحي خاصة من القناصل تعلقت بأوضاع الصحة العمومية والكرنتينة لتحفظ على الأوبئة(1830-1840م)، مقبوض عوائد الكرنتينة عن شهري سبتمبر- اكتوبرو نوفمبر1836م.

من أمرهم فاني تكلمت مع السيد حسين باي لينقص لهم كم يوم من الكرنتيلة (والأصح الكرنتينة) فأجابني إلى ذلك والسلام...."[1].

وما تجدر الإشارة إليه أن هذا النظام بقي ساري المفعول مع الدول المتوسطية، ومعمول به حتى بعد سقوط ايالة الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي مثل ماتشير إليه وثائق الأرشيف[2].

-الجزائر مع ايالة طرابلس:

حسب ما تشير إليه مراسلات وكلاء الجزائر في طرابلس ، وما تناقلته كتب الرحلة فان النشاط التجاري القائم بين الايالتين يتم على طريقين، طريق البحر وطريق البر، فقد شهدت موانئ طرابلس حركية للتجار الجزائريين عام 1813وهم أحمد الصندالي من عنابة، وحسن البربري من مدينة الجزائر،و محمد بن سليمان تاجر بها الجزائر وقائد لقارب مغربي يدعى" الميمون" ،وقد تمثلت طبيعة السلع المتجر بها في القطن –السلع المصنوعة محليا وكذا الأوروبية والمنتوجات المشرقية –ريش النعام–التمور–الحبوب–العبيد..الخ[3]،لكن انتشار الوباء ساهم فسي التأثير على حركية هذه التجارة ففي سنة 1767م نجدة يضرب مدينة طرابلس ليظهر من جديد بين سنوات 1784-1786م[4].

أما على طريق البر فقد شكل الحج أكبر مناسبة للقوافل التجارية المارة بمدن ليبيا وواحاتها للنشاط التجاري خاصة بالنسبة للواقعة منه على طريق الحجاج كمدينة غدامس[*]تعتبر هذه المحطة مركز تجاري ونقطة هامة

---

[1] انظر نص الوثيقة رقم 45 في الملف(1)،المجموعة 3204واصلها تحت رقم(12) في المجموعة(1903)،المكتبة الوطنية الجزائرية، وقد نقل هذا النص الباحث : حماش (خليفة)، وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزء الأول: مراسلات وكلاء الجزائر في الخارج، منشورات كلية الآداب والحضارة الاسلامية–جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016 ، ص ص229-230-231-234.

[3] Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d’Alger…op.Cit, p363.

[4] Raymond, les provinces Arabes, pp417-418 : copier sur Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d’Alger…op.Cit, p362.

[*] غدامس مدينة في الصحراء على سبعة أيام من جبل نفوسة، اليها ينتسب الجلد الغدامسي، ومنها يدخل الى بلد تادمكة وغيرها من بلاد السودان، (الحميري، المصدر السابق، ص427).

في مسار القوافل التجارية، ومنها يتم تفرع العديد من الطرق باتجاه الجزائر وتونس وصولا الى المغرب الأقصى، اذ تقوم باستقبال القوافل القادمة من طرابلس وجنوب تونس والجزائر لتتجمع هناك لتأخذ فيما بعد كل قافلة وجهتها[1]، فقد جعلها موقعها الاستراتيجي نقطة عبور ومحطة رئيسية يتوقف عندها المسافرون من تجار القوافل حتى أطلق عليها اسم بوابة "الصحراء" فكانت بذلك حلقة وصل بين الأقطار المغاربية وبلاد السودان[2]، فهي تقع بالجنوب الغربي من مدينة طرابلس وتبعد عنها بحوالي 300كلم، ضمن نطاق ليبيا وبالقرب من الحدود التونسية الجزائرية حتى أصبحت محطة مهمة في بداية الطريق إلى جهات ومراكز مختلفة[3]، إلى جانب الواحات الموجودة على الحدود الليبية –التونسية–الجزائرية كنقطة التقاء للطرق الصحراوية القادمة من توات وبلاد السودان والمناطق الصحراوية الجزائرية(توقرت–الواد–ورقلة) [4].

وقد وقفنا على مسيرة القوافل بين الايالتين من خلال الجدول التالي:

الطريق	المسافة القدرة بالأيام	المصدر او المرجع الذي ذكر المعلومة
غدامس–توات	–مسيرة 24 يوم	- رحلة الاغواطي ، ص98.
غدامس –ورقلة	–10أيام(160سا)	–Carette, sur la géographie… op –cit., p136.

[1]الأمين (عوض الله)، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي، وأثرها الحضارية، ضمن:كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ، بغداد، العراق، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، 1984،ص80-81.

[2] ابراهيم، المرجع السابق، ص11.

[3] المبروك، المرجع السابق، ص 299-300.

- Prax ,régence de Tripoli, carte de cette régence et des principale routes commerciales de l’intérieur de l’Afrique, Revue de l’Orient de l’Algérie et des Colonies ,T.8,Paris,1850, p27.

[4]Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d’Alger…op.Cit, p362.

	-12 يوم	- Aucapitaine..., op –cit., p 424
	-13 يوم(430كم)	.- مروان ، المرجع السابق، ص368.
غدامس–واد سوف	-09أيام	- رحلة الاغواطي، المصدر السابق، ص97.
	-13 يوم(117سا)	-carette, recherches sur la géographie..., op –cit., – p156.,
	-15يوم(420كلم)	- مروان، المرجع السابق، ص368.
الواد–غدامس	-15 يوم	-Prax ,carte de la régence de tripoli...op-cit.
غاط–واد سوف مرورا بـ:متليلي–غدامس–غاط–كانو	34 يوم	-Prax, commerce de l'Algérie...,op-cit., p343.
غدامس–تقرت	475كلم	- مروان، المرجع السابق، ص368.
غدامس–الجزائر	940كلم	- مروان، المرجع السابق، ص368.
غدامس–عنابة	760كلم	- مروان، المرجع السابق، ص368.

أما عن طبيعة السلع التي تتم عن طريق البر من خلال نشاط القوافل فكانت تتمثل فيما يلي:

نوع السلع	**صادرات ليبيا الى الجزائر(واردات الجزائر)**	**المصدر أو المرجع الذي ذكر المعلومة**	**صادرات الجزائرالى ليبيا(واردات ليبيا)**	**المصدر أو المرجع الذي ذكر المعلومة**	**ملاحظات**
الحيوانية (الماشية)	الحمير المصرية	الزبيري،التجارة الخارجية ...المرجع السابق،ص180	/	/	
المواد الغذائية	التوابل،والليمون الحامض	- Dumas, le Sahara Algérien...op-cit,p172.	/	/	

	الكور(فاكهة مالحة)	الزبيري،التجارة الخارجية ...المرجع السابق،ص180	التوابل	الزبيري،التجارة الخارجية ...المرجع السابق،ص180	أغلب هذه السلع تتم بين واحات الجزائر الجنوبية وواحات ليبيا
المواد الأولية	التبر،العاج	الزبيري،التجارة الخارجية ...المرجع السابق،ص180	الحرير والكاغط	الزبيري،التجارة الخارجية ...المرجع السابق،ص180	
			التبر،وجلود الفهود،أسنان الفيلة	- Dumas, le Sahara Algérien...op-cit,p172.	
	القطن	- Dumas, le Sahara Algérien...op-cit,p172.			
المنسوجات	القماش،الشاشية	- Dumas, le Sahara Algérien...op-cit,p172.	القماش	- Dumas, le Sahara Algérien...op-cit,p172.	
	الأقمشة القطنية	الزبيري(محمد العربي)،التجارة الخارجية ...المرجع السابق،ص169			
العطور وأدوات الزينة	المرايا،البخور	- Dumas, le Sahara Algérien...op-cit,p172.	المواد العطرية،الجواهر	الزبيري،التجارة الخارجية ...المرجع السابق،ص180	
العبيد	العبيد	الزبيري،التجارة الخارجية ...المرجع السابق،ص180	العبيد	- Dumas, le Sahara Algérien...op-cit,p172.	
المصنوعات	الاحذية السوداءوأدوات المائدة	- Dumas, le Sahara Algérien...op-cit,p172.	الاحذية، وسيوف المبارزة	- Dumas, le Sahara Algérien...op-cit,p172.	/
سلع أروبية	/	/	المصنوعات الاوروبية	الزبيري،التجارة الخارجية ...المرجع السابق،ص180	/

إن هذا التنوع في السلع الصادرة والوارد بين الاياتين لم يسلم من **الطبيعية** فكان أولها **الحر** الذي يعد من أهم العوائق الى تعترض تجار القوافل في مسالكهم خاصة الطريق الصحراوي إذ أن بعض السلع بسبب ارتفاع درجات الحرارة تتعرض الى الذوبان خاصة الحساسة منها مثل: العسل،الزبدة الشمع، وبالتالي كانت هذه السلع يفضل نقلها على طريق البحر[1]،مما أدى الى بعض التجار والمسافرين الى تجنب استعمال الطريق الصحراوي لشدة حرارته ولقلة الماء فيه[2]،وقد أورد الرحالة الاسكتلندي"ليثجو" وصفا حيا لذلك بقوله"ولكن عدونا القاهر خلال هذه الرحلة هو الشمس التى كانت حرارتها لاتطاق في شهر سبتمبر من عام 1615م...." [3]، هذه الحرارة التى خلفت في بعض الأحيان خسائر حيوانية قول العياشي"حتى اشتد الحر في اليوم الثالث، ومات بعض الابل"[4]، ومن أجل تجنب حرارة الشمس وسطوع الرمال كان لابد من حمل الماء والتمر[5]، وبقدر ماكان تساقط الأمطاربركة على الحجاج اذ يطفؤون بها ظمأهم ويتنسمون بقطراتها هواء نديا يخفف من لهيب الحر وسمومه،بقدر ماكانت عائقا في وجه تقدم الركب حينما تتهاطل بكميات كبيرة فت**فيض** المياه وتتحول الى سيول جارفة فتؤدي الى غرق الحجاج وضياع أمتعتهم وهلاك دوابهم خاصة اذا فاجأتهم وهم نزول في بطن واد من الأودية أو صعود في منحدر من المنحدرات مثل مارحدث لركب الحج المغاربي الذي كان فيه أبو سالم العياشي بموضع غير بعيد عن تكرت[6].

---

[1] Girard (p.s), mémoire sur l’agriculture, l’industrie, et le commerce de l’égypte, Paris, 1822, p150.

[2] سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988،ج2، ص69-70.

[3] آبار، المرجع السايق، ص47.

[4] القرشي، المرجع السابق، ص171-172.

[5] Mauroy(M), Du commerce des peuples de l'Afrique septentrionale dans l'antiquité, le moyen âge et les temps modernes, comparé au commerce arabes de nos jours, Paris, 1845, p 166.

[6] الإدريسي(الفقيه)،ركب الحج المغربي...، المرجع السابق، ص243.

وثاني العوائق الطبيعية **الزوابع الرملية** بسبب هبوب الرياح الجنوبية التى تتعرض لها القوافل، اذ تخلف قتلى في بعض الأحيان[1]، أو تؤدى الى زوال آثار القوافل التى يتبعها المسافرون أو التجار، هذه الأثار التى تتبعها الجمال من أجل تفادي خطر التخبط والضياع أو الهلاك[2].

إلى جانب اختفاء الأثار التى يتبعها التجار تقوم هذه الزوابع بطمس معالم الآبار ليتعذر بذلك الوصول اليها، مما يهلك الناس بالعطش[3]، "وسلكنا في مهمه مغبرة أرجاؤه،كأن أرضه سماؤه، قد سخرت فيه الرياح للرمال، تحملها أمامها كالجبال حتى لايكاد الرجل، أن يعرف مسايره،ولا يسمع مسامرة....والرمال أمامنا كالسيل... ولا تفتح العين إلا ملئت رمالا..." [4]،كما تؤدي الرمال المتحركة إلى نفس الشئ من طمس لمعالم الطريق وأباره، مما يؤدي إلى الضياع والإنحراف[5].

هذا في الجنوب أما في الشمال فان الحديث يكون عن العواصف الثلجية أوقات الشتاء "ذلك أن الثلج إذا بدء يسقط ليلا أصبحت القوافل مدفونة تحته، ومخنوقة، وليست القافلة التى يكسوها الثلج وحدها، بل يكسو الأشخاص المحيطة بها أيضا بحيث تتعذر رؤية الطريق وتختفي المعالم للعثور على الجثث"[6]، فكانت الظروف القاهرة أيضا و قساوة المناخ من عوائق القوافل من برودة شديدة وكثرة الثلوج ورياحها [7].

---

(1) Carette, recherche sur la géographie et le commerce…, op-cit., p97.
(2) D'esayrac, op-cit., p02.

(3) أستيتو، المرجع السابق، ص80.

(4) الرحلة العياشية، مج1، المصدر السابق، ص ص 111-113 .

(5) الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص156؛ Thomassy, op-cit., p45 -

(6) الوزان، المصدر السابق،ج1، ص73.

(7) حساني، المرجع السابق، ص29.

أما عن **قلة الماء والكلأ** فعادة ما تصادف القوافل مشكلة انعدام الماء[1] والكلأ بسبب الجفاف[2] لذا فان نقص الماء يبقى العائق الأكبر أمام التجار خاصة في الطرق الصحرواوية [3]، لأهميته بالنسبة للإنسان والحيوان معا ففي برقة ضرب الحجاج مثلا شهيرا بقولهم"حرقة أو غرقة لا برقة"[4]وهذا لإنعدام مائها.

أضف الى ذلك **الضباب** فقد يمكن أن تتعرض له القوافل مما يجعلها في حالة توقف خوفا من التيه والضياع[5] خاصة في المناطق الشمالية أما في الجنوب فهي مهددة بالسراب[6]ففي تابلبالت بالمغرب الأقصى يذكر ابن مليح السراج"ثم مرحلتان صحراوان ،تاه أخرهما الركب،وتلف أثناءهما الدليل مقدار ضحوة من النهار"[7]كل هذا يؤدي الى تخلف القوافل عن موعدها، وفي ذلك تأثير على التجارة وأرباحها.

–مع المشرق:

يشمل مصطلح المشرق حسب البعض من الدارسين أربعة مواقع كبيرة الأناضول (الجزء الأسيوي والأوروبي من الدولة العثمانية)، سوريا ولبنان ومصر[8]، وقد ارتبطت معها الجزائر وبلاد المغارب بصفة عامة بنشاط تجاري تكثف مع مطلع العصر الحديث نتيجة الغارات المتكررة من طرف الأوربيين على سواحلها من جهة[9]، ومن جهة أخرى شكلت مناسبة الحج السنوية باتجاه البقاع المقدسة أكبر دافعا لذلك النشاط للتجار

(1) سعد الله(ابو القاسم)، مع العياشي في رحلته الى القدس، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الامارات العربية، ع1999/10،ص 195.

(2) نفسه، ص 14.

(3) Faroua (Mahmoud), le commerce caravanier de la Tunisie après la première guerre mondiale, revue d'histoire maghrébine, n̊ 55/56, Tunis, 1989, p31.

(4) الرحلة الورثيلانية، المصدر السابق، ج2، ص617.

(5) D'esayrac, op-cit, p02.

(6) Carette, recherche sur la géographie et le commerce…,op-cit., p97.

(7) ابن مليح (السراج)، أنس الساري والسارب من أقطار المغارب الى منتهى الامال والمآرب سيد الاعاجم والاعارب 1633/1630،تحقيق وتقديم: محمد الفاسي، فاس، 1968، ص28.

(8) Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.Cit, p334.

(9) أرزقي(شويتام)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني،...المرجع السابق،ص351.

الجزائريين خاصة مع مصر،ومكة،وسوريا،وطرابلس الشام، وتركيا خاصة مع مدينة ازمير الميناء الرسمي للدولة العثمانية[1].

فالبنسبة للمبادلات التجارية مع مصر، فقد اشتهرت الإسكندرية كمحطة رئيسية لنشاط التجار باعتبارها أكبر الموانئ ، وملتقى بين البحر المتوسط والبحر الأحمر للسفن المغاربية التي تنقل الحجاج ذهابا وإيابا إلى مكة على طريق البحر ،في حين تشد القوافل التجارية القادمة من بلاد المغارب ومختلف أرجاء إفريقيا انطلاقا من المغرب الأقصى مرورا بالجزائر وتونس وطرابلس ، باختلاف أعدادها التي تصل في بعض الأحيان إلى 4000جمل[2]، حاملة معها مختلف السلع و المنتوجات باتجاه القاهرة للتجارة ومنها لإكمال طريقها نحو البقاع المقدسة[3].

لقد كان الحج فرصة سنوية للتجار لتحقيق الربح على طول الطريق المؤدي الى البقاع المقدسة(مكة) ،لما يقع من بيع وشراء لما حملوه من بضائع يتم جمعها من مختلف المواضع ، والمحطات التى مروا بها، وقد جرت العادة أن تقوم بهذه الرحلة الدينية والدنيوية ثلاث قوافل قاعدة انطلاقها من المغرب تحت قيادة أشراف مغاربة[4]، يتم اختيارهم بشروط.

لقد حدد البعض عدد الركب ب: 1500 الى 2000 حاج ،وفي كل محطة يؤسس الركب تجارة للتبادل فيقوم أصحاب القوافل بشراء والبيع[5]، فقد أورد العياشي في ذلك عند دخوله ورقلة قوله:"وكان من لطف الله بالحجاج

(1)Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d’Alger…op.Cit, p334.
(2) P.masson, histoire du commerce …..p593
(3) Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d’Alger…op.Cit, p335.

(4) الزبيري، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص183.
(5) Prax, commerce de l’Algérie avec Mecque et le soudan …, op-cit., p338.

أن صادف دخولهم دخول قافلة من أعراب الارباع قدمت بسمن كثير و وغنم وابل وزرع، اشترى الناس ما احتاجوا اليه..." [1].

وبالمقابل يوفر الحجاج في الطريق النقود وبعض السلع المجلوبة من بلدانهم، اذ عادة ما يمارس الحجاج حرفة التجارة في الذهاب والإياب لكسب قوتهم،خاصة اذا علمنا أن طريق "الحج طريق شاق،ويحتاج إلى التزود بالمال و المؤونة والاستعداد للدفع من اجل القوت والحمل، والركوب والكسوة ومصارف أخرى معروفة أو طارئة"[2]، أما فيما يخص مسار هذه القوافل فكان إتجاهها من المغرب نحو المشرق ذهابا والعكس، اذ كانت تمارس عملية التبادل التجاري بين بلدان المغرب العربي والمشرق، أثناء اتجاهها لبلاد الحجاز انطلاقا من جهات مختلفة بالمغرب الاقصى مثل تازا [3].

وتعتبر قوافل الحج أهم القوافل نظرا لعدد جمالها الهائل المتنقل باتجاه مكة حيث يتجمع الحجاج في تازة ،لتقطع القافلة الجزائر، ثم تونس، أما عن طريق الجريد أو عن طريق تونس لتصل الى طرابلس بعد قطع شهرين وصولا إلى الإسكندرية ثم إلى مكة أين يشارك الحجاج في المعرض التجاري الهائل الذي يقام هناك[4].

صحيح أن الطابع الأساسي لهذه القوافل كان الدين أي تأدية فريضة الحج ،فكانت جل مكوناتها البشرية الحجيج الراغبين في تأدية فريضة الحج، إلا أنه من بين المرافقين لها التجار، وكان الحجاج أنفسهم يتاجرون، فيما أحضروه معهم من بضائع المغرب في طريق الذهاب وبضائع المشرق في طريق الإياب [5] فكانت هذه العملية سنوية، لتحقيق أهداف دينية ودنيوية منها الحج،وطلب العلم ،وربح المال حتى قيل في المثل"حج و

---

(1) مختصر الرحلة العياشية، المصدر السابق، ص30.

(2) سعد الله (ابو القاسم)، مع العياشي في رحلته إلى القدس...، المرجع السابق، ص194.

(3) شويتام، المرجع السابق،ص353 ؛ عباد (صالح)، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، الجزائر، دار هومة، 2012،ص341.

(4) Valansi (lucette), le Maghreb avant la prise d'Alger, op.cit, p59.

(5) بن خروف، المرجع السابق، ص65.

حاجة "[1] ولعل خير دليل على ذلك الربح ما جناه التاجران الحاج عبد القادر والحاج ناصر من وادي ميزاب من مضاعفة لأموالهم في طريقهم الى الحج [2]، اذ كان الحجيج يتجرون مع السكان المحليين في كل مدينة أو قرية يقفون عندها حتى عدت القافلة بمثابة سوق متنقلة[3]، قول الورثيلاني"فلما اجتمعوا واشتروا وباعوا اهتموا بالرحيل"[4]، هذه القوافل الذي شغل مرورها أنظار السكان المحليين ففي تونس يستغل التجار رجوع الحجاج من الحجاز للمتاجرة معهم، هذه الصحبة التي كانت عادة متواصلة كل عام بين الدول المغاربية حتى سميت بالقافلة المغاربية[5]، باعتبارها مناسبة للتبادل التجاري[6].

وقد كان التجار ينتظرون أو يستغلون فرصة موسم الحج لعدة أسباب منها: أن ركب الحج يمثل حاجزا للتجار اذ يوفر لهم الحماية من الاعتداءات[7]، وكذلك التمتع بالإعفاءات الجمروكية حتى قيل في المثل"حج مبرور وذنب مغفور، وتجارة لن تبور"[8]، كما أن القافلة وسيلة لنقل سلعهم الى أماكن مختلفة، فيذكر أحد الشيوخ أنه كانت له مبادلات تجارية مع مدينة طرابلس قدرت بضائعها بعشرة قناطير(10) من الزعفران بعث بها الى صاحبه في طرابلس مع قافلة للحجاج المراكشيين كانت عائدة الى بلادها [9]، أضف الى ذلك أن الحج

---

(1) فيلالي، المصدر السابق ، ص81.

(2) Prax, commerce de l'Algérie avec la Mecque et le soudan…, op-cit., p p339-342.

(3) الزبيري، التجارة الخارجية...المرجع السابق، ص183-184.

(4) الرحلة الورثيلانية، مج1، المصدر السابق، ص82-83.

(5) قاسم (أحمد)، ايالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574- 1600م)، تونس، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، 2004 ، ص315.

(6) بن خروف، المرجع السابق، ص65.

(7) Aucapitaine (baron Henri), étude sur la caravane de la Mecque et le commerce de l'intérieur de l'Afrique, Paris, extrait de publications de l'académie nationale, 1861, p02.

(8) مروان، المرجع السابق، ص 382.

(9) فيرو (شارل)، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، ترجمة وتحقيق:محمد عبد الكريم الوافي، ط3، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1994، ص328.

كان مناسبة وفرصة يسمح وقته بالقيام بعمليات تجارية[1]، كما أنه فرصة يستفيد منها التاجر اذ يضاعف رأس ماله[2]، وفي ركب الحج لا يتعرض التاجر للجمركة، اذ كانت السلع التى ترد صحبة الركب من المغرب الاقصى لا يأخذ منها شئ، وذلك اعانة لهم على حجهم من طرف السلطة في تونس، وكذلك السلع الواردة صحبة الركب من المشرق فلا يؤخذ عليها شئ من القديم، كما"تم اسقاط عن التجار جمرك الطيب بالمسك والعنبر والزباد، ونحوها ليكثر جلبها...." [3]، وهذا ما شجع الحجاج على ذلك لعدم مراقبتهم من طرف الديوانية[4]، حتى أنه كان يتم اختيار الأماكن التي لايتعرض فيها الركب للجمركة مثل توات في الجزائر[5] خاصة أن " أهل تلك البلاد قد انكفت عنهم أيدي الملوك ولم تسسهم الدول منذ أزمان ولا قادهم سلطان قاهر الى مايراد منهم..." [6]، ومن أهم نتائج تعلق التجار أو الحجاج التجار بالتجارة مع ركب الحج الموسمي ما نتج عنه أن التجار المغاربة انتشروا في المدن المشرقية التى تقع على طول طريق الحج مثل الاسكندرية ورشيد ودمياط بمصر، فكانت هذه الظروف المشجعة التى وفرتها مصر لأبناء المغرب بمثابة عوامل جذبتهم، فهاجروا اليها واستقروا فيها، ومارسوا أنشطتهم حتى أصبحوا من سكانها [7]، اذ نجد أن اغلب التجار كانوا يحملون لقب الحاج والذي انتشر بكثرة [8].

لقد تعددت آلام الحجاج وشواكيهم طول غيبتهم، فمن قسوة الطبيعة وغارات الأعراب الى مشكل الماء ومكر الجمالين وظلم المكاسين الى أخطر عارض فتاك بحياة العديد منهم وهو **الوباء أو الطاعون**، الذي عجز

---

[1] Yvette (katan bensamoun), rama (chalak), jacques-roert (katan), le Maghreb de l'empire ottoman a la fin de la colonisation, francise, Paris, édition-belinb, 2007, p25.

[2] Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.cit, p337-338.

[3] الحاج حمودة، المصدر السابق، ص369.

[4] Girard, op-cit., p 152.

[5] فرج محمود (فرج)، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1977، ص64.

[6] الناصري (أحمد بن خالد)، المصدر السابق، ص98.

[7] عبد الرحيم عبد الرحمان (عبد الرحيم)، المغاربة في مصر في العهد العثماني(1517-1798)، الجزائر، منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص23.

[8] نفسه، ص143-144.

الطب حينها عن التغلب عليه،فلم تحل الوقاية والاحتياط منه دون انتشاره في مختلف الاوساط الغنية والفقيرة حتى نال اهتمام الرحالة والأطباء والمؤرخين وتناقلوا أخبارهم في مؤلفاتهم وحولياتهم وكتب وفاياتهم، ومازاد في الأمر خطورة ماسبقته المجاعة والقحط وغلاء الأسعار فساد الاعتقاد بأن هذه الظواهر عبرة وتأديب من الله لانتشار المعاصي في الأرض[1] .

لقد أسفر الوباء عن محاولة الفرار أو الهجرة الفردية أو الجماعية التي ينتج عنها إغلاق المتاجر وتعطيل النشاط الاقتصادي وإخلاء المراكز العلمية من الطلاب[2]، وقد أفاض العياشي في الحديث عن الوباء وأبدى تخوفا منه وأحصى ضحاياه بالقاهرة بقوله"ووجدنا الوباء بالقاهرة كما بلغنا، إلا أنه خفيف يُصلى في الجامع الأزهر كل يوم على نحو عشرة"[3].

لقد انتشر الوباء على طول طريق الحجاج وفي عدة مناطق مخلف ضررا ماديا ونفسيا على ركب الحج وعلى الساكنة في نفس الوقت ومن الصدف أن الرحالة العياشي حضر بعض المشاهد ونقلها إلينا من الجزائر ففي طريق عودته تزامن بركبه الطاعون الذي امتد إلى أهل الأغواط واجتاحت المسغبة قراهم عام 1074هنوقد اتخذوا الوقاية اللازمة لمنع انتشار العدوى، من خلال منع السعاة من دخول البلد كما منعوا الركب من ذلك ، وكان إجراء المعاملات التجارية خلف الأسوار بواسطة القفة التي تدلى بالحبال لحمل البضاعة، أو غسل عملة الحجاج التي يأخذونها من القفة، كل ذلك كان من تأثير الوباء على الوافدين من الحجاج على الجزائر والمارين بها، ومايقال عنها يقال عن باقي البلدان الواقعة على الطريق البري للحجاج والتجار فمثل هذه الظروف القاسية منعتهم من

---

[1] ماكمان(محمد)، الرحلات المغربية القرن6-7ه/17م-18م ، المصدر السابق ،ص159.

[2] نفسه ، ص159.

[3] مختصر الرحلة العياشية، المصدر السابق، ص68.

قضاء مآربهم في المراكز الهامة والاطلاع على أحوالها ، بدءا من المغرب مرورا بالجزائر وتونس فطرابلس إلى مصر[1] باعتبار الحج أكبر مناسبة تجمع بين بلاد المغرب ببلاد المشرق[2].

في المقابل اختار البعض من الحجاج الجزائريين طريق البحر باعتباره اقل إرهاقا وتكلفة من السفر برا[3]، الذي تعددت هو الأخر مراحله انطلاقا من الجزائر، مرورا بتونس ثم طرابلس وصولا إلى ميناء الإسكندرية بمصر[4]إن طول المدة التي يقضيها سواء الحجاج أو التجار على طريق البحر التي تتجاوز في الغالب أربعين يوما(40)فقد أورد الرحالة الانجليزي جوزيف بيتس(Joseph Pitis) قوله :"وفي تلك السنة خرجت من الجزائر قاصدا مكة فوصلنا للإسكندرية في غضون ثلاثين أو أربعين يوما[5]، لطالما تعرض فيها المسافر إلى أخطار طبيعية تهدد حياته فقد أورد التمقروتي في رحلته قوله:"فلما سافرنا من بجاية عشية يوم الأربعاء هبت علينا ريح شديدة تللك الليلة وعظم الموج وهال البحر واشتدت الريح وصار الموج كالجبال الشوامخ يضم السفينة كلها ويميلها يمينا وشمالا كالبهيمة التي تتمرغ في التراب وأيس الناس من السلامة والنجاة وأيقنوا بالهلاك والغرق"[6].

وتؤكد الوثائق التاريخية والأرشيفية على أن طريق الذهاب في مراحله هو طريق الإياب في البحر ،كما تستعمل السفن المسيحية وبالأخص الفرنسية منها في عملية نقل الحجاج من الموانئ المغاربية الى الاسكندرية ومنها الى مكة[7]، فقد اشتهرت الإسكندرية كمحطة رئيسية لنشاط التجار باعتبارها أكبر الموانئ ، وملتقى بين البحر المتوسط والبحر الأحمر للسفن المغاربية التي تنقل الحجاج ذهابا وإيابا إلى مكة على طريق البحر هذا النشاط والموقع جعلها

---

[1] ماكمان(محمد)، الرحلات المغربية القرن6-7هـ/17م-18م ، المصدر السابق، ص162.

[2] Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.Cit, p335.

[3] رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، تجمة ودراسة عبد الرحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة، 1995، ص23.

[4] Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d'Alger…, op.Cit, p335

[5] رحلة جوزيف بتس، المصدر السابق، ص24.

[6] بلحميسي (مولاي)، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني،ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر 1981،ص52، راجع الرسالة:207 ، رسالة من مصطفى رئيس قائد السفينة الجزائرية مفتاح الجهاد المتوجهة الى الاسكندرية الى حسين باشا 12رمضان1242هـ، وقد كتب مصطفى رئيس رسالته من تونس وتحدث عن الأضرار التى أصابت سفينته بسبب العاصفة التي اصطدم بها بعد أن غادر الجزائر،وأجبره ذلك على التوجه الى تونس لاصلاح الأعطاب راجع خليفة (حماش)، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص125.

[7] Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.Cit, p337.

مستوطن لوباء الطاعون ومستقرا فيها مما ساهم في انتشار العدوى إلى باقي الموانئ والبلدان باتجاهات مختلفة منها الجزائر فقد ظهر جوزيف بيتس بعد عودته قائلا:" وقد صعد إلى ظهر السفينة بعض الأشخاص المصابين فسرى الطاعون بيننا ، وقد شفى بعض ممن أصيبوا وألقينا في البحر عشرين جثة ممن ماتوا بسببه..." [1].

لاشك أن انتشار الوباء على طول الطريق البحري بمختلف اتجاهاته في ظل إشكالية العدوى المطروحة أثر على النشاط التجاري لمختلف التجار الجزائريين والمغاربة بصفة عامة باعتبار بلاد المغارب محطات وقواعد رئيسية لتنقل الحجاج والتجار ومختلف السلع باتجاهات مختلفة[2]، ونورد مثال عن بعض التجار الجزائريين على طريق البحر منهم الحاج ناصر من واد مزاب كتاجر فبعد سنوات من العمل على خط وهران –الجزائر–عنابة –تونس برأسمال قدر ب9000فرنك ،قبل نزوله بالإسكندرية وهو على متن سفينة تحمل 200حاج ،نجده يحقق فوائد وأرباح قدرت ب:5000 فرنك ،نموذج ثاني يتمثل في نشاط الحاج عبد القدير من تقرت حاملا معه 400درو، استعمل منها 200دورو لشراء مختلف السلع منها:المسك من مكة، وبرنوس من الحرير من القاهرة، وحصان وحرير وشاشية حمراء من تونس، فالقاهرة محطة عبور ضرورية لكل المغاربة وصولا الى مكة أين يقام أكبر معرض تجاري يحمل منه المغاربة المنتوجات الزراعية والحيوانية والمصنوعات الحرفية المحلية والأقمشة الأجنبية على طريق البر في حين تحمل المنتوجات الحساسة كالعسل والزبدة والشمع والزيوت على طريق البحر[3]، إلا أن هذا النوع من التجارة كان معرض لمختلف المخاطر الطبيعية خاصة العواصف البحرية،والأوبئة إذ غالبا ماتؤدي بحياة التجار إلى الموت[4]، وهنا يصبح مجال العدوى أوسع اذ يشمل السواحل العثمانية الممتدة من الإسكندرية حتى استانبول وذلك عن

---

[1]رحلة جوزيف بيتس، المصدر السابق، ص75.

[2]Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d’Alger…op.Cit, p337.

[3]Ibid, p339-340.

[4] شويتام(أرزقي)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص353.

طريق التجار والبحارة والحجاج والطلبة وتنقل الانكشارية والدبلوماسيين والمسافرين بشكل عام ممن أصيبوا بالوباء في الموانئ المشرقية وبذلك تكون موانئ الجزائر قد لعبت دور الوسيط في انتقال الوباء بمختلف الإتجاهات[1].

وفي إحصائية قدمها بانزاك حول التجارة البحرية في الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر نجد أن ايالة الجزائر هي الحلقة الأضعف في المعاملات التجارية مع الإسكندرية مقارنة مع باقي الايالات المغاربية والبلدان مثل ماتبينه الجداول التالي[2]:

عدد السفن الصادرة والواردة على ميناء الاسكندرية عام1782م.

الايالات	عدد السفن الصادرة	عدد السفن الواردة	المجموع
ايالة الجزائر	1	02	03
ايالة تونس	12	25	37
ايالة طرابلس	12	14	26

عدد السفن الصادرة والواردة على ميناء الاسكندرية عام1785م.

الايالات	عدد السفن الصادرة	عدد السفن الواردة	المجموع
ايالة الجزائر	1	5	6
ايالة تونس	2	14	16
ايالة طرابلس	1	8	9

تمثل هذه الجداول عدد السفن الصادرة والواردة على ميناء الإسكندرية مع الايالات المغاربية لسنوات1782و1785، أين تظهر الجزائر كشريك تجاري ثانوي مقارنة مع باقي الايالات في تجارتها مع مصر

[1] أمين(محمد)، الاختراق التجاري الفرنسي للجزائر خلال العهد العثماني(1518-1830م)...،المرجع السابق، ص53.

[2] Panzac (Daniel), les échanges maritimes dans l'empire ottoman au 18eme siècle. In : Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N39 ,1985.les Ottomans en Méditerranée-Navigation, Diplomatie, commerce. Pp177.188.

ويمكن تفسير ذلك إلى أن الجزائر كانت تميل في معاملاتها التجارية مع الدول الأوروبية كما أن أغلب الحجاج والتجار يملون إلى الطريق البري للحج سنويا للبقاع المقدسة كبديل على الطريق البحري ،كما شكلت الإسكندرية مصدر العدوى إذ تسببت سفن في طاعون ظهر بمدينة الجزائر إلى وهران وقسنطينة بعد قدوم حجاج من الإسكندرية ، وتسجيل حالات وفاة عام 1817م[1].

ليس بعيدا عن موانئ الإسكندرية نجد نشاط الجزائريين يصل الى موانئ سوريا مباشرة ،لكنه معرض لمخاطر البحر والمتمثل في الأساس في نشاط القراصنة التابعين لجزيرة مالطا في الحوض الشرقي للبحر المتوسط [2].

أما بالنسبة للنشاط التجاري مع الدولة العثمانية فاشتهرت خاصة مع مدينة ازمير في المتاجرة بمختلف المنتوجات والمصنوعات[3]، في الفترة خلال القرن الثامن عشر وبالخصوص بين السنوات الممتدة من1726-1776 بنسبة معتبرة كما يبينه الجدول التالي[4]:

الايالات	1726–1723	1753–1750	1776–1773
ايالة الجزائر	**6.6٪**	**2.5٪**	/
ايالة تونس	**12.2٪**	**7.4٪**	**6.1٪**
ايالة طرابلس	**4.2٪**	**7.5٪**	**4.6٪**
مصر	**13.8٪**	**12.1٪**	**31.9٪**

تحتل الجزائر المراتب الأخير من حيث النسبة في التعامل التجاري مع مدينة ازمير، مقارنة مع باقي البلدان ،لكن هذا النشاط الذي امتازت به المدينة اعترضته في بعض الأحيان حواجز منها انتشار الطاعون بصفة كبيرة خاصة

(1)Manuscrit,op.Cit, f 44.
(2) Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d’Alger…op.Cit, p345.
(3) لمعرفة طبيعة السلع بشئ من التفصيل راجع:
- Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d’Alger…op.cit, pp352-356.
(4)Panzac (Daniel), les échanges maritimes...op.cit, p182.

خلال القرن الثامن عشر وبالخصوص بين سنوات 1713-1792أين تم تسجل معدل دورة في كل سنة من هذه السنوات [1]، وانتشاره في مختلف جهات البحر المتوسط، ومنها إلى ايالة الجزائر مثل ما حدث عام1756م عن طريق سفينة انجليزية حاملة لجنود أتراك(فرقة عسكرية) مطعونين قادمين من إزمير[2].

إن انتشار الطاعون في أرجاء الإمبراطورية العثمانية أدى إلى تأسيس مجالس صحية كإجراء وقائي للتصدي لخطر الوباء وانتقال عدواه تم تمديد مدة الحجر الصحي المفروض على البضائع الواردة من الجزائر وتونس إلى الدولة العثمانية من خمسة أيام إلى عشرة أيام ذلك بسبب استمرار تفشي وباء الكوليرا، وهذا القرار لم يكن يخص الجزائر لوحدها وإنما شمل تونس وكذلك بعض الموانئ الأوروبية مرسيليا وايطاليا وهذا بغرض تأمين واردات المناطق المذكورة [3]، وقد ورد اسم الجزائر في العديد من محاضر المجالس الصحية للدولة العثمانية باعتبارها منطقة حيوية للتعامل التجاري[4]، هذه المحاضر التي لا تزال محفوظة في الأرشيف العثماني بتركيا[5].

مما سبق نستنتج أن آثار الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها لم تقتصر فقط على الخسائر الديموغرافية التي كانت عميقة على مختلف فئات المجتمع وخاصة الهشة منها، وعلىالمجال الجغرافي بدرجات متفاوتة بل أدت الى اضطراب الحركة الاقتصادية، نتيجة تضرر الفلاحين والموسم الفلاحي بسبب الجفاف وغزوات الجراد القادمة من الجنوب وما أحدثته بالمزروعات لتسهل بذلك عمل المجاعات وانتشار للأمراض وغلاء في الأسعارالى تضررالحرف والحرفيين التي كانت تستمد مادتها الأولية في الغالب من الإنتاج الزراعي والحيواني الى انحصار في التبادل التجاري الداخلي والخارجي وتضرر لفئة التجار التي وقفت الكوارث كعائق أمام نشاطهم كل ذلك أدى الى تهديد للساكنة في قُوْتها أمنها الغذائي ، بل نجدها تجاوزت ذلك إلى جوانب أخرى أهمها العمران وهو محور المبحث التالي.

---

[1]Panzac (Daniel),la peste à Smyrne au 18eme siècle. Op.cit, p1092-1093.
[2]Ibid, p1084.
[3]مشروع بحثTIKA: الجزائر في الوثائق العثمانية، تنسيق يوسف صاريناي، ترجمة فاضل بيات ويشار محمد صالح الشريف ،الترجمة العربية للوثائق زينب دراج و عبد الباسط المكي، دار الوراق للدراسات والنشر،الجزائر ،2018.ص254.
[4]Osmali Arsivi ,A.J MKT.MHM579/16/3.
[5]ينظر نموذج من هذه الوثائق بالملحق رقم 04.

المبحث الثالث: الآثـــار العمرانية.

لم تقتصر أثار الكوارث الطبيعية فقط على الحياة الإجتماعية والإقتصادية بل تعدت في بعض الحالات منها إلى تهديد الساكنة في الجزائر خلال العهد العثماني في مضربها أو مقر سكناها لتكتمل بذلك الحياة العصيبة أيام الكوارث الطبيعية فمن تهدم المنازل وسقوطها إلى حدوث بعض التشققات والتأكلات إلى خلو العمران من الساكنة واتخاذ الفرار والهجرة كسلوك يجنب الساكنة خطر الهلاك ويأمن حياتها، وغيرها من المآسي التي قد تلحق به، وماتجدر الإشارة اليه قبل الولوج في هذا المبحث هي قلة الدراسات التي تناولت النسيج العمراني وطبيعته سواء على مستوى السلطة أو المجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني [1]، بغض النظر عن أسباب ذلك ،كالتخريب وأعمال الهدم التي لحقت بالعمران من قبل الاحتلال الفرنسي منذ السنوات الأولى له[2]، ومن هنا حاولنا الوقوف على أثر هذه الكوارث على العمران وبالأخص ما أحدثته ظاهرة الزلازل لما كان لها من الأثر المباشر على السكن وباقي المنشآت العمرانية فلم تكد الإيالة تستريح من دورات الجفاف والمجاعات والأوبئة حتى استفاقت على كارثة الزلازل التي كان أثرها مدمرا في الجهة الشمالية منها ومن هناجاء التساؤل كيف كان هذا الأثر؟

أولا:الزلازل والأوبئة:

لقد حاولنا في هذا المبحث الوقوف على أكثر الكوارث الطبيعية التي هددت العمران وساكنيه في الجزائر العثمانية بمختلف أنواعها فد ساهمت على حد قول ابن خلدون بأن منها من "ذهب بأهل الجيل، وطوى محاسن العمران ومحاها، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مدّاها فقلص من ظلالها، وفلّ من حدها وواهن من

---

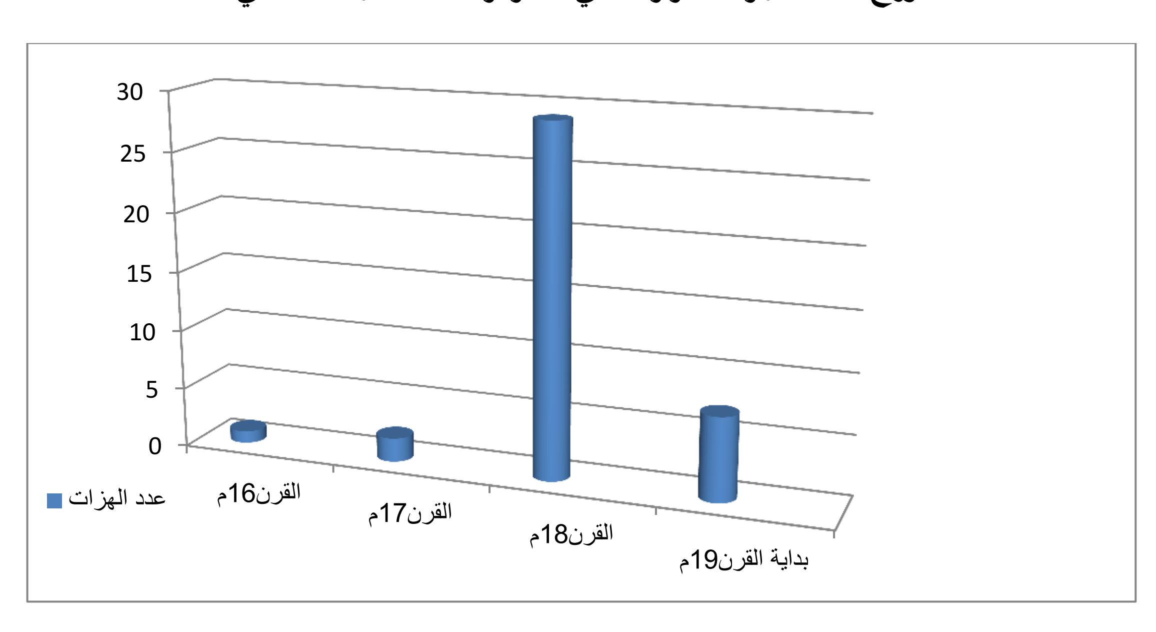
(1) من أهم الدراسات التي تناولت العمارة والعمران في الجزائر خلال العهد العثماني نجد:بلقاضي(بدر الدين)، بن حموش(مصطفى)، تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس، موفم للنشر،الجزائر،2007 والتوزيع،الجزائر،ج1و،2007،2 وكذلك : القلاع والحصون في الجزائر :المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، الجزائر، 2008 ، وكذلك دراسات:خلاصي(علي)،قصبة مدينة الجزائر، دار الحضارة لطباعة والنشر، الجزائر،2007 .

(2) Raymond(André) ,le centre ville D'Alger en1830, in ROMM , nº31, 1981, pp73-86.

سلطانها، وتداعت إلى التلاشي، والاضمحلال أحوالها وانتفض عمران الأرض بانتفاض البشر ،فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السبل والمعالم، وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن"[1].

ففي الجزائر العثمانية وقفنا على أولى هذه الكوارث الطبيعية وفي مقدمتها الزلازل فيها الجزائر الزلازل اذ عرفت منها الجزائر بين سنوات1518-1830 العديد من الهزات الأرضية [2] في مختلف أرجاء الايالة مثل ما يوضحة الرسم الشكل البياني الأتي:

توزيع عدد الهزات الزلزالية في الجزائر خلال العهد العثماني



[1] بن خلدون، المقدمة،ج1، ص53.نقلا عن أحمد السعداوي ،المرجع السابق، ص 40.

[2] تختلف عدد الهزات الزلزالية من دراسة الى أخرى فعلى سبيل المثال تشير الدراسة الحديثة الى احصاء 25 هزة أرضية خلال الفترة1586-1825الصادرة عن :

Center for Research in Astronomy, Astrophysics and Geophysics, CRAAG, Algeria.

بعنوان:

-Sabah Ferdi & Assia Harbi, Roman literary and epigraphic sources for the study of historical seismicity in Algeria circa 42–420 AD, Journal of Séismologie, volume18, nº2,2014,p279.

شكل القرن الثامن عشر أكثر القرون التي تضرر في العمران جراء الهزات الأرضية بتسعة وعشرين هزة (29)[1] مقارنة مع باقي الفترات الزمنية، وقد أخذت الدراسات تهتم بهذا النوع من الكوارث في شمال إفريقيا وبالخصوص الجزائر بدءا من النصف الثاني من القرن 19م(1844م)، وقد سجل الفرنسي ألكسيس بيري (Alexis Perry) أهمها في مختلف أبحاثه[2]، باعتباره متخصص في Météorologique بالجزائر، وقد زاد الاهتمام بهذا النوع من الأبحاث خاصة بعد الاستقلال على اثر الهزات العنيفة التي شهدتها بعض المدن الجزائرية كزلزال الأصنام عام1980، وزلزال بومرداس سنة2003 من طرف مجموعة من الباحثين الجزائريين المتخصصين في مركز بحث علم الفضاء والفيزياء الفضائية والجيوفيزياء (CRAAG ,1994) نذكرمنهم:

Mokrane A, Ait Messaoud A, Sebai A, Ayadi A, et M.bezzeghoud, h.benhallou

هذه المجموعة من الباحثين قدمت بحث شامل لهذه الظاهرة على مدار ستة قرون يمثل بنك معلومات حول المعطيات الخاصة بالزلازل المسجلة بالجزائر خلال الفترة الممتدة بين1365-1992م تحمل عنوان[3]:

"Les séismes en Algérie de 1365 à 1992".

1-سقوط المنازل:

فإلى جانب الآثار الديموغرافية للزلازل نجدها هددت الساكنة في مقر سكناها فقد شهدت مدينة الجزائر لوحدها أكثر مما أكد لحكام هذه المدينة اقامة تقنيات وقائية لتجنب أخطار هذه الظاهرة خاصة في القصبة. من 36 زلزال وكان أكثر هذه الزلازل ضررا زلزال 03فيفري1716[4]، الذي حتم على الداي اعادة بناء المنازل

---

(1) Sebaï(Amal) et Bernard(Pascal),Contribution à la connaissance de la sismicité d'Alger et de ses alentours au XVIII siècle,extraite des archives françaises, C. R. Geoscience 340 (2008) pp495-512.

(2) أهم هذه الأبحاث حول الجزائر راجع:

-Perry(A), Note sur les tremblements de terre en Algérie et dans l'Afrique septentrionale.
Mémoires de l'Académie des Sciences, Arts et Belles Lettres de Dijon(1847), années 1845–1846, pp. 299–323.

(3) www.cna.dz/ bulltin des assurances -n26-publié le 28/04/2014.

(4) Touili (M), op.cit, p166.et Delphin(G), Histoire des pachas d'Alger de 1515 à1745, extrait d'une chronique indigène, in J.A/avril-juin1922, p217.

بهندسة وتقنية أفضل لتقاوم الصدمات المستقبلية[1]، ففي منتصف صباح يوم03فيفري 1716 على الساعة 9و45د[2]، هز زلزال مدمر مدينة الجزائر والمناطق المجاورة لها ،وأفادت الأنباء أن حوالي 200منزل قد انهار وأن العديد منها تضرر وتشقق المسجد الكبير وانتشرت الموجة على بعد 3كم وحدثت تشققات في الأرض وظهرت فتحات كبيرة وامتدت الموجات الزلزالية الى سكان البليدة الواقعة في سهل متيجة على بعد40كم وبجاية على بعد200كم شرق العاصمة، وقد لوحظت تشوهات كبيرة وانجراف في التربة جنوب غرب العاصمة، استمرت توابع الهزات الأرضية بعد زلزال المدينة ب24 هزة أدت إلى اندلاع الحرائق واستمرت هذه التوابع حتى جوان، فغادر السكان المدينة بعد زلزال 1716 واستقروا في الخيام بالأرياف مدة 9أشهر وهو ما يعادل فترة الهزات الارتدادية بعدما خلف انهيار المنازل:تهدم 200مسكن ومعظم المساكن تخربت وألقي جزء من المدينة أرضا وتضررت بعض المنازل خارج المدينة على بعد 3كلم بسبب وتوابع الهزات الأرضية أضف إلى ذلك حدوث تشققات بجدران المنازل،كما تعرضت بعض البنايات إلى تشقق في الجدران وتعرض المسجد الكبير للمدينة لشقوق وتم الكشف على أن العديد من الطوابق والمنازل هدمت بعد الزلزال وقد أفادت المصادر"...كان منزل قنصل فرنسا من أجمل المنازل في العاصمة،كان يتكون من ثلاثة طوابق قبل الزلزال، ولكنه بعد الزلزال أصبح يتكون من طابقين فقط.."[3]، وهو ماحدث في زلزال وهران عام1790 حين تهاوت مساكن النصرى قبل فتحها" وأما دور السكن، فقد كانت تهدَّ مت بالزلزلة ,بحيث لم يبق ´الا أطلالها.."[4].

---

[1]A.Amina Abdessemed-Foufa, and D.Benouar : Atlas of Earthquake-Résistant Traditional Techni....p267.
[2]Sebaï(Amal) et Bernard(Pascal),Contribution à la connaissance de la sismicité d'Alger …., op.cit, p499.
[3]A. Amina Abdessemed-Foufa, and D.Benouar, op.cit, p268.
[4] الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، المصدرالسابق، ص478.وكذلك بوتشيشة (علي)، مدينة وهران من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة والمؤرخين، الأكاديمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية،ع19، الجزائر2018-جانفي، ص213.

2-سقوط القلاع والأبراج:

لقد نقل ابن سحنون مواصفاته عن زلزال وهران عام 1790 قائلا: :"وكان من حديث هذه الزلزلة أنه لما كان الوقت المذكور ارتجت الأرض بالناس ارتجاجا عظيما اهتزت منه البيوت، واضطربت السقوف اضطرابا قويا ،فانزعج الناس من مضاجعهم داهشين ، ...واشتغلوا بالتحدث عنها وكيفية شعورهم بها وما شاهدوا من هولها، سنة الله التي خلت من قبل في اكثار الناس التحدث عن كل حادث...فجاءه عقب ذهابه الخبر اليقين بسقوط أكثر دورها وسلامة حصونها وسورها."[1]في حين أكد الزياني في مؤلفه على سقوطها بقوله:" :..**ثم حدثت الزلزلة العظيمة التى لم تحدث قبل ذلك ،واشتدت بوهران أكثر من غيرها ،الى أن سقط بها الدور والأبراج**"[2].

كانت مدينة وهرات تتوفر على عدد كبير من القلع والأبراج والحصون القديمة أهمها: برج القصبة،وبرج الأمحال،وبرج العيون وغيرها لكن زلزال1790 أتى على جزء كبير من عمران المدينة، منها قلعة القصبة التي تقع على الضفة الغربية لواد الرحى(رأس العين)،على سفح جبل المايدة (مرجاجو).كما لايعرف تاريخ تأسيسها بالضبط ، اذ تعتبر مركز للسلطة ،وتمحور السكان حولها بمرور الزمن ،تعرضت الى التهديم والتخريب عدة مرات بسبب الهجمات الاسبانية على السواحل الجزائرية لقربها من البوابة البحرية على مدار سنوات1509، وبحدوث زلزال1790 تهدم وتخرب جزء منها ليتخذها محمد الكبير مركز له بعد فتح مدينة وهران سنة 1792، أين تلقى التعبير عن الامتنان بسبب فتح قلعة وهران في اواسط صفر سنة1121هـ[3] .

---

[1] الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، المصدر السابق، ص219.

[2] الزياني (محمد بن يوسف)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران...، المصدر السابق، ص ص260-270.

[3] الأرشيف العثماني، تصنيف جودة قسم الخارجية، C.HRالوثيقة رقم4371: انظر نص الرسالة في: مشروع بحثTIKA: الجزائر في الوثائق العثمانية، تنسيق يوسف صاريناي، ترجمة فاضل بيات ويشار محمد صالح الشريف ،الترجمة العربية للوثائق زينب دراج و عبد الباسط المكي، دار الوراق للدراسات والنشر، الجزائر ، 2018، ص ص 30-32.

ومع الإحتلال الفرنسي للجزائر تم اتخاذها مقرا للقوات الفرنسية عند احتلالهم للمدينة سنة 1831م[1].

تسبب هذا الزلزال في انهيار ديمغراغي في المنطقة وضواحيها ليلة 8الى9أكتوبر من عام1790 على الساعة الواحد ليلا رغم المدة القصيرة له والمقدرة بثلاث دقائق ،فتهاوت المنازل والمعالم المتواجدة بالساحات العمومية والكنائس ونتج عنه حريق وتوالت هزاته الى غاية 22نوفمبر و6جانفي من العام الجديد(1791م) مخلفا 3000ضحية[2] ،كما انهار المستشفى الوحيد للمدينة وتوفي بها طبيبان عاملان به ومخلفا 2000ضحية كرقم أوردته صحيفة (la Gazette de Madrid)[3].

أما عن زلزال القليعة 1802:"وفي سنة 1217هـ/1802م، وقعت زلزلة في الجزائر وعمالتها في اليوم الحادي عشر من رجب، وكان يوم واحد ،في وسط النهار، وتهدمت قرية القليعة ومات بها خلق كثير تحت الهدم"[4].

وعن زلزال البليدة1825: وقد أصاب المدينة في أواخر شعبان من سنة 1825 محدثا خسائر مادية وبشرية قدرت بـ7000ضحية[5]، وقد تحدث عنه الحاج احمد الشريف الزهار بالعبارات التالية:"وفي تلك السنة أي1231هـ /1825م،كانت الزلزلة التي تصدمت منها البليدة ، ومات بها خلق كثير، وكان ذلك في أواخر شعبان ووقع الزلزال يم الأربعاء قرب الزوال ،ثم عند المغرب وعندما بلغ خبر ذلك للأمير فأمر الأغا بأن يخرج إليها في الحين فركب وخرج ،وعندما وصل البلد وجده خربة فأمر الرعية بالبحث عن الناس الذين تحت أنقاض البناء فمنهم من وجدوه حيا، وأكثرهم ميتا فدفنوا الموتى وجعل الأغا أخبية للأحياء ، وأخرجو الأثاث من تحت الهدم وأعطاهم ما يأكلون ثم بنى لهم نوالات لمستقرهم وكفل اليتامى والأرامل،ثم انه رجع للجزائر فأخبر الأمير بتلك

---

[1] بوعزيز(يحي)، مدينة وهران عبر التاريخ، ط2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،2009،ص ص84-86.

[2] De Grammont , histoire D'Alger …op.cit.p 343.

[3] Dr.Monnreau, les inscriptions d'Oran et de Mers-el-Kebir par de sandoval.in .R.A.N16-Année1872, p289-290.

[4] مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص83.

[5] www.cna.dz/ bulltin des assurances -n26-publié le 28/04/2014.et A. Ayadi and M.Bezzeghoud Seismicity of Algeria from 1365 to 2013:
Maximum Observed Intensity Map (MOI2014), Article *in* Seismological Research Letters Volume 86, Number 1 January/February 2015,p 239.

الواقعة على التفصيل ثم أنهم تذاكروا في إعادة بناء البلد وكان الزلزال لاينقطع عليها ليلا ونهارا لمدة أيام وفي نفس مدينة الجزائر لم تنقطع الزلازل مدة ثمانية عشر يوما طلكنها كانت في النهار قليلة ، وأما في الليل فهي كثيرة ،بحيث أنها تكررت في ليلة من الليالي أكثر من عشرة أيام ، هذا الذي شاهدته أنا وأما ما سمعت عن لسان الأمير ،أنها تكررت تلك الليلة ثماني مرات ،لأن الأمير بات ساهرا وهولا ينام في الليل الا قليلا .أما بمدينة البليدة فشئ كثير يسأل الله العافية.."[1].

3-خلو العمران وهجرانه:

ساهمت بعض الكوارث الطبيعية في هجرة السكان نحو الأرياف باعتبارها ملاذا آمنا من بعض الكوارث خاصة الزلازل والأوبئة لحجم الخسائر البشرية التي خلفتها في المدن نظرا لخصوصيتها ككثرة العمران وارتفاع نسبة السكان بها مثلما أحدثه زلزال 03فيفري 1716م، فقد ذكرت الجريدة الفرنسية (La Gazette) في عددها التاسع الوارد بتاريخ29فيفري1716م، أنه "في الثالث من هذا الشهر حوالي العاشرة صباحا ضرب زلزال هز مدينة الجزائر محدثا ضررا بمنازلها أدى بسكانها إلى هجرة المدينة باتجاه الأرياف وقد أدى ذلك بالقنصل الفرنسي آنذاك إلى نصب خيمة بها،لأن الهزات ظلت متواصلة إلى اليومين التاليين 4و5 من نفس الشهر، وحتى المنازل أصبحت غير صالحة للمسكن.."[2]، إذ غادر السكان المدينة بعد زلزال 1716 واستقروا في الخيام بالأرياف مدة 9أشهر وهو ما يعادل فترة الهزات الارتدادية وقد بلغ عدد ضحايا زلزال 1716 بمدينة الجزائر 20000ضحية وعظمهم دفنوا تحت الأنقاض[3].

---

[1] مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص155.

[2]La Gazette de France, (Paris. 1631). N9, 29 février 1716.p 97.

[3]A. Amina Abdessemed-Foufa, and D.Benouar : Atlas of Earthquake-Resistant Traditional Techniques ...p268.

حيث كانت تتردد الهزات كل نصف ساعة مما أدى الى هروب السكان نحو الأرياف وتكررت الهزات من 26فيفري الى غاية شهر جوان من نفس السنة، ليتكرر الزلزال مرة أخرى سنة 1717م[1] ،كما ضرب زلزال مدينة البليدة ليلة شوال 1173الموافق لـ جوان 1760م بعد منتصف الليل مما أدى بسكانها للفرار باتجاه بساتينهم هربا من الهزات[2]، مما أدى إلى تشتت وهلاك الكثير من السكان وبالتالي تراجع نسبة الكثافة السكانية بمدينة الجزائر،كما بقيت مساحات كبيرة منها دون استغلال،وتحولت جزئيات كبيرة من الأملاك الى أوقاف وتراجعت أعداد البساتين[3].

ففي11رجب1217م /1802مسنة حدث زلزال في الجزائر وضواحيها دام لمدة يوم واحد وفي وضح النهار ،تهدمت على إثره قرية القليعة ومات بها خلق كثير تحت الهدم[4]، وقد أدى ذلك ببعض الحكام إلى بناء مستقرات جديدة ففي الزلزال الذي أصاب البليدة عام1825م أمر الأغا " أن يبني المدينة الجديدة بعيدة عن المدينة المهدمة بنحو نصف ساعة تحت بساتين البلد القديم وذلك من أجل أن يأتوا بالماء المنحدر من البلدة القديمة إلى البلد الجديد،واشتروا الموضع الجديد من أصحابه ثم بعثوا للباقين من أهل البلد المهدم.."[5].

الى جانب الزلازل نجد أن الوباء أدى الى هجرة سكان المدن هروبا بأرواحهم ففي عودة العياشي من رحلته الحج مارا ببسكرة لاحظ خلوها من السكان عقب الوباء الذي انتشر بها "وقد دخلنا المدينة عقبه(عقب الوباء) فوجدنا أكثر حوماتها خالية ، ومساجدها داثرة"[6]،كعلامة لهجرانها، كما ساهم الطاعون في هذه الحركة ففي وهران عام1192هـ/ بولاية الباي محمد بن عثمان (الملقب بالباي المحمد الكبير)، والذي فتح وهران أن:"حدث بأول

---

(1) سبنسر(وليام)، المصدر السابق، ص59.

(2) l.ch.feraud, Ephémmérides d'un secrétaire officielle sous la domination turque à Alger …op.cit, p319.

(3) سعيدوني (ناصر الدين)، فحص مدينة الجزائر...، المرجع السابق، ص93.

(4) الزهار (أحمد الشريف)، المصدر السابق، ص83.

(5) نفسه، ص155-156.

(6) العياشي (أبو سالم عبدالله بن محمد)، الرحلة العياشية ، مج2، ص540.

مملكته مسغبة عظيمة ،هلك بها أناس كثيرون ،الى أن ألت فيها الميتة والدم ولحم الانسان والخنزير ،والعياذ بالله من ذلك ،ثم حدث **الطاعون** الذي لم يحدث في هذا الإقليم قبله قط ،فمات به جل الناس بدوا وحضرا ،آل الأمر فيه إلى أن انتقل أهل الحضر، و الباي بأهله ومخزنه **إلى البدو في خيام الشعر ظاعنين** ،ظعون الأعراب البادية زمانا طويلا، وقد جعل الباي خيمة حمراء من الوبر، وأدار بها الزمالة.."[1]، وذلك هروبا من الوباء الذي كان يعصف بالإيالة من حين إلى آخر،كما يورد الزياني في طريقه لمدينة الجزائر 1792م قادما عليها من تلمسان قائلا :"...**ولما بلغنا لمدينة الجزائر وجدنا الوباء بها خفيفا فنزلت خارجها وبنيت مضرب ووجهت من حاشيتي من يأتيني باللوازم من لحم وحطب وعلف دواب**..."[2]، وفي هذا النص إجراءات لتجنب الوباء من الابتعاد عن مكان الوباء وهجرانه وعدم الاحتكاك بسكانه تجنبا للعدوى ،وقد ذلك بالبعض للهجرة كالذي حدث مع هجرة أحمد بن سحنون وجلائه من معسكر وتركها سنة 1202هـ[3] .

كما اشتد وباء الطاعون في أوت 1817 وقد عصف بمدن وأرياف الايالة الجزائرية مخلفا أكثر من 100ضحية يوميا لينخفض إلى أربعين ضحية يوميا ليتضاءل مع بداية الخريف ويرجع مارشيكا سبب العدوى إلى الفارين من المدن نحو الأرياف والحاملين للوباء ملحقين بها ضررا وناقلين للمرض إلى تلك الجهات مثل عنابة وقسنطينة والقالة وبسكرة ووهران عن طريق جماعة البساكرة الذين كانوا المصابين الأوائل بالطاعون وقدر عدد الهالكين بحوالي400الى 450ضحية[4].

فالوباء كان عادة يدفع بالسكان إلى الفرار، أو على الأقل إلى ملازمة المنازل، أو إلى الخروج من المدن نحو الأرياف المجاورة الأمر الذي ينعكس سلبا على النشاطات الإقتصادية[5].

---

(1) الزياني(محمد بن يوسف)، دليل الحيران وأنيس السهران ....، المصدر السابق، ص ص260-270.

(2) الزياني (أبو القاسم)، الوجيز من الترجمانة الكبرى ، المصدر السابق، ص87.

(3) سعدالله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830) ،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998،ج2.ص422.

(4) القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر...، المرجع السابق، ص141 نقلا عن : مارشيكا ص160/126.

(5) حسين (بوجرة)، الطاعون وبدع الطاعون...، المرجع السابق، ص186.

فقد كانت الأرياف ملاذ للفارين لاعتبارات صحية منها صفاء الهواء ونقاوته عكس المدن، ومن جهة أخرى يحتوي الريف على بعض الروائح النباتية والحيوانية كرائحة الخيل والماعز التي تطرد البراغيث الناقلة للعدوى[1].

كما يتمتع سكان المناطق الجبلية بنوع من الحماية فالبرودة النسبية وأنشطتهم الرعوية تقوم لهم وقاء، وانعزالهم زاد من صعوبة احتكاكهم بالوباء [2].

ثانيا: تأثيرالفيضانات .

ماتجدر الإشارة عليه في هذا العنصر هو طبيعة المادة الخبرية المعتمدة (عقود الندى والتسوس والبيع)، اذ كان للمشرف فضل في توجيهي إليها اذ يعتبر السباق في توظيفها في أطروحته التي دار موضوعها حول الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني وقد اعتمدت على قرائته لهذه العقود باعتبارها قراءة دقيقة لأني بعدما اطلعت على النص الأصلي لها بالأرشيف الوطني الجزائري صعب علي ذلك.

1-الندى:كانت الكوارث الطبيعية من بين العوامل التي تؤثر في بناء السكن وتؤدي الى انهدامه بشكل جزئي أو كلي ونورد مثال بمدينة الجزائر حسب ما ورد في وثائق سلسلة المحاكم الشرعية ،حيث أشارت الى الندي كعامل طبيعي يؤدي الى تبلل الجدران ومن ثم الى ضعف تماسك حجارتها وبعد ذلك الى تشققها وانهيارها ومصدر ذلك الندى حسب مأكده الباحث خليفة حماش يعود من غير شك الى "تسرب المياه من السواقي التى تمر ببعض المنازل من غير انتظام ومراعاة لقواعد البناء ،فضلا عن مياه الأمطار"[3]، فمنسوب المياة المرتفع والناتج عن غزارة التساقط تؤدي الى حدوث **فيضانات في شوارع المدينة** علما ان موقعها الجغرافي هو بإقليم البحر الأبيض المتوسط المعروف بمناخه الرطب يزيد من حدة الندى.مثل ما أكدته عقود الندى الواردة في وثائق المحاكم الشرعية وبالأخص عقود البيع رغم ندرتها على حد قول الباحث خليفة حماش بعض الحالات التى تتعلق بالعوامل الطبيعة

---

[1] رونبرجي(برنار)، التريكي (حميد)،المرجع السابق، ص186

[2]نفسه، ص186-187.

[3]حماش(خليفة)الأسرة في مدينة الجزائر ...، المصدر السابق، ص519.

منها" دار كانت أعلى بئر الجباح باعها في أواخر جمادى الأولى 1172هـ/1758م الحاج حسين الحلاطجي من فاطمة بنت أحمد، فعين البائع المذكور للمبتاعة المذكورة :أن بيتا من بيوت الدار المبيعة المذكورة بها ندا(كذا) وبغرفة منها شقة ، قبلت ورضيت به" [1].

2-التسوس: وهوناتج عن نشاط بعض أنواع الحشرات والذي يؤدي الى تآكل الطين الذي يشد الجدران وتآكل الخشب الذي يشد السقوف والسطح ففي احدى عقود التسوس وهو:" عقد لحالة علوي كان أعلى كوشة علي، وكان على ملك الأيتام الثلاثة يوسف وإبراهيم وفاطمة أولاد الحاج يوسف الوزان ،وقد أراد أن الوصي عليهم وهو الحاج إبراهيم بن الزروق بيعه لأسباب عديدة منها "لكونه بناءئه مسوس ،وتم البيع بإذن من القاضي في أواخر صفر1188هـ/1774م من آسية بنت يوسف وابنتها خديجة بنت عبدالرحمن"[2]، ،مع العلم أن هذا العلوي المذكور تهدم وصار خرابا لاينتفع به أصلا "كما ورد في العقد [3].

نموذج آخر يتعلق بعلوي كان بحومة بئر الجباح باعته في عام 1225هـ/1810م مونى بنت أحمد رئيس من موسى الفحصي ابن محمد، وبينته له "أن بناء العلوي مسوس وهى للسقوط" علما أن العلوي تم بناءه حديثا اذ يعود الى سنة1217هـ حيث أنشأه مصطفى الانكشاري الحفافسنة 1802م[4].

3-الانزلاقات: وتنتج جراء تشقق الجدران بسبب ضعف تماسك حجارتها وقد ورد ذكر لهذه العوامل الثلاث الندى والتسوس والتشقق في الوثائق وبشكل خاص في عقود البيع التي تبرم على المذهب الحنفي الذي يلزم على البائع بأن يظهر للمشتري العيب الذي قد يكون موجودا في المبيع ويسجل ذلك في العقد تجنبا لوقوع نزاع بين البائع والمشتري بعد إبرام عقد البيع .وعلى نفس الشاكلة كانت تبرم العقود على المذهب المالكي ن الأوصياء كان

---

[1] راجع :العقد 5، م3، ق2، سنة1172هـ وكذلك: حماش(خليفة) الأسرة في مدينة الجزائر ...، المصدر السابق، ص520-519.

[2] راجع: عقد التسوس: ع13، م4، ق10، سنة1188هـ .

[3] راجع: عقد التسوس: ع13، م4، ق10، سنة1194هـ .

[4] راجع:العقد 72-73، م3 ،ق32،سنة1225هـ حماش(خليفة) الأسرة في مدينة الجزائر ...المصدر السابق، ص ص519 -521 .

عليهم أن يذكرو للقاضي دوافع البيع حتى يأذن لهم بذلك،ففي احدي عقود البيع وهو:عقد بيع دار كانت أعلى باب السوق أسفل العين الحمراء في عام 1094هـ/1683م بأن البائعة آمنة بنت علي أوداباشي عينت للمبتاع محمد الحصار ابن عبد الله :أن البيت على يمين الداخل من الدار به الندا الأجل ساقية كنيف دار أعلاها وراء جدران البيت المذكور ،وأن حائط البيت المذكور الموالي لباب البيت به شق وقد دعى للسقوط"[1]، وقد أورد الباحث خليفة حماش جدولا لنماذج من منازل تضررت بفعل العوامل الطبيعية مستخرج من سلسلة المحاكم الشرعية كما هو مبين أدناه[2].

جدول يتضمن بعض النماذج من المنازل المتضررة بفعل العوامل الطبيعية مستخرج من سلسلة المحاكم الشرعية.

المصدر	تاريخه	نوع العقد	موقع الدار أو العلوي	حالة المنزل
ع14/1/7	1075هـ	/	دار بجومة كوشة سيدي أحمد بن يوسف	"ان الدار قديمة واهية"
ع29–5/2/30	1114هـ	بيع	علوي لصيق بضريح سيدي محمد الشريف	"لكونه وهى للسقوط"
ع27/2/33	1120هـ	بيع	دار بجومة بابا أحمد	وقد كانت الدار المذكورة وهت الى السقوط وسقطت منفعتها لأجل ماذكر وعجزت المقدمة المذكورة عن بناء ماسقط منها وخافت من سقوطها كلها"
ع4/4/13	1159هـ	بيع	دار بجومة العزارة سند الجبل	"لكون الدار المذكورة أوهت الى السقوط"
ع17/4/13	1166هـ	عناء[3]	دار بجومة عليوة العسال	وتهدمت الدار المذكورة ووهت أساسها وصارت لا ينتفع بها وتضرر بذلك جيرانها "
ع17/3/7	1171هـ	عناء	علوي بعقبة الشرشالي	وتهدم العلوي وصار لاينتفع به"
ع3/1/32	1171هـ	بيع	دار بجومة الجباح	أن بناء الدار قديم وأن غاربها؟ومخزنها هوى الى السقوط"
ع30/2/33	1223هـ	عناء	علوي بجومة سيدي رمضان	"وتهدم جميع العلوي المذكور"

---

[1] راجع:عقد 133-134، م1، ق3، سنة1094هـ.كذلك حماش(خليفة)، الأسرة في مدينة الجزائر ...، المصدر السابق، ص519 -520 .

[2] حماش(خليفة)الأسرة في مدينة الجزائر ...، المصدر السابق، ص 521.

[3] عقد عناء يقصد به الكراء المؤبد للأحباس ينظر: حماش(خليفة)الأسرة في مدينة الجزائر ...، المصدر السابق، ص 521.

ثالثا–تضرر الشبكة المائية:

أكدت البعض من الدراسات على أن الشبكة المائية في الجزائر خلال العهد العثماني قد اندثرت معالمها في بعض المدن منها مدينة الجزائر ،التي اشتهرت بكثرة ينابيعها وأوديتها وكثرة تساقطها كمدينة متوسطية نظرا لطبيعة التضاريس والمناخ فيها[1].

هذا الموقع الجغرافي سمح بإنشاء العديد من المنشآت العمرانية للشبكة المائية بفحص مدينة الجزائر بمختلف أصنافها من حفر للآبار ،والعيون والأحواض إلى إقامة القنوات والسواقي المائية التي أقام منها الحكام منذ القرن السادس عشر شبكة كثيفة من القنوات بهدف جمع المياه من الأودية والينابيع الطبيعية القريبة من المدينة بغرض الاستفادة منها وتزويد المدينة بما تحتاجه من ماء،فانتشرت القنوات المائية في جميع أنحاء المدينة فكان أغلبها إما من الفخار أو من الحجارة وغيها من المواد الصالحة لإقامة السواقي فأقيم بعضها فوق السطح والبعض الأخر جعلت له أنفاق تحت الأرض ، لكن هذه الشبكة المائية بمختلف أنواعها كانت عرضة لمخاطر الكوارث الطبيعية فقد أدى تكرر الهزات الأرضية والسيول الجارف وانزلاق التربة في الفترة العثمانية إلى تلفها مثل ما حدث خلال زلزال 1716و1755 الذي دمر جزءا كبيرا منها [2]، أو بعد الزلزال الذي جاء على المدينة سنوات1758-1759، حيث افتقرت المدينة لمنابع جديدة مما أدى بالداي بابا علي إلى ضرب ضريبة جديدة وقد خصص لهذه الأعمال العبيد للقيام بذلك[3].

كما أدت سنوات الجفاف إلى استكمال شبكة العيون بمجموعة كبيرة من الأحواض والصهاريج من أجل الإحتفاظ بكميات كافية من المياه لاستخدامها أثناء فترات الجفاف أو الحصار أو الزلازل[4]، باعتبار الماء عنصر

---

[1] سعيدوني (ناصر الدين)، من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر ، الشبكة المائية في العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، 1999م، ص61-62.

[2] سعيدوني (ناصر الدين)، من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر ...، ص ص70-75.

[3] Grammont, H.-D. de. Histoire d'Alger …op.cit, p314.

[4] سعيدوني (ناصر الدين)،من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر ، الشبكة المائية في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص75.

أساسي في سد حاجة السكان اليومية وسقي البساتين وأثره الايجابي على النشاط الاقتصادي والتوطن البشري بالمدينة وفحوصها[1].

وفي الختام نستنتج من خلال المباحث الثلاثة التي قام عليها هذا الفصل أن الوقوف على الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها شكل صدمة ديموغرافية عاشتها الجزائر خلال العهد العثماني جراء ماعرفته من موجات للطاعون وضربات للزلازل وأسراب للجراد وسنوات جفاف أعقبتها مجاعات كلها كانت عوامل حاسمة ساهمت في هشاشة البنية السكانية للمجتمع الجزائري بالخصوص، وحالت بينه وبين تحقيق نمو ديموغرافي جراء عدد الوفيات المرتفع بشكل فجائي وبالتالي انخفاض في المنحى العام لنمو السكان من جهة، ومن جهة أخرى كان وقع هذه الصدمات الأثر العميق في زعزعة التوازنات النفسية و الروحية وحتى الإجتماعية فخلّفت العديد من السلوكات الاجتماعية كالخوف والهجرة والفرار والنهب، بل تعدت هذه الأثار إلى المجال الاقتصادي عن طريق المساس بالسير العادي للحياة الاقتصادية وتضرر مختلف القوى الإنتاجية التي تعتبر المحرك الأساسي للديناميكية الإقتصادية والفاعلين فيها خاصة فئة التجار بحركتهم بين الأسواق الداخلية والخارجية في شكل قوافل برية وبحرية تجول مختلف الجهات والبلدان أما العدوى القائمة وتغلل الوباء داخل أرجاء الإيالة وخارجها، وما زاد الوضع سوءا أن الساكنة في الجزائر خلال العهد العثماني أصبحت مهددة في مضربها ومقر سكناها الذي لم يعد يُأمن حياته لتكتمل بذلك الحياة العصيبة أيام الكوارث الطبيعية وبالتالي وجب عليه البحث عن سبل وقائية يجابه بها هذه الأخطار وهو محور البحث في الفصل التالي.

---

[1] بيان ماء حما باللغة التركية، وثيقة رقم1649 بالمكتبة الوطنية الجزائرية، قدم الباحث سعيدوني قراءة له في موضوع الشبكة المائية في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص73.

الفــصل الثالث:

السلطة والمجتمع في مواجهة الكوارث الطبيعية.

المبحث الأول: إشكالية العدوى.

المبحث الثاني: الوقاية ضد العدوى.

المبحث الثالث: الطرق الوقائية والإحتراز من الكوارث الطبيعية.

أمام فداحة الخسائر الديمغرافية والاقتصادية من الآثار السالفة الذكر حاولنا في هذا الفصل الوقوف على وسائل الوقاية والعلاج من مخاطر الكوارث الطبيعية التي شكلت هاجسا للسلطة والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني التي بحثت عن سبل النجاة من فتك هذه الكوارث ، بدءًا بالوقوف على إشكالية العدوى وطرق انتشار وتغلل الوباء إلى أرجاء الايالة سواء على طريق البحر أو البر وآليات هذا الإنتشار، الذي أدى إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات الوقائية لمواجهة مختلف الكوارث سواءا على المستوى الخارجي باتخاذ النظام الحمائي المعروف بالكرنتينة باعتبار الجزائر بلد متوسطي يتأثر بتأثيراته ، أو على المستوى الداخلي برصد صور من الأداء السياسي والإجتماعي في الوقوف ضد هذه الكوارث الطبيعية من الزلازل وغزوات الجراد والمجاعات والأوبئة التي أعقبتها ظاهرة الإخلاء وموقف الفقهاء منها في ظل القراءات المتباينة للأحاديث النبوية الواردة فيها، وأمام جدليه الفقة بين الرفض والإقرار ، فالموضوع يطرح أسئلة أساسية عديدة، من بينها ماهي طرق انتشار الأوبئة؟ وماهي آلياتها؟ وماهي الأساليب الوقائية ضدها؟ وفيمَ تمثل الأداء السياسي والإجتماعي أمام هذه الكوارث الطبيعية؟ ومن أجل الإجابة على تلك الإشكالات فقد خصصنا لهذا الفصل وبنيناه على ثلاثة مباحث كما يلي:

المبحث الأول: إشكالية العدوى:

تتفق العديد من الكتابات أن مصدر هذه الأوبئة هو من المشرق العربي، وفي غالب الأحيان من الحجاز، ومن ثم انتقل الى الجزائر إما برا عن طريق ليبيا وتونس أي عبر الطريق البري أو الطريق البحري وهنا يصبح مجال العدوى أوسع اذ يشمل السواحل العثمانية الممتدة من الإسكندرية حتى استانبول، وذلك عن طريق التجار والبحارة والحجاج والطلبة وتنقل الإنكشارية والدبلوماسيين والمسافرين بشكل عام ممن أصيبوا بالوباء في الموانئ المشرقية وبذلك تكون موانئ الجزائر قد لعبت دور الوسيط في إنتقال الوباء بمختلف الإتجاهات[1]، باعتبار المتوسط رغم إنقساماته السياسية والثقافية والإجتماعية والدينية مايسميه بروديل (اقتصاد–عالم) أي حيز قائم

[1] أمين(محمد)، الإختراق التجاري الفرنسي للجزائر ...، المرجع السابق، ص53.

بذاته نسجت الروابط التجارية وحركات التبادل التجاري بين مناطقه وأرجائه وحدة اقتصادية عضوية"[1]، ومن هنا حاولنا الوقف على مسار انتشار هذه الأوبئة على الطريق البحري والبري وماهي الأليات التي ساهمت انتشار العدوى في أرجاء الإيالة؟

أولا: طرق انتشار الأوبئة: وتنقسم الى نوعين أساسين هما الطريق البحري والطريق البري بمختلف فروعه كمايلي:

1:الطريق البحري:

الجزائر من أكبر المدن المتوسطية انفتاحا مقارنة مع العواصم المغاربية كتونس و فاس وتعاملها البحري أكثر نشاطا وحيوية من التعامل جهة اليابسة أي مع الداخل[2]، لذا فقد كانت عرضة لإنتقال العديد من الأوبئة وهذا راجع بالأساس إلى مختلف الأنشطة التى تشهدها بحكم موقعها الجغرافي سواء النشاط الديني خلال موسم الحج أو النشاطات الإقتصادية التي كانت تخترق حدود الدول التي تتقاسم المتوسط رغم اختلاف خصوصياتها السياسية والثقافية والدينية (العالم الإسلامي أو المسيحي)، أي حيز قائم بذاته نسجت الروابط التجارية وحركات التبادل التجاري بين مناطقه وأرجائه وحدة اقتصادية عضوية"[3]، فقد لعبت المدن المصرية خاصة الساحلية منها دورا هاما في إنتقال العدوى باعتبارها محورا هاما للمرور مما جعلها تشكل بؤرا للوباء وعلى رأسها الإسكندرية[4]، بواسطة الحجاج ومنها إلى موانئ شمال إفريقيا، لتتوغل إلى الجهات والمناطق الداخلية، وحتى السنوات التى يتم تسجيل الطاعون فيها بمصر فان بلاد المغارب تشهد نفس الوباء في نفس الفترة وهذا ماحدث في الوباء الذي أصاب مصر سنتي1735-1736م ، فقد سجلت كل من مدينة الجزائر و تلمسان ووهران الوباء سنوات 1738و1740و1741[5]، مما استوجب عليها اتخاذ النظام الحمائي الذي كان معمولا به آنذاك في معظم

---

[1] بروديل(فرناند)، المرجع السابق، ص11.
[2] Mohamed Amine ,commerce extérieur et commerçants d’Alger à la fin de l’époque…op.Cit, p335.
[3] بروديل(فرناند)، المرجع السابق ، ص 11.
[4] Lucette valensi, le meghreb avant la prise d’Alger…op.Cit, pp 20-21.
[5] أمين (محمد)، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث...، المرجع السابق، ص49.

الدول المتوسطية التي تشاركت وتقاسمت الوباء مثل ماحدث سنة1783م أين شهدت اسطنبول، وسوريا، ومصر وليبيا، تونس وايالة الجزائر وصولا إلى المغرب الأقصى محدثا بها خسائر بشرية على مجتمعات هذه البلدان[1].

- مسار الطريق البحري: تنتقل العدوى على مسار هذا الطريق من خلال عمليات الربط التي تتم مع موانئ المشرق(اسطنبول-إزمير -الإسكندرية)[2]، و بين الموانئ المغاربية، اذ كانت هناك رحلات بحرية تتم بين هذه الأقطار وقد ترك لنا التمكروتي في رحلتة مسار احداها انطلاقا من تيطاون (تطوان)-مرسى ترغا-بادس-فورك-جزرملوية-هنين-وهران-مستغانم-تنس-شرشال-الجزائر-دلس-بجاية-جيجل-مرسالقصب-القل-بونة(عنابة)-ثم الى بنزرت بتونس ثم طرابلس[3]وصولا إلى ميناء الإسكندرية بمصر[4]، ومنها إلى مكة المكرمة،

وقد وردت هذه المحطات في المرسلات بين حسن باشا ووكلائه بالمدن العثمانية ومنها إزمير برسالة من الحاج خليل جزائرلي في صفر 1245هـ/2-31أوت1829م وقد تناولت الرسالة مواضيع مختلفة وفيها طلب الحاج خليل من حسين باشا الترخيص له للتوجه الى الحجاز لأداء فريضة الحج بقوله:"...**وفي تخميم الداعي لكم بعد التاريخ يكون مسيره لمكة المكرمة والمدينة المنورة...**"[5]، وتؤكد الوثائق التاريخية والأرشيفية على أن طريق الذهاب في مراحله هو طريق الإياب في البحر ،كما تستعمل السفن المسيحية وبالأخص الفرنسية منها في عملية

---

[1]Marchika(Jean),…op.Cit, p109-110.

[2]Biraben Jean-Noël. Daniel Panzac. La Peste dans l'Empire Ottoman 1700-1860, 1985. In: Annales de démographie historique, 1986. Démographie historique en Amérique Latine, pp. 499-505.

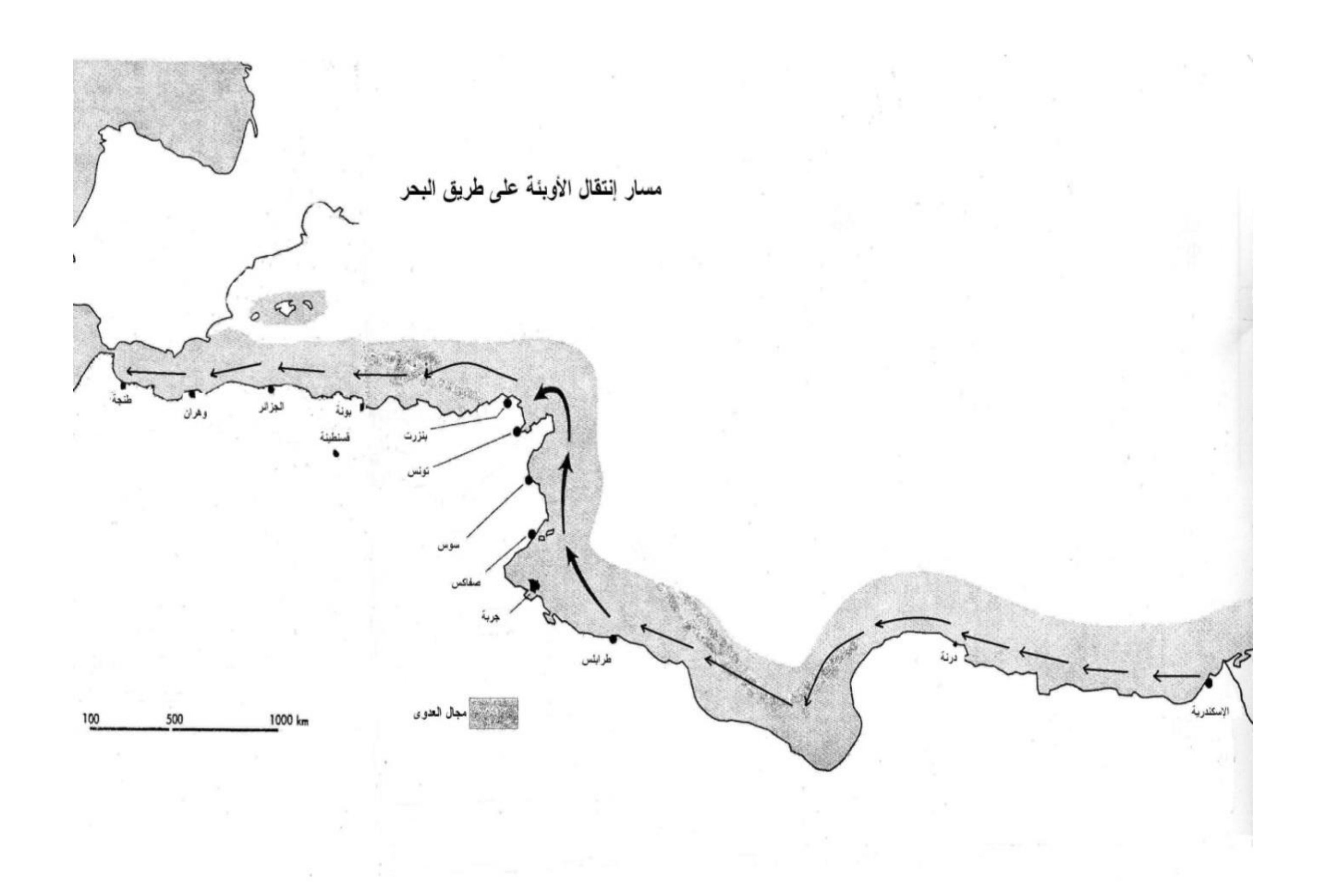
-شكلت اسطنبول أحد أهم الموانئ التي تربطها علاقات بإيالة الجزائر بحكمها مركز للحكم في الدولة العثمانية لذا نجدها واردة في تقارير و مرسلات وكلاء الجزائر بالخارج متتبعين لأهم الأحداث فيها منها وقوع الوباء راجع: تقرير أرسل الى حسين باشا حول الأخبار التي أوردتها احدى الصحف الفرنسية يوم28ديسمبر1829 م،وفيها مجموعة من المعلومات منها قيام السلطان محمود بفتح خزائن أسلافه وهم السلطان بايزيد والسلطان سليم والسلطان مصطفى واخراج أموالها لصرفها في شؤون الدولة ،ووقوع الوباء باستانبول.المكتبة الوطنية الجزائرية،المجموعة3190،الملف الأول، الرسالة 383.وكذلك حماش(خليفة):كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية...، المرجع السابق، ص156.

[3] التمكروتي (علي بن محمد)، النفحة المسكية في السفارة التركية (1589) ، تقديم وتعليق محمد الصالحي، الامارات العربية، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2007، ص ص24-25.

[4]Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.Cit, p335

[5]المكتبة الوطنية الجزائرية،المجموعة رقم 3204،الملف01،الوثيقة 60، وقد نقل نصها الباحث حماش(خليفة)،وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني،الجزء الأول:مراسلات وكلاء الجزائر في الخارج...المصدر السابق،ص ص 290-293.

نقل الحجاج من الموانئ المغاربية إلى الإسكندرية ومنها إلى مكة [1]، فقد اشتهرت الإسكندرية كمحطة رئيسية لنشاط التجار باعتبارها أكبر الموانئ ، وملتقى بين البحر المتوسط والبحر الأحمر للسفن المغاربية التي تنقل الحجاج ذهابا وإيابا إلى مكة على طريق البحر هذا النشاط والموقع جعلها مستوطن لوباء الطاعون ومستقرا فيها مما ساهم في انتشار العدوى إلى باقي الموانئ والبلدان باتجاهات مختلفة منها الجزائر ،فالطاعون لطالما كان مصدره الأساسي المشرق(الإسكندرية-الأناضول-القسطنطينية) ومن هذه المناطق تنتقل العدوى على طريق البحر من الإسكندرية إلى درنة- بنغازي-طرابلس صفاكس-سوسة-تونس-بنزرت-طبرقة-القالة-عنابة-الجزائر-وهران-طنجة-الدار البيضاء[2]مثل ماتوضحه الخريطة التالية:



---

(1)Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.Cit, p337.
(2)Salvatore (speziale),navigation et prévention sanitaire maritime...op.cit, p122.

لقد نقلنا شهادة حية لأحد العائدين على هذا الطريق لجوزيف بيتس بعد عودته قائلا:" وقد صعد إلى ظهر السفينة بعض الأشخاص المصابين فسرى الطاعون بيننا ، وقد شفى بعض ممن أصيبوا وألقينا في البحر عشرين جثة ممن ماتوا بسببه..."[1]، كماساهم نشاط البحرية الجزائرية بحكم موقع الجزائر في البحر المتوسط فقد تعددت مبادلاتها التجارية ففقد تم تسجيل انتقال عدوى الطاعون إلى الجزائر مع سفينة قادمة من ازمير التركية، وقد توفي جماعة من البساكرة بالميناء عند إنزالهم للسلع، وذلك يعود إلى الاحتكاك القائم بين سفن الايالة وباقي المناطق العديدة من العالم فالعدوى أمر حتمي في مثل هذه المعاملات التجارية، وقد قيل أن الوباء جاء من بر الترك في مركب مع رجل يدعى ابن سماية وبقي الوباء بالجزائر إلى غاية 1796 م مخلفا أثار سلبية على البلاد والعباد وصلت إلى 500جنازة يوميا[2].

لاشك أن انتشار الوباء على طول الطريق البحري بمختلف إتجاهاته في ظل إشكالية العدوى المطروحة أثر على النشاط التجاري لمختلف التجار الجزائريين والمغاربة بصفة عامة باعتبار بلاد المغارب محطات وقواعد رئيسية لتنقل الحجاج والتجار ومختلف السلع باتجاهات مختلفة[3]، وقد زاد في هذا الأثر سرعة انتشاره من ميناء الى أخر ففي الجزائر على سبيل المثال انتقل الوباء من عنابة إلى وهران على طريق البحر في ظرف زمني قدر بثلاثة عشر يوما(13)[4]، وهذا مايؤكد تعرض سواحل الايالة لخطر هذا الوباء مقارنة مع المناطق الداخلية يرجعه البعض من الدارسين إلى غياب التواصل الذي كان شبه منعدم خاصة في المجال التجاري لبعض المدن[5].

---

[1] رحلة جوزيف بتس، المصدر السابق، ص75.

[2] مذكرات أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص51.

[3] Mohamed(Amine), géographie commerciaux de la régence d'Alger…op.cit, p337.

[4] Marchika(J), op.Cit, p151.

[5] أمين(محمد)، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث...، المرجع السابق، ص47.

2-الطرق البرية:

شكل مسار هذه الطرق البرية مصدرا لانتقال العدوى وانتشارها،وتتمثل أساسا في خط سير التجار والحجاج العائدين من الأماكن المقدسة بالحجاز عبر القاهرة حيث تلتقي فيه قوافل الحج المغاربية فمنهم من يختار طريق العودة بحرا ومنهم من يفضل طريق البر، ومن ثم كانوا ينقلون العدوى إلى مختلف المناطق[1]، وقد حاولنا تتبع مسار هذه الشبكة البرية من الطرق خاصة في الجزائر بنوع من التفصيل فوقفنا على مايلي:

أن الطرق البرية أنواع فالأول شمالي (تلي) يربط بين أهم المدن الداخلية وبعض المدن الساحلية للجزائر ويمتد الى البلاد المجاورة لها،أما الثاني فجنوبي عرضاني يربط بين المدن الصحراوية لبلاد المغارب [2]، و البعض يرى في وجود طريق ثالث يتوسط الأول والثاني يسمى بالطريق العرضاني الأوسط[3].

-الطريق الشمالي (التلي):

ويطلق عليه بالسلطاني وهو طريق شمالي يمتد من الشرق نحو الغرب من حيث الاتجاه و مراقب من طرف السلطة السياسية في الجزائر اذ يربط بين البايلكات، مع العلم أن الجزائر تحتوي على تسع أنواع منها يمكن تصنيفها من حيث الاتجاه الى طولية-عرضانية-وقطرية، ذات أدوار مزدوجة سياسية تمثل مؤسسة رابطة بين التل والصحراء من أجل التواصل الاداري بين الشمال والجنوب، و دور اقتصادي من أجل عملية التبادل التجاري[4]،كما أنها تتعدى الجزائر لتربطها بالمناطق المجاورة شرقا بتونس وليبيا ، وغربا بالمغرب الاقصى وجنوبا بالسودان والسودان الغربي[5].

---

(1) القشاعي(فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر...المرجع السابق،ص240.

(2) سعيدوني، شبكة المواصلات بالجزائر...، المرجع السابق، ص70.

(3) الزبيري (محمد العربي)، مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،1984 ، ص123.

(4) Carette(E), recherches sur la géographie et le commerce de l’Algérie…op.cit, p130.

(5) الزبيري، مدخل الى تاريخ المغرب العربي ... ، المرجع السابق، ص123

هذا الطريق الذي تسيره قوافل الحجاج من فاس على طول الساحل لتتصل بالجزائر، ثم قسنطينة، ثم تونس، ثم القيروان، ثم طرابلس وبرقة ومنها الى القاهرة [1].

أما في الجزائر فهو يربط بين المدن الواقعة بالتل وبالأخص بين حواضر بايلك الشرق وبايلك الغرب [2].

ففي **بايلك الغرب** ينطلق من الجزائر باتجاه وهران مسيرة تسعة أيام [3] ومعسكر، فينطلق من باب عزون[*]، نحو عين الربط (ساحة أول ماي حاليا)، ثم مرتفعات الساحل (فحص الجزائر الجنوبي)، ثم وادي كرمة ومنه الى حوش باي الغرب بمتيجة، وبعدها وادي بوفاريك، ووادي العلايف، ثم يجتاز نواحي العفرون، وبرج بوحلوان إلى مليانة وبوخرشفة، مرورا بالضفة الشمالية لوادي الشلف حتى القنطرة ليصل عند جبل دوي، اين ينحرف اتجاهه جنوبا إلى عين الدفلى، وبعدها يمر على محطة البغدادي على وادي الفضة، ومحطة زمالة ووادي سلي ثم مرجة سيدي عابد بعدها يصل محطة جديوة ومحطة الكرمة ومنها الى حوش الغمري فمعبر الهبرة والسيق (المقطع)، وصولا الى وهران، ويتجه من محطة مرجة سيدي عابد شمالا ليمر على مازونة ثم جنوبا الى مدينة معسكر[4] ، ثم بلعباس[5] وتلمسان التي تعد من أهم محطاته[6]، فقد ذكر أبو القاسم الزياني في رحلته مراحل هذا الطريق كما يلي:"بعد

---

(1) Thomassy (Raimond), le Maroc et ces caravane ou relation de France avec cet empire , deuxième édition , Paris, 1845, p30 ;

- بن خروف ، المرجع السابق، ص68.
- الزبيري ، التجارة الخارجية ...المرجع السابق، ص67.

(2) سعيدوني (ناصر الدين)، شبكة المواصلات بالجزائر أثناء العهد العثماني، ضمن كتاب :البحرية والطرق التجارية العثمانية، اعداد وتقديم عبد الجليل التميمي ، أعمال المؤتمر العالمي الثامن للدراسات العثمانية الذي نظم من 15 الى18 اكتوبر 1998، عن الولايات العربية خلال العهد العثماني رقم12 ، زغوان (تونس)، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلوماتية ، 2000، ص68.

(3)Lapene, op –cit, Lapene (ed), aperçu historique et topographique sur l'état d'Alger deuxième édition, Paris, 1830, p183-184.

(*) أحد ابواب مدينة الجزائر الأربعة منه تدخل القوافل القادمة من جهة الغرب.

(4)سعيدوني، شبكة المواصلات بالجزائر...، المرجع السابق، ص69.

(5) laujoulet-theo, le commerce en Algérie, notes sur le peuplement utile de l'Afrique française avec une carte, Paris, Hachette, 1851, p167.

(6) بن خروف، المرجع السابق، ص68.

الخروج من تلمسان نحد القلعة، ثم أرشكول[*] سيف البحر، ثم مدينة مستغانم، ثم معسكر، ثم تاهرت، ثم شرشار ثم مازونةثم البليدة ثم الجزائر"[1].

أما محطاته في بايلك الشرق : فينطلق من الجزائر العاصمة الى قسنطينة اذ يقطع المسافر أو التاجر مسارين: المسلك الأول: يمر بواد الزيتون، بنى هارون، حمزة(البويرة)، أبواب الحديد لمجانة وهو الطريق الذي سلكة الرحالة بايسونال في عام1725م ودي فونتان عام 1785م.

أما المسلك الثاني: فيمر على رأس بني عشية، شعبة الليمور، تاشتريت، بني هارون، حمزة(البويرة)، ونوغة، وقد كانت هذه الطرق محمية بحاميات عسكرية من طرف السلطة التركية خوفا من هجمات القبائل المجاورة[2].

ومن الجزائر الى قسنطينة مسيرة عشرة أيام مرورا على قرابة ثمانين محطة [3] ، ومن باب عزون بالجزائر العاصمة يمر على عين الربط–قنطرة الحراش–حوش القائد بوطن الخشنة–حوش باي قسنطينة على واد الحميز–مستنقعات أودية الحراش والسمار والحميز بمنخفضات متيجة–واد أولاد محمد بالقرب من مركز قار مصطفى بناحية الفندق(خميس الخشنة)–ولاد سيدي عبيد عند واد قدارة (واد بودواو الاعلى)–مرحلة الأربعطاش –محطة جبال عمال(بوزقزة)–عند أحواض عين السلطان، وادي الزيتون، وفي اليوم الثاني – (يسر الاعلى) في مكان ذراع البغال–محطة بني هارون–محطة برج حمزة(البويرة)–محطة بني منصور–مرتفعات معالو –أبواب الحديد بجبال البيبان–وفي اليوم الرابع–محطة البرج بمجانة–محطة سيدي مبارك السماتي–محطة سطيف–محطة تاشودة –محطة بئر البقرات–ثم قسنطينة[4].

---

[*] أو ارشقول وهي مدينة في ساحل تلمسان من أرض المغرب، بينهما فحص طوله خمسة وعشرون ميلا وهي على نهر التافنة (الحميري، المصدر السابق، ص126).

[1] الزياني (أبو القاسم)، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا...، المصدر السابق، ص ص148-149.

[2] Robin (N), Note sur l'organisation militaire et administrative des Turces dans la Grand Kabylie, in Revue Africaine, T.17/1873, p134.

[3] Lapene, op.Cit, p181.

[4] سعيدوني، شبكة المواصلات بالجزائر...، المرجع السابق، ص67.

ومن قسنطينة الى عنابة مرورا بالقل[1]، حوالي 30محطة ففي العشر محطات الأخيرة قبل الوصول إلى عنابة تصادف المار أشجار من الزيتون البري، ووادي سيبوس، كما أن القاصد عنابة من الجزائر يمر ببجاية[2] وقسنطينة كمحطة أساسية له[3].

ومن قسنطينة يتفرع جزء منه نحو بسكرة وهو مسلك يتخذه حجاج الشمال للانضمام الى الركب المغربي ومنها الى الجنوب التونسي متجهين نحو المشرق[4]، وقد أورد لنا الورثيلاني في رحلته تفاصيل محطات هذا الطريق انطلاقا من زمورة واصفا اياها بقوله" كثيرة المياه، وأرضها ذات زرع و ضرع بلا اشتباه، طعامها جيد، وسوقها عامر مفيد"[5]، ثم تليها محطة وادي بوسلام مرورا بقصر الطير أين يتم التقاء وتجمع أغلب الحجاج للتوجه الى بسكرة باعتبارها محطة رئيسية للقوافل[6] ، وهذا الطريق السلطاني بقسمية الغربي والشرقي كان نفس الطريق الذي سلكه ابن مسايب[*] خلال القرن الثامن عشر لأداء فريضة الحج انطلاقا من فاس مرورا بتلمسان إلى مكة[7] .

مع العلم أن هذا الطريق التلي لقي اهتماما كبير من طرف السلطة التركية دون غيره من الطرق وهذا من أجل تسهيل مهمة الحملات العسكرية ، وتسيير القوافل الجبائية (ضريبة الدنوش) من مختلف مناطق الايالة، إضافة إلى تسهيل الحكم الإداري بالبايلكات دون مراعاة مصالح الأهالي أو ربطها بالمناطق المجاورة تونس والمغرب

---

(1) Carette, recherches sur la géographie… op –cit, pp120-121.

(2) بن خروف، المرجع السابق، ص68.

(3) Lapene, op –cit, pp182-183 .

(4) عزي (عبد الرحمن)، التواصل القيمي في الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار من تأليف سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني 1125-1193هـ، الجزائر، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011، ص 09 ؛ بن خروف، المرجع السابق، ص69.

(5) الورثيلاني(الحسن بن محمد)، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار (الرحلة الورثيلانية)، الجزائر، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، 1908م، مج 1، ص81.

(6) نفسه، ص ص 81-86 ؛ فيلالي، المصدر السابق، ص82.

(*) أحد أفراد عائلة اندلسية هاجرت من الاندلس واستقرت بفاس ينظر: Bencheneb (M), Itinéraire de Tlemcen à la Mekke par Ben Messaib ,18eme siècle, in R.A, T.44/1900, p264.

(7) Ibid., pp164-269.

أو بلاد السودان لتكون حلقة وصل بينها.[1] فكان لهذا الطريق دور هام في انتعاش الحواضر الكبرى التي كان يربط بينها[2].

أما فروع الطريق التلي **في تونس:**فهو يصل بين كل من تونس العاصمة ومدينة الكاف وصولا الى الجهة الشرقية للجزائر ليتصل بنظيره في قسنطينة–سطيف–وحمزة(البويرة)–الجزائر[3]، أين يكمل مساره في الجزء الغربي للطريق السلطاني بالجزائر وبين مدينة قسنطينة والكاف فهو يمر بالمراحل التالية–يسير نحو الجنوب قليلا ليمر بالخروب–ثم ينحرف نحو الشمال الشرقي ليقطع عدة قرى أهمها–وادي زناتي (بقالمة)–ومجاز عمر–سوق أهراس ثم الى مدينة الكاف[*] ، ثم إلى القيروان[4]، ومنها إلى عاصمة الايالة التونسية[5] .

–الطريق العرضاني (الأوسط):

هذا الطريق يساير الطريق العرضاني التلي(الشمالي) ، بل في بعض المراحل يتقاطعان في محطات مشتركة، إلا أنه أقل حركية ونشاط من الطريق الأول الشمالي، وكذلك الطريق الصحراوي الجنوبي ،أما محطاته مدينة فجيج أو فقيق كنقطة انطلاق من الغرب نحو الشرق ،دون نسيان الطرق الفرعية من هذه المدينة.

أما في الجزائر:فيمر على الشلالة –البيض سيدي الشيخ–الأغواط[6]–بوسعادة[7]–بسكرة [8]، ومن الاغواط يتفرع جزء منه الى ورقلة مرورا بغرداية ثم يصعد شمالا الى توزر مرورا بتماسين وتوقرت كما أنه يستمر من الاغواط

---

[1] سعيدوني (ناصر الدين)، النظام المالي في الجزائر أواخر العهد العثماني ...المرجع السابق، ص ص159–160.

[2] سعيدوني(ناصر الدين)، بوعبدلي(المهدي)، الجزائر في التاريخ(العهد العثماني)، الجزائر، الشركة الوطنية للكتاب، ،1984، ص73.

[3] الزبيري، التجارة الخارجية ...، المرجع السابق ، ص67 ؛ بوعزيز، الحالة الإقتصادية والإجتماعية...، المرجع السابق، ص174.

[*] مدينة واقعة على الحدود الغربية لتونس والشرقية للجزائر،كانت محطة راحة للحجاج (Bencheneb, op-cit., p 270).

[4] Laujoulet, op-cit., p 167.

[5] Thomassy, op-cit., p 30.

[6] الزبيري ،التجارة الخارجية ...، المرجع السابق ، ص176 ؛ بوعزيز، الحالة الإقتصادية والإجتماعية...، المرجع السابق، ص174.

[7] Carette, recherches Sur la géographie… op –cit, pp120-121.

[8] الزبيري، التجارة الخارجية ...، المرجع السابق، ص67.

فيسير حتى يصل إلى سيدي خالد—غمرة–سيدي عقبة–الفيض[1]، **و في تونس:** فيمر على توزر – نفطة – فريانة – نفزاوة–الحامة– الجريد– قفصة–السبخة–العامرة–الجريد[2].

وما تجدر الإشارة اليه أن المسالك في القسم الشمالي بنوعيها التلي العرضاني والأوسط العرضاني في اتجاهاتها وتنظيمها انبنت على الماء، اذ مثلت"النقطة المائية نقطا للالتقاء والتوزيع كالآبار من فعل الإنسان أو العيون والأنهار من واقع الطبيعة وبالتالي كانت قلة الماء أو وفرته من خواص تنظيم هذه الطرق وحركته أو توجيهاتها "[3]، لذا فأغلب محطات هذه الطريق نجدها تحمل أسماء لأبار أو عيون أو وديان، أوبها أسواق، لأن اغلب الطرق كانت تتجة نحو الأسواق التجارية[4].

–الطريق الجنوبي (الصحراوي):

هو من الطرق الصحراوية القديمة، وقد استمرت تلك الطرق خلال العصور الحديثة بوصفها المأوف، مع حدوث بعض التغيير فيها حسب الظروف[5].

هذا الطريق يربط بين الأقاليم الجنوبية لبلدان المغارب وهو أكثر نشاط وحركية بينها[6]، خاصة بعد أن عرفت منطقة البحر الابيض المتوسط تحول طرق التجارة العالمية الى المحيط الاطلسي، مما أدى بالقوافل الى اتخاد الطريق الصحراوي[7]، اذ كان يستحوذ على أهم تجارة ، وهي تجارة العبيد، والملح، والذهب، وريش النعام، هذه التجارة

---

[1] الزبيري، التجارة الخارجية ...، المرجع السابق، ص184.

[2] عزي ، المرجع السابق، ص34.

[3] بلهواري (فاطمة)، التبادل التجاري بين مدن بلاد المغرب خلال القرن 4 هـ/10م ،الجزائر، إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الإجتماعية، جامعة وهران، 2008 ، ص15.

[4] بوعزيز(يحي)، طرق القوافل والأسواق التجارية كما وجدها الاوربيون بالصحراء الكبرى، خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة، الجزائر، ع59 /1980، ص18.

[5] مروان ، المرجع السابق، ص365- 366.

[6] شويتام (أرزقي)، المجتمع الجزائري وفعالياته...، المرجع السابق، ص349.

[7]كريم (عبدالكريم)، المرجع السابق، ص137؛ فرج محمود(فرج)، المرجع السابق، ص 78.

التى كانت في منافسة مع التجارة الساحلية[1]، كما أنه الأقصر مسافة مقارنة بالطريق الشمالي التلي[2]، ومن المغرب الأقصى ينطلق من عدة جهات مختلفة مثل مراكش [3]، ليلتقى المسافرون والحجاج والتجار في مكان تجمعهم بتافيلالت (سلجماسة قديما)[4]، فقد ذكر العياشي في بداية سفره نحو هذه المدينة"وزاد معنا بعض الاخوان والجيران ، ممن هو في تخلفه حيران...اذ كنا في أشد مايكون من القلق، خوف التعويق عن الركب لأنهم عازمون على الخروج من سلجماسة"[5] وهذا ما أكده أبي مدين الدرعي في رحلته الحجازية بقوله"وفي صبيحة السابع والعشرين من جمادى الأخر، نادى منادي الرحيل ...غادر الركب ديار سلجماسة"[6]، وهذا التنظيم يعتبر من عادات الحجيج المغاربة اذ أن مواكبهم تتجمع في موكب موحد من أجل ضمان الحماية لنفسها من قطاع الطرق التي كان يعاني منها التجار وقوافل الحجيج[7]، وبعد الخروج من سلجماسة هناك نقاط أخرى تختلف باختلاف مكان اقامة المسافر مثل أم الحران-العطشانة-الحفيرة-الزناتية-السويريق-وتارة-أم اليأس-فجيج[8]، وفي الجزائرينقسم هذا الطريق بعد خروجه من المغرب الى قسمين الأول يسمى **طريق القصور** والثاني يسمى **طريق الواحات**[9].

---

[1] yvette(katan),op.Cit, p05.

[2] سعيدوني ، ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص486.

[3] كريم (عبدالكريم)، المرجع السابق، ص137.

[4] فيصل (محمد موسى) ، موجز تاريخ افريقيا الحديث و المعاصر ، بنغازي(ليبيا) ، منشورات الجامعة المفتوحة، 1997، ص 51.

[5] العياشي (أبو سالم عبدالله بن محمد)، الرحلة العياشية، مج1، ص68-69.

[6] الدرعي (احمد بن محمد)، الرحلة الناصرية، الطبعة الحجرية،ج1، ص ص 09-28 ؛ القاضي(محمد)، رحلة أبي مدين الدرعي الحجارية لاحمد الصغير السوسي، مجلة التاريخ العربي، الامارات العربية،ع/51-2010 ، ص306.

[7] حساني (مختار)،المرجع السابق، ص 29.

[8] الدرعي ، المصدر السابق، ص ص09-28 ؛ حساني، المرجع السابق ، ص 28-29.

[9] سعيدوني ، شبكة المواصلات بالجزائر...المرجع السابق ، ص70.

1/طريق القصور:

فيما يخص هذا الطريق فهو بالمحاذاة مع الأطلس الصحراوي[1]، وهذا مرورا من الغرب باتجاه الشرق بالمحطات التالية-بشار[2]-بوسمغون-الغسول-قيشير[3]-عين ماضي-تاجموت-الأغواط-دماط-البرج الغيران-قمرة[4]، سيدي خالد-ولاد جلال-العرش -بسكرة-سيدي عقبة-أم الخير،أما عند دخوله الاراضي التونسية يمر على نفطة-توزر-الحامة-قصر الرومان-قابس-وصولا الى طرابلس بليبيا [5]، وهي نفس المحطات التي ذكرها المصعبي في رحلته عندما انطلق من غرداية مرورا بالاغواط وصولا إلى طرابس ثم برقة[6].

و أهم ميزة لهذا الطريق أنه مفضل على طريق الواحات لإستتاب الأمن فيه، و توفر نقاط المياه على مسافات متقاربة، كما قدرت مسافته من مكان الإنطلاق الى مكة بحوالي11000كم يقطعها الركب في مدة ستة أشهر وسبعة أيام[7].

---

(1) سعيدوني ، شبكة المواصلات بالجزائر...، المرجع السابق ، ص70.

(2) حساني ، المرجع السابق، ص 29 -30.

(3) نفسه ، ص 29-30.

(4) الدرعي، المصدر السابق، ص ص 28-52 ؛

- Prax, commerce de l'Algérie avec la Mecque et le Soudan…, op.cit, p337.

(5) المصعبي (ابراهيم بن بحمان)، رحلة المصعبي، تح: يحي بن بهون حاج أمحمد، ط1،ا لجزائر،2007، ص 72؛ الحضيكي، الرحلة الحجازية، ط1، ضبط وتعليق عبدالعالي لمدبر، الرباط(المغرب) ، مركز الدراسات و الابحاث و احياء التراث، 2011، ص80-88.

(6) سعيدوني ، شبكة المواصلات بالجزائر...، المرجع السابق ، ص71.

(7) الدرعي(أحمد بن محمد)، الرحلة الناصرية (1709-1710م)، تح: عبد الحفيظ مملوكي ، الإمارات العربية ، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2011 ، ص16.

طرق انتشار الأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني

الطريق الشمالي العرضاني
الطريق العرضاني الأوسط
الطريق الصحراوي الجنوبي
طرق فرعية
مراكز تجارية

انجاز الطـالب

ثانيا-آلـــيات العدوى:

شكل نشاط التجار والبحارة والحجاج وتنقل الانكشارية والمسافرين عناصر أساسية في انتقال العدوى وانتشارها بشكل واشع.

1-مناسبة الحج:

بغض النظر عن مكنة الحج كركن أساسي من أركان الاسلام ،فقد شكل خلال العهد العثماني خطر وبائي على سلامة الحجاج المغاربة عموما[1] ،كون المشرق المصدر الأساسي لانتقال العدوى إلى الايالة عن طريق الحجاج القادمين من بلاد الحرمين الشريفين [2]،لطالما كانت هذه الفئة من بين العوامل الناقلة للوباء والعدوى داخل الايالة عام 1802م نجده اجتاح سواحل شمال إفريقيا [3]، مرورا بكل من ليبيا وتونس ثم الجزائر ومنها إلى المغرب على طريق البحر قادما من مصر[4]،هذه المحطات التي وردت في مختلف مراسلات وكلاء الجزائر كمحطات في طريق الحاج ففي رسالة لحسن باشا ووكلائه بالمدن العثمانية ومنها ازمير نجد رسالة من الحاج خليل جزائرلي في صفر 1245هـ/2-31أوت1829م وقد تناولت الرسالة مواضيع مختلفة وفيها طلب الحاج خليل من حسين باشا الترخيص له للتوجه الى الحجاز لأداء فريضة الحج بقوله"...وفي تخميم الداعي لكم بعد التاريخ يكون مسيره لمكة المكرمة والمدينة المنورة..."[5].

لقد شكل ميناء الإسكندرية أكبر مصدر لانتشار وانتقال العدوى خاصة في البلدان المغاربية التي كانت تجمع بينها مناسبة الحج[6] ،فقد ورد ذكر هذه المدينة في الكثير من مراسلات الحجاج الجزائريين ففي رسالة من الحاج علي بن المفتي وكيل الجزائر الى ابراهيم وكيل الخرج، في 24ذي القعدة 1242هـ(19جوان1827م)، ويدور

---

[1] مصطفى(آمال)، المرجع السابق، ص117.

[2] القشاعي(فلة)، الواقع الصحي والسكاني...، المرجع السابق، ص127.

[3] Marchika(J),op.Cit, p150.

[4] Speziale (Salvatore),Medecins et infrastructures sanitaires an Afrique septentrionale du 18 au20eme siécle ,in .R.H.M, N°111, Tunis2003, p362.

[5] المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة 3204، الملف الأول، الوثيقة، 60 ينظر كذلك نموذج من هذه الرسائل في المجموعة رقم3204، الملف الأول ، الرسالة 35.

[6] Valensi (Lucette),Calamités démographiques en Tunisie et en Méditerranée orientale…op.cit, p1543.

موضوع الرسالة حول أخبار السفنتين الجزائريتين(مركب الحجاج) المتواجدتين بالإسكندرية "...وفركاطة انتاعنا مع مركب الحجاج باقيين في الاسكندرية..."[1].

كنتيجة لاتصال المدن الساحلية بالخارج ،وانفتاحها على المبادلات التجارية باعتبارها نقاط ربط وملتقى الطرق التجارية البحرية في البحر الأبيض المتوسط،كما كانت محطات للحجاج الوافدين أوالذاهبين إلى البقاع المقدسة لتأدية فريضة الحج، تسبب في تحولها إلى منفذ من منافذ انتقال العدوى وانتشار الأوبئة ونورد مثال ذلك أن سفينة عثمانية تسمى بوكلار قدمت إلى ميناء عنابة سنة 1822م آتية من الإسكندرية محملة بالحجاج تسببت في انتشار الطاعون بالمدينة بعد أن ظهر هذا الوباء بين المسافرين عقب إقلاعها من ميناء الإسكندرية[2] مثل ماحدث سنة 1762 أين ضرب مدينة الجزائر طاعون تسبب فيه مطعونين على متن سفينة لحجاج قادمة من الإسكندرية ،في حين كان تسببت سفينة انجليزية قادمة من ازمير التركية الى الجزائر سنة1756[3].

. سفينة أخرى عثمانية تحمل الحجاج نقلت هذه السفينة عدوى الطاعون عام 1817 عن طريق مجموعة من الحجاج المصابين وقد انتشر في كل من الجزائر وعنابة ووهران وقد اجتاح كامل بلاد المغارب من طرابلس الى طنجة واستمرت أثاره إلى عام1822[4]، منها سفينة حجاج نقلت الوباء إلى عنابة 1817م خلفت مابين10الى15ضحية[5]، وحتى لو سلمت البيئة الصحية في الجزائر من هذا الوباء فان إصابة الدول المجاورة لها به يؤدي حتما إلى انتقال العدوى من دول الجوار فمن الجهة الشرقية شكلت تونس معبر لدورات الطاعون القادم من الشرق ففي سنة 1793عرف بايلك الشرق انتقال العدوى من تونس التي كانت تعيش تحت تأثير الطاعون وقد

[1] المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة 1903،الرسالة33 وكذلك حماش (خليفة)،كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين...، المصدر السابق، ص72.

[2] Guyon, sur la peste d'Alger 1817-1818.p403.

[3] Panzac Daniel. La peste à Smyrne au XVIIIe siècle...op.cit. Pp.1093-1017.

[4] القشاعي(فلة)، الواقع الصحي والسكاني...، المرجع السابق، ص137.

[5] Marchika(J), op.Cit, p162.

كان مصدره الأصلي سفينة حجاج قادمة من الإسكندرية فخلفت العديد من الضحايا على متن السفينة وعلى مستوى الايالة التونسية وقد كان خطه من قسنطينة إلى القالة[1].

وفي هذه المناسبة الدينية إجماع من مختلف المصادر المحلية أو الأجنبية أن مناسبة الحج تشكل أرضية خصبة لانتقال العدوى إلى مختلف الاتجاهات ففي عام1794 يضرب الطاعون شرق الايالة متجها نحو مدينة الجزائر كان مصدره عودة الحجاج من مكة بعد تأدية فريضة الحج[2]،لينتقل من مدينة الجزائر إلى وهران وقسنطينة بعد قدوم حجاج من الإسكندرية، وتسجيل وفيات بداية القرن التاسع عشرعام 1817[3].

فقد اشتهرت الإسكندرية كمحطة رئيسية لنشاط التجار باعتبارها أكبر الموانئ ، وملتقى بين البحر المتوسط والبحر الأحمر للسفن المغاربية التي تنقل الحجاج ذهابا وإيابا إلى مكة على طريق البحر هذا النشاط والموقع جعلها مستوطن لوباء الطاعون ومستقرا فيها مما ساهم في انتشار العدوى إلى باقي الموانئ والبلدان باتجاهات مختلفة منها الجزائر فقد ذكر جوزيف بيتس بعد عودته قائلا:" وقد صعد إلى ظهر السفينة بعض الأشخاص المصابين فسرى الطاعون بيننا ، وقد شفى بعض ممن أصيبوا وألقينا في البحر عشرين جثة ممن ماتوا بسببه..."[4]، وبذلك شكلت مناسبة الحج أرضية خصبة لإ نتشار وباء الطاعون في البلدان المتوسطية منها الجزائر وهذا ماحدث في ماي1752م بسبب عدوى من سفينة تنقل الحجاج لينتقل إلى المغرب الأقصى بحرا وبرا عن **طريق القوافل التجارية**[5].

---

[1]Valensi (Lucette), Calamités démographiques …op.cit, p1548.
[2]Manuscrit, f36.
[3]Manuscrit, f44.

[4] رحلة جوزيف بيتس، المصدر السابق، ص75.

[5]القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني...، المرجع السابق، ص112.

2–القوافل التجارية: على طريق البر التي أوردنا مختلف محطاتها ومسالكها تشكل القوافل التجارية فيها وسيلة مساعدة على نقل العدوى[1]، إلى مختلف الأماكن والجهات، خصوصا أنها تعتمد على الحيوانات كوسيلة أساسية في عملية النقل و تختلف وسائل النقل من مكان لآخر ففي التل يستعمل التجار الجمال والبغال للسلع والخيل للأشخاص، في حين تستعمل الجمال والحمير المصرية في الصحراء، وتكون عمليات النقل هذه على شكل قوافل تضم مجموعة من التجار تربط بينهم مصلحة الطريق أو على شكل نجع أو قبيلة متحركة بكامله [2]وتسير هذه القوافل وفق نظام محكم[3]، لقد ساهمت هذه القوافل في نقل العدوى من مكان الى أخر تتوقف فيه ، مما أدى في بعض الأحيان الى الامتناع عن الاحتكاك بهذه القوافل مثل ماحدث عام 1663 اين امتنع سكان الاغواط عن التعامل مع ركب الرحالة العياشي بعد عودته من تأدية فريضة الحج حيث أغلقت الأسواق أبوابها في وجه التجار والقوافل خوفا من العدوى فقد منع الركب في بعض الأماكن من الدخول مثل ماحدث في الأغواط خشية انتقال العدوى لقول العياشي :" ونزلنا الأغواط...وكان في الركب أعراب فقالوا لأهل البلدان :في الركب وباء فلم يتركو أحدا يدخل اليهم..."، وقد كان التعامل بحذر شديد مخافة العدوى مع الركب الذي يحمل الوباء أو يشتبه فيه ذلك"وكانوا يدلون الزرع من فوق السور ويأخذون الريال ويغسلونه ولا يتناولونه إلا بعد الغسل، والله تبارك وتعالى يكتب السلامة والعافية آمين"[4]، لقد كان هذا الأسلوب كإجراء وقائي لمنع انتقال الوباء والاحتراز منه من قبل ساكنة الأغواط، لكنه في نفس الوقت من شأنه أن يضر باقتصاد المدينة باعتبارها محطة مهمة في طريق القوافل الدينية أو التجارية.

---

[1] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني...، المرجع السابق، ص244.

[2]الزبيري، التجارة الخارجية ...، المرجع السابق، ص67.

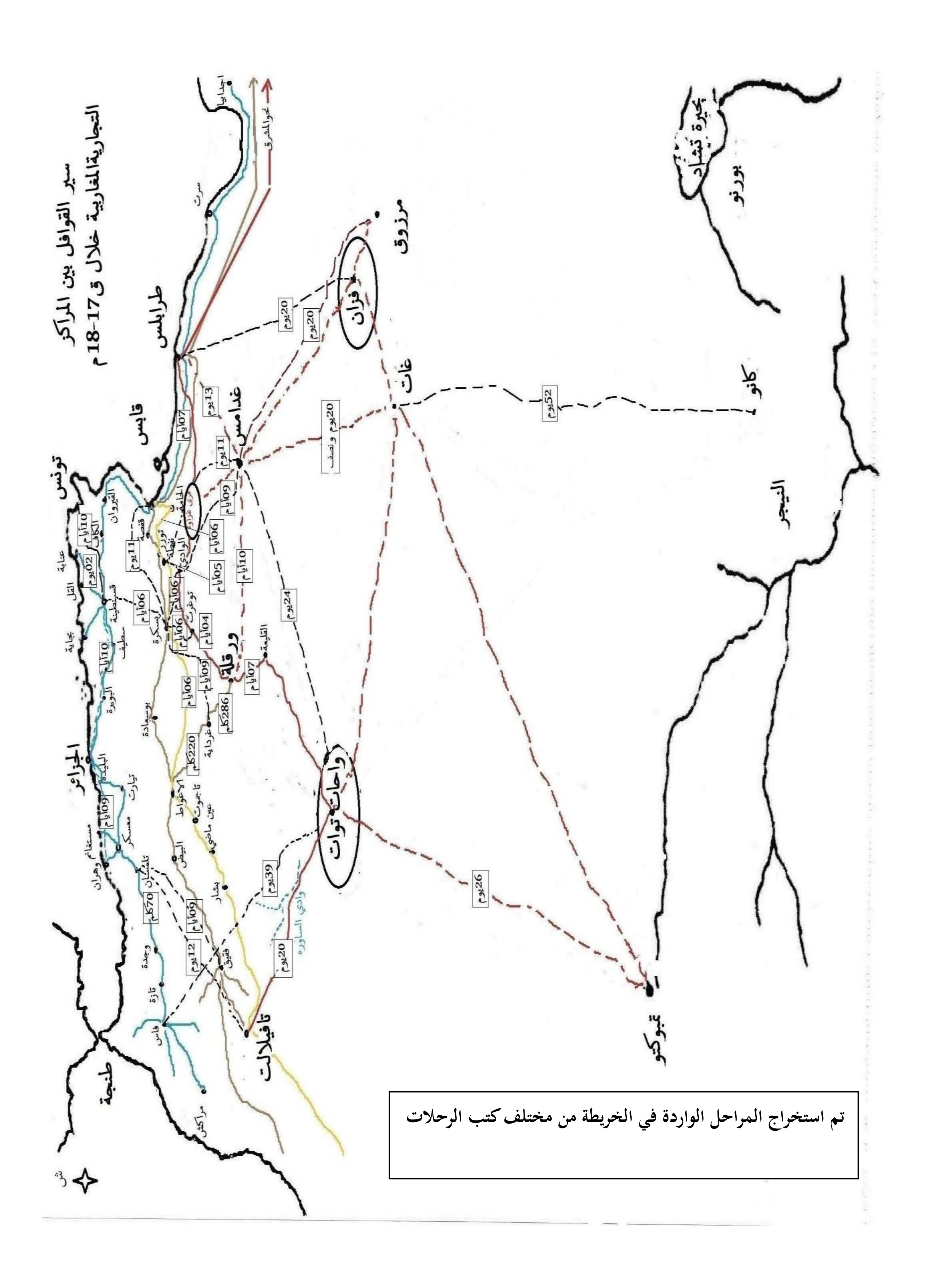
[3] للاطلاع أكثر على نظام القوافل ومكوناتها بالتفصيل راجع: حفيان (رشيد)، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين11–12هـ/17–18م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة،2014، ص ص 54–70.

[4]الرحلة العياشية ،مج2، المصدر السابق، ص 546.

وما تجدر الإشارة اليه أن سرعة انتقال الوباء بمختلف أنواعه على طريق البر أبطئ وأقل سرعة مقارنة بطريق البحر لطول المدة التي تقطعها هذه القوافل من محطة الى أخرى نظرا لعدة أسباب منها المخاطر الأمنية في الطريق[1] مما جعل انتشار الأوبئة على السواحل أكثر مقارنة مع المناطق الداخلية أو على طريق البر بمعدل يصل الى20 – 50كيلومتر في الشهر ،كما ترتبط سرعة الانتشار وتختلف باختلاف الفصول ،فالأشهر الصيفية (ماي–جوان–جويلية) يتجاوز فيها انتشار الطاعون الأشهر الشتوية(ديسمبر–جانفي–فيفري)نكما تساهم الكثافة السكانية في هذه السرعة من حيث الانتشار وعدمه حسب درجة الاحتكاك بين الساكنة[2]، وقد حاولنا الوقف على سير هذه القوافل لتتبع سرعة انتشار الطاعون على طريق البر من محطة الى اخرى اعتماد على مجموعة من الرحلات التي اسخلصنا منها بعض المسافات بطريقة حسابية تمثلت في طرح التاريخ المذكور في كل محطة من محطة سبقتها كما هو مبين في الخريطة التالية:

[1] حفيان(رشيد) أمن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني، دورية كان التاريخية، ع27، مارس 2015، ص ص18–22.

[2] Biraben Jean-Noël. Daniel Panzac. La Peste dans l'Empire Ottoman 1700-1860, 1985. In: Annales de démographie historique, 1986. Démographie historique en Amérique Latine, pp. 502.



تم استخراج المراحل الواردة في الخريطة من مختلف كتب الرحلات

3-الأسواق:

السوق فضاء متعدد الوظائف فقد كان بذلك أكثر من "وعاء" للأنشطة الاقتصادية إذ هو فضاء لإعادة إنتاج مجموعة من الممارسات والعلاقات فقد اعتبره البعض فضاء سوسيو-جغرافي[1]،هذا الفضاء يقوم بوظائف متعددة وأهما تلك التي لها صبغة اقتصادية ومنها التجارة[2].

تتم التجارة في الأسواق المحلية أو الجهوية التي تعرض كل مايحتاج اليه السكان من منتوجات ومصنوعات محلية أو مستوردة [3]،والداخل إلى هذه الأسواق من القوافل تفرض عليه رسوم تختلف باختلاف نوع السلعة[4] وذلك من أجل عرض سلعهم حتى أخذت بعض الأماكن أسماء تعكس طبيعة المنتوجات والسلع المعروضة وفق تصنيف مكاني ونظام تسيير محكم، فنجد سوق للزرع وسوق للماشية وسوق للخضارين وسوقا للشماعين وغيرها من المعروضات[5]،أما خارج المدن فتعقد أسواق أسبوعية في ساحة كبيرة يأتيها المنتجون والمستهلكون من المناطق المجاورة[6] ، وتقعد في مختلف المناطق التلية وقد لقت اهتماما من طرف الإدارة لأهميتها الاقتصادية والسياسية من حيث مداخيلها واخضاع بعض القبائل أو جذبها اليها [7].

إن هذه الأسواق كوحدة اقتصادية وفضاء تجاري تشكل تجمع بشري يلتقي فيه البائع والمشتري والسلعة "فهي الإطار الأساسي لعمليتي الإنتاج والتوزيع"[8]، وتشكل مناسبة لانتقال عدوى بعض الأوبئة وبالأخص الطاعون إذ يلتقي فيها تجار مطعونون بغيرهم عن طريق تبادل السلع والبضائع قد تزيد من الوضع سوءا، فقد شكلت الجلود

---

[1] Chombart de Lauwe, Des hommes et des villes [compte-rendu] , Population Année 1966 21-3, pp 593-594.

[2] بن يدر(كريم)، المرجع السابق، ص141.

[3] الزبيري، التجارة الخارجية ...، المرجع السابق، ص64.

[4] قانون أسواق مدينة الجزائر، مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم2311.

[5] Ben Hamouche(Mustapha), op.Cit, pp27-30.

[6] الزبيري، التجارة الخارجية ...، المرجع السابق، ص64.

[7] شويتام (أرزقي)، المرجع السابق، ص340-341.

[8] بن يدر(كريم)، المرجع السابق، ص141.

المصدرة الي ميناء فالنسيا الاسبانية عاملا لانتقال عدوى مما أدى بهذه الأخيرة الى اتخاذ نظام حمائي(الكرنتينة) ضد التاجر اليهودي الوافد من ايالة الجزائر تجنبا لخطر العدوى التي قد تلحق من خلال السلع والبضائع التي يحملها اليها مثلما تبينه رسالة محافظ الصحة بمرسيليا عام1792م[1]، الطاعون عن طريق الحذائين أو عن طريق كمات الصوف الموجهة من عنابة الى فرنسا شهر ماي 1786م[2]، فالصوف، والكتان والقطن والجلد، يتم إنزالها الى البر ويطبق عليها نظام الإحتماء ضعف مايطبق على صاحبها ويبتدأ حساب الكرنتينة مع هؤلاء ابتداءا من أول مفارقتهم لها ، على عكس المواد الأخرى كالخشب والحبوب والمعادن والمائعات وأنواع النباتات الذي لا ليفية فيه فلا كرنتينة فيها [3].

كما يتسارع انتشار الوباء بعد رجوع المصابين إلى أوطانهم مثل ما حدث في مدينة البليدة في شهر ديسمبر من عام1818م أين شهدت ضربة للطاعون قادما إليها من مدينة الجزائر، أو ما حدث في مدينة بجاية عندما عاد إليها تجار الزيت العائدين من مدينة الجزائر حيث أودى انتقال عدوى الطاعون إليها إلى وفاة 15 فردا من الساكنة[4]، وبالتالي شكلت الأسواق فضاءات اقتصادية مهددة حتى أن البعض منها حاول إقامة نظام شبه حمائي لتجنب خطر العدوى ، فكان التعامل التجاري بحذر شديد مخافة العدوى مع القوافل التي تحمل الوباء أو يشتبه فيه ذلك قول العياشي "وكانوا يدلون الزرع من فوق السور ويأخذون الريال ويغسلونه ولا يتناولونه إلا بعد الغسل، والله تبارك وتعالى يكتب السلامة والعافية آمين"[5]، لقد كان هذا الأسلوب كإجراء وقائي لمنع انتقال الوباء والاحتراز منه من قبل ساكنة الأغواط، ومن جهة أخرى أدى إلى غلق بعض المراكز التجارية وهذا ماحدث بعد انتشار الوباء في مدينة عنابة في عهد صالح باي أين وافق على الإذن بغلق الباستيون بسبب انتشار الوباء في

---

(1) Touili(M),op.Cit, p788.

(2) فلة(القشاعي)، الواقع الصحي والسكاني...، المرجع السابق، ص247.

(3) خوجة (حمدان)، إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء...،المصدر السابق، ص139-140.

(4) Marchika, op.Cit, p 168-169.

(5) الرحلة العياشية ، مج2، المصدر السابق، ص 546.

المدينة [1]، وفي عام 1822 قام موظفو الشركة الملكية الإفريقية بإرسال رسالة مستعجلة مؤرخة في 22جوان إلى باي قسنطينة آنذاك السماح لهم بإغلاق المركز التجاري التابع لهم بالمدينة بسبب الأوبئة التي تجتاحه من حين لآخر، فوافق الباي على هذا الطلب لتفادي هذا الوباء[2]، لكنه في نفس الوقت من شأنه أن يضر باقتصاد المدينة.

4-الفرق والمحلات العسكرية: إلى جانب المسافرين والتجار والحجاج نجد الفرق العسكرية المسيّرة باختلاف أهدافها ساهمت في انتقال العدوى [3]، سواء الفرق العسكرية القادمة من الباب العالي إلى الايالة على طريق البحر أو جنود المحلة المسيرة من قبل حكام الايالة إلى مختلف جهاتها باختلاف الغرض من ذلك،فعلى طريق البحر عام 1756 قدمت فرقة عسكرية من الجنود الأتراك مصابون بالطاعون من مدينة أزمير على ظهر سفينة انجليزية باتجاه ايالة الجزائر[4]، لقد جاءت هذه الفرق العسكرية في إطار إرسال الجنود المتطوعين الى الايالة مثل ماحدث عام 1222هـ بعد تجنيد مجموعة من المتطوعين الجنود للجزائوردت في رسالة للحاج عمار وكيل الجزائر بتونس الى ابراهيم[5] وكيل الخرج بتاريخ 20ربيع الثاني1244هـ[6]، مما أدى في بعض الأحيان إلى تسهيل الإجراءات الوقائية وتقليص مدة الحجر الصحي عليهم كالطلب الذي قدمه وكيل الجزائر بتونس الحاج عمار لباي تونس عام1244هـ يطلب فيه تقليص مدة الحجر الصحي للموظفين الجزائريين والجنود المتطوعين الذين قدموا

---

(1) المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة رقم 1641، الرسالة 130 .

(2) Berbrugger (A), Mémoire sur la peste en Algérie...op.cit, p226.

- العربي(الزبيري)، التجارة الخارجية...، المرجع السابق، ص198.

(3) Biraben Jean-Noël. Daniel Panzac. La Peste dans l'Empire Ottoman 1700-1860,...op.cit, p502.

(4) Panzac Daniel. La peste à Smyrne au XVIIIe siècle…op.cit, P1084.

(5) ابراهيم باشا : وكيل الخرج بباب الجهاد تم تعيينه من قبل الداي حسين أغا للسباهية مكان يحي آغا، ينظر مذكرات أحمد الشريف الزهار، ص 162-163.

(6) المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة رقم 3204، الملف الأول، الرسالة 6، وهي رسالة من سر الين كاتب زادة وكيل الجزائر في ازمير الى أحمد باشا ، مؤرخة في 09جمدى الثانية 1222هـ. وكذلك حماش(خليفة)، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص185.

معهم من ازمير [1]، لقد ساهمت هذه الفرق من الجنود المتطوعين على متن **سفن قادمة من المشرق (من تركيا) في** تسرب وباء الطاعون عام1816 أو 08جويلية من عام 1817م اين انتشر الوباء متسببا في هلاك مايقارب 50فرد يوميا [2]، هذه العدوى يفترض أنها انتقلت من موانئ الشرق وبالتحديد الأشهر الأولى من عام1817،كما اختلفت جنسية السفن القادمة الى موانئ الجزائر بين سويدية كالتى قدمت الى ميناء الجزائر بتاريخ 14جانفي1817 قادمة من إزمير التركية وفي 22 جانفي من نفس العام قدوم سفينة يونانية تحمل إسم لافريك L'AFRIQUE آتية من بيروت وفي 04 مارس سفينة لافورتن la fortune الآتية من ميناء ازمير والتى كان على متنها(08) ثمان حالات وبائية، وسفن أخرى آتية من القسطنطينية أرست بميناء الجزائر سمحت للوباء بالانتشار داخل الايالة[3].

لقد شكلت الوفود الآتية من الخارج وبالخصوص اسطنبول (الجنود)، نهاية القرن الثامن عشر في الفترة مابين1784–1793 سببا فعالا في انتقال العدوى وبالخصوص عن طريق التجارة خاصة على بلدان شمال

إفريقيا من طرابلس الى المغرب الأقصى، وفي الغالب إن مدن المتوسط كانت تتقاسم هذه العدوى بحكم الاحتكاك التجاري، لكن عندما ينتشر الوباء على نطاق واسع ، فإن دور الظروف المحلية قد تساهم في الوقوف في وجه والحد من انتشاره[4].

---

[1] انظر رسالة الحاج عمار وكيل الجزائر بتونس الى ابراهيم وكيل الخرج بتاريخ 20ربيع الثاني1244هـ ،المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة رقم1903،الرسالة رقم12. وكذلك حماش(خليفة)، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص68، ينظر المكتبة الوطنية الجزائرية، الدفتر رقم 1966، يتضمن تجنيد الانكشاريين من الأناضول للجزائر، يضم هذا الدفتر 377وحدة للانكشاريين،الدفتر رقم1972يضم تجنيد الانكشاريين من الامبراطورية العثمانية للجزائر ويحتوي على 420وحدة للانكشاريين التميمي، موجز الدفاتر،المصدر السابق، ص ص148-149.

[2] فلة(القشاعي)االواقع الصحي والسكاني...، المرجع السابق، ص 137–138.

[3] Marchika,…op.cit,p 152-153.

[4] Valensi (Lucette), Calamités démographiques …, op.cit, p1554.

– جنود المحلة:

في اطار السياسة الضريبة المتبعة من طرف الدولة من اجل استخلاص الضرائب والحصول على موارد الدخل تبنت مجموعة من الوسائل المعتمدة في هذا النظام الضريبي من بينها تسيير فرق موجهة لجمع الضرائب بمختلف أنواعها[1]، خاصة في الأرياف التي لم تكن فيها الجباية تسير بطريقة اعتيادية لإمتناع بعض القبائل عن تأديتها ،فكان الحكام يلجأون الى إرسال الحملات التأديبية لإجبار الأهالي على دفع الضرائب المستوجبة عليهم في حالة العيصان والتمرد[2]، مثل الغرامة أو الخطية أو المعونة ، وتعتمد هذه الحملات العسكرية على قبائل المخزن ذات الامتيازات الاقتصادية والحليفة للدولة لتتدعم بذلك الفرق العسكرية التركية المكونة من اليولداش ليصل عددها من 500الى 1000من الفرسان يترأسها الباي وآغا المحلة وهي بذلك تخضع لتنظيم محكم[3].

هذه المحلات العسكرية التي تجوب مختلف أرجاء الايالة تعتمد في الاساس على المراقبة المشددة على الاسواق والمناطق الحيوية التي يتردد عليها سكان المناطق الجبلية أو بدو الصحراء أو رعاة الهضاب العليا لاستبدال منتجاتهم المحلية أو لطلب المراعي الضرورية لقطعانهم في فصل الصيف [4]، وتعتمد هذه المحلات في مراقبتها على المعلومات التي يوفرها الشواف العارف بمضارب خيام القبائل ومختلف الطرق المؤدية للأرياف وبذلك أثرت هذه الحملات على اقتصاد المناطق التي تتوجه إليها بسبب الركود الإقتصادي الذي تخلفه ورائها باعتبارها وسيلة من وسائل تحصيل الضرائب من المناطق المستعصية على الحكام[5]، بل تعدى دورها الإقتصادي الى وسيلة من وسائل انتشار الأوبئة في المناطق التي تجوبها من خلال عمليات التنقل المختلفة أهمها الطاعون الجارف الذي نشرته هذه

---

[1] فلة (القشاعي) النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837م، رسالة ماجستير غير منشورة–معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1990، ص49.

[2] انظر نص الرسالة رقم 14بالمجموعة رقم 1642بالمكتبة الوطنية الجزائرية ،وهي رسالة من الحاج أحمد باي الى حسين باشا.19جمادى الثانية 1242هـ.القضاء على تمرد بعض القبائل التى صارت تعتدي على الرعية وتمتنع عن دفع الضرائب.

[3] سعيدوني(ناصر الدين)، النظام المالي...، المرجع السابق، ص122.

[4] سعيدوني(ناصر الدين)، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية...، المرجع السابق، ص304.

[5] سعيدوني(ناصر الدين)، النظام المالي...، المرجع السابق، ص123.

الفرق في جنوب بايلك قسنطينة عام 1786[1]، فقد سجل بايلك الشرق مع منتصف الصيف مايقارب50ضحية يوميا سنة 1786م وقد ظهرت العدوى في صفوف المحلة الخاصة باستخلاص الضرائب في الجنوب التي وصل عددها الى 4000 شخص[2].

5-القوارض(فئران الموانئ والجرذان):

فيما يخص مسألة العدوى من الجانب الطبي الحديث فإن أغلبها أقر بأن الفئران هي الناقل الأساسي للعدوى خاصة داخل السفن والموانئ البحرية، وهو الأمر الذي تفطن له الطبيب السويسري "يارسين"Yersinعام1896م، والذي أكد أن الفأر ناقل لجرثومة الطاعون بعد اصابته عن طريق القاذورات الملقاة على الأرض[3]، فقد شكلت فئران الموانئ عاملا أساسيا في نقل العدوى إلى الإنسان في افريقيا باعتبارها تعيش على مقربة من محيطه [4]، ففي طاعون1793 ،انتشر الوباء داخل المدينة لينتشر في شهر فيفري في كامل أنحاء البليدة وأريافها المجاورة في11أفريل مخلفا أثارا بشرية ليظهر من جديد في أواخر العم بحصيلة تقدر بحوالي12000ضحية[5].

لقد أكد الباحث بول لويس سيمون Paul Louis Simondعام 1898م، في نفس المجال دور برغوث القوارض في نقل العدوى، ويتسبب مالايقل عن 80 جنسا مختلفا من البراغيث في نقل العصية وتتكاثر في العادة داخل أجسام القوارض التي تعد خزانات طبيعية للجرثومة وأهما الأرانب والأرانب البرية والجرذان السوداء[6]،

---

[1]فلة(القشاعي)، الواقع الصحي والسكاني...، المرجع السابق ، ص245.

[2] Marchika, op.Cit, p 120-121.

[3] مصطفى(آمال)، المرجع السابق، ص119.

[4] جوتفريد (روبرت.س)، الموت الأسود، جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى، تر:أبو أدهم عبادة كحيلة،ط1، المكز القومي للترجمة، القاهرة،2017، ص 32-33.

[5] Marchika,…op.Cit, p 141.

[6]خياطي(مصطفى)، الأوبئة والمجاعات في الجزائر...، المرجع السابق، ص20

خصوصا اذا علمنا" أن البراغيث والجرذان كانت جزءًا من عالم الرجال المألوف خلال القرن الثامن عشر"[1]،كما ترجح بعض دراسات مؤرخي الأوبئة دور الجرذان على اعتبار أن لها القدرة على احتضان الوباء وتخزين العدوى لمدة تتراوح بين 10الى 20سنة، ففي الغالب يسبق الطاعون البشري جائحة فأرية خاصة في فصل الصيف وهذا مايفسر دورات الطاعون الفصلية التي تتماشى مع الأشهر الحارة[2].

وبالتالي تنتقل هذه الطفيليات إلى الحيوانات والبشر عبر الناقلات المذكورة سالفا التي أطلق عليها البعض اسم الوسطاء قاصدا بها الفئران والجرذان البرية والبق ،والبرغوث،والقمل وغيرها من الحشرات المروجة للطاعون بين الإنسان[3]، أدى في بعض الحالات إلى موت الكثير منها فقد لاحظ بعض الرحالة الأوروبيين تعليق السكان للأحجية على الإبل للمحافظة عليها ،لكن دون جدوى مثل ماحدث في ليبيا بدايات القرن التاسع عشر[4].

وفي ختام هذا المبحث يتبين إن مسألة العدوى شكلت اكبر هاجس بالنسبة لساكنة الايالة بمختلف شرائحها فقد تعددت منافذها ولعبت آلياتها دور الوسيط في جعل هذه الأوبئة تستوطن الجزائر العثمانية بحكم موقعها الجغرافي وفعاليات مجتمعها في مختلف الأبعاد الإقليمية والدولية وفي العديد من المجالات والمستويات خاصة الاقتصادي مما استوجب البحث عن الطرق والسبل الوقائية للحد من مخاطر هذه الكوارث.

---

[1] Valensi (Lucette), Calamités démographiques …op.cit.p1551.

[2] حدوش (عبد الحميد)، أسباب الهدر الديمغرافي بالمغرب من خلال مخطوط"أقوال المطاعين في الطعن والطواعين: مقاربةلطاعون1799م،الجمعية المغربية للبحث التاريخي، دار المنظومة، 2018، ص325

[3] السعداوي (أحمد)، المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته القرنين8-9هـ/14-15م، إبلا، العدد175،1995 ، ص127.

[4] المدني سعيد(المدني) الأوضاع الصحية في ليبيا ...، المرجع السابق، ص68.

المبحث الثاني: الــوقاية ضد العدوى.

تعد العدوى أكبر خاصية تميز الأوبئة عن باقي الكوارث الطبيعية وهذا ما جعلها تتصدر هذه السلسلة في ظل النشاط التجاري القائم في حوض المتوسط بقسمية الشرقي والغربي ، وبما أن الجزائر جزء من هذا الفضاء فإنها لم تسلم من مختلف التأثيرات الحاصلة في هذا الحوض بحكم موقعها الجغرافي، وذلك بالرغم من انقساماته السياسية والدينية، فالمتتبع لإشكالية العدوى يرى أن منافذها كثيرة، وقد احتلت الواجهة المتوسطية الجزء الأكبر من ذلك، ولأهمية الموضوع حاولنا التركيز على هذه الواجهة كمصدر أساسي للوباء الذي مس العديد من الدول المتوسطية وعلى رأسها الجزائر ، والوقوف على النظام الحمائي القائم آنذاك والمتمثل في الكرنتينة ،فماهي طبيعته؟ وكيف هي سيرورة عمله؟ وماهو حكمه الشرعي في ظل الجدل القائم بين الرفض والعمل به؟

أولا.الواجهة المتوسطية مصدر للوباء.

تُعد الجزائر من أكبر المدن المتوسطية انفتاحا مقارنة مع العواصم المغاربية كتونس و فاس وتعاملها البحري أكثر نشاطا وحيوية من التعامل جهة اليابسة أي مع الداخل[1]،لذا فقد كانت عرضة لانتقال العديد من الأوبئة وهذا راجع بالأساس إلى مختلف الأنشطة التي تشهدها بحكم موقعها الجغرافي سواء النشاط الديني خلال موسم الحج أو النشاطات الاقتصادية التي كانت تخترق حدود الدول التي تتقاسم المتوسط رغم اختلاف خصوصياتها السياسية والثقافية والدينية (العالم الإسلامي أو المسيحي) ،أي حيز قائم بذاته نسجت الروابط التجارية وحركات التبادل التجاري بين مناطقه وأرجائه وحدة اقتصادة عضوية"[2]، فقد لعبت المدن المصرية خاصة الساحلية منها دورا هاما في انتقال العدوى باعتبارها محورا هاما للمرور مما جعلها تشكل بؤرا للوباء وعلى رأسها الإسكندرية[3] بواسطة الحجاج ومنها إلى موانئ شمال إفريقيا ،لتتوغل إلى الجهات والمناطق الداخلية، وحتى السنوات التي يتم

---

[1] Mohamed (Amine), commerce extérieur et commerçants d'Alger à la fin de l'époque ottomane (1792-1830), thése de doctorat soutenue à l'université de provence, Aix-Marseille 1,1991.

[2] بروديل(فرناند)، المرجع السابق، ص 11.

[3] Lucette (valenci) , le meghreb avant la prise d'Alger,…op.cit, pp,20-21.

تسجيل الطاعون فيها بمصر فان بلاد المغارب تشهد نفس الوباء في نفس الفترة وهذا ماحدث في الوباء الذي أصاب مصر سنتي1735-1736م ، فقد سجلت كل من مدينة الجزائر و تلمسان ووهران الوباء سنوات 1738و1740و1741[1]، مما استوجب عليها اتخاذ النظام الحمائي الذي كان معمولا به آنذاك في معظم الدول المتوسطية .

ثانيا:نظام الكرنتينة، طبيعته وسيرورة عمله.

-**طبيعته**: هي مدة الحجر الصحي وقد تزامن ظهورها مع الطاعون الأسود الذي ضرب أوروبا في عام1348م وقد كانت الجمهوريات الايطالية أولى مسارحه حيث استخدمت البندقية عناصر تعتني بشؤون الصحة وظيفتهم سن قوانين صحيية وتطهير البضائع الوفدة [2]،في حين يرجعها البعض أن أصلها من اللغة الاسبانية cuarantena،أي مدة أربعين يوما وهو الأمد الأقصى الذي يظهر فيها الوباء، لا يتم فيها مخالطة أحد حتى يتأكد الأطباء من سلامة الوافدين خوفا من العدوى[3]، وهو نظام احتماء تلتزمه الدول الأوروبية ويسمى بالكرنتينة ويعتمدون في هذه العملية على أن لهم قناصل في كل بلدة على ساحل البحر (وكلاء)، وظيفتهم أن كل سفينة تسافر من البلاد التي يكونون بها، لابد لها من تقريرمفصل يكتبه هؤلاء القناصلة عن عدد من فيها بأسمائهم ومميزاتهم، مع تبيان أمر الوباء هل له أثر في تلك البلدة وما يجاورها أو دخل إليها مركب قادم من بلاد يوجد بها وباء أم لا؟ وبهذا التقرير يتم بناء كل احتمال ،كما يتم تخصص مسؤول عن هذه العملية يكون مطاع ومن الناس الموثوق فيهم مرفق بمجموعة تساعده في اتخاذ القرار وتعيين أيام الحجر الصحي (الكرنتينة) بما

---

[1] أمين (محمد)، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث...، المرجع السابق، ص49.

[2] مصطفي (آمال)، المرجع السابق، ص 121.

[3] أنظر خوجة (حمدان)، إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء، محمد بن تحقيق عبد الكريم،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1968، ص ص138-140،كذلك: حدادي(أحمد)، أخبار الأوبئة والأمراض في الرحلات السفارية المغريبية، مجلة كنانيش، ط1،ع3، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب الأقصى، صيف-خريف2001، ص45.

يتناسب مع حالة السفينة[1]، وقد عرفها محمد بيرم الخامس بقوله" الكرنتينة اي مكان اقامة الواردين من البلاد المصابة بالأمراض وهي دون الأولى وحولها مساكن مقسمة على أقسام على وجه يمكن به دون مخالط السكان لبعضهم ببعض وهي مساكن لابأس بها محولة بسور لها بابا مغلق مفتاحه عند امام الجامع."[2]، وقد أطلق عليه أيضا مصطلح "الحمية" [3]، وهو مصطلح مشتق حسب تقديري من الحماية باعتبارهذا التطبيق نظام حماية.

في حين عرف حمدان خوجة الحجر الصحي بقوله: "اشتهر في بلاد الفرنج الاحتماء عن الوباء، وأعدوا لذلك موضعا وسموه **كرنتينة** وحقيقتها:إنما هي الاحتماء والاحتراز وجعلوا ذلك المحل ،في مداخل الداخلين إليهم فيمكث الداخلون بتلك الأماكن ،مهما توهم الفرنج أنهم أتوا من بلاد بها الوباء،الى أن يتحققوا انقطاع أثرها عنهم"[4]، وهذا ما لاحظه السفير المغربي ابن عثمان في رحلته إلى اسبانبا عام1779م، حين وصف الكرنتينة بقوله:"وقد ذكروا لنا قبل أن لابد من أن نجعل الكرنتينة ومعناها أن يقيم الذي يرد عليهم في موضع معروف عندهم معد لذلك أربعين يوما لايخرج منه ولايدخل إليه أحد ...ولهم في ذلك تشديد كثير حتى أن الذي أتى إلى صاحب الكرنتينة بالطعام يطرحه له من بُعد ويحمله الآخر ولا يتماسان"[5] .

يُفهم من قول حمدان خوجة أن هذا النظام الحمائي قائم في الأساس على منع احتكاك الوافد أو الداخل على الماكث ،وبالتالي هذا النظام الوقائي لم يكن فقط معروفا على السواحل وانما حتى في المناطق الداخلية خاصة المحطات الواقعة على طرق التجارة البرية اذ شملت هذه الاجراءات المسالك البرية وهو ماحصل لركب العياشي خلال مروره بالاغواط عام 1663م بعد عودته من الحج قوله :" ونزلنا الأغواط...وكان في الركب أعراب فقالوا لأهل البلدان :في الركب وباء

---

[1] خوجة (حمدان)، إتحاف المنصفين ....، المصدر السابق ،ص 137.

[2] التونسي(محمد بيرم الخامس) ،صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار،ج4،دار صادر-بيروت ، ط1، المطبعة الاعلامية –مصر 1303ه/ص72.

[3] نفسه، ج2، ص61.

[4]خوجة(حمدان)، إتحاف المنصفين ....، المصدر السابق، ص70.

[5] ابن عثمان(محمد المكناسي)، الإكسير في افتاك الأسير ، تحقيق محمد الفاسي، منشورات المركز الجامعي ،الرباط، 1985، نقلا عن الأمين(محمد البزاز)، تاريخ الأوبئة والمجاعات...، المرجع السابق، ص404.

فلم يتركو أحدا يدخل إليهم..."، وقد كان التعامل بحذر شديد مخافة العدوى مع الركب الذي يحمل الوباء أو يشتبه فيه ذلك"وكانوا يدلون الزرع من فوق السور ويأخذون الريال ويغسلونه ولا يتناولونه إلا بعد الغسل، والله تبارك وتعالى يكتب السلامة والعافية آمين"[1]، لكن كان هذا الأسلوب كإجراء وقائي لمنع انتقال الوباء والاحتراز منه من قبل ساكنة الأغواط، كما تم فرض الكرنتينة إلى التجار الآتين من الغرب عام1755م،عندما كان الطاعون متفشيا بالجزائر[2].

2– مـــــدته:تجدر الإشارة الى أن الوافدين على متن السفن الملزمة بنظام الاحتماء هم على طبقات كالأتي:

– **القادمون من أقرب المناطق:** في في نهاية الرحلة فهم غير ملزمين بهذا النظام.

– **القادمون من مناطق أبعد من الفئة الأولى:** فهم ملزمون بنظام الإحتماء لأيام قلائل بحجة أنهم تخالطوا في طريقهم بعناصر أخرى وكتموا عن ذلك.

– **القادمون من بلاد لا تعمل بنظام الكرنتينة:** فهم ملزمون بنحو عشرين يوما أو أزيد.

– **القادمون من بلاد بها وباء:**لكن لم يمرض أحد منهم فهم ملزمون بشهرين أو أزيد مع الحذر الشديد باتجاههم.

– **القادمون وفي سفينتهم مرض:** ففي أغلب الحالات يتم طردهم ولا يتم قبولهم أو" يأمرونهم بالنزول مجردين من ثيابهم، فيحرقون السفينة بما فيها ويغرقونها على مابلغنا–ويغرمون ثمنها لأربابها من بيت مالهم ، ويعطون للقادمين ما يلبسون وينزلونهم في موضع لا يراهم أحد ، ويعينون معهم حراسا وخدمة ووراءهم حراس آخرون يحرسون من يليهم، ولا يختلطون بغيرهم فيكونون ثلاث طبقات ويجعلون لهم مدة ثلاث أشهر كرنتينة وللطبقة الوسطى من الحراس شهران وللطبقة الثالثة شهر، فان مات لهم أحد أو مرض في تلك الثلاثة أشهر يحولونهم إلى محلا أخر"

[1] الرحلة العياشية، مج2، ص 546.

[2] بوجرة(حسبين)، ثنائية الفقه والطب في تمثلات التونسيين للطاعون خلال القرن الثامن عشر، جمعته بنعدادة(آسيا)، المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية–الرباط، 2002، ص118.

ليعاد النظام من جديد لمدة ثلاث أشهر أخرى، يتداوى فيها المريض ويصلح حاله، وان مات فهو يدفن في حفرة ويلقى عليه الجير، وان لم يمرض أحد مدة شهرين فيخفف عنه وذلك برؤية أهل البلاد والحديث معهم، وهي شروط لامسامحة فيها ولا مداهنة[1].

وماتجدر الاشارة اليه أن المدة الزمنية المحددة لهذا النظام الحمائي ليست ثابتة فقد تقل أو تتجاوز الأربعين يوما كما تختلف هذه المدة باختلاف مكان قدوم السفن فـتتراوح مدتة من 20 يوما كأدنى حد الى 70 يوما كأقصى حد وفي معظم الحالات تقدر مدته بأربعين يوما وفقا لقول صاحب المرسى رجب بن عياد الذي أورده الزياني في نزوله بتونس عند عودته من الحج قائلا في ذلك: :"...**لابد لهم من الأربعين ،والصواب أن تجعل لهم سبعين فسكت هذا الأمير الفاضل اذ أدحض حجته بالباطل ،فأنظر الى هذا الفعل الذي لايفعله الا مجرم ويزعم صاحبه أنه مسلم** " وقد كانت حجة صاحب المرسى بهذا الإجراء هو تفادي انتشار العدوى وانتقال الوباء الى البلاد عبر الأسواق والبضائع بقوله:"**يامولاي معهم بضائع التجار، وهم أسوأ حالا من الكفار، يترددون في السكك والأسواق يسيرون إلى المدن والآفاق، فلا بد لهم من الأربعين...**"[2]، فقد أخذنا نموذج لإيالة تونس لما وفرته الوثائق الأرشيفية حول هذا النظام الحمائي الذي اشتهر في المتوسط[3]:

مدة الكرنتيتة	المكان الذي قدمت السفن
05 ايام	أي برّ من برور النصارى
20يوما	الترك أو من الإسكندرية
40 يوما	أي برّ كان

[1]خوجة (حمدان)، إتحاف المنصفين ...، المصدر السابق ، ص ص 137-139.

[2]الزياني (أبو القاسم)،الوجيز من الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص 169.

[3] الأرشيف الوطني التونسي، السلسة التاريخية، الصندوق068، الملف:809، تحت عنوان: مراسلات متعلقة بالأوضاع الصحية بالبلاد التونسية وبالتحفظ من الأوبئة(1815-1873)، وثيقة رقم 08.انظر النص الأصلي لها في الملحق رقم07.

لقد كان هذا الاجراء من أجل حماية العباد والبلاد كما جاء في نص الرسالة التي بعث بها حسن باي تونس الى القنصل الفرنسي يخبره فيه بفرض عشرين يوما كرنتينة على السفن القادمة من فرنسا[1]، ومثل ماطبق هذا النظام على مختلف الدول نجدة يطبق أيضا على السفن القادمة من الموانئ الجزائرية مما اثر من دون شك على حركية التجارة بين الإيالتين وهذا الجدول يبين قيمة العوائد الخاصة بالكرنتينة على السفن القادمة من الجزائر[2]:

الموانئ الجزائرية	قيمة العوائد المفروضة عليها في موانئ تونس
عنابة	52 ريال
مدينة الجزائر	52ريال
وهران	52ريال

من الجدول يتبين إن قيمة العوائد المفروضة على السفن الجزائرية وأن مدة الحجز تقدر ب أربعين يوما انطلاقا من قوانين هذا النظام الحمائي المسطر كما بيناه في السابق(تقدر قيمة العوائد ب40ريال للسفن التي تمكث مدة أربعين يوما والقادمة من أي برّ كان).

ومثلما طبق على ايالة الجزائر نجده مطبق على مختلف السفن الورادة من الدول المجاورة التي تشكل شريك تجاري للايالة التونسية فقد أدى هذا التأثير الى اتباع نظام حمائي مثلما تبينه الوثائق الأرشيفية الخاصة بعوائد الكرنتينة على مختلف السفن والمراكب الواردة الى موانئها وقد أوردنا منها عوائد شهر نوفمبر من عام 1836م[3]:

[1] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الصندوق068، الملف:809، تحت عنوان: مراسلات متعلقة بالأوضاع الصحية بالبلاد التونسية وبالتحفظ من الأوبئة(1815-1873)، وثيقة رقم 05 مؤرخة في ذي الحجة 1247هـ.

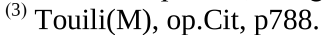
[2] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الصندوق:066، الملف:798، تحت عنوان:مراسلات صادرة أو واردة على المجلس الصحي خاصة من القناصل تعلقت بأوضاع الصحة العمومية والكرنتينة لتحفظ على الأوبئة(1830-1840م)، مقبوض عوائد الكرنتينة عن شهري سبتمبر- اكتوبرو نوفمبر1836م. راجع نص الوثسيقة في الملحق رقم06.

[3] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الصندوق:066، الملف:798، تحت عنوان:مراسلات صادرة أو واردة على المجلس الصحي خاصة من القناصل تعلقت بأوضاع الصحة العمومية والكرنتينة لتحفظ على الأوبئة(1830-1840م)، مقبوض عوائد الكرنتينة عن شهر نوفمبر1836م.

الدول	قيمة العوائد بالريال	مدة الحجز
مالطة	96	10 أيام
جبل طارق	52	/
بحر المورة	112	15 يوما
سفن انجليزية قدمت من مالطا	52	/
مرسيليا	52	/
اسبانيا	52	/

يتبين أن هذا النظام الحمائي شكل مورد مالي لإيالة تونس كضريبة مفروضة على السفن والمراكب الأجنبية الواردة على موانئها ، فكلما زادة مدة الحجز أو المكوث زادت قيمة الضريبة [1] فقد كانت ايالة تونس من الدول السباقة إلى إقامة هذا النظام ابتداءا من الثامن السابع عشر مقارنة بالجزائر بعدما شهدت ضربات للطاعون وهذا إلى جانب ايالة طرابلس الغرب باعتبارها واقعة على الطريق البحري فهي بذلك مهددة بخطر العدوى القادمة من المشرق [2].

3-حجز السلع والبضائع: قد تزيد السلع والبضائع من الوضع سوءا، فقد شكلت الجلود المصدرة من الجزائر الى ميناء فالنسيا الاسبانية عاملا لانتقال عدوى مما أدى بهذه الأخيرة الى اتخاذ نظام حمائي(الكرنتينة) ضد التاجر اليهودي الوافد من ايالة الجزائر تجنبا لخطر العدوى التي قد تلحق من خلال السلع والبضائع التي يحملها اليها مثلما تبينه رسالة محافظ الصحة بمرسيليا عام1792م[3]، الطاعون عن طريق الحذائين أو عن طريق كمات



(1) الأرشيف الوطني التونسي، السلسة التاريخية، الصندوق068، الملف:809، تحت عنوان:مراسلات متعلقة بالأوضاع الصحية بالبلاد التونسية وبالتحفظ من الأوبئة(1815-1873)، وثيقة رقم 08.

(2) Salvatore speziale, navigation et prévention sanitaire maritime au Maghreb…, op.Cit, pp 122-124.

(3) Touili(M), op.Cit, p788.



الصوف الموجهة من عنابة الى فرنسا شهر ماي 1786م[1]، من بين الأمتعة الواردة مع القادمين مايلي: الصوف،الكتان والقطن والجلد،يتم إنزالها الى البر ويطبق عليها نظام الاحتماء ضعف مايطبق على صاحبها ويبتدأ حساب الكرنتينة مع هؤلاء ابتداءا من أول مفارقتهم لها ، على عكس المواد الأخرى كالخشب والحبوب والمعادن والمائعات وأنواع النباتات الذي لا ليفية فيه فلا كرنتينة فيها مع العلم أن هذا النظام قد يطبق على داخل السفينة في حد ذاتها أو يتم إنزال المسافرين وتفريقهم على عدد من البيوت عليها خدم ، وعادة مايوضعون في أماكن واسعة وبسقوف مفتوحة يضعون فيها أمتعتهم لتتعرض للهواء حتى انتهاء المدة المقررة[2].

4-البـناية : يتم بناء سور محكم ، وفيه طباخون ومطبخ، يقدمون الطعام والفراش وآلات السكنى بقيمة معلومة وأجرة معينة من غير الاختلاط بأحد، مع مراقبة شديدة للمسافرين، يغلق عليهم الباب ليلا ولهم حمام فيه بيوت بمغاطس ساخنة لمن يريد ذلك بمقابل، دون الاختلاط بينهم ماعدا المتشاركين في عدد الأيام الموحدة بينهم، ولهم أبنية كثيرة كما أن لهم موضع في جهة المدينة يتقابل فيه أهل المدينة مع من لهم إليه حاجة شريطة عدم التماس بينهما تجنبا للعدوى، فيتكلمون ما شاؤوا لكن تحت رقابة الحارس خوفا من تبادل الأشياء بينهما مع العلم أن المجموعة أو البيت الذي سجل فيه حالة وفاء يزيدون من عدد أيام الكرنتينة[3]، وقد وصفها محمد بيرم الخامس التونسي بقوله:" وهي مساكن لابأس بها محولة بسور لها بابا مغلق مفتاحه عند إمام الجامع"[4].

5- الفحص الطبي: أخر إجراء في نظام الكرنتينة بعد انقضاء المهلة المحددة يأتي دور الطبيب ليفحص الجميع[5].

---

[1] فلة(القشاعي)، الواقع الصحي والسكاني...، المرجع السابق، ص247.

[2] خوجة (حمدان)، إتحاف المنصفين والأدباء...، المصدر السابق، ص139-140.

[3] خوجة (حمدان)، إتحاف المنصفين ...، المصدر السابق، ص ص 139-140.

[4] التونسي (محمد بيرم الخامس)، المصدر السابق، ص72.

[5] خوجة (حمدان)، إتحاف المنصفين ...، المصدر السابق، ص142.

ثالــثا. الكرنتينة بين جدلية الفقه (الإقرار والرفض) :

لقد وجب الإشارة إلى أنه توجد احتلافات بين المذاهب نفسها في جواز العمل بالكرنتينة من عدمه فمفتي الحنفية يجيز ذلك في حين مفتي المالكية يقر بحرمته[1]، وقد أوردنا مثالا عن الجزائر خلال العهد العثماني فتطبيق نظام الكرنتينة لا يتصادم حسب حمدان خوجة ، باعتباره لا تصادم أصلا من أصول الدين، بغير إضرار للقادمين وذلك مغتفر لعظم المضرة التي هم بصدد دفعها ويعم لضرر عند وقوعها، بل وأشاد في المقالة التاسعة للعمل بهذا النظام الوقائي بقوله: "ولما لا يتقدم مثل هذا النمط من الاحتماء للمسلمين،لم يكن للكرنتينة اسم إسلامي ، ومجرد التسمية الفرنجية،لا يكون سندا للأحكام الشرعية"[2].

وقد قدم في ذلك أدلة شرعية من آيات وأحاديث في الوباء تبيح الفرار من الضرر أو الوباء حكمها جواز نظام الكرنتينة، وقد وردت الأية بصفة عامة في كل ضرر ويدخل في عمومها الوباء ومن ادعى التخصيص بغير الوباء لزمه البيان على قول حمدان خوجة[3]، ومن هذه الآيات نورد منها قوله تعالى:﴿خُذوا حذركم﴾[4].

مثل الوباء حلقة نقاش موسعة بين الفقهاء بمختلف مذاهبهم أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر في بلاد المغارب وعلى رأسها الجزائر، فالمعتقد السائد هو عدم القدوم على البلاد الموبوءة، وعدم الفرار منه عند حلوله وانما التحلي بالصبر واعتبار الموت بالطاعون شهادة "لأن المبطون شهيد"[5].

لقد اعتمد الموقف الفقهي بخصوص الطاعون على ثلاثة مبادئ كلها مستوحاة من الأحاديث النبوية:

---

[1] لم يكن فقط هذا النظام محل اختلاف بين المذهبين بل فيه عدة مسائل تحل عند الحنفية وتحرم عند المالكية للاطلاع عليها راجع: محمد صالح بن أحمد (السمعوني الجزائري)، ذكر بعض المسائل التي تحل عند الحنفية وتحرم عند المالكية،مخطوط، مكتبة معهد الثقافة والدراسات الشرقية ،بجامعة طوكيو، رابط الكتروني: http://ricasdb.ioc.u-tokyo.ac.jp/daiber/db_ShowImg_I.php

[2] خوجة (حمدان)، إتحاف المنصفين ...، المصدر السابق، ص80.

[3]خوجة (حمدان)، إتحاف المنصفين ...، المصدر السابق، ص81.

[4]سورة النساء، الآية (71) .

[5]ابن أبي الضياف (أحمد)،اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ،تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، تونس، الدار العربية للكتاب ،المجلد الثاني،1999 ،ج4، ص130، و مصطفي(آمال)، المرجع السابق، ص 138.

1-الطاعون رحمة وشهادة للمؤمنين الأتقياء ، وعقاب للكفار.

2-اذا نزل الطاعون بأرض فعلى المسلم أن لايخرج من تلك الأرض التي حل بها واذا سمع بوجوده في بلد فعليه أن لايقدم على ذلك البلد الذي اصابه الطاعون.

3-انتفاء العدوى بناء على حديث "لاعدوى ولاطيرة"

هذه المبادئ أثارت نقاشا وخلافا بين العلماء في ظل اختلاف تفسيرهم للأحاديث النبوية المتعلقة بالأوبئة منها الطاعون على وجه الخصوص لذل حاولنا التطرق الى نماذج من فتاوى العلماء المغاربة وكتاباتهم حول الموضوع باعتبار أن البيئة الثقافية والعلمية كانت جد متقاربة في ظل تحركات الطلبة والعلماء فوقفنا على اتجاهين أساسيين[1]:

1-اتجاه جامد يأخذ بظاهر الأحاديث النبوية ويرفض كل اجراء احترازي.

2-اتجاه متفتح يستعمل الاجتهاد ليخلص الى أن الاحتراز من الوباء أمر مشروع.

فنجد ضمن الموقف الأول الرافض لكل لكل إجراء احترازي ، إذ يتفق أصحاب هذا الاتجاه على نفي العدوى وإرجاع كل مايصيب الإنسان إلى خالقه والى القدر كما ياخذون بظاهر الأحاديث النبوية للنهي عن الخروج من الأرض الموبؤة فرارا من الوباء والنهي على من حل بأرضهم الطاعون من دخول أرض لايوجد بها [2].

ومن هؤلاء الرافضين لسياسة الكرنتينة نجد محمد بن سليماني المناعي في تونس بمؤلفه "تحفة المؤمنين ومرشدة الضالين"والذي بين من خلاله أن الموت يكون بالآجال ولا مجال لاعتماد طريقة للاحتماء [3]،وفي المغرب نجد أبو القاسم الزياني الذي زار الحجاز في أواخر القرن الثامن عشر وصف فيها الكرنتينة على أنها بدعة وأنها ممنوعة

---

[1] المنصور(محمد)، موقف علماء المغرب من الأوبئة والإجراءات الصحية الاحترازية، جمعته بنعدادة(آسيا)، المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب، منشورات عكاظ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية–الرباط،2002.ص101-103.

[2] المنصور(محمد)، موقف علماء المغرب من الأوبئة والإجراءات الصحية الإحترازية...، المرجع السابق، ص103-104.

[3] المناعي(محمد)، تحفة المؤمنين ومرشدة الضالين، المكتبة الوطنية التونسية، مخطوط رقم11856، ورقة 70(ظهر).

عرفا وشرعا[1]،قوله في ذلك أثناء مروره بتونس عند رجوعه من الحج:"ولما بلغنا اتونس الخضرا، ومعنا جماعة من الحجاج الفقرا، وفتيان أنجاد من الأتراك، القامعين لأهل الكفر والاشراك، ونزل صاحب المركب أبو ثور ،المشؤوم الفجور، وبلغوا حلق الوادي ناداهم المنادي:أبعدوا من البر، ففيكم الوباء ومعكم الشر،فرجعوا الى المركب حائرين...، وبعد يومين جاءنا الاذن بالنزول الى الكرنطينة الشنعا، الممنوعة عرفا وشرعا فنزلنا بقلعة شيكلي، وكل الى قريبه بالرسائل يدلي ،فظهر لنا أن نكتب لصاحب المرسى رجب بن عياد واخترناه على غيره من العباد، لما نعلم بينه وبين محبنا الحاج علي من الألفة في الحضور والغيبة، فكتبت أتشفع له بمقام المحب المذكور، وعرفته أن الخير تجارة لن تبور...."[2].

وقد نظم الزياني قصيدة جاء فيها:

من كان يسعى لخلق الله في الضرر	ويظهر الخير والاحسان بالكــــذب
ومن يكن بفعال الــــسوء عادته	يعامل الناس كابن عياد رجـــــب
ذاك الذي قدطغى واخترع البدعا	بشره بالهم والإدبار والكـــــرب
يلقى أبا لهب في شرر لهــــب	وزوجه مثله حمالة الحطـــــب
حاشا لمثله أن يعزى له كـــرم	أوحسب أو وفا ينسب للعـــرب
سنّ الكرنتينة الشنعا بــبدعته	في بلدة هي دار العلـــم والأدب
يحسبها بصميم الجهل مــنجية	يقي بها النفس من سقم ومن عطب
ينسبها لأمير الوقت مســخرة	وذاك منه افترا حاشاه من شغــب
فكيـف يرضـى بـذا فخـر الملـوك	فاق ملوك الورى بالعقل والحسب
وكيف يترك ذا الجربي اللعين كذا	يفسد دولته يا له من عجـــب
ذاك بهمتـه رضــــي الإلــه وذا	يرضي بخسته عبدة الخشـــب
وليس هذا لدى الإسلام قاطبة	في مذهب جائر فاشدد الى الهرب
وبعد هذا فجمع الروم سرحهـم	والمسلمون بقوا في الهتم والنصــب

[1] مصطفى (آمال)، الحج والوباء...، المرجع السابق، ص121.

[2] الزياني (أبو القاسم)، الوجيز من الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص168- 169.

ما مثلها سبة في الدين منقصة	لكان في الدار من يرغب في القرب
مضى لعمري ذوو الأحلام والشرف	وساد في الناس أهل الهزل واللعب
آه على تونس الخضرا يسود بها	معتزلي بلا دين ولا حسب
يدس في الدين أشياء محرمة	فقلما يسلم الجربى من الجرب
عادة أسلافه أكل الكلاب وذا	رخص في الخمر والأزلام والنصب
ظن الخبيث بأن الموت يفلته	وما درى أنه خلفه في الطلب
الموت حتم فلاعنه محيد ولا	يدفع بالفضة البيضا ولا الذهب
لاشك أنك من أهل الشقا وعن	قرب تحل بدار الخزي والغضب
بضربة من وباء غير مخطئة	تأتيك في القلب أوفي صفحة الجنب
خذها أيا ظالم سوداء منتنة	ممن دعاك بمكتوب فلم تجب
أبشر فقدجاءك المكروه من عجل	وصادفتك سهام الليل فاحتسب

إن هذه القصيدة: تظهر ضرر نظام الكرنتينة بالمحتجزين وعلى أنها بدعة ومخالفة لقوانين الشرع والعرف كما تفسد بالدول نظرا للعناء الذي يلقاه الوارد عليها سواء تاجر أو حاج أو طالب علم، من طبقها فهو شقي ومن اهل الخزي والمغضوب عليهم،وأنه سلقى وبال أمره كأن يكون ضحية للوباء في نفسه[1].

كما كانت الموانئ الأوروبية تلتزم بإخضاع السفن أوالمراكب الواردة إليها إلى هذا النظام خاصة في زمن الأوبئة تجنبا للعدوى وهو مارواه لنا الزياني في رجوعة من رحلته السفارية من اسطمبول باتجاه المغرب نزولا في طنجة ومرورا بمرسيليا[2].

إلى جانب الزياني نجد المؤرخ أحمد بن خالد الناصري يحذو حذوه وهو الموقف الذي اتخذه في فتواه باعتباره عمل من عمل النصارى والتشبه بهم، فقد أورد أنه في سنة1266هـ" في سفر له إلى حضرة السلطان المولى أبي علي

---

[1]الزياني (أبو القاسم)، الوجيز من الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص170.

[2] الزياني (أبو القاسم)، الوجيز من الترجمانة الكبرى...، المصدر السابق، ص77-78.

الحسن بن محمد الشريف أيده الله عز وجل بمراكش المحروسة بالله فخرجنا من سلا أواخر ربيع الأول من السنة المذكورة، ومررنا في طريقنا على المحب القائد الأنبل أبي عبدالله محمد بن إدريس الجراري بثغر الجديدة، وهو يومئذ متول لعملها،فأجل قدومنا على عادته حفظه الله في محبة العلم ومن ينتمي إليه،وحضر معنا عنده بعض فقهاء الوقت ،وكانت السنة سنة وباء ،فجرت المذاكرة فيما يستعمله النصارى في أمر الكرنتينة من حبس المسافرين وشذاذ الأفاق عن المرور بالسبل والدخول الى الأمصار والقرى ومنع الناس من مرافقهم وأسباب معاشهم" وهنا ذكر لما يحدث أثناء تطبيق الحجر الصحي مما استدعى النظر في حكمها الشرعي أنذاك وبعد البحث فيها والإطلاع على فتاوى مدرسي جامع الزيتونة (آنذاك العلامة الشيخ أبي عبدالله محمد المناعي التونسي المالكي ومفتي الحنفية بها العلامة الشيخ أبي عبد الله محمد البيرم) تبين موقفه الشرعي منها بعد اعادته النظر في حكمها، وأفتى بحرمتها وحظرها شرعا مستدلا قوله بمايلي"فلما وقفت على هذا الكلام تجدد لي النظر في حكم هذه الكرنتينة وظهر أن القول بإباحتها أو حرمتها منظور فيه الى ما اشتملت عليه من مصلحة ومفسدة ولو مرسلة على ماهو المعروف من مذهب مالك رحمه الله ،ثم يوازن بينهما وأيتهما رجحت على الأخرى عمل عليها ، فان استوتا كان درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة كما هو معلوم في أصول الفقه، ونحن اذا أمعنا النظر في هذه الكرنتينة وجدناها تشتمل على مصلحة ومفسدة، أما المصلحة فهي :سلامة أهل االبلد المستعملين لها من ضرر الوباء ،وهذه المصلحة كما ترى غير محققة بل ولا مظنونة ،لأنه ليست السلامة مقرونة بها كما يزعمون وأنه مهما استعملها أهل قطر بلد الا ويسلمون لا دائما ولا غالبا بل الكثير [1].

أو الأكثر أنهم يستعملونها ويبالغون في إقامة قوانينها ثم يصيبهم ما فروا منه كما هو مشاهد،ومن زعم أن السلامة مقرونة بهذا دائما أو غالبا فعليه البيان إذ البينة على المدعي،فنتج من هذا أن مصلحة الكرنتينة مشكوكة أومعدومة ،وإذا كانت كذلك فلا يلتفت إليها شرعا بل ولا طبعا لأنها حينئذ من قبيل العبث، وأما المفسدة فهي دنيوية

[1] حوجة (حمدان)، إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء...، المصدر السابق، ص183-184.

ودينية ،أما الدنيوية فهي الأضرار بالتجار وسائر المسافرين إلى الأقطار بحبسهم وتسويقهم عن أغراضهم وتعطيل مرافقهم على أبلغ الوجوه وأقبحها كما هو معلوم ،وأما الدينية فهو تشويش عقائد عوام المؤمنين والقدح في توكلهم وإيهام أن ذلك دافع لقضاء الله تعالى وعاصم منه ،وناهيك بها مفسدتين محققتين ترتكبان لشي يكون أو لايكون فان العامة لقصور أفهامهم قد تذهب أوهامهم مع هذه الظواهر فيقفون معها ويقعون في ورطة ضعف الإيمان عياذا بالله فان قلت:هذا الكلام فيه ميل الى سوء الظن بهم وانأ فيه تقرير الخوف عليهم والاحتياط لهم حتى لانتركهم هملا فعلون ماشاؤوا أو يفعل بهم مايضرهم في دينهم ودنياهم مع أن سد الذريعة قاعدة من قواعد الشرع لاسيما في المذهب المالكي ،ولأمر جاءت به الشريعة المطهرة ممتلئة من التحذيرات مكامن هذه المفاسد ونحوها ورد الأسباب والمسببات كلها إلى الله تعالى:مع ما في استعمال هذه الكرنتينة من الإقتداء بالأعاجم والتزيي بزي الكفار الضلال ورمقهم بعين التعظيم ونسبتهم إلى الإصابة والحكمة كما قد يصرح به الحمقى من العوام .فأما إذا وافق قدر بالسلامة عند استعمالها فهي الفتنة والعياذ بالله ،فأي مفسدة أقبح من هذه ؟فالحاصل أن الكرنتينة اشتملت على مفاسد كل منها محقق فتعين القول بحرمتها ،وجلب النصوص الشاهدة لذلك من الشريعة لاتعور البصير، وقد ذكر العلامة الحافظ القسطلاني في تفسير سورة النساء من الجامع الصحيح عند قوله تعالى"ولاجناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم"[1]، مانصه دل على وجوب الحذر من جميع المضار المظنونة ومن ثم علم أن العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء والتحرز عن الجلوس تحت الجدار المائل واجب.

وهو يقتضي بظاهره أن الإحتراز عن الوباء واجب بأي وجه كان، ولا يخفى أنه يتعين تقييده بالوجه الذي ليس فيه مفسدة شرعية ،كعدم القدوم على الأرض التي بها الوباء ونحو ذلك مما وردت به السنة ولا تأباه قواعد الشريعة كبعض العلاجات المستعملة في إبانه المنقولة عن أئمة الطب، أما بالوجه الذي يشتمل على مفسدة أو مفاسد

---

[1] سورة النساء، الآية (102).

كهذه الكرنتية فلا، هذا ماتحرر في هذه المسألة وأكملها وبهذه الفتوى عمل بها قاضي مراكش العلامة أبو محمد عبدالله بن الهاشمي ابن خضراء السلاوي وقد قال فيها(ماذا بعد الحق الا الضلال) أي من لم يتبعها فهو ضال[1].

لطالما كانت المواقف الفقهية تمنع الهجرة من مواطن الوباء باعتبارها أمرا محظورا في الشرع كما هو معلوم ومصرح به في الأحاديث على حد قول الناصري[2].

وفي نفس السياق سار الجزائري الأصل :العربي المشرفي صاحب مخطوط"أقوال المطاعين في الطعن والطواعين"[3]، برفضه كل إجراء حمائي،فقد انطلق من حكمه الشخصي في المسألة بقوله:" اعلم أن الفرار من الطاعون مُنْهى عنه بنص القرآن والحديث النبوي"مُستندا في ذلك إلى القراءة التي تبناها العديد من الفقهاء والعلماء لمجموعة من الآيات والأثار التي تحث على الايمان بقضاء الله وقدره منها قوله تعالى: «ألم تَر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوف حذر الموت فقال لهم الله مُوتوا»[4]، والتي تفيد بان الله عاقب الفارين من الطاعون المرسل على بني إسرائيل، ومن السنة استند إلى قراءات لخبر تراجع عمر بن الخطاب عن دخول بلاد الشام سنة18هـ/638م بسبب الطاعون المتفشي بها وقتئذ، وبالتالي خرج المشرفي بحكم مفاده هو رفض الخروج من بلد الطاعون ونهي القدوم إليه قوله:"فلا شك أن الفرار من الطاعون من المعاصي الكبار عند الجمهور ، والهجوم على أرض هو بها من التعرض للبلاء ،وهذه سنة السلف التي هي إرث الخلف"[5].

---

(1) خوجة (حمدان)، إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء...، المصدر السابق، ص184-185.

(2) نفسه، ص183.

(3) قام الدكتور حسن الفرقان بدراسة وتحقيقه تحت عنوان: أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19 نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي...، المصدر السابق، ص ص174-307.

(4) سورة البقرة، الآية(243).

(5) الفرقان(حسن)، المصدر السابق، ص126.

مقابل هذا الرأي اتخذ مجموعة من العلماء والفقهاء موقف مناهض يقر بمشروعية الكرنتينة والأخذ بسبل الوقاية من مخاطر الأوبئة والطواعين وعلى رأسهم التونسي محمد بن محمد بيرم الثاني(1749-1831) الذي سمح انتمائه إلى المذهب الحنفي الأكثر تسامحا واعتدالا في الدفاع عن سياسة الكرنتيتة والإقرار بمدى نجاحها و رأى في ذلك حماية للبلاد والعباد من مخاطر الآفات الوبائية وبأنها لا تتعارض مع الشرع[1]،وهي مقاربة المتحفظين القائلون بشرعية وجوب التحفظ من الوباء والتوقي من طعناته ،بل أيضا بضرورة اتخاذ إجراءات الحماية والتحرز إزاء انتشاره وانتقاله من منطقة إلى أخرى[2]، وقد عبر ابن أبي ضياف عن هذا الرأي بقوله:"افترق الناس إلى قسمين:قسم يرى الاحتفاظ وعدم الخلطة بالعمل المسمى الكرنتينة، وعلى هذا جماعة كشيخنا أبي عبد الله محمد بن محمد بيرم...."[3].

وفي الجزائر اتخذ الفقيه حمدان خوجة نفس الإتجاه فكان موقفه حمدان العمل بهذا النظام لتجنب الوباء باعتباره كان حنفيا لكونه مذهب الجزائر العثمانية وحكامها آنذاك[4].

لايتصادم تطبيقها حسب حمدان خوجة باعتبارها لا تصادم أصلا من أصول الدين،بغير إضرار للقادمين وذلك مغتفر لعظم المضرة التى هم بصدد دفعها ويعم لضرر عند وقوعها.

بل وأشاد في المقالة التاسعة للعمل بهذا النظام الوقائي بقوله:ولما لايتقدم مثل هذا النمط من الإحتماء للمسلمين، لم يكن للكرنتينة اسم اسلامي، وبمجرد التسمية الفرنجية، لا يكون سندا للأحكام الشرعية"[5].

---

[1] مصطفي (آمال)، المرجع السابق، ص121.

[2] حسن(بوجرة)، ثنائية الفقيه والطبيب...، المرجع السابق، ص 120

[3] ابن أبي ضياف(أحمد)، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والإرشاد، تونس1964،ج7، ص ص 162/158.

[4] خوجه (حمدان)، إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس من الوباء ...، المصدر السابق، ص18.

[5] نفسه، ص80.

وقد استند في حكمه إلى مجموعة من الأدلة الشرعية المستقاة من القرآن والسنة منها: إباحة الفرار من الضرر أو الوباء:حكم جواز نظام الكرنتينة وردت الأية بصفة عامة في كل ضرر ويدخل في عمومها الوباء ومن ادعى التخصيص بغير الوباء لزمه البيان على قول حمدان خوجة ومن هذه الايات نورد منها قوله تعالى:

﴿خذوا حذركم﴾[1]، ﴿وأعدوا لهم ما استطتعم﴾[2]، ﴿ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة﴾[3] ، الى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب الأخذ بالأسباب[4].

وفي الأحاديث النبوية: الواردة في النهي عن الخروج من دائرة الوباء أو الإتيان عليها، ماورواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي :عنه صلى الله عليه سلم.أنه قال:«إن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عُذب به قوم قبلكم فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا–فرارا–وإذا سمعتم به من بأرض قوم فلا تدخلوا عليه»[5]، وقد روي هذا الحديث من طرق متعددة، فقد ورد في باب ماجاء في الطاعون في موطأ الإمام مالك..عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، واذا وقع بأرض، وأنتم بها فلا تخرجوا فرار منه»[6].

وعن أسامة بن زيد قال:قال:رسول الله صلى الله عليه وسلم:«الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني اسرائيل،أو على من كان قبلكم، فاذا سمعتم به بأرض ،فلا تدخلوا عليه، واذا وقع بأرض وأنتم بها، فلاتخرجوا فرارامنه»[7]،

---

[1] سورة النساء، الآية (71).

[2] سورة الأنفال، الآية (80).

[3] سورة البقرة، الآية(195).

[4] خوجه (حمدان) ،إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء ...، المصدر السابق، ص81.

[5] خوجه (حمدان) ،إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء ...، المصدر السابق، ص84.

[6] ينظر سند الأحاديث كاملا في:بن أنس(مالك)،الموطأ،ط1،رواية يحي بن يحي المصمودي الليثي، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص ص468-469.

[7] بن أنس(مالك)، الموطأ، ص469.

وقد رجع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن معه من الناس عند خروجه الى الشام حين وقع الوباء بها عندما سمع بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام من عند عبد الرحمن بن عوف[1].

وقد جاء في الترغيب والترهيب: وعن عائشة –رضي الله عنها –قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فقال:"كان عذابا يبعثه الله على من كان قبلكم، فجعله الله رحمة للمؤمنين مامن عبد يكون في بلد، فيكون فيه فيمكث–لايخرج–صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه الا ما كتب الله له إلاكان له مثل أجر شهيد"رواه البخاري[2].

وفي حكم الكرنتينة بالجزائرأخذ حمدان خوجة بجواز الاحتماء والاحتراز من الوباء بالرغم من أنه نظام أوروبي (وان وقعت التسمية من الكفار بلفظ الكرنتينة) وهذا الحكم على الوباء القادم الى أرضنا لأن الحالة الأولى الخاصة بالفرار من الأرض التي وقع بها الوباء، والثانية :القدوم على الأرض التي ظهر فيها الوباء سبق فيها الحكم بالنهي استناد إلى أحكام الشارع بالفرار أو القدوم على أرض الوباء(حسب ما ورد فيها من أحاديث للنبي عليه الصلاة والسلام ولأفعال صادرة عن الصحابة رضوان الله عليهم)[3].

أما الحالة الثالثة وهي الأهم :وهي حالة قدوم من وقعت الوباء بأرضهم علينا (الأجانب أو الوافدون على أرضنا) فلم يرد فيه نص (لابالكتاب ولا بالسنة)بالخصوص أن يرجع الى الأصول، والأصل في الأشياء على حد قوله: الإباحة و الأخذ بالأسباب ودفع المضرة بعد ثبوت السببية ومعرفة مدخل الضرر بالنص وبالتجربة .

فأما التجربة فلاينكرها إلا مكابر، وقد استدل على ذلك بوجود هذا النظام منذ مذة طويلة في البلاد الفرنجية، وحتى في بعض بلاد المسلمين مثل تونس، وطرابلس الغرب وتطوان ومراسي فاس ولم سمع بوقوع الوباء في تلك البلاد وبما أن الجزائر يتصل شرقيها بتونس وغربيها بتطوان وقل ماتخلو الجزائر من الوباء، ولم يسمع وقوع الوباء

---

[1] نفسه، ص469.

[2] خوجه (حمدان)، إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء ...، المصدر السابق، ص 85.

[3] نفسه، ص115-117.

بتونس ولا بتطوان بعد حدوث الكرنتينة فيهما(يجب الإشارة هنا أن كلا البلدين مر بأزمات في التهميش كما انه كان منهي عنه في المغرب ارجع إلى فتاوى الاستقصاء أو بطاقة حكم الكرنتينة) هذا الإستدلال الأول.

أما الإستدلال الثاني فيرى فيه أن الشخص في البلدان التى بغير كرنتية عند حدوث الوباء بها اذ التزم شروط الوقاية من عدم الاحتكاك بالمصابين والالتزام بمنزله طيلة فترة الوباء يقيه العدوى اللهم إن مات بإذن الله،وقدم مثالا بنفسه بقوله: وأطردت السلامة وأنا العبد الحقير وقعت الوباء بالجزائر(كان سكن خارج الجزائر بمتيجة، وأنا بها فألتزمت بأقل مما يحتاط الفرنج فكنت أصلي الجمعة وأحضر الجزائر مع أصحابي وأقاربي من غير أن أقتحم مجتمع الناس ولا أمس أحد ولا قماشا.ثم أرجع وابتخر فسلمني الله سبحانه أنا ومن معي، وتكرر ذلك أزيد من عشرين سنة، ويمثله التجربة وتتحقق السببية مع الانصاف وليس في القواعد الدينية ماتترتب عليه الكراهة، فضلا عن التحريم وخلاصة ذلك أن الإحتراز عن الاحتكاك بالمرضى بالوباء ومقاربتهم من جملة الأسباب الجائز الأخذ بها واستند في ذلك الى نهي النبي صلى الله عليه وسلم بالقدوم على الأرض التى بها الوباء فهو كالصريح والحقيقة أن ذلك اجتهاد من حمدان خوجة في فهم الحديث النبوي اذ يرى أن تطبيقة داخل البلاد الواحدة فقط وأن لاينطبق على الوافد الأجنبى على هذه البلاد[1].

واستند الى قوله صلى الله عليه وسلم:"لايوردن الممرض على مصح ويستدل على ذلك بالضررالعام الناتج عن الاختلاط كما أن خطرالوباء في أول ظهوره أشد وأخطر من قرب انتهائها ،فقلما يسلم المريض بها في أول ظهوره وتكثرالسلامة عند قرب انتهائها ومن هنا تعين أن ضرر قدومهم علينا أشد فيكون المقيس الذي هو قدومهم علينا أولى بالحكم ،وهو النهي من المقيس عليه،وهو قدومنا عليهم ومن هنا أجاز حمدان خوجة العمل بنظام الكرنتيمة وتطبيقة[2] بقوله:"وكل ماذكرناه من تصرفاتهم ليس فيها مايكره شرعا ولا طبعا سوى عدم احترامهم للاموات بل يجب مراعاة حرمة المسلم..."، بل وأكد على هذا النظام بتعميمه في جميع أقطار السلطنة بقوله"يجب أن ينصب

[1] خوجه (حمدان)، إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء ...، المصدر السابق، ص119-120.
[2] نفسه، ص122-123.

ف كل بلدة من الممالك العثمانية التي في الحدود الفاصلة بين الممالك المحروسة وبين غيرها سواء كانت برية أو بحرية ....فلا بد أن يبنى فيها موضع كرنتينة"[1].

وفي الرد على المعارضين لهذا النظام بالحجة والاستدلال، خصص لذلك حمدان خوجة عدة أجوبة لاعتراضات تشبث بها المتعصبون على حد قوله نذكر منها قولهم "اعتراضهم بأنهم تكرر منهم ومن غير مخالطة المرضى،ومعالجتهم، وغسل أمواتهم بالوباء ثم لم يتضرروا بذلك.

فكان جوابه: هذا نوع من المغالطة والمصادرة اذ لم يدع أحد أن كل من خالط المرضى وعدم الإحتراز، ونظيره المتفق عليه أن ركوب البحر سبب للقيء والغثيان، ويعرض لأكثر من ركب البحر مع عدم تضرر من ركب معهم في سفينة واحدة ولا يقدح ذلك في سببية ركوب البحر للقيء والغثيان،كما أن ذلك القيء قد يحدث بسبب آخر، غير ركوب البحر، ولا يكابر أحد في هذا وكما أن كل ولادة فهي من ازدواج وليس كل ازدواج مولدا كذلك كل تضرر وبائي في الأكثر فهو مخالطة مريض بها وليس كل مخالطة ينشأعنها المرض ،ولذا قدمنا أنه قد يكون للشيء شروط وموانع فلا نطيل بما هوبين.

نلاحظ في هذا الرد أنه رد عقلي بأدلة وحجج دامغة وذات منهج علمي رد فيها حمدان خوجة على المعارضين مفادها أن الوباء اذا توفرت له شروط العدوى فذلك شرط لإنتقاله من شخص إلى أخر.

2-إعتراضهم بأنه شهادة ورحمة، ولا ينبغي التجنب والإحتراز عن مواقع الشهادة إستنادا لقوله عليه الصلاة والسلام"الطاعون شهادة لكل مسلم"رواه البخاري ومسلم.

فكان جوابه: قد تقدم لنا أنه في حق الآخرة ،وأما في حق الدنيا فأنه فتنة وعذاب وورد ما يؤيده، ثم بتسليم أنه ليس بعذاب، ولارجز، فأنه ليس أكثر أجرا من شهيد المعركة في الجهاد مع اتخاذ المجن والدرقة ولبس الزرود

---

[1] خوجه (حمدان)، إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء ...، المصدر السابق، ص144-147.

ونحوها(يقصد بها لباس الحرب ومستلزماتها) ،كلها لدفع ذلك الموت الذي هو شهادة بنص الاية القطيعة الدلالة "ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون"[1]، فالإحتراز عن وقوع هذه الشهادة مشروع ومأمور به لأن شهادة القتيل في سبيل الله قد صرحت به الأية الكريمة فقد أصبحت شيئا معلوما بالضرورة وكل منكر لشيء معلوم بالضرورة يقتل كفرا أي لايدفن في مقابر المسلمين ولا يصل عليه عند جمهور أهل السنة[2]، وهنا دعوة إلى عدم التعرض للتهلكة والحفاظ على النفس .

وبناءا على المواقف السابقة المتعارضة يمكن القول أن موقف العلماء المغاربة تجاه الإجراءات الوقائية كانت أكثر صلابة مقارنة مع بعض البلدان الإسلامية وربما يرجع ذلك حسب البعض إلى هيمنة المذهب المالكي مقارنة مع المذهب الحنفي الأكثر انفتاحا على الحضارة المتوسطية والأوروبية [3]وهو ما نلتمسه في موقف حمدان خوجة من هذا النظام الذي قدم لنا فكرة عن طبيعة التفكير القائم في تلك الفترة التاريخية.

ولئن لعب هذا النظام الحمائي والاحترازي دور الحزام الوقائي من الأمراض والأوبئة الآتية من مختلف الموانئ المتوسطية كنهج اتخذته الدول المغاربية متتبعة في ذلك تقاليد الدول الأوروبية ، رغم إعاقته للأنشطة الاقتصادية خاصة حركية التجارة الخارجية فقد ورد اسم الجزائر في العديد من محاضر المجالس الصحية للدولة العثمانية باعتبارها منطقة حيوية للتعامل التجاري[4]، هذه المحاضر التي لا تزال محفوظة إلى يومنا هذا في الأرشيف العثماني بتركيا[5] وغيرها من البلدان المجاورة كايالة تونس التي طبقته على السفن القادمة من الموانئ الجزائرية مما اثر من دون شك على حركية التجارة

---

[1] سورة آل عمران، الآية (169).

[2] خواجه (حمدان)، إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس من الوباء ....، المصدر السابق، ص125-127.

[3] المنصور(محمد)، موقف علماء المغرب من الأوبئة والاجراءات الصحية الاحترازية، جمعته بنعدادة (آسيا)، المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية–الرباط، 2002م، ص109.

[4] Osmali Arsivi, A. J MKT.MHM 579/16/3.

[5] ينظر نموذج من هذه الوثائق بالملحق رقم 04.

فقد فرضت العوائد الخاصة بالكرنتينة على السفن القادمة من الجزائر[1] والمغرب الأقصى في فرض حجرا صحيا عام 1797م خاصة على السفن القادمة من وهران ، وهذا يبين مدى الآثار التي خلفها وباء الطاعون على العلاقات التجارية الجزائرية-المغربية وتأثر البنيات الاقتصادية بين البلدين[2]، والدول الأوروبية خاصة المتوسطية منها كميناء مرسيليا[3]، ومساهمته في إفساد طبع بعض القائمين عليه من خلال تلقيهم الرشاوى والمال لإرساء السفن بطريقة غير شرعية[4] من أجل إنزال البضائع والسلع المشبوهة بالوباء كالصوف والأقمشة وغيرها وفي نفس الوقت

التخلص من المنتجات المهددة بالتلف مثل الحبوب والخضر والفواكه[5]، إلا أنه بقي أنجع وسيلة للحفاظ على البيئة الصحية للجزائر من الأمراض خلال القرن الثامن عشر رغم تضارب الأحكام الشرعية حول جوازه من عدمه، وهذا في ظل غياب الدراسات الجادة والمتعلقة بالمعرفة وتاريخ الأمراض التي بقيت محدودة جدا، كنمط جديد ظهر مع التطور الحاصل في الكتابات التاريخية الحديثة إلى جانب الدراسات التي تعنى بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والطبيعي.

ومما سبق نستنتج أن الواجهة المتوسطية شكات أكبر مصدر لإنتقال العدوى داخل أرجاء الإيالة نظرا للنشاط التجاري الذي تعرفه من جهة، ومن جهة أخرى نظرا للحتكاك القائم عليها باعتبار تمركز أغلب الساكنة بالمدن الساحلية كمدينة عنابة-الجزائر-وهران مما ساعد على عمل انتشار العدوى بوتيرة متزايدة ، ورغم الاختلاف والجدل الفقهي القائم بين تبني النظام الحمائي المتمثل في الكرنتية كنظام مستورد من الدول الأوروبية المسيحية إلا أنه يبقى أنجح وسيلة لتفادي عدوى الأوبئة أو على الأقل التقليل من عدد الإصابات لدى الساكنة.

---

[1] الأرشيف الوطني التونسي، السلسة التاريخية، الصندوق:066، الملف: 798، تحت عنوان: مراسلات صادرة أو واردة على المجلس الصحي خاصة من القناصل تعلقت بأوضاع الصحة العمومية والكرنتينة لتحفظ على الأوبئة(1830-1840م)، مقبوض عوائد الكرنتينة عن شهري سبتمبر- اكتوبرو نوفمبر1836م. راجع نموذج من شهر سبتمبر في الملحق رقم05.

[2] أمين(محمد)، الاختراق التجاري...،المرجع السابق، ص51-52.

[3] B[1]125, registre : 11 (1742-1746), Fº251,19 avril 1745, Alger. Lettre du Teil à Maurepas. P336.

[4] بعض الدول الأوروبية لم تلتزم بقواعد الكرنتية ، اذا تلقت الرشاوي باعتبار هذا النظام احتياط فقط مثل مأورده حمدان خوجة عن اسبانيا: راجع إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء ...، المصدر السابق، ص141-142.

[5] Salvatore (speziale), navigation et prévention sanitaire maritime au Maghreb...op.cit, p128.

المبحث الثالث: الطرق الوقائية والإحتراز من الكوارث الطبيعية:

تعددت ردود أفعال السلطة والمجتمع بتعدد أنواع الكوارث الطبيعية (زلازل، فيضانات، أعاصير، جفاف، غزوات الجراد، أوبئة ومجاعات)، البعض من هذه الردود أوردته مختلف المصادر التي تعرضت للكوارث والبعض الأخر إكتشفته الدراسات الحديثة خاصة العلمية التي تناولت هذه المواضيع بدقة، ورغم تعدد ردود الأفعال ضد مختلف الكوارث الأنها كانت تهدف الى الحد من مختلف أثارها كالحد من الخسائر البشرية بتأمين حياتهم، أو الإقتصادية كالحفاظ على الأملاك وتأمينها وغيرها، ومن هنا تأتي أهمية الموضوع فالوقوف على حقيقتها يعكس مستوى المجتمعات في تعاملها مع مختلف الأزمات وفي نفس الوقت يقيس مستوى تطور مختلف العلوم لديها ولذلك فالسؤال المطروح: فيمَ تمثل الأداء السياسي والإجتماعي في تعامله مع مختلف الأزمات ؟ وهل هذا الأداء كفيل بالوقوف في وجه هذه الكوارث الطبيعية؟

أولا–في مواجهة الزلازل :

لقد أحصت الدراسات الحديثة تعرض العديد من المدن الجزائرية في مختلف الفترات التاريخية منها في العهد العثماني حسب ما أوردته العديد من المصادر لهزات أرضية[1]، خاصة في القسم الشمالي للجزائر باعتباره غير مستقرة جيولوجيا مقارنة بالقسم الجنوبي لها[2]، فقد شهدت مدينة الجزائر لوحدها أكثر من 36 زلزال مما أكد لحكام هذه المدينة إقامة تقنيات وقائية لتجنب أخطار هذه الظاهرة خاصة في القصبة، وكان أكثر هذه الزلازل ضررا زلزال 03 فيفري1716م، الذي حتم على الداي إعادة بناء المنازل بهندسة وتقنية أفضل لتقاوم الصدمات المستقبلية[3].

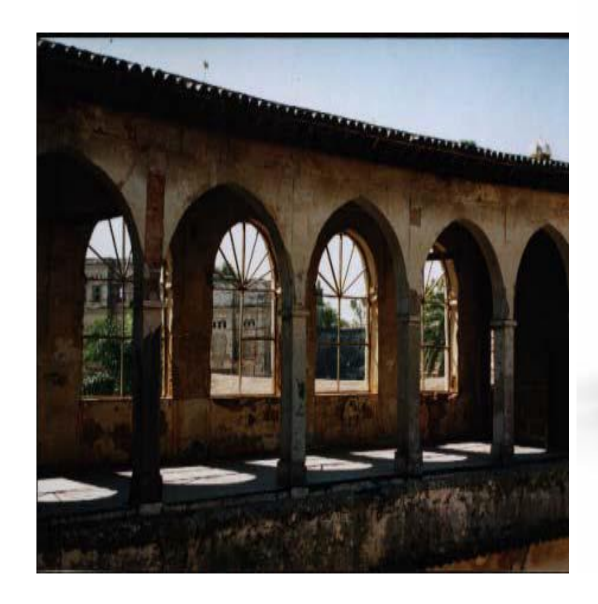
---

(1) Rousseau, A. « Chronique de la Régence d'Alger, traduites d'un manuscrit arabe intitulé « *El-Zohrat-El-Nayerat* » ». Alger, Imprimerie du gouvernement, p 207-210.
(2)Belhai(Dgelloul), histoire de la geologie de l'Algerie, Editions ANEP, 2012, p17 et suiv..
(3)A. Amina Abdessemed-Foufa, and D.Benouar : Atlas of Earthquake-Resistant Traditional Techniques .p267.

طبقا فرض الداي بعد زلزال1716 تقنيات مقاومة للزلازل وهذا لحماية نفسه والمدينة من الزلازل مستقبلا، للإجراءات الوقائية والمتمثلة في مايلي:

1/الترصيص الجيد للجدران لتكون أكثر صلابة وحصانة،كما تم الاهتمام بنظام القوس وتوفير أرضيات وملاجئ كإجراءات وقائية،و اعتماد نظام الأعمدة المقوسة إذ أشارت الدراسات المعمارية الحديثة إلى وجود نوعين من أنظمة الأقواس في القصبة قوس الزهرة وقوس حدوة الحصان المدبب [(1)]، مثل ما يوضحه الشكل (رقم01)، **وفي المقابل** خففت هندسة النمط المخروطي للعمران من حدة الزلازل أمام هذا المخطط العمراني المتداخل، أضف الى ذلك طبيعة العمران المفتوح داخليا ساعد في الهروب من الأخطار المتكررة للزلزال[(2)].





الشكل01: قلعة الداي بمدينة الجزائر

2/نظام انحراف عمود القوس: يتم التخلص من جذوع الخشب بين البناء على مستوى انحراف القوس فقد كانوا يستخدمونه كعنصر أفقي القوة المستحق لتحمل الزلازلمثلما يوضحه الشكل رقم(02):

(1) A. Amina Abdessemed-Foufa, and D.Benouar, op.cit, p269.

(2) سبنسر(وليام)، المصدر السابق، ص60.

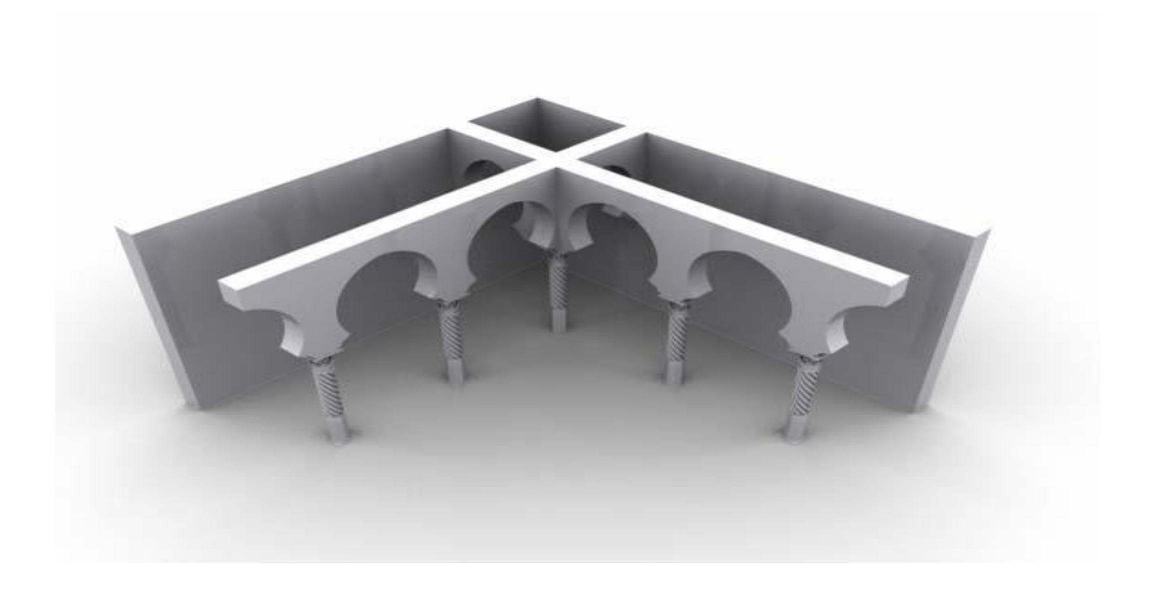






الشكل 02:التخلص من الخشب بين البناء القديم.(نموذج قلعة الداي بالمدينة الجزائر)

3/التمتين باستخدام الأروقة:يتم بناء نمط وضعية الاستعداد على شكل أعمدة الحزم(حزمة) فهي مرنة وتمتين الأقواس المتصلة بواجهة الجدران من أجل ضمان استقرارها[1]مثما يبرزه الشكل التالي:



4/هياكل الجدران:تشكل طبقات من الطوب وجذوع الخشب والتركيب من المواد المختلفة (البناء الطوبي)**مما** يزيد من مرونتها بفضل الخشب تسمح بحركة عن طريق اللف عند الزلزال وهذا النموذج يسمح بامتصاص قوة المرفاع

[1]A. Amina Abdessemed-Foufa, and D.Benouar, op.cit, p269.

أثناء الزلازل كما تظهر الجدران القليل من الشقوق مما يسبب في عدم انهيارها باعتبار ان عناصر البناء تلعب دورا هاما في استجابة المباني للزلازل.انظر الشكل4 يمثل بنيةالجدران قلعة الداي بالعاصمة.

تميل حمولة الزلازل الافقية الى تشويه بناء اللوحة المتوازية الاضلاع في الشكل مما يتسبب في تشوه القضيب المائل للضغط والذي يعمل على مستوى الزاويا 30 ومع ذلك يتم تقسيم الجدران الى عدة أجزاء ثلاثة أو أربعة وفقا لعلو الجدران وارتفاعها هذا يظهر في جدران قصر الداي وكذلك في المنازل وبالتالي توزيع الحمولة الجانبية مع كل طبقة جديدة حيث يوجد اختلاف في المواد وهذا مايمنع تشوه كبير في الجدران مما يجعلها تستجيب بشكل ايجابي لهزات الزلازل هذا مايؤكد أن هذه الزلازل تم تصميمها لتكون قادرة على مقاومة حمولة الزلازل[1] .





الشكل04: يمثل بنيةالجدران قلعة الداي بالعاصمة

5/**تسلسل الجدران**: تربط هذه الجدران ببعضها البعض عن طريق العبور البديل لسجلات الخشب وفي هذه الحالة قد وصف كاريت ذلك بقوله:لقد لاحظت في هدم البيوت المغربية القديمة اجراء وقائي ممتاز مأخوذ من طرف البنائيين لتعزيز الزوايا وهو يتكون في وضع افقي كل 50 سم في الارتفاع ومايقارب مترين(2م) في طول

[1] A. Amina Abdessemed-Foufa, and D.Benouar, op.cit, p270.

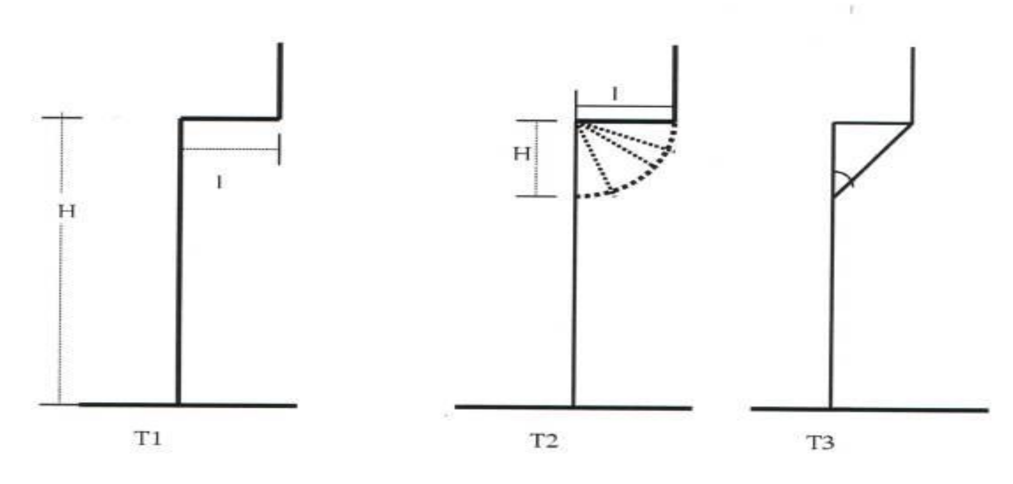
القطع الخشبية هذه الأجزاء المدمجة في البناء كانت ممتدة لفترات طويلة في نظام البناء" ان نظام الربط هذا عند الزوايا في غياب أي عنصر عمودي يشكل نظاما تقليديا في تعزيز وتقوية الزوايا لمنع الجدران من التشقق[1].



الشكل06:طريقة ربط الجدران

7/النتوء الحجرية:تشكل النتوء الحجرية الخارجية المدعمة بزاوية قوس مع الجدران الحاملة التى تمنع أو تخفض من شدة الزلازل عندها حدوثها وبالتالي عدم الانهيار، كما يؤدي النتوء البسيط الى حركة متذبذبة عند حدوث هذا النمط الوقائي فرضه الداي على السكان التأرجح تسبب تخفيف حركة النتوء وامتصاص الهزات عبر مراحل خلال مرحلة إعادة بناء الإعمار سنة1716م وهذه الإجراءات الوقائية ساهمت في الحفاظ على الهندسة المعمارية خلال الفترة العثمانية التي بقيت أثاره إلى غاية اليوم.

[1]A. Amina Abdessemed-Foufa, and D.Benouar, op.cit, p271.



الشكل07:مخطط سلوك النتوء الحجرية .

8:إعادة الإعمار والبناء:

في الزلازال الذي أصاب القليعة سنة1217هـ/1802م زار مصطفى باشا المكان بعينه :"وأمر بإخراج من كان تحت الردم، فمن وجده حيا كساه وأعطاه نصيب مال بيده، وأمر بتكفين جميع الأموات وفرق أموال هنالك وكسا كثيرا من الفقراء وأمر بإعادة بناء جامع سيدي مبارك حينا ومنارته والزاوية وقال لأهل البلد أنني أبني لأهل البلد ديارهم بعد انتهاء بناء المسجد والزاوية وعند البناء، منعه أصحاب الشر من بناء ديار الفقراء"[(1)].

لقد كانت عملية البناء تعتمد على مجموعة من المواد الأساسية المصنوعة محليا كالجير والأخشاب وغيرها[(2)] وبأيادي محلية قول الزهار:" ثم إن الأغا خرج للموضع الذي أرادوا بناءه وأمر بصنع الجير وأمر بالإتيان بالعمود وصنعت الأخشاب من الجبال بالأجرة وحفر أساس البلد وأتى بالبنائين من جميع البلاد...."[(3)].

كما يتم الاعتماد في البناء على مادة هي الطابيtabby ، وهي عبارة عن إسمنت يتكون من رماد الأخشاب وبقايا النجارة والرمل بنسبة ثلاثة أو اثنين إلى واحد وتمزج بالزيت ثم تضرب في القوالب أو المذارع الخشبية لثلاثة

---

(1) الزهار (أحمد الشريف)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...، المصدر السابق، ص83.

(2) نفطي (وافية)، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن18م الى منتصف القرن19، رسالة دكتوراه، غير منشورة، قسم التاريخ والآثار–جامعة باتنة1، الجزائر2016–2017، ص482–484.

(3)الزهار (أحمد الشريف)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...، المصدر السابق، ص155–156.

أيام متتالية لتصبح بعدها صلبة،كما مُنع **علوالمباني** خوفا من الزلازل فكان عدد الطوابق قليل ولا يتجاوز الثلاثة فمعظمها كان يتكون من طابقين أو ثلاث على الأكثر .في حين بعض المواد يتم استيرادها مثل أعمدة من المرمر الجنوي (نسبة إلى جنوة) والإستعانة بالمهندسين الأوروبيين في بعض الأحيان كان يعتمد على الأجانب مثل المسجد الجديد yeni cami الذي تم بناءه سنة 1790 على يد مسيحي[1].

لقد شكل الزلازل أحد الكوارث الطبيعية التي هددت حياة الساكنة في شكل ضربات فجائية متكررة مخلفة ورائها العديد من الضحايا مما إلى إجلاء المتضررين بإقامة خيم و أكواخ لهم وترقيع منازلهم والتكفل بهم، وتقديم إعانات مادية مثل ماحدث في زلزال مدينة البليدة1825م"...وعندما بلغ خبر ذلك للأمير أمر الأغا بأن يخرج إليها في الحين فركب وخرج ، وعندما وصل البلد وجده خربة فأمر الرعية بالبحث عن الناس الذين تحت أنقاض البناء فمنهم من وجدوه حيا ،وأكثرهم ميتا فدفنوا الموتى وجعل الأغا أخبية للأحياء ، وأخرجوا الأثاث من تحت الهدم وأعطاهم ما يأكلون ثم بنى لهم نوالات لمستقرهم وكفل اليتامى والأرامل، ثم انه رجع للجزائر فأخبر الأمير بتلك الواقعة على التفصيل ثم أنهم تذاكروا في إعادة بناء البلد وكان الزلزال لاينقطع عليها ليلا ونهارا لمدة أيام وفي نفس مدينة الجزائر لم تنقطع الزلازل مدة ثمانية عشر يوما ..."[2].

---

[1] سبنسر(وليام)، المصدر السابق، ص60.

[2] الزهار (أحمد الشريف)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...، المصدر السابق، ص155.

ثانيا–في مواجهة غزوات الجراد:

خلفت غزوات الجراد سواء الزاحف أو الطائر دمارا شاملا خاصة على المحاصيل الزراعية بمختلف أنواعها من زرع، وخضر وأشجار للفواكه[1]، علما أن ظهوره يتزامن مع بداية الربيع (مارس) مثل الذي حدث في الجزائر عام 1724و1725م[2]، ورغم خطورة الجراد وضرره بالمحاصيل الزراعية فان السكان المحليين يعتبرونه من أسعد الحوادث فالبعض منهم يأكلونه مطبوخا والبعض الأخر يجففونه في الشمس ثم يسحقونه، فيحصلون من ذلك على نوع من الدقيق يستهلكونه [3]، كما يسمونه بالخير أو البركة[4]، لأنه يتم أكله بتجفيفه بالملح أو قلْيه[5]، في حين يستعمله البعض على شكل دواء اذ أن "أكله ينفع من تقطير البول والبواسير وينفع من لسعة العقرب شربا"[6]، إذ يتم تجميعه بكميات كبيرة عن طريق تحضير فخ له بواسطة قطعة قماش يطلق عليها محليا بالملحفة أو عن طريق حفر عميقة للإيقاع بالجراد خاصة النوع الزاحف من أجلة تجميعه كإجراء وقائي للتخلص أو الاستفادة منه[7]، ومن جهة أخرى شكل استخدام الدخان ضد أسراب الجراد لتهجيره[8] والحفاظ على المحاصيل والزرع، أو حراثة الأرض من أجل التخلص من بيض الجراد لمنع تكاثره وتحولها إلى يرقات كمرحلة من مراحل نمو الجراد[9] أحد الأساليب المتعارف عليها للقضاء عليه [10].

---

(1)Voyage à Alger, ou Description de cette ville…op.Cit, p106.

(2) Dr.Shaw (thomas), voyage dans la régence D'Alger …op.cit, p 70.

(3) الوزان، وصف إفريقيا...، المصدر السابق، مج2، ص279.

(4) Pierre (PIGUET), Les invasions acridiennes en Algérie de 1830 à 1900,15septembre 1984, http://www.cerclealgerianiste.fr/index.php/archives/encyclopedie,algerianiste/territoire/geographie-du-territoire/geographie-agricole.

(5)Dr.Shaw (thomas), voyage dans la régence D'Alger…op.cit, p71.

(6) ابن حمادوش(عبد الرزاق بن محمد)، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب،عربي /فرنسي، ط1، مكتبة البستان، باريس–دار الكتب العلمية، بيروت–لبنا، 1996، ص114.

(7) Dr.Agnély : Le criquet pèlerin, ses invasions en Algérie de 1816 à1866, ALGER, 1866, p12.

(8) Lallmant(CH), revue critique et observations, invasion des sauterelles, Alger, p17.

(9) Amédée Maurin, op.cit,p 43.

(10) القضاة (أحمد حامد إبراهيم)، الكوارث الطبيعية في إمارة شرقي الأردن، الجراد كحالة(1928–1930)، دراسة وثائقية تاريخية، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد11، العدد02، 2017م، ص72.

أورش الأرض بمادة الجير الحي علما أن هذه الطريق تستلزم كميات كبيرة منه لذا اعتبر البعض أن أحسن طريقة وقائية هي اشعال الحرائق [1].

ثالثا–في مواجهة المجاعات:

ارتبط حدوث مجاعات في الجزائر بالجفاف نظرا للتأثير السلبي الذي يحدثه المناخ على الإنتاج الزراعي مما يساهم في تدهور الوضع الصحي بظهور أوبئة كالطاعون[2] ، فبسببه تنحصر الزراعات لانحباس المطر على الأراضي الزراعية خاصة في فصل الخريف التي كانت تدفع الناس لبذر وحرث ما بأيديهم من أراضي[3]، لأن هذه الأراضي تحت رحمة السماء، فنزول الأمطار يسود الرخاء وتكون المواسم جيدة ، وإذا انقطعت تراجعت المحاصيل وساء المواسم، وترتب عنها في هذه الحالة قلة المحاصيل وترتفع الأسعار وتحل المجاعة وتنتشر الأمراض[4]، وقد جمعها العنتري في قوله:"وانتشرت المجاعة والجفاف، وأمراض الطاعون فغلت الأسعار والأهوال والكوارث فاضطرب البايلك وعمت الفوضى والقلاقل"[5]،ومن هنا نتسائل عن الدور السياسي والاجتماعي في مواجهة هذه الكوارث؟

01–الأداء السياسي:

من أجل التصدي لهذه الكارثة قام بعض الدايات وعلى رأسهم عمر باشا خلال ولايته عام 1230هـ/1814م، بتوزيع القمح على الخبازين لتوفير هذه المادة كإجراء على الغلاء الذي أحدثة اجتياح الجراد

---

[1] Lallmant(CH), revue critique et observations, p16-17.
[2] Kington(John), op.cit, pp 227-236.

[3] رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص31.
[4] سعيدوني (ناصرالدين)، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية ...، المرجع السابق، ص102.
[5] العنتري(محمد الصالح)، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، تحقيق يحي بوعزيز، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص39.

وأمر بتخفيض الأسعار كأيام الرخاء خاصة بعد الاقتتال الذي حدث بين الناس على الخبز إلى غاية حصاد الزرع الجديد الذي أدى الى تراجع الأسعار[1].

وفي بايلك الشرق:قام الباي عبدالله الذي تولى حكم قسنطينة عام 1219هـ/1804م بمراسلة رجال الأعراش يستحثهم على حمل الحبوب إلى المدينة واشرف الحكومة على عملية توزيع الحبوب على المحتاجين[2].

ورغم ذلك لم تكن ردود أفعال السلطة إزاء هذه المجاعة كافية لحلها حسب ما أوردته المصادر فقد ذكر العنتري قوله في ذلك:"وأما جانب المخزن في تلك المجاعة والشدة فلم تظهر منه إعانة كافية لعامة الضعفاء.."ما عدا بعض المبادرات التي قام بها بعض البايات على غرار باي قسنطينة آنذاك عبدالله باي الذي "صار يكاتب كبار الأعراش، ويحرضهم على جلب الزرع وبيعه في الأسواق، لتكتال منه الناس،والذي عنده الفاضل يسلفه للمحتاج من أهل عرشه، وكذلك كلف أرباب المخزن الدائرين به، والفلاحين من أهل بلد قسنطينة وأعيانها ،وحرض الكل بإخراج الزرع الفاضل منهم لرحبة البلد فصار الزرع يدخل البلد شيئا فشيئا..."[3] .

-تنظيم ومراقبة أسعار السوق:

كما كلف البايات بمراقبة كيل وبيع المزروعات لكي لا تقع تجاوزات في السوق" يحضرون القبابجة (المكتالين) بإذن من الحاكم ويقفون على كيله وبيعه وتوزيعه بين فقراء البلد، وعلى أخذ الثمن منهم ،ودفعه لصاحب الزرع، ولا يأخذ الناس من الحبوب إلا قدر كفايته في تلك الأيام وهكذا استمر العمل في تلك المدة[4]، لقد كان هذا الأداء للحد من غلاء الأسعار وارتفاعها الذي يصاحب كل مجاعة، فالأزمة المعاشية وليدة الظروف الطبيعية (من قحط

---

[1] الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...، المصدر السابق، ص117.

[2] صالح (العنتري)، مجاعات قسنطينة...، المصدر السابق، ص16.

[3] بوجرة(حسين)، الطاعون وبدع الطاعون...، المرجع السابق، ص41.

[4] صالح (العنتري)، مجاعات قسنطينة...، المصدر السابق، ص41.

وجفاف)، التي " أفضت إلى فترات غلاء و مساغب ومجاعات" وهيأت المجال للوباء بأن جعلت أحوال السكان الغذائية والصحية تتردى[1] .

إن تراجع الإنتاج خلال فترات الكارثة كان يشجع على ارتفاع الأسعار بشكل كبير قد تزيد عن 50٪ عن سعرها الأصلي أو تتجاوز ذلك [2].

ويرجع سبب ذلك إلى مخلفات الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها فقد احدث الجراد مثلا فسادا في المحاصيل والأشجار"**وظهر الجراد الكثير فأفسد الزرع و الثمار فسادا عظيما**"[3]، وقد كان في مقدمتها الجفاف الذي تجاوز في بعض الأحيان ست (6) سنوات متتالية، تراجعت فيها المحاصيل التي شهدت اجتياح لموجات الجراد التي زادت من تأزم أوضاع الايالة حتى أصبحت بعض الأسواق تبيع لحم البشر في الأسواق[4] ، وعن قائمة الأسعار في بايلك الشرق قدم لنا العنتري وصفا دقيقا بقوله":" والحاصل بعد أن كان ذلك كذلك ارتفعت أسعار الحبوب إلى مالا نهاية له فبيع الصاع الواحد من البر وقتئذ بخمسة عشر (15)اريالة،سكة الوقت ، والصاع من الشعير بسبع اريالات ، ودام القحط والغلاء في الحبوب مدة سنة كاملة وهي سنة 19(يعني سنة1219هـ/1804م)..."ورغم تراجع الأسعار إلا أن حال الوطن لم يعتدل بعدها ولم يرجع إلى أصله إلا سنة 1808م على حد قوله، مع العلم أن الأسعار كانت منخفضة قبل المجاعة بقوله"وقد كانت قيمة الزرع قبل تلك المجاعة والقحط مابين ريال وريال ونصف للصاع الواحد أي تضاعف لأكثر من سبع مرات على أصله[5].

---

[1] نفسه، ص173.

[2] رونبرجي (برنار)، التريكي (حميد)،المرجع السابق، ص218.

[3] الزياني(محمد بن يوسف)، دليل الحيران وأنيس السهران...، المصدر السابق، ص272.

[4] Grammont, H.-D. de., op.cit, p278.

[5] العنتري(صالح)، المصدر السابق، ص34.

أضف إلى ذلك غلاء الأسعار صاحبه ندرة في العملة وتراجع القدرة الشرائية "إلا أن الدراهم قليلة جدا في ذلك الزمان، وعزيزة إلى الغاية، إذ لو كانت كثيرة وميسرة لما حق الفقير في الناس من ذلك الشر شئ "[1]، إن هذا الوصف يعكس مدى ضعف المستوى المعيشي للمجتمع وما آل إليه الوضع الاقتصادي آنذاك وقد أكد ذلك الرسالة التي بعث بها محمد باي قسنطينة إلى حسين باشا في 07 ربيع الثاني من عام1241ه تحدث فيها عن تدهور الوضع الإقتصادي في قسنطينة حتى أن البقرة الواحدة صار يصعب بيعها بثلاثة ريالات[2].

وقد زاد من سوء الوضع السياسة الاقتصادية للحكام القائمة على تصدير الحبو ب الى الدولة الأوروبية وعلى رأسها فرنسا مما أدى إلى اشتداد الاضطرابات الملاحظة في الأسواق[3].

–الحرص على توفيرالقوت: عمل الحكام على توفير القوت للمحتاجين من الساكنة بتوفير القمح كمادة أساسية أو العمل على جعل أسعار الخبز ثابتة وموحدة بين جماعة الكواشين كالاتفاق الذي تم بين الكواشة الجيجليين وكواشة بني ميزاب مثل ما أوردته لنا المصادر ،كأن تباع ثلاث خبزات بسعر درهم واحد[4].

"وكذلك الكوش فقد كلف القبابجة أيضا بالوقوف على حفظ خبزها لئلا يقع النهب فيه هذا ماكان من أمر الباي زمان الشر والقحط"،كما تم عمل البايات على تأخير جمع الضرائب دون تركها إلى غاية تيسر حالة الرعية :"وقد قيل إن بعض البايات كان لايترك المطلب المذهبي رأسا وإنما يتربص بطلبه إلى وقت تيسيير حال المصابين فيأخذه منهم وهذا أقرب بالنظر لضعف ذلك المخزن " [5].

---

[1] نفسه، ص34.

[2] الرسالة 8، المجموعة رقم1642،المكتبة الوطنية الجزائرية، وقد قدم لها الباحث خليفة حماش ملخصا في مؤلفه:كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة، 2010، ص60–61.

[3] مصطفى (خياطي)، الأوبئة والمجاعات في الجزائر...، المرجع السابق، ص213.

[4] الشويهد (عبد الله بن محمد)، قانون أسواق مدينة الجزائر...، المصدر السابق، ص61–62.

[5] العنتري(صالح)، المصدر السابق، ص41–42.

وفي المقابل يحسب على السلطة في بايلك الشرق عدم فتح مخازن البايلك،والتصدق على الضعفاء بشئ من الحبوب أو منح قروض من مال الخزينة لإعانة أنفسهم مما أصابهم، في حين يفسر البعض ذلك بفراغ الخزينة من الصرف في الأوقات التى صادفتها المجاعة حتى قيل في ذلك الوقت أن الراعي الأصلح هو الذي يجبر كسر الرعية ومادون ذلك فلا[1].

وفي بايلك الغرب قام الباي محمد بن عثمان بحل أزمة المجاعة التى حلت على مدينة وهران " وقد كان له في سِني القحط والمسغبة من الإحسان ما لا يشق أحد فيه غباره ولا يصل آثاره، ولولاه لهلكت الأجناس، وبلغ السِّعر مبلغا لم يسمع به أحدٌ من النَّاس، فإنَّه أعان الخلائق بالسَّلف العام، والتصدق والإطعام، وأكبر من ذلك أنّه كان يسأل عن سعر السُّوق فيبيع زرعه بأبخس منه خوفًا من زيادة السِّعر، فإذا انخفض سعر السُّوق إلى سعره نزل هو بسعره، وهكذا أوجب على نفسه البيع في كلِّ بلد على هذا الوجه حتى ارتفع القحط، فشملت بذلك صدقته الغنيَّ والفقير والقريب والبعيد، ولقد كان يأمر بجمع من لا يمكنه العمل من الفقراء، فيُدخلهم مطبخه يأكلون إلى أن يذهب من شاء منهم مختارا، ويكسُوهم كم مرَّة ما يقيهم البرد ويتصدَّق على الجميع كلَّ عشية بما يعمهم وهم لايُحصون كثرة[2].

كما قام بالاعتناء بالفقراء والمساكن وطرد المجاعة باختزان الحبوب وقت حصادها وتفريقها على المحتاجين عند الحاجة ، وكان طباخو قصره بمعسكر رهن إشارة الفقراء والجائعين وكان يوزع بنفسه الألبسة على العراة من الرعية، لاسيما وقت الشتاء، وكان يداوي بنفسه المرضى الفقراء ويعالجهم ويتألم لوجعهم، وكان يوزع الأموال على الفقراء..."[3].

---

[1] العنتري (صالح)، المصدر السابق، ص43.

[2] الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني...، المصدر السابق، ص144.

[3] التلمساني (أحمد بن هطال)، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري ، تقديم: محمد بن عبد الكريم، ارتياد الأفاق، الجزائر، 1968، ص25.

إن سوء الحالة الاقتصادية وانتشار المجاعات والقحط ساهم في اختفاء الأقوات من الأسواق مما أثر على الحالة المعاشية للسكان،حتى اضطر الحكام في بعض السنوات الى توفير الغذاء مثل ماحدث سنة 1800م أين تم توفير الحبوب من من البحر الأسود ووضعها تحت تصرف الأهالي بسعر 28ريال للصاع الواحد اجتنابا للفوضى والتمرد[1].

2-الأداء الاجتماعي :

-البر والاحسان: شكل البر والاحسان أكثر السلوكات الاجتماعية الغالبة على الساكنة في وقت الشدة كمظهر من مظاهر الترابط الاجتماعي بالجزائر العثمانية وقد وصفها العنتري بقوله: "ثم يرجع الخبر الى أصحاب البر الذين سعوا في فعل الخير واعطاء المعروف منذ نزول ذلك القحط والفتن، فانه يحكي على كثير من أعيان الناس بادية وحاضرة: أنهم بذلوا جهدهم في إعطاء الصدقات للضعفاء فمنهم من يطعم الطعام ويسقي، ومنهم من يحضر الحبوب بالرحبة في صورة البائع فتجتمع عليه الناس ،ويكتال كل واحد نصيبا، وحين تنقضي تلك الحبوب ،ويحوزها المكتالون لها ينادي ربها بلسان فصيح يا عباد الله كل من أخذ شيئا فهو له خالص لا أخذ منه ثمنه ،ويذهب في حال سبيله فيفرح الناس حينئذ ويشكرون فعله ،ويتصرفون وتكرر ذلك الفعل الجميل من أصحاب الخير مرارا"[2].

"والحق أنهم قاموا باغاثة الفقراء وكل من قدم من الناس المسيبين (الضائعين) أتوا الى البلد أواه أهلها، وأعانوه بما قدروا عليه من قوت وغيره، فالبعض منهم تخلص بذلك الفعل والبعض مات بها لفوات الشر"[3].

---

[1] سعيدوني (ناصر الدين)، الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني...، المرجع السابق، ص96.

[2] العنتري(صالح)، المصدر السابق، ص40.

[3] نفسه، ص41.

-الإدخار:

شكل الإدخار احد الإجراءات الوقائية للساكنة من أجل تجنب الأوقات العصيبة التي قد تحدق به وقد كانت سمة يتميز بها المجتمع الجزائر خلال العهد العثماني من خلال تخزينه للحبوب في حفر عميقة يطلق عليها بالمطامر (المطمورة)(1)، هذه المطمورة التي تكون جزءا رئيسيا من الحقل ،عبارة عن تجاويف باطنية تفرش جوانبها بالتبن تعلوها صخرة منبسطة تغطي فوهتها تمنع تسرب الماء الى داخلها قادرة على خزن الحبوب دون تلف لمدة طويلة تصل الى عشرين سنة(2)، مثلما أكدته المصادر المحلية فحمدان خوجة يذكر هذه المطامر كطريقة للاحتفاظ بالحبوب سنوات متعددة دون أن يلحقها ضرر لأنها بعيدة عن الهواء والرطوبة علما أن هذه الحبوب المخزنة لمدة تصل الى خمسة عش سنة لايحتفظ فيها القمح عند طحنه ببياضة كالقمح الجديد حتة أن طعمه يتغير ويطق عليه اسم قمح المطمورة التي تختار لها أماكن مجهولة حتى أن العدو يمشي فوقها ولا يكتشفها الا بدليل(3).

مما أدى ببعض البايات في قسنطينة للإستنجاد بهذه المخازن وإشراك الساكنة في إيجاد حل للمجاعات التي تلم به قول العنتري:"، وحرض الكل بإخراج الزرع الفاضل منهم لرحبة البلد فصار الزرع يدخل البلد شيئا فشيئا..."(4) .

كما لم يقتصر هذا السلوك على المجتمع فقط بل كان للايالة مخازن تلجأاليها في أوقات الشدة مثل ما تم في بايلك الغرب عهد محمد الكبير:" **وطرد المجاعة باختزان الحبوب وقت حصادها وتفريقها على المحتاجين عند الحاجة**"(5).

(1) voyage à Alger…op.cit, p103.

(2)الأمين (محمد البزاز)، تاريخ الاوبئة والمجاعات....، المرجع السابق، ص352-353.

(3) خوجة (حمدان)، المرآة...، المصدر السابق، ص ص36-37.

(4)العنتري(صالح)، المصدر السابق، ص41.

(5)التلمساني (أحمد بن هطال)، المصدر السابق، ص25.

رابعا–في مواجهة الأوبئة:

كان الإهتمام بالطب من الأولويات في الجزائر خلال العهد العثماني ذلك أن الإنسان في حاجة إلى التداوي باختلاف منصبه، رغم سيطرة الإيمان بالقضاء والقدر على العقول بصفة عامة، إلا أن البعض كان يؤمن بالعلاج والتداوي والعمل بأسباب الحفاظ على الصحة، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم:"العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان"وكان طلق اسم الحكيم على من يمارس مهنة الطب[1]، لكن هذه المهنة حسب الكثير لم تلق اهتمام كبيرا من قبل السلطة العثمانية لغياب وجود المستشفيات أو ما يطلق عليها بالمارستان أو البيمارستان باستثناء مستشفيات المسيحيين داخل مدينة الجزائر وهو ما أكده الإخباريون الاروبيون [2]، وهي قضية أثارت الدهشة في أوساط البعض لاسيما وأن الرعاية الصحية تركت للمبادرات الفردية[3].

ومن هنا نتسائل عن صورة الطب في الجزائر خلال العهد العثماني وكيف تصدى الحكام والساكنة للأوبئة المنتشرة خاصة الطاعون المستوطن بها؟.

1–صورة عن الطب في الجزائر خلال العهد العثماني:

يرى الدكتور مصطفى خياطي كباحث متخصص في هذا الميدان أن الطب في الجزائر ينقسم إلى ثلاثة أنواع حسب ممارسته الحرة في الجزائر خلال العهد العثماني طيلة الفترة الممتدة من القرن السادس عشر إلى غاية عام 1830م، الطب الشعبي (التقليدي)، الطب الأوروبي الذي ظهر مع الأسرى في السجون ، والطب العسكري

---

[1] سعدالله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2.ص416-417.

[2] نفطي (وافية)، مسألة علوم الطب والصيدلة عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة أفاق فكرية، ع، 2019 ، ص21، وفي دراستها حول الوقف بمدينة الجزائر من أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن 19م، أكدت الباحثة أنها لم تعثر على وثيقة وقفية تخص المؤسسات الصحية بالجزائر ، راجع الوقف بمدينة الجزائر ....المرجع السابق، ص366.

[3] غطاس(عائشة)، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص84.

الخاص بالجنود الأتراك [1]، في ظل اتفاق الجميع على أن الجزائر تجهل تماما التطورات الحاصلة عن الطب في أوروبا[2].

-الطب الشعبي:

يعرف أيضا بالطب التقليدي الذي يمارس بوسائل بسيطة كالتكميد بالرمل الساخن،أو التعرض لأشعة الشمس أو استنشاق الهواء النقي وغيرها،وبالتالي يعتمد في أساسه على الأعشاب الطبيعية في معالجة مختلف الأمراض[3]، لقد انتشر ممثل هذا النوع خاصة في الأرياف التي تضم أغلب السكان حسب ما ذكره حمدان خوجة بقوله:"وعلاجهن عبارة عن نباتات معروفة بنجاعتها لان السكان هنا لا يعرفون مبادئ التطبيب، وبالنسبة إليهم فالطبيعة وحدها التي تصنع المعجزات ..."[4]، خاصة وأن هذه الممارسات الطبية كانت متوارثة بين الأجيال اذ "يرثها الولد عن أبيه"[5]، وهو بذلك لايقدم خدمات طبية عالية لان المستوى العلمي فيه لم يكن عاليا [6]،بل تميز بالسطحية والبساطة في معالجة بعض الأمراض كمعالجة التورم بالحناء مثلا[7]، لأن معظم الأدوية كانت تعالج الجانب الخارجي من جسم الإنسان في ظل غياب شبه تاه للجراحة فالأدوية يتم تركيبها من النباتات المتوفرة في البلاد التي تصنع منها المعاجين والأشربة وتستعمل وسائل الكي والحجامة وقد وضعت لذلك مجموعة من الوصفات لمعالجة بعض الأمراض المنتشرة[8].

---

(1) خياطي (مصطفى)، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية ...، المرجع السابق، ص50-51

(2) نفطي (وافية)، مسألة علوم الطب والصيدلة...، المرجع السابق، ص21.

(3) LARBI (ABID), la pratique mèdicale en Algèrie de la période cloniale à nos gours,editions ANEP, 2008, p8.

(4) خوجة (حمدان)، المرآة ...، المصدر السابق، ص36.

(5) Simpson(Hilton),arab médecine and surgery. a study of the Healing art in Algeria, scholar's choice, 2015, p07.

(6) خياطي (مصطفى)، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية ...، المرجع السابق، ص71.

(7) بوحجرة (عثمان)، الطب والمجتمع في الجزائرخلال العهد العثماني 1519-1830،مقاربة اجتماعية،رسالة ماجستير، 2015، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة وهران ، ص24.

(8) سعدالله(أبو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص417.

ومن أشهر الأطباء المحليين في الجزائر العثمانية نذكر منهم:

1/ عبد الرزاق بن محمد ابن حمادوش الجزائري الطبيب الرحالة الذي تحصل على إجازات في الطب في المغرب خلال القرن الثامن عشر ومارس مهنة الطب بتجاربه في الأعشاب حيث سجل ذلك في كتابه "كشف الرموز" الذي يرجح عنه أنه الكتاب الرابع من مؤلفه المسمى ب: الجوهر المكنون من بحر القانون في الطب [(1)].

لقد فصل ابن حمادوش في مؤلفه كشف الرموز القول في أنواع النباتات والعقاقير وكمياتها وطرق استعمالها[(2)]، بعد تأليفه عام 1745م على شكل قاموس طبي[(3)]، مفهرس وفق الحروف الأبجدية[(4)].

2/أحمد بن قاسم البوني هو أبرز من ألف في الطب بعد ابن حمادوش ،له عدة أعمال في مجاله،منها تأليفه المسمى:**أعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة** الذي ألفه سنة 1116هـ وقد تناول فيه مختلف الأمراض والأدوية المناسبة له كأمراض العين والأذن والأنف والأسنان والفم،والسعال والسل وغيرها ....فوصف بذلك الداء والدواء مع العلم أنه جمع بين العلم والخرافة أحيانا حتى صنف عمله لدى البعض في خانة التصوف،تأليف أخر بعنوان:**مبين المسارب في الأكل والطب مع المشارب**[(5)] سنة1132هـ وقد نقل فيه عن غيره أمثال:ابن البيطار والسيوطي وعلي الأجهوري وابن العماد والسنوسي والشعراني والأنطاكي وأحمد زروق الأدوية وطريقة التداوي وأنواع المأكولات والمشروبات وقد تجاوز نظمه في هذا التأليف أكثر من ألفي بيت،وقد أورد كلام عن الطاعون ومضاره والتغلب عليه وألف فيه رسالة[(6)].

3/أبو راس الناصري:ألف كتاب أسماه:**مارواه الواعون في أخبار الطاعون** خاصة بعد الآثار التي تركها الطاعون في الجزائر من وفيات وجوائح خاصة في الحواضر الكبرى مثل قسنطينة والجزائر وتلمسان.

[(1)] سعدالله (أبو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص426-429.

[(2)] نفسه، ص418.

[(3)] نفطي (وافية)، مسألة علوم الطب والصيدلة...، المرجع السابق، ص36.

[(4)] المكتبة الوطنية الجزائرية، مخطوط : كشف الرموز في شرح العقاقير والعشاب، رقم 1764، ورقة31.

[(5)] مخطوط بالمكتبة الوطنية، رقم cd260/1775.

[(6)]سعدالله (ابو القاسم)، المرجع السابق، ص421-422.

4/محمد بن رجب الجزائر: وقد ألف في الوباء الذي أصاب مدينة الجزائر سنة1200هـ اسماه: **الدر المصون في تدبير الوباء الطاعون**، وقد جمع فيه ولخص أقوال الحكماء السابقين على الطاعون[1].

5/العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي:صاحب مؤلف "أقوال المطاعين في الطعن والطواعين" الذي اشتمل على مقدمة وسبعة فصول وخاتمة ،في أمر الوباء الذي منه الطاعون وما أحدثه من أثار [2].

ومانخلص إليه في هذا العنصر هو أن الطب الشعبي في نظر الكثير هو مرادف للطب الطبيعي ،اذا أنه يعتمد في استعمال مختلف الأعشاب الطبيعية كوسيلة أساسية سواء في شكل مشروب أو نقيع ،أو عجينة أو مسحوق في معالجة مختلف الأمراض الشائعة[3]، ولقد تم إدراج مختلف هذه الإعشاب في القاموس الطبي لابن حمادوش[4].

لقد استعملت مختلف الوصفات على نطاق واسع لعلاج مختلف الأمراض المنتشرة كالصداع والحرق وأمراض الجلد ...كإستخدم العسل لمعالجة الحروق[5]، وقد أوردنا نماذج من مستخلصات متنوعة للنبات لعلاج بعض الأمراض[6] منها مايلي:

مستخلص النبات	شكله	علاجه
البصل	ماء البصل(مشروب)	الوباء
الثوم	عجينة(ضماد)	قروح الجلد
الخل	سائل	مضاد للجربوحرق النار-مسكن للصداع الرأس
الزعفران	مشروب	مقوي للمعدة والكبد والقلب وصالح للعفونات

---

(1) نفسه، ص 423-424.

(2) الفرقان (حسن)، المصدر السابق، ص97-98.

(3) خياطي(مصطفى)، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية ...، المرجع السابق، ص74.

(4) مخطوط :كشف الرموز في شرح العقاقير والعشاب، رقم 1764.

(5) خياطي(مصطفى)، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية ...، المرجع السابق، ص75.

(6) ابن حمادوش (عبد الرزاق بن محمد)،كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، ط1، عربي-فرنسي، دار الكتب العلمية، لبنان، دار البستان- باريس، 1996، ص ص82-103-161-205-206 .

لقد شكل الوباء وخاصة الطاعون أكبر هاجس للساكنة في الجزائر خلال العهد العثماني باعتباره أكثر الأوبئة التي استوطنت الجزائر وما لها من أثار' لذا أوردنا بعض الطرق التقليدية التي تستعمل في علاجه اذ اعتقد المغاربة في العلاج الشعبي المتداول أنذاك ناجع ومنها تضميد ورم الطاعون بالثوم وزيت الزيتون الساخن والخل[1]، فقد أورد الزياني عند بلوغه مدينة الجزائر قادما اليها من تلمسان السمات والأعراض الناتجة عن اصابته بمرض الطاعون وهي الحمى والتورم ثم انفجار التورم قوله:**"ولما بلغنا لمدينة الجزائر وجدنا الوباء بها خفيفا...فما رجع الا وأنا مصاب بالحمى فأيقظني للعشاء،فلم أقدر ولما أصبح رأيت المحل الذي أصبت فيه متورما فعالجته بما عرفت فأقام ثلاثة أيام وانفجر ،وصرت أعالجه بالمراهم الى أن حصلت الراحة"**[2].

إن ما ورد في ثنايا المصادر المحلية حسب اطلاعنا عن كيفية علاج وباء الطاعون لايقدم لنا صورة كاملة وشاملة عن هذه الطرق والوسائل ماعدا بعض الإشارات الواردة في المصنفات الطبية لابن حمادوش كاستعمال" ماء البصل في معالجة الوباء فقد ورد في الأثر إذا خفتم وباء أرض فعليكم ببصلها على مائها"[3] ،علما أنه عايش هذه الأوبئة وصادفها في رحلته قوله :"والمرض يزداد حتى ظهرت في فخذه حبة وحمرة في ساقة فتعين وباء"[4] وقد تكون الحبة(الورم) تحت الإبط ويسمى طاعونا[5]، وأحسن مايعالج به حسب المشرفي هو البنفسج[6]، حيث يدهن به أو يشرب،كما نقل لنا عن ابن سينا[7] :بأن أول شئ يبدأ به في علاج الطاعون الشّرطُ ان أمكن،

---

[1] James Grey Jackson, Relation de l'empire de maroc, Institut des études Africaines, Rabat,2007,p140.

[2] الزياني (أبو القاسم)، الوجيز من الترجمانة الكبرى ...، المصدر السابق، ص87.

[3] ابن حمادوش(عبد الرزاق بن محمد)،كشف الرموز ...،المصدر السابق، ص82.

[4] ابن حمادوش(عبد الرزاق بن محمد)، لسان المقال...، المصدر السابق، ص86.

[5] المكتبة الوطنية الجزائرية، مخطوط، العميد في صناعة الجراحة رقم 1755،المقالة الخامسة، الفصل السادس:في الطواعين، غير مرقمة .

[6] ينفع ورقه من العلل الصفراوية والالتهاب في المعدة والأمعاء أيضا ابن حمادوش(عبد الرزاق بن محمد)،كشف الرموز ، ص59.

[7] الكثير من المصادر العثمانية الطبية نقلت عن سابقتها من الفترة الوسيطة لما شهدته من رواج كبير خاصة في مجال الأغذية الصحية ومنافعها من حيث استعمالها في العلاج نذكرمنها :شهاب الدين أحمد بن مبارك شاه الحنفي(توفي سنة 862هـ)، زهر الحديقة في الأطعمة الأنيقة، تحقيق محمد عبد الرحمان الشاغول، ط1، المكتبة الأزهرية التراث، القاهرة،2007، ص03، وللاطلاع على النص الأصلي للمخطوط انظر الرابط التالي:
https://archive.thulb.uni-jena.de/ufb/rsc/viewer/ufb_derivate_00004378/Ms-orient-A-01344_007.tif

فيسيل ما فيه ولا يترك جامدا فيزداد سمية، فإن احتاج الى مصه بالمحجمة فليفعل بلطف،وأورد أيضا :"يعالج الطاعون بما يُبرد، وبإسفنجه مغموسة في خل وماء أو دهن ورد أو دهن تفاح أو دهن آس،ويعالج بالاستفراغ بالفصد [1] والتبخير قول حمدان خوجة حين حل الوباء بمدينة الجزائر:" بها فألتزمت بأقل مما يحتاط الفرنج فكنت أصلي الجمعة وأحضر الجزائر مع أصحابي وأقاربي من غير أن أقتحم مجتمع الناس ولا أمس أحد ولا قماشا.ثم أرجع وابتخر فسلمني الله سبحانه أنا ومن معي..."[2]، فقد شكل هذا الإجراء المتمثل في التبخير كأحد الأساليب الوقائية المنتشرة في جزائر القرن السابع عشر من مختلف الأفات والأمراض التي قد تصيب وتفتك بالإنسان فقد ذكر في العديد من المؤلفات الطبية آنذاك[3]، فهوبذلك يعتبر كأحد الحلول الوقائية لعلاج الوباء في تلك الفترة[4] .

في حين اختار حمدان خوجة العمل بنظام الكرنتينة إذ لايتصادم تطبيقها حسبه مع أصول الدين ، بل وأشاد في المقالة التاسعة للعمل بهذا النظام الوقائي بقوله:"ولما لايتقدم مثل هذا النمط من الاحتماء للمسلمين،لم يكن للكرنتينة اسم إسلامي، ومجرد التسمية الفرنجية،لا يكون سندا للأحكام الشرعية"[5]، وبالتالي يكون الاحتراز كأحسن طريقة في نظره للوقاية من الوباء كفعل الزياني بدخوله لمدينة الجزائرعام 1792م قوله: "...**ولما بلغنا لمدينة الجزائر وجدنا الوباء بها خفيفا فنزلت خارجها وبنيت مضرب ووجهت من حاشيتي من يأتيني باللوازم من لحم وحطب وعلف دواب...**"[6]، وفي هذا النص اجراءات لتجنب الوباء من الابتعاد عن مكان الوباء وهجرانه وعدم الاحتكاك بسكانه تجنبا للعدوى .

[1] الفرقان (حسن)، أدبيات الأوبئة...، المصدر السابق، ص252.

[2] حمدان (خوجة)، إتحاف المنصفين...، المصدر السابق، ص119-120.

[3] البوني(أحمد بن قاسم بن محمد)، إعلام أهل القريحة في الأدوبة الصحيحة، المكتبة الوطنية الجزائرية، مخطوط رقم1759/3، ورقة 43.

[4] الفرقان (حسن)، أدبيات الأوبئة...، المصدر السابق، ص142.

[5] حمدان (خوجة)، إتحاف المنصفين،...المصدر السابق، ص80.

[6] الزياني (أبو القاسم)، الوجيز من الترجمانة الكبرى ...، المصدر السابق، ص87.

وبالتالي ان الحديث عن الرعاية الطبية في هذه الفترة في نظر البعض هو ضرب من الخيال فعدد الأطباء يكاد يكون منعدما والمعرفة الصحية لاتتجاوز المبادرات والاجتهادات الفردية أما الوضع الصحي المتدهور للسكان[1]، مما فتح المجال للخرافة فقد اختلطت بالطب في غالبها ،لأن الكثير من العامة كان " يؤمن بالتداوي بالشرب من بئر معينة أو بتعليق تميمة نأو بزيارة ولي "وبالتالي سيطر الإيمان بالقضاء والقدر على العقول بصفة عامة[2].

وما نخلص اليه أغلب وسائل العلاج والوقاية المتداولة هي مكونات من مجموع المعارف والسلوكات المعتمدة أساسا على التجارب والموروث الشفوي والمكتوب من طرف السابقين من الأطباء والحكماء، فكانت أغلبها مستخلصة من النباتات الطبيعية المستعملة في العلاج الموضعي أو من قراءة للأدعية كدعاء سيدنا يونس عليه السلام" ويقراء دعاء سيدنا يونس فنادى في الظلمات أن لا اله إلا أنت سبحانك إن كنت من الظالمين ..."[3]، والأذكار وتعليق للتمائم والتعاويذ كعلاج روحاني[4]، وعادة ماكانت تكتب كلمة الله أكبر" على عوارض ببيان البيوت في زمان الوباء يحفظ الله تعالى أهل ذالك البيت ببركة هذه الأسماء"[5]، "والأكثار من الصلاة على النبي صلي الله عليه وسلم"[6].

-الطب الأوروبي:

بإهمالهم للطب المحلي وعدم تشجيعهم لدراسة الطب في المدارس وعدم إنشائهم لأكاديميات طبية للبحث،لجأ حكام الدولة وكبار مسؤوليها في الاهتمام بشؤون صحتهم الخاصة الى جلب أطباء أوروبيين بطرق مختلفة منها الشراء، أو الاستعانة ببعض الأسرى منهم أو المقيمين في الجزائر لأغراض تجارية أو سياسية [7]، خاصة وأن اذا

---

[1] غطاس(عائشة)، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة،ع76، الجزائر1973، ص 129.

[2] سعدالله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 417.

[3] مخطوط بذل الماعون في فوايد الطاعون، رقم9210، ورقة 1.

[4] الفرقان (حسن)، أدبيات الأوبئة...، المصدر السابق، ص 140-141.

[5] مخطوط بذل الماعون في فوايد الطاعون، رقم9210، ورقة 1.

[6] البوني، المصدر السابق، ورقة 43.

[7] سعدالله (أبو القاسم)، المرجع السابق، ص418.

علمنا أن اهتمام الصحي كان فقط بالأسباب العاجلة مثل ما تبينه الرسالة التالية من أحمد باي الى وكيل الباستيون القالة في أوائل رجب من عام 1185م/1771م، يلح فيها على ارسال الطبيب الموجود هناك :"...فانه ساعة وصول أمرنا هذا اليكم ابعث لنا الطبيب الذي هو عندكم للحاجة به وياتي معه بجميع الادوية الصالحة لجميع الامراض ولابد ثم ولابد من غير تقصير منكم ولاتراخ اصلا وعلى هذا العمل وكتب عن اذن المسمى اعلاه دام عزه وعلاه اوايل رجب سنة1183هـ.ولاتضع المكتوب من يدك حتى تركب الطبيب وتوجهه لنا ولا بد ثم ولابد"[1].

ان هذه الرسالة تؤكد لنا مدى ثقة الحكام الجزائريين بالأطباء الأوروبيين الذين اكتسبوا احتراما وتقديرا لمعارفهم الطبية، وايمانهم بقيمة الطب الأوروبي [2]، وهذا ما أكده هابنسترايت بقوله :"فضلا عن كونهم يحملون نظرة جيدة عن كفاءة الأطباء النصارى في هذا الشأن ويدعونهم بالعلماء تعبيرا عن التقدير الخاص الذي يحضون به لديهم."، وربما يرجع هذا الاهتمام الى قلة الأطباء المحليين وعدم كفائتهم من جهة، لذا نجد بعض الدايات أغدقوا بالمال على الأطباء الأوروبيين مقابل الاستفادة من خدماهم الطبية :"وعندما سلمت الدواء للداي فتح كيس نقودة وهم بتسليم مبلغ مالي لي ...كان لزاما علي قبول المبلغ الذي قدمه لي الداي...كانت هذه الهدية تتكون من ثلاثة أكياس من النقود "[3].

---

[1] المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة 1641، الرسالة 42، راجع النص الأصلي لها في الملحق رقم03.

[2] سعدالله (أبو القاسم)، المرجع السابق، ص419.

[3] ج.أو.هابنسترايت، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس،2007، ص 77.

لقد أكدت الوثائق الأرشيفية في العديد من المناسبات مدى استعانة حكام الجزائر بالخدمات الطبية للأوروبيين في مواجهة مختلف الأوبئة مثل ماتبرزه لنا مختلف المراسلات التي يحتويه الأرشيف أوردنا منها مايلي في الجدول التالي:

المصدر	تاريخها	المحتوى
المجموعة 1641،الرسالة36	دون تاريخ	رسالة من أحمد باي إلى وكيل الباستيون فيها: وجود وباء في ضواحي الباستيون
مج1641، الرسالة42	أوائل رجب1185هـ/1771م	رسالة من أحمد باي إلى وكيل الباستيون يطلب فيها:إرسال الطبيب الفرنسي المقيم بالقالة إلى الباي مع إحضار الأدوية
مج1641، الرسالة51	16أوت1774م	رسالة من صالح باي إلى وكيل الباستيون يطلب فيها: إرسال الطبيب الفرنسي الموجود في قسنطينة إلى القالة.
مج1641، الرسالة53	جانفي 1775م	رسالة من صالح باي الى وكيل الباستيون يطلب فيها: إرسال الطبيب الفرنسي الموجود في القالة ليعالج ولد الباي مصحوبا بالأدوية.
مج1641، الرسالة 56	1771م	رسالة من صالح باي إلى وكيل الباستيون يطلب فيها: إرسال الطبيب الفرنسي الموجود في القالة ليعالج الحاج محمد بوبعاية قائد الزمالة في قسنطينة.
مج1641، الرسالة75	04فيفري1782م	رسالة من صالح باي الى وكيل الباستيون، يطلب فيها إرسال الطبيب المقيم في القالة إلى قسنطينة ليعالج الحاج مسعود بن زكري.
مج1641، الرسالة 84	17فيفري1787م	رسالة من صالح باي إلى وكيل الباستيون،يطلب فيها إرسال الطبيب المقيم في القالة إلى قسنطينة واخباره بعدم إبداء أي تخوف من الوباء الذي حل بالمدينة لأنه توقف انتشاره
مج1641، الرسالة85	26فيفري1787م	رسالة من الشيخ علي باي بن الحاج عبدالله إلى وكيل الباستيون عام 1787م.وصول الطبيب الفرنسي من القالة إلى قسنطينة.

مج1641، الرسالة90	18أوت1789م	رسالة من الحاج حسين بن عبدالله إلى وكيل الباستيون عام1789م.طلب إرسال الطبيب الفرنسي المقيم بالقالة إلى قسنطينة ليعالجه من مرضه.
مج1641، الرسالة91	1791م	رسالة من حسين باي في قسنطينة الى وكيل الباستيون 1791م،طلب إرسال الطبيب الفرنسي المقيم في القالة إلى قسنطينة.
مج1641، الرسالة96	14فيفري1792م	رسالة من الشيخ علي باي الى وكيل الباستيون عام1792طلب إرسال الطبيب الفرنسي المقيم في القالة للشيخ لكي يعالج ولده التومي.....
مج1641، الرسالة107	14جوان1792م	رسالة من الشيخ علي باي إلى وكيل الباستيون يطلب فيها :إرسال الطبيب الفرنسي المقيم في القالة ليعالج ولده حسين.
مج1641، الرسالة108	31جويلية1792م	رسالة من الشيخ علي باي إلى وكيل الباستيون يطلب فيهاارسال بعض الحاجيات منها الدواء.
مج1641، الرسالة109	18أوت1792م	رسالة من الشيخ علي باي إلى وكيل الباستيون يطلب فيها :إرسال الطبيب الفرنسي المقيم في القالة ليعالج ولده.
مج1641،الرسالة113	27أكتوبر1792م	رسالة من الشيخ علي باي إلى وكيل الباستيون يطلب فيها :إرسال الطبيب الفرنسي المقيم في القالة ليعالجه .
مج1641، الرسالة127	دون تاريخ	رسالة من صالح باي حول إرسال أحد الأطباء الفرنسيين إلى القالة، وبقاء أخر في قسنطينة.
المجموعة1642،الرسالة50	1240هـ	رسالة من محمد باي الى ابراهيم وكيل الخرج 1رجب 1240هـ وصول رسائل من وكيل الجزائر بتونس الى الباشا .طبيب أوروبي يسكن في عنابة يعتنق الاسلام في قسنطينة.

من خلال اطلاعنا على النصوص الأصلية لهذه المراسلات الواردة في الجدول خلصنا إلى مجموعة من النقاط الأساسية منها أغلب طلباتها كانت من طرف كبار الموظفين (شيوخ القبائل–بايات–باشاوات)في بايلك

الشرق[1]، وأن الخدمات المقدمة من طرف هؤلاء الأطباء المستقدمين كانت حكرا عليهم دون النظر في شؤون العامة .

-أغلب الأطباء المستقدمين من جنسية فرنسية مقيمين بالباستيون في القالة لأنه كان يحتوي على أطباء ومساعديهم[2]، وبالتالي كانت إقامتهم لأغراض تجارية، وفي المقابل هذه المراسلات لم تكشف في ثناياها عن طبيعة الأمراض ولا عن اسم الأدوية ويمكن إرجاع ذلك إلى جهل الحكام وعدم معرفتهم الطبية بما يجري، حتى أن الأمراض التي ذاع صيتها أطلق عليها بالمرض الكبير في الرسالة رقم84 خصوصا إذا علمنا أنها كانت استعجاليه، وهذا مايؤكد إهمالهم للطب المحلي وعدم تشجيعهم لدراسة الطب،الشيء الذي أكدته نظرة الأوربيين إليه في الجزائر كقول هابنستريت:"لا أستطيع أن أقنع هؤلاء الناس بأن كل مرض من الأمراض يتطلب دواء خاصا، فهم يعتقدون بأن دواء واحد كفيل أن يشفي كل الحالات المرضية"[3].

إلى جانب اهمال الحكام للطب المحلي يرى البعض أن موقفهم من ضربات الطاعون كأكثر الأوبئة انتشار في الجزائر العثمانية كان متقاعسا وأن أغلبهم لم يكن مبال بالحالة الصحية للسكان بل لم تكن لهم سياسة وقائية ضد تلك الأمراض المهلكة مثل ماحدث في عام 1718م أين تسلط الطاعون على الجزائر تسببت فيه سفينة قادمة من الإسكندرية حاملة للوباء لم يتخذ ضدها أي إجراء وقائي[4]، أو في عام 1786م اين انتقلت عدوى الطاعون إلى الجزائر على طريق البحر بواسطة سفينة قادمة من الإسكندرية حاملة للحجاج معها تسببت في وفاة

---

[1] قدم الباحث خليفة حماش قراءة لهذه المجموعة رقم1641 في محتواها في مؤلفه،كشاف وثائق تاريخ الجزائر بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية...، المرجع السابق، ص ص42-58.

[2]Marchika(Jean).op.cit, p16.

[3]ج.أو.هابنسترايت، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس...، المصدر السابق، ص77.

[4] القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر...، المرجع السابق، ص348.

65ضحية خلال 28يوما دون القيام بأي إجراء حمائي ضدها رغم انتشار العدوى في أرجاء الايالة[1]، وأكثر من ذلك هو اللجوء إلى تهديد وقتل كل من أثار القلاقل بوجود الطاعون[2].

لقد تضاربت الأراء حول رد فعل الحكام تجاه هذه الأوبئة ففي المقابل يرى البعض أنه على مستوى الحكومة فإنها كانت تلجأ لحفظ الصحة إلى الحجر الصحي عندما تعلم بانتشار الطاعون والأمراض المعدية ضد السفن القادمة إلى الجزائر[3]، لكن هذا الراي يجعلنا نتساءل عن غياب مجلس صحية في الجزائر العثمانية مقارنة بنظيراتها من الايالات المغاربية كتونس أو المغرب الأقصى أو الدول الأوروبية وغيرها من البلدان المجاورة الذي كان ساريا ومعمول به ، فنجد تونس قد طبقته على السفن القادمة من الموانئ الجزائرية وفرضت العوائد الخاصة بالكرنتينة على السفن القادمة من الجزائر[4] ، والمغرب الأقصى فرض حجرا صحيا عام 1797م خاصة على السفن القادمة من وهران ، وهذا يبين مدى الآثار التي خلفها وباء الطاعون على العلاقات التجارية الجزائرية-المغربية وتأثر البنيات الاقتصادية بين البلدين[5]، كما طبقته الدول الأوروبية خاصة المتوسطية كفرنسا[6]، وحتى الدول العثمانية فقد ورد اسم الجزائر في العديد من محاضر مجالسها الصحية[7]،لكن هذا لا يعني انكار مجهودات بعض الحكام في التصدي لهذه الأوبئة منها غلق المراكز التجارية في بعض المدن بسب انتشار الوباء مثل ما أقدمه عليه صالح باي في القالة بعد موافقته على غلق الباستيون بعد انتشار الوباء في عنابة[8]،وهو ماتكرر سنة 1822م بنفس المدينة بعد إرسال موظفو الشركة الملكية الإفريقية لرسالة عاجلة مؤرخة في 22جوان إلى باي قسنطينة آنذاك السماح لهم

---

[1] Marchika(Jean)op.cit, p117.
[2] Ibid, pp 123et 154.

[3] سعدالله (أبو القاسم)، المرجع السابق، ص418.

[4] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الصندوق:066، الملف:798، تحت عنوان: مراسلات صادرة أو واردة على المجلس الصحي خاصة من القناصل تعلقت بأوضاع الصحة العمومية والكرنتينة لتحفظ على الأوبئة(1830-1840م)، مقبوض عوائد الكرنتينة عن شهري سبتمبر- اكتوبرو نوفمبر1836م.

[5] أمين(محمد)، الإختراق التجاري...، المرجع السابق، ص51-52.

[6] Touili(M), op.cit, p336.
[7] Osmali Arsivi, A.J MKT.MHM579/16/3.

[8] المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة 1641، الرسالة رقم 130، دون تاريخ، راجع النص الأصلي لها في الملحق رقم 130.

بإغلاق المركز التجاري التابع لهم بالمدينة بسبب الأوبئة التي تجتاحه من حين لآخر، فوافق الباي على هذا الطلب لتفادي هذا الوباء[1].

2-الفرار من الوباء:

شكلت ظاهرة اخلاء المناطق الموبوءة واللجوء الى المناطق الليمة احدى السمات البارزة لردود الفعل السكانية خلال فترات الأوبئة الفتاكة[2]،فقدكان الوباء عادة يدفع بالسكان إلى الفرار، أو على الأقل إلى ملازمة المنازل، أو إلى الخروج من المدن نحو الأرياف المجاورة [3]، فقد كانت الأرياف ملاذ للفارين لإعتبارات صحية منها صفاء الهواء ونقاوته عكس المدن،ومن جهة أخرى يحتوي الريف على بعض الروائح النباتية والحيوانية كرائحة الخيل والماعز التي تطرد البراغيث الناقلة للعدوى[4].

لقد الوباء أدى الى هجرة سكان المدن هروبا بأرواحهم ففي عودة العياشي من رحلته الحج مارا ببسكرة لاحظ خلوها من السكان عقب الوباء الذي انتشر بها "وقد دخلنا المدينة عقبه(عقب الوباء) فوجدنا أكثر حوماتها خالية ، ومساجدها داثرة"[5]، في حين اختار البعض من الحكام الفرار والإقامة بعيدا عن للوباء تجنبا له مثل مافعله الباشا محمد تكلرلي حين نصب خيمته خارج مدينة الجزائر[6]، وقد تكرر نفس الموقف في وهران حينما تسلط عليها طاعون 1794م حيث قام الباي عثمان بن محمد الكبير مع زوجته بمغادرتها وأقام بسهول مليانة في خيمته مدة ثلاث أشهر ليعود إلى قصره[7] كما ساهم الطاعون خروج أبيه الباي محمد الكبير من المدينة الى

---

(1) Berbrugger (A), Mémoire sur la peste en Algérie de1552 a1819, paris1847.p226.

(2) الفرقان(حسن)، أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19 ...، المصدر السابق، ص125.

(3) حسين (بوجرة)، الطاعون وبدع الطاعون...، المرجع السابق، ص186.

(4) رونبرجي(برنار)، التريكي (حميد)، المرجع السابق، ص186.

(5) الرحلة العياشية ، مج2، ص540.

(6) E.WATBLED, Documents inédits sur l’assassinat du pacha Tekelerli (1556-1557),In R.A, n15, Anné1871,P338.

(7)Marchika(Jean)...op.cit, p145.

الريف ،خلال ولايته لوهران عام (1192هـ)[1] أن:"حدث بأول مملكته مسغبة عظيمة ،هلك بها أناس كثيرون ،إلى أن ألت فيها الميتة والدم ولحم الإنسان والخنزير ،والعياذ بالله من ذلك ،ثم حدث **الطاعون** الذي لم يحدث في هذا الإقليم قبله قط ،فمات به جل الناس بدوا وحضرا ،آل الأمر فيه إلى أن انتقل أهل الحضر، و الباي بأهله ومخزنه **إلى البدو في خيام الشعر ظاعنين،** ظعون الأعراب البادية زمانا طويلا، وقد جعل الباي خيمة حمراء من الوبر ،وأدار بها الزمالة.."[2]، وذلك هروبا من الوباء الذي كان يعصف بالإيالة من حين إلى آخر.

لقد مثل الوباء حلقة نقاش موسعة بين الفقهاء بمختلف مذاهبهم أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر في بلاد المغارب وعلى رأسها الجزائر، فالمعتقد السائد هو عدم القدوم على البلاد الموبوءة، وعدم الفرار منه عند حلوله وانما التحلي بالصبر واعتبار الموت بالطاعون شهادة "لأن المبطون شهيد"[3].

و اعتمد الموقف الفقهي بخصوص الطاعون على مبدئين الأول يجيز الفرار والثاني يمنعه ويعارضه و كلها مستوحاة من القرآن والسنة النبوية:

فنجد ضمن الموقف الأول الرافض لكل لكل إجراء احترازي ، إذ يتفق أصحابه على نفي العدوى وإرجاع كل مايصيب الإنسان إلى خالقه والى القدر كما يأخذون بظاهر الأحاديث النبوية للنهي عن الخروج من الأرض الموبؤة فرارا من الوباء والنهي على من حل بأرضهم الطاعون من دخول أرض لايوجد بها [4].

---

[1] ابن هطال(أحمد التلمساني)، المصدر السابق، ص18

[2] الزياني(محمد بن يوسف)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران...، المصدر السابق،ص ص260-270.

[3] ابن أبي الضياف (أحمد)، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ،ج4، ص130+ مصطفي(آمال) ، الحج والوباء...، المرجع السابق، ص 138.

[4] المنصور(محمد)، موقف علماء المغرب من الأوبئة والإجراءات الصحية الإحترازية،...، المرجع السابق، ص103-104.

وهو الموقف الذي تبناه العربي المشرفي الجزائري الأصل صاحب مخطوط"أقوال المطاعين في الطعن والطواعين"[1]، برفضه كل إجراء حمائي، فقد انطلق من حكمه الشخصي في المسألة بقوله:" اعلم أن الفرار من الطاعون مُنْهى عنه بنص القرآن والحديث النبوي"مُستندا في ذلك إلى القراءة التي تبناها العديد من الفقهاء والعلماء لمجموعة من الآيات والأثار التي تحث على الإيمان بقضاء الله وقدره منها قوله تعالى: «ألم تَر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوف حذر الموت فقال لهم الله مُوتوا»[2]، التي تفيد بان الله عاقب الفارين من الطاعون المرسل على بني إسرائيل[3]، ومن السنة استند إلى قراءات لخبر تراجع عمر بن الخطاب عن دخول بلاد الشام سنة18هـ/638م بسبب الطاعون المتفشي بها وقتئذ، وبالتالي خرج المشرفي بحكم مفاده هو رفض الخروج من بلد الطاعون ونهي القدوم إليه قوله:"فلا شك أن الفرار من الطاعون من المعاصي الكبار عند الجمهور ، والهجوم على أرض هو بها من التعرض للبلاء ، وهذه سنة السلف التي هي إرث الخلف"[4].

وفي المقابل الفقيه الجزائري حمدان خوجة قدم في ذلك أدلة شرعية من آيات وأحاديث في الوباء تبيح الفرار من الضرر أو الوباء حكمها جواز نظام الكرنتينة، وقد وردت الأية بصفة عامة في كل ضرر ويدخل في عمومها الوباء ومن ادعى التخصيص بغير الوباء لزمه البيان على قول حمدان خوجة[5]، ومن هذه الآيات نورد منها قوله تعالى:﴿خذوا حذركم﴾[6] ، وفي الأحاديث النبوية: الواردة في النهي عن الخروج من دائرة الوباء أو

---

[1] قام الدكتور حسن الفرقان بدراستة وتحقيقه تحت عنوان:أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19 نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي، المصدر السابق، ص 174-307.

[2] سورة البقرة، الآية(243).

[3] الفرقان(حسن)، أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19 ...، المصدر السابق، ص126.

[4] الفرقان(حسن)، المصدر السابق، ص126

[5] خوجه (حمدان)، إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء ...، المصدر السابق، ص 81.

[6] سورة النساء، الآية (71).

الإتيان عليها هو ليس بتحريم وانما هو نهي أدب وإرشاد[1]، مارواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي :عنه صلى الله عليه سلم.أنه قال:«إن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عُذب به قوم قبلكم فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا- فرارا-وإذا سمعتم به من بأرض قوم فلا تدخلوا عليه»[2]، وقد روي هذا الحديث من طرق متعددة، فقد ورد في باب ماجاء في الطاعون في موطأ الإمام مالك ،عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، واذا وقع بأرض، وأنتم بها فلا تخرجوا فرار منه»[3].

علما أن هذه الظاهرة (الفرار) لم تشهدها الجزائر فقط ،بل وفي المجال المغاربي ففي المغرب الاقصى عام1627م، بمدينة مراكش هجر الطاعون 7000عائلة، على شكل تسرب وفرار فردي أو جماعي من الوباء ،وفي نظيرتها ايالة تونس عام 1676م، عدد كبير من النخب الاجتماعية بما فيهم التجار المسلمين واليهود والمسيحيين غادرت تونس هروبا من الوباء الذي حل بالعديد من مدنها و أريافها[4].

وفي ختام هذا الفصل و أمام فداحة الخسائر الديمغرافية والاقتصادية وغيرها من الآثار السالفة الذكر يتبين لنا أن السلطة والساكنة بحثت عن مجموعة من الإجراءات الوقائية والحمائية للوقوف ضد مخاطر الكوارث الطبيعية والحد منها لأنها شكلت هاجسا لها ، و بحثت عن سبل النجاة من فتك هذه الكوارث ، بدءا بالوقوف على العدوى وطرق انتشار وتغلل الوباء إلى أرجاء الايالة سواء على طريق البحر أو البر وآليات هذا الانتشار، مما أدى

---

(1) الفرقان(حسن)، أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19 ...، المصدر السابق، ص269.

(2)خواجه (حمدان)، إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء ...، المصدر السابق، ص 84.

(3)ينظر سند الأحاديث كاملا في: بن أنس(مالك)، الموطأ، ط1، رواية يحي بن يحي المصمودي الليثي، عالم المعرفة،الجزائر،2013، ص ص468-469.

(4)Boubaker (Sadok), la peste dans les pays du Maghreb…op.Cit, p326.

إلى اتخاذ مجموعة الأداءات السياسية والاجتماعية من تطبيق لنظام الكرنتينة والتطبيب سواء المحلي أو الأجنبي، الى التضامن الاجتماعي في الأوقات العصيبة، والإدخار لوقت الحاجة وتنظيم الأسعار ومراقبتها وفرض تقنيات تتماشى مع مقاومة الزلازل الى اتخاذ الفرار كأساليب وقائية لمواجهة مختلف الكوارث منها الزلازل وغزوات الجراد والمجاعات والأوبئة التي أعقبتها ظاهرة الإخلاء والهجرة أمام موقف الفقهاء المتباين في قراءات النص القرآني والأحاديث النبوية الواردة فيها، لقد بينت هذه الأداءات جزء من نمط الحياة السائد في المجتمع خلال العهد العثماني وكشفت نوعا ما جزءا من مستوى التفكير في التعامل مع الأزمات الطارئة، فلم تكن أساليب الوقاية لدى المجتمع كفيلة بحمايته من أخطر هذه الكوارث الطبيعية المتمثلة في الوباء وعدواه رغم التعاون والتضامن الذي أبداه المجتمع وقت الأزمة في ظل إهمال السلطة له والإستنجاد بالأجانب في أغلب الحالات.

خـــاتمة

موضوع الكوارث الطبيعية وآثارها في الجزائر خلال العهد العثماني جعلنا نقف عند مجموعة من الاستنتاجات العامة المتعددة وذات أوجه مختلفة (ديمغرافية–اجتماعية–اقتصادية–ثقافية) ورغم هذا الاختلاف فهي متداخلة يصعب الفصل بينها لأنها ترتبط كلها بالموضوع ويمكن حصرها في النقاط التالية:

– أن دراسة الكوارث الطبيعية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني اقتضت علينا القيام بمسح شامل لها ، فكان لابد من تسليط الضوء على تلك الكوارث العديدة التي مست جزائر العهد العثماني مجالا وسكانا، و توالت على ساكنتها مجتمعا وسلطة مخلفة آثار متعددة الجوانب ، لذا حاولنا في هذا البحث الوقوف عند مفهومها، وأهم المسميات التي اتخذتها لغة واصطلاحا حتى يتضح المعنى ، ثم الوقوف عند أنواعها وكشف خصوصية كل منها .

– المجال الجغرافي للجزائر تعرض عبر الحقب التاريخية المتعاقبة إلى سلسة من الكوارث الطبيعية في ظل التغيرات المناخية الحاصلة، والتي نالت نصيب من اهتمامات المؤرخين، هذه السلسلة أو الدورة كان لها الأثر على مختلف المجالات وفي مستويات متعددة، بغض النظر عن القوى السياسة المتعاقبة و المتجاذبة على هذا المجال، فحاولنا بذلك إعطاء لمحة تاريخية عن هذه الكوارث في الفترات التي تسبق مجال الدراسة (العهد العثماني) الذي ينضوي ضمن العصر الحديث ليكون بذلك البحث أكثر شمولية من حيث الفترة الزمنية .

– تعاقبت سنوات الكوارث الطبيعية على الجزائر خلال العهد العثماني مستهدفة المجتمع بمختلف فئاته سواءا في المدن أو الأرياف، فكان المجتمع الجزائري بذلك يعيش مختلف مظاهر السوء والخوف وهاجس هذه الأزمات باستمرار التي تحولت عند تعاقبها وتسلسلها إلى كوراث ديمغرافية .

–أغلب الكوارث اجتاحت المدن الكبرى كمدينة الجزائر وقسنطينة و وهران لأن المادة الخبرية للمصادر تناولت وتناقلت أخبارها في أهم الحواضر دون ذكر الأرياف مما يُصعب في تقديرات الباحث ويجعلها تتصف بالعمومية والمبالغة.

– عرفت البدايات الأولى للتواجد العثماني بالجزائر(بداية القرن16م)، استقرار نسبي ويمكن تفسير ذلك بغياب المادة الخبرية التي تغطي تلك الفترة .

– شكل القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أكثر القرون العصيبة من حيث دورة الكوارث الطبيعة في ايالة الجزائر مقارنة مع باقي القرون خللا العهد العثماني، فقد شهدت الايالة انهيار ديمغرافي نتج أساسا عن الأوبئة المتكررة خاصة الطاعون وما رافقها من كوارث لا تقل خطورة عنه(زلازل وفيضانات، جراد، جفاف ومجاعات....) كانت أثارها على الساكنة مما ساهم في إنخفاض عددها.

– تصدر الوباء الطاعوني دورة الكوارث الطبيعية من حيث انتشاره وتأثيره على ديمغرافية الجزائر العثمانية إذ يعتبر وباء مستقر بها بداية من سنة 1552م، الذي سيصبح وباءا مستوطن بالايالة ليتسلط عليها بشكل مستمر و تليه سلسلة المجاعات والجراد والجفاف وهذا ما يفسر ارتباط هذه الكوراث ببعضها البعض.

– بايلك الشرق أكثر المجالات عرضة لدورة الكوارث الطبيعية خاصة الوباء الطاعوني لاعتبارات منها نشاطه التجاري وانفتاحه على الواجهة المتوسطية ،وذلك إلى جانب مدينة الجزائر إذ تجمع أغلب الدراسات التي تناولت وباء الطاعون في بلاد المغارب على أن مصدره خارجي أكثر منه محلي.

– تعددت أسباب الكوارث من طبيعية ليتعدى تفسيرها إلى أسباب أخرى عكست ذهنية المجتمع الجزائري العثماني ارتبطت أساسا بثقافته الجمعية بدءا بمعتقده الديني المرتبط بالعقاب السماوي من جهة ومن جهة أخرى إلى التفسير الخرافي وقد تداخلت فيها أيضا عوامل أخرى اقتصادية واجتماعية وحتى سياسية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة زادت من حدة هذه الكوارث.

– كما تعددت أثار الكوارث الطبيعية التي مست جوانب مختلفة من حياة الساكنة في الجزائر خلال العهد العثماني بكل فئاتها بدءا بالخلية الأولى المتمثلة في الأسرة الى تأثيراتها على النسيج الاجتماعي كعائق أمام نموه الديمغرافي، وما خلفه ذلك من ردود أفعال تجاه هذه الكوارث سواء داخل المجال الجغرافي للجزائر أو مع علاقاتها

البينية مع مختلف الدول المجاورة لها، لتكتمل بذلك المأساة أمام تضارب المصادر واختلافها في تقديم إحصاء رسمي لعدد الموتى الذي طغى عليه طابع الوصف العام .

- لا تتوفر المصادر على تقديرات دقيقة يمكن الاعتماد عليها مما صعب علينا تقدير أو وضع إحصائيات دقيقة للضحايا التي خلفتها الكوارث الطبيعة في الجزائر خلال العهد العثماني في ظل تضارب المصادر واتصافها بالعمومية والوصف من جهة أخرى، وبالتالي يبقى موضوع رصد المعلومات الخاصة بالوباء من حيث المدة الزمنية التي استغرقتها أو الضحايا الناتجة عنها أمر نسبي خاصة أنا هذه المرحلة أو الفترة لم تشهد استعمال علم الإحصاء، وكان الوصف العام هو الوسيلة الوحيدة للأخبار، خاصة في المصادر المحلية.

- شكلت الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها صدمة ديمغرافية عاشتها الجزائر العثمانية خاصة خلال الفترات الأخيرة من عمرها فكانت بذلك عاملا حاسما في هشاشة البنية السكانية للمجتمع الجزائري العثماني وعائقا أمامه للحيلولة دون تحقيق نمو ديمغرافي أمام غياب إحصاء مؤكد لضحايا الأوبئة.

- مما لاشك فيه أنه في حالة نقصان عدد السكان تقابلة أزمات طبيعية (زلازل، أوبئة وجفاف ومجاعات) وبالتالي تقهقر ديمغرافي ، في حين يشهد تزايد عدد السكان حالات من الاستقرار وغياب الأزمات وبالتالي نمو ديمغرافي.

-يتضح من الوقوف على الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها أنها شكلت صدمة ديموغرافية عاشتها الجزائر خلال العهد العثماني جراء ماعرفته من موجات للطاعون وضربات للزلازل وأسراب للجراد وسنوات جفاف أعقبتها مجاعات كلها كانت عوامل حاسمة ساهمت في هشاشة البنية السكانية للمجتمع الجزائري بالخصوص، وحالت بينه وبين تحقيق نمو ديموغرافي من جهة ومن جهة أخرى كان وقع هذه الصدمات الأثر العميق في زعزعة التوازنات النفسية و الروحية وحتى الاجتماعية خلف العديد من السلوكات الاجتماعية كالخوف والهجرة والفرار،مما خلف آثار متعددة الأوجه خاصة على المجال الاقتصادي وهو المساس بالسير العادي للحياة الاقتصادية وتضرر مختلف

القوى الإنتاجية التي تعتبر المحرك الأساسي للديناميكية الاقتصادية، وما زاد الوضع سوءا أن تُهديد الساكنة في الجزائر خلال العهد العثماني في مضربها أو مقر سكناها لتكتمل بذلك الحياة العصيبة أيام الكوارث الطبيعية.

-كان لمسألة العدوى الهاجس الأكبر بالنسبة لساكنة الايالة بمختلف شرائحها فقد تعددت منافذها ولعبت آلياتها المتمثلة أساسا في نشاط التجار والبحارة والحجاج وتنقل الانكشارية والمسافرين ، دور الوسيط في جعل هذه الأوبئة تستوطن الجزائر العثمانية بحكم موقعها الجغرافي وفعاليات مجتمعها في مختلف الأبعاد الإقليمية والدولية وفي العديد من المجالات والمستويات خاصة الاقتصادي مما استوجب البحث عن الطرق والسبل الوقائية للحد من مخاطر هذه الكوارث.

- ساهم انفتاح الواجهة البحرية للجزائر العثمانية واتصالها بالعالم المتوسطي الذي يعتبر مصدر مختلف الأوبئة الطاعونية فقد شكل البحر المتوسط بالرغم من انقساماته السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية مايسميه بروديل (اقتصاد-عالم) حيز قائم بذاته نسجت الروابط التجارية وحركات التبادل التجاري بين مناطقه وأرجائه وحدة اقتصادة عضوية، فقد سجلت المدن الساحلية أكبر ضربات الطاعون، وفي المقابل كانت المناطق الداخلية أقل عرضة لدورة الأوبئة مقارنة مع المناطق المنفتحة على الواجهة المتوسطية.

- وبدورها لعبت الجزائر العثمانية دور الوسيط في انتقال العدوى بينها وبين جيرانها على الجهة الشرقية مع ايالة تونس والجهة الغربية مع المغرب الأقصى تارة ، وتارة أخرى دور المستقبل للأوبئة بحكم موقعها الجغرافي والعلاقات البينية خاصة في المجال الاقتصادي والجانب الديني(مناسبة الحج) .

- و أمام فداحة الخسائر الديمغرافية والاقتصادية وغيرها من الآثار السالفة الذكر اتخذت السلطة والمجتمع مجموعة من الإجراءات الوقائية والحمائية للوقوف أما مخاطر الكوارث الطبيعية والحد منها لأنها شكلت هاجسا لها في الجزائر خلال العهد العثماني، و بحثت عن سبل النجاة من فتك هذه الكوارث ،بدءا بالوقوف على العدوى وطرق انتشار وتغلل الوباء إلى أرجاء الايالة سواء على طريق البحر أو البر وآليات هذا الانتشار، مما أدى إلى اتخاذ

مجموعة الأداءات السياسية والاجتماعية من تطبيق لنظام الكرنتينة والتطبيب سواء المحلي أو الأجنبي، والتضامن الإجتماعي في الأوقات العصيبة ،والادخار لوقت الحاجة وتنظيم الأسعار ومراقبتها وفرض تقنيات تتماشى مع مقاومة الزلازل الى اتخاذ الفرار كأساليب وقائية لمواجهة مختلف الكوارث منها الزلازل وغزوات الجراد والمجاعات والأوبئة التي أعقبتها ظاهرة الإخلاء أمام تباين موقف الفقهاء منها في ظل القراءات المتباينة للنص القرآني ولأحاديث النبوية الواردة فيها، لقد بينت هذه الأداءات جزء من نمط الحياة السائد في المجتمع خلال العهد العثماني وكشفت نوعا ما جزءا من مستوى التفكير في التعامل مع الأزمات الطارئة، فلم تكن أساليب الوقاية لدى المجتمع كفيلة بحمايته من أخطر هذه الكوارث الطبيعية المتمثلة في الوباء وعدواه رغم التعاون والتضامن الذي أبداه المجتمع وقت الأزمة في ظل إهمال السلطة له والإستنجاد بالأجانب في أغلب الحالات.

الملاحق

الملحق(01): **كرنولوجيا الكوارث الطبيعية خلال العهد العثماني:**

أ-كرنولوجيا الكوارث الطبيعية خلال القرن السادس عشر 16م (1518-1599م):

السنوات	نوع الكارثة									المكان	المصدر/المرجع
	الزلازل	الفيضانات	الأعاصير	الجفاف	الزوابع	الجراد	نوع الأوبئة		المجاعات		
							طاعون	أمراض			
1535م						×	×		×	عنابة-الجزائر-وهران	H.-D. de Grammont. Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830),P17-18. -القشاعي ص79-80.
1543م									×	ايالة الجزائر	Fray Diego de Haëdo, HISTOIR DES ROIS D'ALGER TRADUITE ET ANNOTÉE PAR H.-D. DE GRAMMONT, ADOLPHE JOURDAN, LIBRAIREÉDITEUR4, PLACE DU GOUVERNEMENT,4. ALGER1881,p68.
1547م							×			وهران	خياطي،الأوبئة والمجاعات،ص30

1552م							×		×	ايالة الجزائر	-Mémoire sur la peste en Algérie, Manuscrit n°3305,de la bibliothèque nationale Algérienne, feuille 2. -Fray Diego de Haëdo HISTOIR DES ROIS D'ALGER,p84
1553م								×		ايالة الجزائر(بايلك الغرب)	- رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16و17م، ترجمة: عبد الرحيم حزول، منشورات دار الأمان الرباط،2010م،ص267.
1556م							×			ايالة الجزائر	-Marchika p25.
1557م							×			ايالة الجزائر	- De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER,p36. -Marchika p29. -الوثيقة رقم21 ورقمها التسلسلي530،وهي رسالة من الحاكم العسكري البرتغالي في القصر الصغير الى الملك نقلا عن حماش، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد

											العثماني الى العهد الراهن، ج2ص23-33.
1559م							×			ايالة الجزائر	Manuscrit ,f 2.
1560م								×		بجاية	القشاعي،ص262.
1561م							×			ايالة الجزائر	Manuscrit ,f 2.
1570م											
1571م							×			ايالة الجزائر	Manuscrit ,f 2.
1579م		×					×			مدينة الجزائر	- Haëdo, TOPOGRAPHIE p309.
1580م							×		×	مدينة الجزائر- قسنطينة	- Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER,p178. - Mercier, Ernest. Histoire de Constantine,p207.
1581م							×				
1582م							×			قسنطينة	-Marchika, p135.
1583م							×			قسنطينة	-Marchika, p135.
1584م							×			ايالة الجزائر- قسنطينة	- Manuscrit ,f 2. Marchika, p135.
1585م	×						×			الجزائر- قسنطينة- وهران-مدينة الجزئر	-خوجة،المرآة،ص202. Delphin(G),Histoire des pachas d'Alger de 1515 à1745,extrait d'une chronique indigéne ,in J.A/avril-juin1922,p217.

-Marchika,p35.	ايالة الجزائر			×							1590م
-Kington John. Fluctuations climatiques,p227-236. -Marchika,p35.	ايالة الجزائر	×		×							1591م
-Kington John. Fluctuations climatiques,p227 -Marchika,p35. - Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger Revue africaine ,n° 89, 1871,p342.p352. -رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16و17م،ص267.	ايالة الجزائر	×	×	×				×			1592م
-Kington John. Fluctuations climatiques,p227. -رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة ،ص267.	ايالة الجزائر	×	×	×							1593م
-Kington John. Fluctuations climatiques,p227. -رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة ،ص267.	ايالة الجزائر	×	×	×							1594م
-Kington John. Fluctuations climatiques,p227.	ايالة الجزائر	×	×	×							1595م

											-رونبرجي(برنار)،التريكي ،ص267.
1596م							×	×	×	ايالة الجزائر	-Kington John. Fluctuations climatiques,p227 رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة ،ص267.
1597م							×	×	×	ايالة الجزائر	Kington John. Fluctuations climatiques,p227 -رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة ،ص267.
1598م								×		ايالة الجزائر	-رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة،ص267.
1599م								×		ايالة الجزائر	رونبرجي(برنار)،التريكي(حميد)،ص267.
المجموع	**01**	**01**	**01**	**00**	**00**	**01**	**24**	**10**	**11**		

ب-كرونولوجيا الكوارث الطبيعية خلال القرن السابع عشر17م(1600-1699م):

السنوات	نوع الكارثة									المكان	المصدر/المرجع
	الزلازل	الفيضانات	الأعاصير	الجفاف	الزوابع	الجراد	نوع الأوبئة		المجاعات		
							طاعون	أمراض			
1601م							×	×	×	الجزائر	-- Manuscrit ,f 2. -أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة،ص267.
1602م								×	×	الجزائر	-القشاعي،الواقع الصحي،ص93. رونبرجي(برنار)،التريكي(حميد)،المجاعات والأوبئة ،ص267.
1603م				×					×	قسنطينة-اجزائر	-القشاعي،الواقع الصحي،ص93. - Mercier, Ernest. Histoire de Constantine,p219.
1604م	×			×					×	قسنطينة-الجزائر	-القشاعي،الواقع الصحي،ص93. - Mercier, Ernest. Histoire de Constantine,p219. - Notes pour servir à



											l'histoire d'Ouargla. (1885) ,n° 316-317, 1923, Revue africaine,p386.
1605م				×			×		×	قسنطينة-الجزائر	-- Manuscrit ,f 2. أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. - Mercier, Ernest. Histoire de Constantine,p219
1606م				×					×	قسنطينة-الجزائر	-القشاعي،الواقع الصحي،ص93. - Mercier, Ernest. Histoire de Constantine,p219.
1607م				×					×	قسنطينة-الجزائر	-القشاعي،الواقع الصحي،ص93. - Mercier, Ernest. Histoire de Constantine,p219.
1608م				×					×	قسنطينة-الجزائر	-القشاعي،الواقع الصحي،ص93. - Mercier, Ernest. Histoire de Constantine,p219.
1609م				×			×		×	قسنطينة-الجزائر	-القشاعي،الواقع الصحي،ص93. - Mercier, Ernest. Histoire de Constantine,p219. Grammont, H.-D. de.. Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), paris,1887,p150 et s.
1610م				×			×		×	قسنطينة-الجزائر	-القشاعي،الواقع الصحي،ص93.

											- Mercier, Ernest. Histoire de Constantine,p219. Grammont, H.-D. de.. Histoire d’Alger sous la domination turque (1515-1830), paris,1887,p150 et s.
1611م					×			×		×	قسنطينة–الجزائر	–القشاعي،الواقع الصحي،ص93. - Mercier, Ernest. Histoire de Constantine,p219. Grammont, H.-D. de.. Histoire d’Alger sous la domination turque (1515-1830), paris,1887,p150 et s.
1612م					×			×	×	×	قسنطينة–الجزائر	–القشاعي،الواقع الصحي،ص93. - Mercier, Ernest. Histoire de Constantine,p219. رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16و17م،ص267.
1613م								×		×	الجزائر	–القشاعي،الواقع الصحي،ص93. Grammont, H.-D. de.. Histoire d’Alger sous la domination turque (1515-1830), paris,1887,p150 et s.
1614م								×		×	الجزائر	–القشاعي،الواقع الصحي،ص93.

Grammont, H.-D. de.. Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), paris,1887,p150 et s.											
Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.	سواحل الجزائر							×			1619م
-- Manuscrit ,f 2. أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. –القشاعي،الواقع الصحي،ص249. رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة ،ص268.	الجزائر		×	×							1620م
رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة ، ص268.	ايالة الجزائر		×								1621م
رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة، ص268.	ايالة الجزائر		×								1622م
رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16و17م، ص268.	ايالة الجزائر		×								1623م
رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات	ايالة الجزائر		×								1624م

											والأوبئة، ص268.
1625م								×		ايالة الجزائر	رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة ، ص268
1626م								×		ايالة الجزائر	رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة، ص268.
1627م								×		ايالة الجزائر	رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة ، ص268.
1628م								×		ايالة الجزائر	رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة ، ص268.
1629م								×		ايالة الجزائر	رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة ، ص268.
1630م											
1631م											
1632م	×										Delphin(G),..op.cit,p217.
1633م											
1634م								×		ايالة الجزائر	رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة ، ص268.
1635م								×		ايالة الجزائر	رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة ، ص268.
1636م											



1639م							×			الجزائر	-- Manuscrit ,f 3. -أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52.
1643م							×			الجزائر	-أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52.
1647م							×			الجزائر	-- Manuscrit ,f 3. -أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52.
1648م											
1649م							×			الجزائر-بسكرة	-- Manuscrit ,f 3. -أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. -العياشي، لقط الفرائد من ماء الموائد،ص
1650م							×			الجزائر	-- Manuscrit ,f 3. -أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52.
1654م							×			الجزائر-وهران-بجاية-قسنطينة	-أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. -القشاعي،ص249 De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER,p203
1655م							×			وهران-بجاية-قسنطينة وهران-بجاية-قسنطينة	De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER,p203
1656م							×			وهران-بجاية-قسنطينة	De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER,p203

De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER,p203	وهران-بجاية-قسنطينة			×							1657م
De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER,p203	وهران-بجاية-قسنطينة			×							1658م
De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER,p203	وهران-بجاية-قسنطينة			×							1659م
De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER,p203	وهران-بجاية-قسنطينة			×							1660م
-- Manuscrit ,f 3. أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52.	الجزائر			×							1661م
De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER,p203	وهران-بجاية-قسنطينة			×							1662م
-- Manuscrit ,f 3. أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52.	الجزائر			×							1663م
-- Manuscrit ,f 3. أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52.	الجزائر			×							1664م
De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER,p203	وهران-بجاية-قسنطينة			×							1665م
-- Manuscrit ,f 3. أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52.	الجزائر			×							1673م
l.ch.feraud , Ephémmérides d'un secrétaire officiele sous									×		1675م



											la domination turque à Alger de 1775 à1805 in R.A VOLUME 18 ANNÉE 1874 p319
1676م							×	×		ايالة الجزائر	-- Manuscrit ,f 3. أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة ، ص268.
1677م								×		ايالة الجزائر	-- Manuscrit ,f 3. رونبرجي(برنار)،التريكي (حميد)،المجاعات والأوبئة ، ص268.
1678م							×	×		ايالة الجزائر	أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52.
1679م							×			بسكرة	بلحميسي الجزائر من خلال رحلات المغاربة، ص 17
1689م							×			الجزائر	-- Manuscrit ,f 3. أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52.
1690م			×							**سواحل الجزائر**	-Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.
1691م			×				×			الجزائر-شرشال	-أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. -Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.



1693م							×			الجزائر	- Manuscript ,f 3. -أمين(محمد)،الاختراقالتجاري،ص52.
1694م											
1695م			×				×			الجزائر-سيدي فرج	- Manuscript ,f 3. -أمين(محمد)،الاختراقالتجاري،ص52. Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.
1697م			×				×			مدينةالجزائر – سواحل الجزائر	- Manuscript ,f 3. -أمين(محمد)،الاختراقالتجاري،ص52. -Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.
1698م							×			الجزائر	-أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص55.
المجموع	**02**	**01**	**05**	**10**	**00**	**00**	**36**	**18**	**14**		

ج–كرنولوجيا الكوارث الطبيعية خلال القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر(1700–1830م):

	نوع الكارثة										
السنوات	الزلازل	الفيضانات	الأعاصير	الجفاف	الزوابع	الجراد	طاعون	وباء	المجاعات	المكان	المصدر/المرجع
1700م							×			الجزائر	- Manuscrit ,f 3.
1701م			×							شرشال	Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.
1702م											
1703م			×							30ميل على مدينة الجزائر	Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.
1704م											
1705م			×							بجاية	Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.
1706م			×							بجاية	Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.
1709م			×							بجاية	Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.
1710م			×							شرشال	-Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.
1715م	×		×							ميناءtareut	-Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.



										بالقبائل	- Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal), Contribution à la connaissance de la sismicité d'Alger et de ses alentours au XVIIIe siècle,p498.
1716م	×										correspondance des consules de France à Alger (1642-1792) , **B[1]120** ,Fº6-7 registre :6(1716-1720),p166.
1717م	×										سبنسر(وليام)،الجزائر في عهد رايس البحر،تعريب وترجمة وتعليق عبد القادر زبادية،دار القصبة للنشر،الجزائر،2007م،ص59.
1718م							×			ايالة الجزائر	-Marchika, p75. –سعيدوني(ناصر الدين)،فحص مدينة الجزائر(نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال)، مجلة الدراسات التاريخية ، ع01،الجزائر،1985،ص93.
1719م			×							مرسى تنس	-Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.
1720م			×				×			ايالة الجزائر ميناء الجزائر	القشاعي، ص107. -Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.
1721م											
1722م	×					×				مدينة الجزائر	سعيدوني(ناصر الدين)،فحص مدينة الجزائر(نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال)،المرجع السابق،ص93. -- Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal), Contribution à la connaissance de la



d’Alger et de ses alentours au sismicité XVIIIe siècle,..p498.											
Shaw, Voyage dans la régence D’Alger…op.cit ,p21-22.	ايالة الجزائر				×					×	1723م
Shaw, Voyage dans la régence D’Alger,p31	مدينة الجزائر									×	1724م
								×			1726م
Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.	ميناء جيجل							×			1727م
أمين(محمد)، الاختراق التجاري،ص52.	الجزائر			×							1728م
											1729م
											1730م
Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.	ميناء الجزائر							×			1731م
- Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p502. -Manuscrit, f 3. أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52.	ايالة الجزائر			×						×	1732م
القشاعي،ص108. -correspondance des consules de France à alger (1642-1792) par Mohammed Touili , b[1] , f°,114-115-registre : 9 (1733/1735), P270. -Devoulx, pp342-352.	ايالة الجزائر			×				×			1733م

1734م		×	×							ميناء الجزائر مدينة الجزائر	Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352. venture de pardis, p263.
1735م	×			×						مدينة الجزائر	- Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p504. venture de pardis, p263.
1736م			×	×						سواحل الجزائر- مدينة اجزائر	Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352. venture de pardis, p263.
1737م				×			×		×	الجزائر مدينة الجزائر	venture de pardis, p263..القشاعي، ص108-109
1738م							×		×	الجزائر-تلمسان	-- Manuscrit ,f 3. أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. القشاعي، ص250. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص327.
1739م							×			ايالة الجزائر	القشاعي، ص109.
1740م		×	×				×			ايالة الجزائر	-- Manuscrit, f 3. أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. -correspondance des consules de France à alger (1642-1792) , b[1]124 ,fº266-271registre :10(1736-1741),p312. --Devoulx, pp342-352. venture de pardis, p263.-
1741م			×				×			الجزائر-تلمسان- عنابة	-correspondance des consules de France à Alger (1642-1792) par Mohammed Touili , B[1]124 , Fº279-282et Fº 275-278-



											registre : 10 (1736/1741), P313-315.
1742م			×				×			الجزائر-قسنطينة -ميناء الجزائر	-correspondance des consules de France à Alger (1642-1792) , B[1] ,Fº,45-49registre :11(1742-1746),p322. --Devoulx, pp342-352.
1743م							×			ايالة الجزائر	-correspondance des consules de France à Alger (1642-1792), B[1]125 ,Fº135-138 registre :11(1742-1746),p329-330.
1744م											
1745م							×			ايالة الجزائر	-correspondance des consules de France à Alger (1642-1792) , B[1]125 ,Fº251registre :11(1742-1746),p336.
1749م							×			ايالة الجزائر	- Manuscrit ,f 3. أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52.
1750م						×				مدينة الجزائر	- سعيدوني،الحياة الريفية،ص331.
1751م											
1752م							×			الجزائر-قسنطينة	القشاعي، ص250/113.
1753م			×			×	×			جيجل-القل ميناء الجزائر	القشاعي،ص113. -Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص331.
1754م			×							ميناء الجزائر	- Manuscrit ,f 3.

											Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.
1755م	×		×				×			مدينة الجزائر ميناء القل	Grammont, H.-D. de.. Histoire d'Alger,p310 - سعيدوني(ناصر الدين)،فحص مدينة الجزائر(نوعية الحياة . الاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال)،ص93. -Devoulx, pp342-352. -Valensi Lucette. Calamités démographiques en Tunisie et en Méditerranée orientale aux XVIIIe et XIXe siècle. In: Annales.Economies, sociétés, civilisations. 24e année, Nº 6, 1969. pp. 1543. -الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق،ص18.
1756م	×		×				×			ايالة الجزائر تنس	-Panzac Daniel. La peste à Smyrne au XVIIIe siècle. In: Annales. Economies, sociétés, civilisations. 28e année, N. 4, 1973. Pp1071-1093. -Devoulx, pp342-352. - Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p505.
1757م			×							واد الحراش	-Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.

عقد الندى: العقد 5،م3،ق2،سنة1172هـ /1758م نقلا عن حماش،الأسرة في مدينة الجزائر،ص519-520	مدينة الجزائر								×		1758م
											1759م
- سعيدوني،الحياة الريفية،ص327. - Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p505.	مدينة الجزائر				×					×	1760م
											1761م
-Grammont, H.-D. de.. Histoire d'Alger,p314.										×	1762م
- Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p505.										×	1763م
- Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p505										×	1764م
- سعيدوني،الحياة الريفية،ص327.	مدينة الجزائر	×									1765م
- Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p506. -Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332.	سواحل الجزائر			×				×		×	1766م
-correspondance des consules de France à Alger (1642-1792) , **B[1]133** ,F°1-2registre :18(1767-1769),p554. القشاعي، ص116.	ايالة الجزائر	×	×	×							1767م

											- سعيدوني،الحياة الريفية،ص332.
1768م	×						×			مدينة الجزائر	- Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p506. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332.
1769م							×		×		-De Haëdo, HISTOIRE DES ROIS D'ALGER,, p320. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332.
1770م	×						×			مدينة الجزائر	- سعيدوني،الحياة الريفية،ص332.
1771م				×			×			مدينة الجزائر	-venture de pardis, p263. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332.
1772م	×			×			×			مدينة الجزائر	venture de pardis, p263. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332. - Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal), Contribution à la connaissance de la sismicité d'Alger et de ses alentours au XVIIIe siècle,..p499.
1773م				×			×			مدينة الجزائر	-venture de pardis, p263. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332.
1774م				×			×			مدينة الجزائر	-venture de pardis, p263. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332.
1775م				×			×			مدينة الجزائر	-venture de pardis, p263. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332.
1776م				×				×		ايالة الجزائر	-القشاعي، ص123-124. -venture de pardis, p263.



1777م				×						مدينة الجزائر	-venture de pardis, p263.
1778م				×		×	×	×	×	وهران	- Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p507. الزياني(محمد بن يوسف)،دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران،تح وتق المهدي البوعبدلي،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،ط1،الجزائر،2013م،ص260-270. -venture de pardis, p263. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332
1779م				×		×			×	قسنطينة	-صالح(العنتري):مجاعات قسنطينة ،ص45. -venture de pardis, p263. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332
1780م	×			×		×					-venture de pardis, p263. -سعيدوني،الحياة الريفية،ص327.
1781م						×				مدينة الجزائر	- سعيدوني،الحياة الريفية،ص332
1782م	×					×		×		بايلك الشرق مدينة الجزائر	- Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p507. المجموعة1641بالمكتبةالوطنية،الرسالة75 بتاريخ1782(رسالة من صالح باي الى وكيل الباستيون)،وكذلك ،حماش،كشاف وثائق تاريخ الجزائر،ص51. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332
1783م						×	×			ايالة الجزائر	-Marchika, p109-110. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332
1784م						×	×			ايالة الجزائر	- Manuscrit ,f 8. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332

											أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52.
1785م	×					×	×	×	×	القالة-عنابة-قسنطينة مدينة الجزائر	- Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p507. -Manuscrit ,f 11. -correspondance des consules de France à Alger(1642-1792),**B^{1}142** ,Fº1-4registre :18(1785-1786),p735-736. سعيدوني (ناصر الدين)،الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهدالعثماني،مجلة الأصالة،العدد 34،مطبعة البعث،قسنطينة،1976،ص95 - Valensi Lucette. Calamités démographiques en Tunisie e.p1547. -سعيدوني،الحياة الريفية،ص327.
1786م						×	×			الجزائر-عنابة	- Manuscrit ,f 21. أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332
1787م	×					×	×	×		بايلك الشرق-القالة- عنابة-قسنطينة	- Manuscrit ,f 26. - Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p508. المجموعة1641بالمكتبةالوطنية،الرسالة84 بتاريخ1787(رسالة من صالح باي الى وكيل الباستيون)،وكذلك ،حماش،كشاف وثائق تاريخ الجزائر،ص55. أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص55.



-venture de paradis, Alger Au XVIIIe Siècle (Éd.1898) , p22 – الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات،ص51. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332											
-correspondance des consules de France à Alger (1642-1792) , **B[1]143** ,Fº63-66registre :29(1787-1789),p756. -venture de pardis, p263. - الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات،ص51.	ايالة الجزائر		×	×	×				×		**1788م**
- Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p508. –القشاعي، ص262. Amédée Maurin. Invasion des Sauterelles,p117. –الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات،ص51. - سعيدوني،الحياة الريفية،ص332	ايالة الجزائر		×		×					×	**1789م**
-Grammont, H.-D. de.. Histoire d'Alger sous la….p343. –الراشدي(أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)،الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،ص211. -Amédée Maurin. Invasion des Sauterelles,p117. - الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات،ص51.	وهران مدينة الجزائر	×	×	×						×	**1790م**

											- سعيدوني،الحياة الريفية،ص332
1791م	×		×			×	×	×		ايالة الجزائر بجاية والقل تلمسان	-Grammont, H.-D. de.. Histoire d'Alger sous la….p343. -Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352. - Valensi Lucette. Calamités démographiques en Tunisie .p1554. - Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal), Contribution à la connaissance de la sismicité d'Alger et de ses alentours au XVIIIe siècle,..p499. - الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات،ص51.
1792م	×		×				×	×		ميناء الجزائر تلمسان– مدينة الجزائر	- Manuscrit ,f 33. - Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p499 -Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352. - Valensi Lucette. Calamités démographiques en Tunisie.p1554. –الزياني (أبو القاسم)،الوجيز من الترجمانة الكبرى التى جمعت أخبار المعمورة برا وبحرا ،تح محمد المنصور،ط1،دار كتابكم ،الرباط،2016م،ص87. – الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات،ص51.
1793م	×						×	×	×	الجزائر–البليدة– بايلك الشرق–	-- Manuscrit ,f 33. - Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p510.



										بسكرة	أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. -Marchika,p144/141 - Valensi Lucette. Calamités démographiques en Tunisie.p1548. - الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات،ص51. -سعيدوني،الحياة الريفية،ص327.
1794م	×					×	×	×	×	الجزائر-بايلك الغرب	-- Manuscrit ,f 36. -أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. -Marchika,p145 سعيدوني(ناصر الدين)،فحص مدينة الجزائر(نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال)،ص93 -. الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات،ص51.
1795م	×							×	×	مدينة اجزائر-دلس	- Manuscrit ,f 39. - Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal),p510. – الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات،ص51. -سعيدوني،الحياة الريفية،ص327.
1796م								×	×	دلس-عنابة	– الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات،ص51. -سعيدوني،الحياة الريفية،ص327.
1797م							×	×	×	الجزائر-بايلك الشرق	- Manuscrit ,f 40. -أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52.

											– الوثيقة رقم13 ورقمها التسلسلي328،وهي رسالة من القنصل البرتغالي في طنجة الى حكومته نقلا عن حماش، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني الى العهد الراهن، ج1، ص206. – الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات،ص51. –سعيدوني،الحياة الريفية،ص327.
1798م						×	×		×	ايالة الجزائر	- Manuscrit ,f 42. –سعيدوني،الحياة الريفية،ص327.
1799م						×	×			الجزائر –وهران	أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. -Marchika,p150 –سعيدوني،الحياة الريفية،ص333.
1800م				×		×				مدينة الجزائر	سعيدوني(ناصر الدين)،فحص مدينة الجزائر(نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال)،ص93. –سعيدوني،الحياة الريفية،ص327.
1802م	×						×			تلمسان– معسكر– القليعة–البليدة	-Marchika,p150 –احمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار...ص83.
1803م	×					×	×		×	الجزائر– قسنطينة–	–القشاعي، ص132
1804م				×			×		×	الجزائر قسنطينة	–أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. –صالح(العنتري):مجاعات قسنطينة،ص13.



											– الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات،ص31.
1805م				×					×	قسنطينة	–صالح(العنتري):مجاعات قسنطينة، ص13.
1806م				×					×	قسنطينة	–صالح(العنتري):مجاعات قسنطينة،ص13.
1807م				×					×	قسنطينة	–صالح(العنتري):مجاعات قسنطينة ،ص13.
1808م		×									-venture de pardis, p263.
1809م							×				–القشاعي، ص134
1810م	×										–سعيدوني،الحياة الريفية،ص334.
1811م											
1812م			×							ميناء الجزائر	Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352.
1813م						×				وهران	–الزياني(محمد بن يوسف)،دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران،ص304–305. – Amédée Maurin. Invasion des Sauterelles,p117.
1814م				×		×				ايالة الجزائر	–مذكرات أحمد الشريف الزهار ....ص117 -venture de pardis, p263.
1815م				×		×			×	ايالة الجزائر	–القشاعي، ص134 -venture de pardis, p263. Amédée Maurin. Invasion des Sauterelles,p117..

1816م			×			×	×		×	ايالة الجزائر	- Manuscrit ,f 43 -أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. -القشاعي، ص137 Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352. -الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات،ص151. -سعيدوني،الحياة الريفية،ص327.
1817م						×	×	×	×	الجزائر-عنابة وقسنطينة والقالة وبسكرة ووهران	- Manuscrit ,f 43 -سعيدوني،الحياة الريفية،ص327. القشاعي، ص134 -Marchika,p.162 - غطاس عائشة:من أجل اعادة النظر في البنية الديموغرافية لمجتمع مدينة الجزائر ، ص38-39 -الزياني(محمد بن يوسف)،دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، ص247 -سعيدوني،الحياة الريفية،ص327
1818م	×					×	×	×	×	الجزائر-وهران-عنابة-قسنطينة-	- Manuscrit ,f 47 -Marchika,p164. -سعيدوني،الحياة الريفية،ص327. -القشاعي، ص252. - غطاس عائشة:من أجل اعادة النظر في البنية الديموغرافية لمجتمع



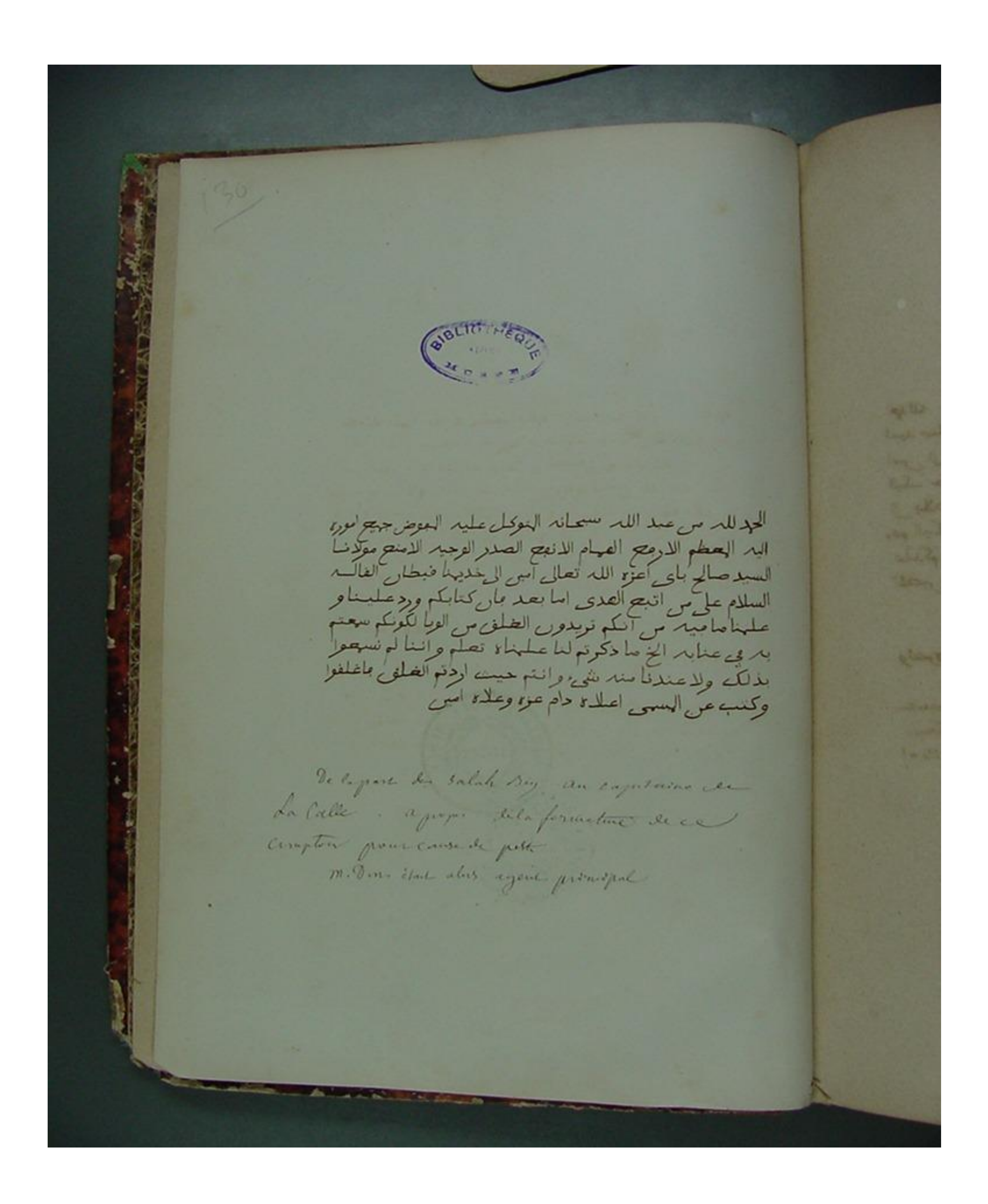
											مدينة الجزائر، ص38-39
1819م	×					×	×	×	×	بايلك الشرق عنابة	-- Manuscrit ,f 51 -سعيدوني،الحياة الريفية،ص327. -Guyon ,histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique-Alger.1855 نقلا عن القشاعي ص14- . -Marchika,p.168 - غطاس عائشة:من أجل اعادة النظر في البنية الديموغرافية لمجتمع مدينة الجزائر، ص38-39
1820م		×				×	×	×		الجزائر-وهران- قسنطينة	القشاعي،ص 152 - غطاس عائشة:من أجل اعادة النظر في البنية الديموغرافية لمجتمع مدينة الجزائر، ص38-39 -venture de pardis, p263. -سعيدوني،الحياة الريفية،ص327
1821م							×	×	×	عنابة-وهران- تلمسان	-القشاعي،ص 252 - غطاس عائشة:من أجل اعادة النظر في البنية الديموغرافية لمجتمع مدينة الجزائر، ص38-39 -سعيدوني،الحياة الريفية،ص327.
1822م						×	×	×	×	الجزائر	أمين(محمد)،الاختراق التجاري،ص52. القشاعي، ص137 - غطاس عائشة:من أجل اعادة النظر في البنية الديموغرافية لمجتمع



											مدينة الجزائر، ص38-39. Amédée Maurin. Invasion des Sauterelles,p117. -Guyon:sur la peste d'Alger,p 1817-1818 -سعيدوني،الحياة الريفية،ص327.
1823م						×				**مدينة الجزائر**	-سعيدوني،الحياة الريفية،ص327
1824م						×				ايالة الجزائر	-Amédée Maurin. Invasion des Sauterelles,p117.
1825م	×							×			-القشاعي، ص162. - غطاس عائشة:من أجل اعادة النظر في البنية الديموغرافية لمجتمع مدينة الجزائر، ص38-39. - الزهار (أحمد الشريف)،مذكرات،ص155-156.
1826م								×			- غطاس عائشة:من أجل اعادة النظر في البنية الديموغرافية لمجتمع مدينة الجزائر، ص38-39
1828م				×		×					المجموعة1642بالمكتبةالوطنية،الرسالة25بتاريخ1243(رسالة من أحمد باي الى حسين باشا)، وكذلك ينظر:حماش،كشاف وثائق تاريخ الجزائر،ص64.
1830م	×		×							ميناء الجزائر مدينة الجزائر	Devoulx, Albert, Quelques tempêtes à Alger, pp342-352. -سعيدوني،الحياة الريفية،ص334.
المجموع	**36**	**06**	**29**	**21**	**00**	**35**	**55**	**24**	**26**		



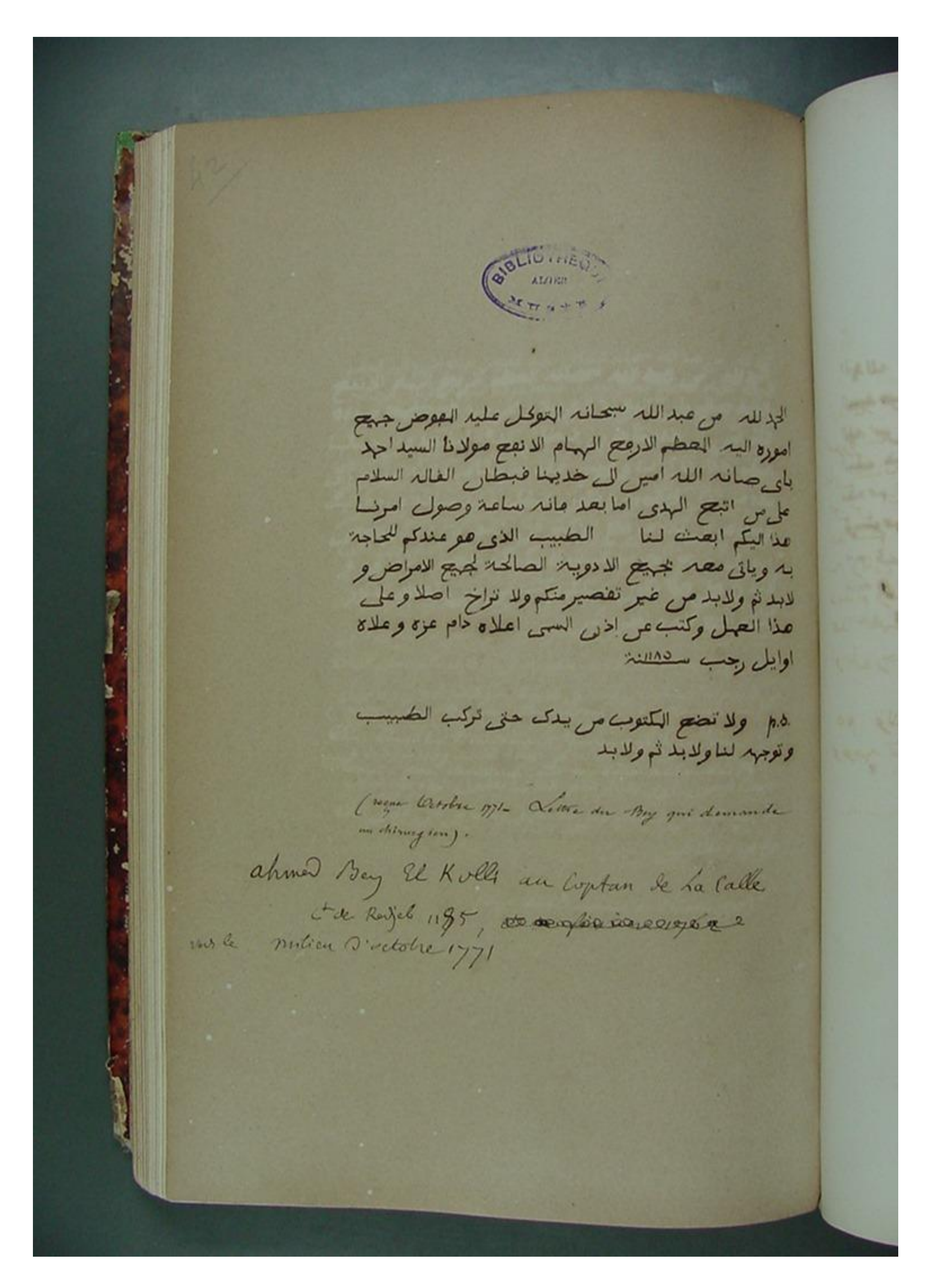
الملحق(02):رسالة من صالح باي الى وكيل الباستيون ، دون تاريخ، الإذن بغلق الباستيون بسبب انتشار الوباء في عنابة.(المجموعة 1641،الوثيقة130،المكتبة الوطنية الجزائرية).



الحمد لله من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع اموره
اليه المعظم الارفع الهمام الانفع الصدر الوجيه الامنع مولانا
السيد صالح باي اعزه الله تعالى امين الى خديمنا قبطان القالة
السلام على من اتبع الهدى اما بعد فان كتابكم ورد علينا و
علمنا ما فيه من انكم تريدون الغلق من الوبا لكونكم سمعتم
به في عنابة الخ ما ذكرتم لنا علمناه تعلم واننا لم نسمعوا
بذلك ولا عندنا منه شيء وانتم حيث اردتم الغلق فاغلقوا
وكتب عن المسمى اعلاه دام عزه وعلاه امين

De la part de Salah Bey au capitaine de
La Calle, à propos de la fermeture de ce
comptoir pour cause de peste
M. [illegible] était alors agent principal

<u>الملحق(03)</u>:رسالة من أحمد باي الى وكيل الباستيون ،أوائل رجب 1185هـ،يطلب فيها ارسال الطبيب الفرنسي المقيم في القالة الى الباي.(المجموعة 1641،الوثيقة42،المكتبة الوطنية الجزائرية).



الحمد لله من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع
اموره اليه المعظم الارفع الهمام الانفع مولانا السيد احمد
باي صانه الله امين الى خديمنا قبطان القالة السلام
على من اتبع الهدى اما بعد فانه ساعة وصول امرنا
هذا اليكم ابعث لنا الطبيب الذي هو عندكم للحاجة
به وياتي معه بجميع الادوية الصالحة لجميع الامراض و
لابد ثم ولابد من غير تقصير منكم ولا تراخ اصلا وعلى
هذا العمل وكتب عن اذن المسمى اعلاه دام عزه وعلاه
اواسل رجب سنة ١١٨٥

p.s. ولا تضع المكتوب من يدك حتى تركب الطبيب
وتوجه لنا ولابد ثم ولابد

ahmed Bey El Kolli au Capitan de La Calle
Redjeb 1185,
milieu d'octobre 1771

الملحق (04):حضور الجزائر في مجالس الصحة العثمانية (نظارت أمور صحية،عدد112،الأرشيف العثماني)

– Osmali Arsivi , A.J MKT.MHM 579/00016/005.

نظارت امور صحیه

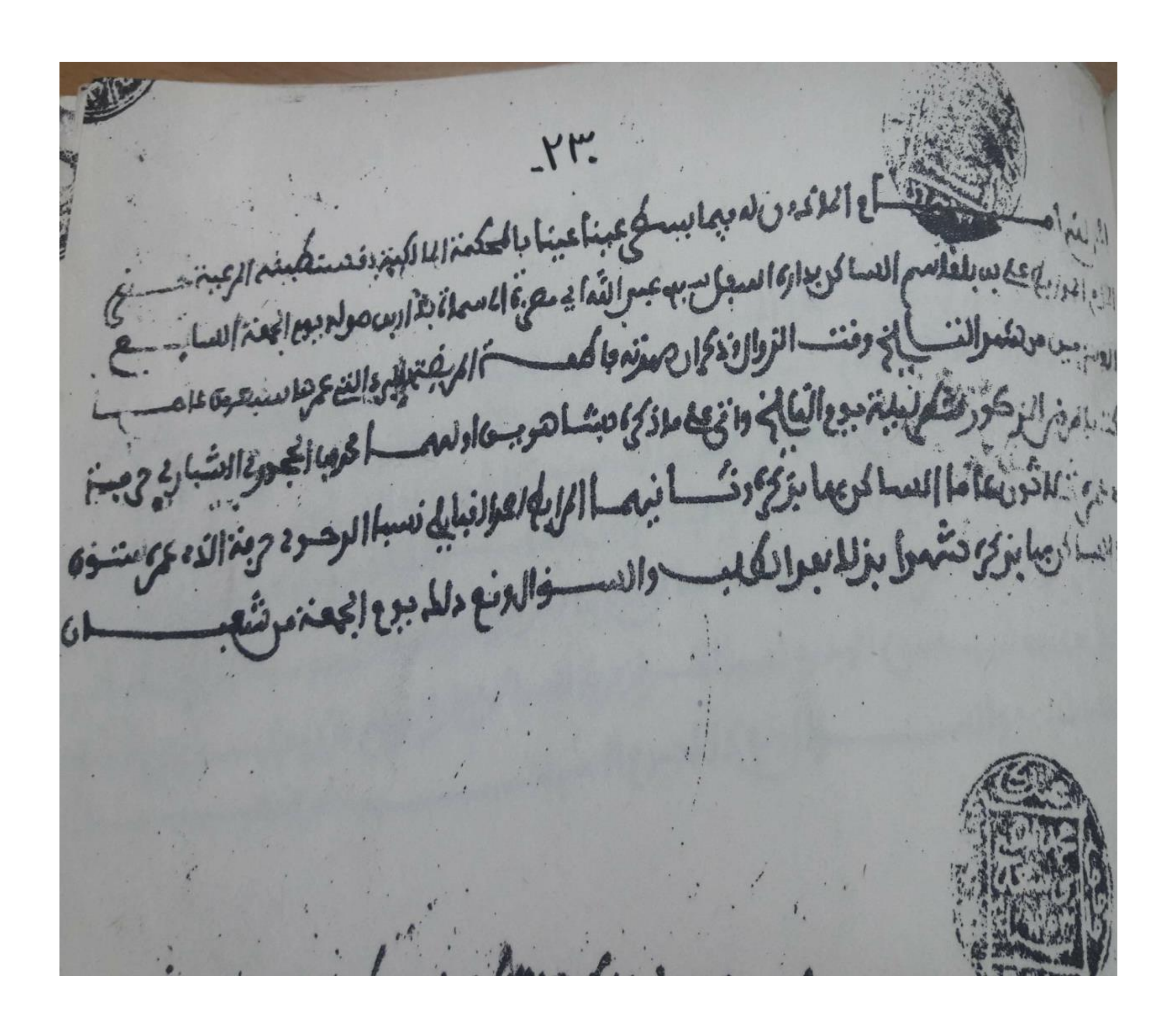
تحریرات اوطه سی

عدد ۱۱۲

A.}MKT.MHM.00579.00016.005



الملحق (05):العقد الأول من الورقة 23من سجل الوفيات لمدينة قسنطينة لعام 1840.أرشيف ولاية قسنطينة.


٢٣

الملحق (06): مقبوض عوائد الكرنتينة عن شهري سبتمبر1836م. – السلسلة التاريخية، الصندوق:066، الملف:798، أ.و.ت

زيادات | الحمد لله بيان مقبوض عوائد الكرنتينة عن شهري شطمبر سنة [illegible]

عوائد بريك تسمه نطان [illegible]

١٣٢ بريك فرنسيس منطان [illegible]

٥٢ [illegible]

٥٢ [illegible] منطان [illegible]

٥٢ بريك [illegible] منطان [illegible] من مرسيليه

٥٢ بريك [illegible] منطان [illegible]

٥٢ [illegible]

٥٢ [illegible] منطان [illegible]

٥٢ بريك [illegible] منطان [illegible]

٥٢ بريك [illegible] منطان [illegible]

٥٢ [illegible] منطان [illegible] من مرسيليه

٥٢ بريك [illegible] منطان [illegible]

٥٢ [illegible] منطان [illegible] من مرسيليه

[illegible]

٨١٥٥

٣٩٠٨٦٣ بقيه زيادات المصروفا على الدخول

زيادات | الحمد لله بيان [illegible] عن شهري شطمبر سنة ١٨٣٦

٢٧٧٥ بقيه مصروفا [illegible]

٢٥٠ عوايل كاتب [illegible] عن الشهر

١٤٠ عوايل [illegible] عن [illegible]

٧٠ عوايل [illegible] عن مثله

٧٠ عوايل [illegible] عن مثله

١٤ عوايل [illegible] عن مثله

[illegible]

١٦ [illegible]

٤ [illegible]

٣ اجر [illegible]

اجر [illegible]

٢٤ [illegible]

[illegible]

٦٢ [illegible]

١٢ [illegible]

[illegible]

٨٠ [illegible]

[illegible]

[illegible]

٣٠ [illegible]

٥ [illegible]

٤٣ [illegible]

[illegible]

[illegible]

٣٩ [illegible]

٢ [illegible]

[illegible]

٤٠٧ [illegible]

٣٩٠١٥٩

٣٩٠١٥٩

الملحق (07): وثيقة رقم:08 تبين مقبوض عوائد الكرنتينة باختلاف عدد الأيام والمكان– السلسلة التاريخية، الصندوق068، الملف:809،أ.و.ت

8

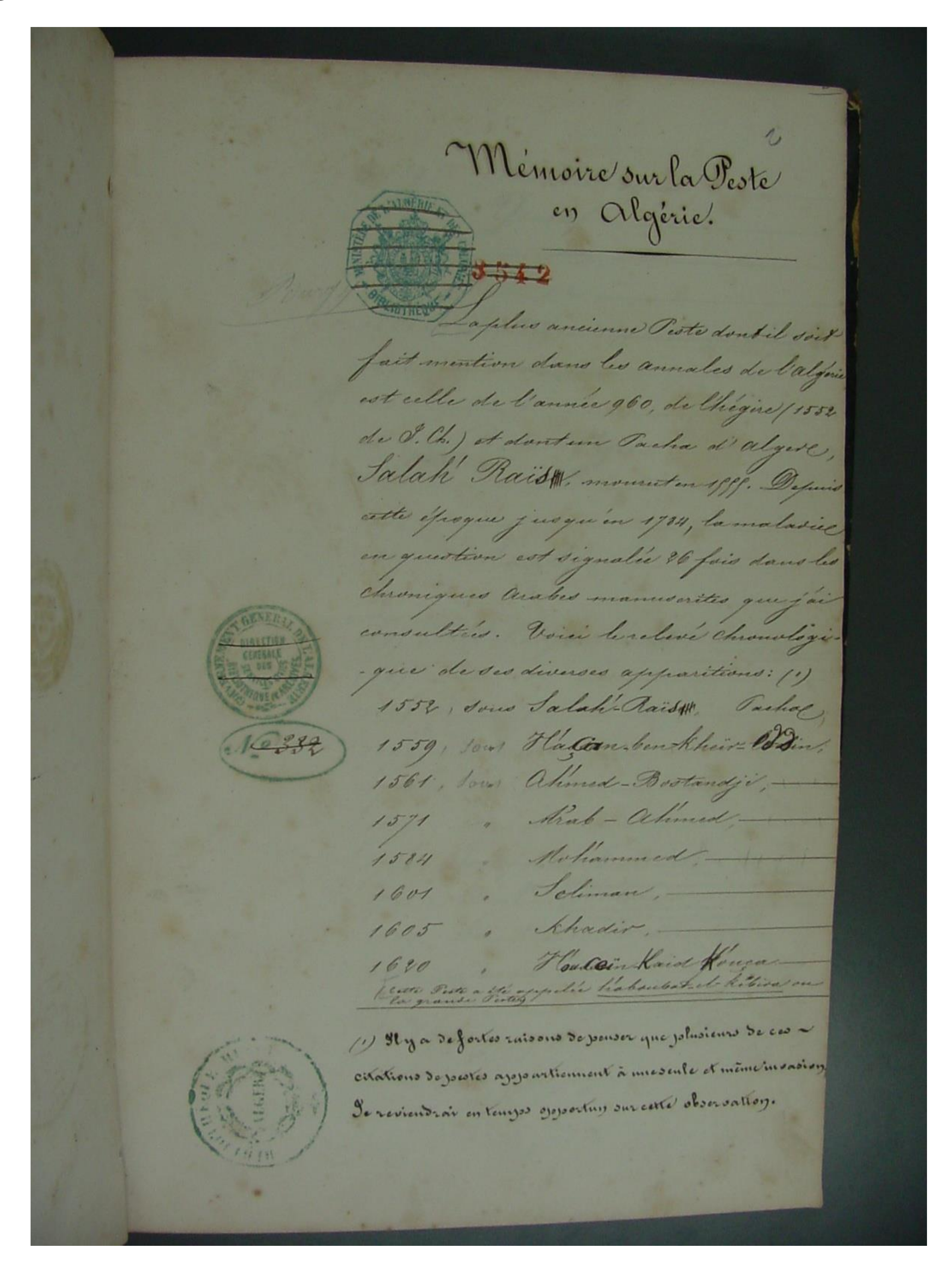
عوايد الكرنتينة خمسة ايام في السفن الذي يقدم من اي بر من
ريالات دورو بر النصارى والبابور نظيفة
٪ ٣ ٠ عمارة ملوكة ارمه لبابور
٪ ٣ ٠ العنبار
٪ ٣ ٠ صانتيه
٤ ٣ ٠ الطبيب والنجار دودو ريال ابيض
٪ ٣ ٠ البابوركه
٤ ٠ ١

عوايد نصف كرنتينة عشرة يوم في السفن الذي يقدم من
ريالات دورو بر الترك او من الاسكندرية والبابور نظيفة
٪ ٠ ٣ ورد ديا نلاث
٪ ٣ ٠ عمارة الملوكة ارمه لبابور
٪ ٣ ٠ العنبار
٪ ٣ ٠ صانتيه
٤ ٣ ٠ الطبيب والنجار دودو يا نلاث ابيض
٪ ٣ ٠ البابوركه
٤ ٠ ٣

عوايد الكرنتينة اربعين يوما في السفن التي تقدم من
دورو اي بر كان والبابور موسخة
٪ ٠ ٤ وردديا نلاث
٪ ٠ ٣ ورد ديا سيع البي
٪ ٣ ٠ عمارة الملوكة ارمه لبابور
٪ ٣ ٠ العنبار
٪ ٣ ٠ صانتيه
٪ ٣ ٠ الطبيب والنجار
٪ ٣ ٠ البابوركه

الملحق (08): الورقة الثانية من مخطوط:

-Mémoire sur la peste en Algérie ،Manuscrit nº3305, de la bibliothèque nationale Algérienne.



Mémoire sur la Peste
en Algérie.

La plus ancienne Peste dont il soit fait mention dans les annales de l'Algérie est celle de l'année 960, de l'hégire (1552 de J. Ch.) et dont un Pacha d'Alger, Salah' Raïs, mourut en 1555. Depuis cette époque jusqu'en 1784, la maladie en question est signalée 26 fois dans les chroniques Arabes manuscrites que j'ai consultées. Voici le relevé chronologique de ses diverses apparitions: (1)

1552, sous Salah'-Raïs, Pacha,
1559, sous H'acen-ben-Kheïr-ed-Din,
1561, sous Ah'med-Bostandji,
1571, " Arab-Ah'med,
1584, " Moh'ammed,
1601, " Soliman,
1605, " Khadir,
1620, " H'oucein Kaïd Kouça
(Cette Peste a été appelée Kh'oubat-el-kebira ou la grande Peste)

(1) Il y a de fortes raisons de penser que plusieurs de ces citations de pestes appartiennent à [illegible] et même invasion. Je reviendrai en temps opportun sur cette observation.

قائمة المصادر والمراجع

أولا- الوثائق الأرشيفية:

1.الأرشيف:

1.1-الأرشيف الوطني الجزائري :

- وثائق المحكمة الشرعية:

- العلبة 13، ميكروفيش4، الوثيقة 10،سنة1194ه (عقد التسوس).
- العلبة 13، م4، و10، سنة1188ه (عقد التسوس).
- العلبة 5، م3، و2، سنة1172ه/1758م.
- العلبة 5، م3، و2، سنة1172ه/1758م.
-العلبة 5، م3، و2،سنة 1172ه /1758م (عقد الندى)
- العلبة 133-134، م1، و3، سنة1094ه.

2.1- أرشيف ولاية قسنطينة:

- سجل الوفيات للمحكمة المالكية لمدينة قسنطينة لسنة 1840-1841م،98 ورقة، العقد الأول من الورقة 23 من سجل الوفيات لمدينة قسنطينة لعام 1840.

2-الوثائق والدفاتر(بالمكتبة الوطنية الجزائرية):

1.2-الوثائق

- المجموعة رقم1641، الوثائق: 36-42-51-53-56-75-84-85-90-91-96-107-108-109-113-127.
- المجموعة رقم1641، الوثيقة رقم 130، دون تاريخ.
- المجموعة رقم 1642، الوثائق:8-25 -14: تحتوي هذه المجموعة على 30 رسالة باللغة العربية أرسلها محمد باي و أحمد باي في قسنطينة إلى حسين باشا في الجزائر بين سنوات1816 -1830م وكلها أصلية.
- المجموعة رقم 3190، الملف الأول، الرسالة207- 383 .
- المجموعة رقم 3190، الملف الثاني، الوثائق:15.

- المجموعة رقم 3204 ، الملف 01، الوثيقة رقم 45 واصلها تحت رقم (12)في المجموعة(1903).
- المجموعة رقم 3204، الملف01، الوثيقة6، الوثيقة 60.

-المجموعة 1903، الوثائق12-33-50.

-بيان ماء حما باللغة التركية، وثيقة رقم1649 .

2.2-الدفاتر:

-الدفتر رقم 1966، يتضمن تجنيد الانكشاريين من الأناضول للجزائر، يضم هذا الدفتر 377وحدة للانكشاريين.

الدفتر رقم1972، يضم تجنيد الانكشاريين من الإمبراطورية العثمانية للجزائر ويحتوي على 420 وحدة للانكشاريين .

3-الأرشيف الوطني التونسي:

1.3 -الوثائق:

- السلسة التاريخية، الصندوق068، الملف:809، تحت عنوان:مراسلات متعلقة بالأوضاع الصحية بالبلاد التونسية وبالتحفظ من الأوبئة (1815-1873)، وثيقة رقم 08.

- السلسة التاريخية، الصندوق:066، الملف:798، تحت عنوان:مراسلات صادرة أو واردة على المجلس الصحي خاصة من القناصل تعلقت بأوضاع الصحة العمومية والكرنتينة لتحفظ على الأوبئة (1830-1840م)، مقبوض عوائد الكرنتينة عن شهري سبتمبر- أكتوبر و نوفمبر1836م.

- السلسلة التاريخية ، الحافظة 212، الملف 237، تاريخ1856-1868م، الوثائق15-2-6-17-29.

- السلسة التاريخية، الصندوق068، الملف:809، تحت عنوان: مراسلات متعلقة بالأوضاع الصحية بالبلاد التونسية وبالتحفظ من الأوبئة(1815-1873)، وثيقة رقم 05 مؤرخة في ذي الحجة 1247هـ.

-السلسلة التاريخية، الصندوق 299، الملف الفرعي:1،تحت عنوان: مراسلات متعلقة باتفاق تدابير وقائية ضد المراكب والسفن القادمة من اسطنبول والإسكندرية بسبب تفشي وباء الكوليرا، الترقيم،من307الى429، الوثائق71-86-90.

2.3-الدفاتر:

- دفتر رقم1769، ورقة23-32 (بيان للبقر والماعز الذي بيع بتونس من قبل جزائريين).

ثانيا-المخطوطات:

1-المكتبة الوطنية الجزائرية:

-البوني(أحمد بن قاسم بن محمد)، اعلام أهل القريحة في الأدوبة الصحيحة، المكتبة الوطنية الجزائرية، مخطوط رقم1759/3، ورقة 43.

-مخطوط :كشف الرموز في شرح العقاقير والعشاب، رقم 1764، ورقة31.

- مخطوط : مبين المسارب في الأكل والطب مع المشارب رقم cd260/1775.

- مخطوط: العميد في صناعة الجراحة رقم 1755، المقالة الخامسة، الفصل السادس: في الطواعين، غير مرقمة.

- مخطوط: قانون أسواق مدينة الجزائر، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم1378.

- مخطوط فرنسي:مذكرة حول الطاعون في الجزائر، رقم 3305 ، عدد أوراقه تسعة وستون(ورقة69).

-Mémoire sur la peste en Algérie, Manuscrit nº3305, de la bibliothèque nationale Algérienne.

2-المكتبة الوطنية بتونس (**قسم المخطوطات**):

- المناعي(محمد)، تحفة المؤمنين ومرشدة الضالين، مخطوط رقم11856، ورقة 70ظهر.

- قويسم (محمد)، الصون في ذكر ما يتعلق بالصون بالوباء والطاعون، مخطوط رقم09210.

4-الأرشيف العثماني: (Osmali Arsivi)

- Osmali Arsivi , A.J MKT.MHM 579/00016/001.
- Osmali Arsivi , A.J MKT.MHM 579/00016/002.
- Osmali Arsivi , A.J MKT.MHM 579/00016/003.
- Osmali Arsivi , A.J MKT.MHM 579/00016/004.
- Osmali Arsivi , A.J MKT.MHM 579/00016/005.

– تصنيف جودة قسم الخارجية، C.HRالوثيقة رقم4371: راجع نص الرسالة في: مشروع بحثTIKA: الجزائر في الوثائق العثمانية، تنسيق يوسف صاريناي ، ترجمة فاضل بيات ويشار محمد صالح الشريف ،الترجمة العربية للوثائق زينب دراج و عبد الباسط المكي، دار الوراق للدراسات والنشر، الجزائر ،2018.

–مخطوطات ذات راوبط الكترونية:

–محمد صالح بن أحمد (السمعوني الجزائري)، ذكر بعض المسائل التي تحل عند الحنفية وتحرم عند المالكية، مخطوط، مكتبة معهد الثقافة والدراسات الشرقية، بجامعة طوكيو، رابط الكتروني: http://ricasdb.ioc.u-tokyo.ac.jp/daiber/db_ShowImg_I.php

– ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن محمد)، بذل الماعون في أخبار الطاعون، مخطوط (نسخة مصورة من موقع www.alukah.net).

رابعا:المنشورات

1–المنشورات العربية:

1. –ابن أبي الضياف (أحمد،ت1874م)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ،تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، تونس، الدار العربية للكتاب ،المجلد الثاني،ج3 –ج7، 1999 .
2. ابن حمادوش (عبد الرزاق بن محمد)،كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، عربي-فرنسي، ط1، مكتبة البستان، باريس–دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنا، 1996.
3. ابن حمادوش الجزائري (عبد الرزاق)، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة"لسان المقال في النبا والحسب والحال"، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعدالله، الجزائر،2007م.
4. ابن خلدون (عبد الرحمن) ،تاريخ ابن خلدون (العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) ،طبعة مصصحة اعتنى بها أبوصيب الكرمي، الرياض (السعودية)، بيت الافكار الدولي.
5. ابن قنفذ القسنطيني (أبو العباس أحمد)، أنس الفقير وعز الحقير، تصحيح :محمد الفاسي و أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م.

6. ابن مليح (السراج)، أنس الساري والسارب من أقطار المغارب الى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والاعارب 1633/1630، تحقيق وتقديم: محمد الفاسي، فاس، 1968م.

7. الأغواطي، رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان و الدرعية، ترجمة و تحقيق أبو القاسم سعد الله ، طبعة خاصة، الجزائر، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011م.

8. الأنطاكي (داود عمر)، خلاصة تذكرة داود المسمى بغية المحتاج في المجرب من العلاج بالأعشاب، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة،2008م.

9. التمكروتي (علي بن محمد)، النفحة المسكية في السفارة التركية (1589) ، تقديم وتعليق محمد الصالحي، الامارات العربية، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2007م.

10.التونسي(محمد بيرم الخامس) ،صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار،ج4،دار صادر-بيروت ، ط1،المطبعة الإعلامية –مصر 1303هـ.

11. الحضيكي (ابي عبد الله محمدبن أحمد)، الرحلة الحجازية، ط1، ضبط وتعليق عبدالعالي لمدبر، الرباط(المغرب) ، مركز الدراسات و الابحاث و احياء التراث، 2011م.

12. الدرعي (احمد بن محمد)، الرحلة الناصرية، الطبعة الحجرية،ج1.

13. الدرعي(أحمد بن محمد)، الرحلة الناصرية (1709-1710م)، تح: عبد الحفيظ مملوكي ، الامارات العربية ، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2011 م.

14.الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون)، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح وتق: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

15.الزهار (أحمد الشريف)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف مدينة الجزائر(1754-1830م)، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر1974م.

16.الزياني (أبو القاسم)، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تح: عبد الكريم الفيلالي، المغرب، دار المعرفة للنشر والتوزيع، 1991م.

17.الزياني (أبو القاسم)، الوجيز من الترجمانة الكبرى التى جمعت أخبار المعمورة برا وبحرا ،تح محمد المنصور،ط1، دار كتابكم ،الرباط،2016م.

18. الزياني (محمد بن يوسف)،دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران،تح وتق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013م.

19. الشويهد (عبدالله بن محمد)، قانون أسواق مدينة الجزائر(1107-1117هـ/1695-1705م)، تحقيق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006م.

20. صالح (العنتري)، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1974.

21. العنتري (محمد الصالح)، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، تحقيق يحي بوعزيز، طبعة خاصة، دار البصائر،الجزائر،2009م.

22. العياشي (أبو سالم عبدالله بن محمد، ت1090هـ/1679م)، الرحلة العياشية ،تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، الامارات العربية، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2006،مج2.

23. الفرقان(حسن)،أدبيات الأوبئة في مغرب القرن19م، نموذج أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي، دراسة وتحقيق، ط1، دار التوحيدي، الرباط، المغرب، 2014 م.

24. المصعبي (ابراهيم بن بحمان)، رحلة المصعبي، تح: يحي بن بهون حاج أمحمد، ط1،ا لجزائر،2007م.

25. الناصري (أحمد بن خالد)، الإستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى، الدولةالسعدية، تحقيق جعفر الناصري، محمدالناصري، المغرب، دار الكتاب، ج5-1955م.

26. الورثيلاني (الحسن بن محمد، ت1193-1194 هـ/1779-1780م)، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثيلانية)، الجزائر، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، 1908.مج1.

27. الوزان(الحسن بن محمد)، وصف إفريقيا، تر:محمد حجي،محمد الأخضر،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، مج2.

28. ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف(749هـ/1348م)، ابن الخطيب: مقنعة السائل عن المرض الهائل، ابن خاتمة: تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، الشقوري:النصيحة، تحقيق ودراسة محمد حسن، بيت الحكمة، تونس2013م.

29. حمدان بن عثمان خوجة :المرآة أولمحة تاريخية وإحصائية على ايالة الجزائر-تعريب وتقديم العربي الزبيري، الجزائر، ش.و.ن.ت. 1982.

30. خوجة (حمدان)، إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء، محمد بن تحقيق عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1968م.

31. دودو (أبو العيد)، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830-1855، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1989م.

32. رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة ودراسة عبد الرحمن عبدالله الشيخ، المصرية العامة، 1995 م.

33. سبنسر(وليام)، الجزائر في عهد رايس البحر،تعريب وترجمة وتعليق عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007م.

34. شهاب الدين أحمد بن مبارك شاه الحنفي(توفي سنة 862هـ)، زهر الحديقة في الأطعمة الأنيقة، تحقيق محمد عبد الرحمان الشاغول،ط1، المكتبة الأزهرية التراث،القاهرة،2007م.

35. فيرو (شارل)، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، ترجمة وتحقيق:محمد عبد الكريم الوافي، ط3، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1994م.

36. التلمساني (أحمد بن هطال)، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري ، تقديم:محمد بن عبد الكريم، ارتياد الأفاق، الجزائر،1968م.

37. الحفناوي (أبي القاسم محمد)، تعريف الخلف برجال السلف،الجزائر،1906،ج2.

38. العياشي (أبو سالم عبدالله بن محمد)، لقط الفرائد من ماء الموائد، مختصر الرحلة العياشية 1661-1663م،اعداد:سليمان القرشي ، المغرب الاقصى، دار التوحيدي، 2012م.

39. الورثيلاني (الحسن بن محمد)، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثيلانية)، الجزائر، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، 1908م، مج 1.

40. الوزان الزياني (الحسن بن محمد المدعو ليون الإفريقي، ت 1548م)، وصف إفريقيا، ترجمة:محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ،1983م. ج2.

41. ج.أو.هابنسترايت، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس،2007م.

2.المراجع العربية:

42.أبرهموش (محمد)، من تاريخ الطاعون إلى عقليات الطاعون،كلية الآداب والعلوم الإنسانية–القنيطرة،2017

43.الأمين (عوض الله)، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي، وأثرها الحضارية، ضمن:كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، بغداد، العراق، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، 1984م.

44.البزاز (محمد الأمين)، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية –الرباط ،1992م.

45.بن خروف(عمار)، العلاقات الإقتصادية والإجتماعية و الثقافية بين الجزائر و المغرب في القرن 10هـ/16م، الجزائر، دار الأمل، ج2، 2008.

46. الزبيري (محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين 1792–1830، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.

47.السبتي (عبد الأحد)، الزطاط وقاطع الطريق أمن الطريق في مغرب ماقبل الاستعمار، دار توبقال، الدار البيضاء، 2009م.

48.الشنتوف (الطيب)، الحضور المغاربي بمرسيليا في القرن الثامن عشر، الهجرة المتوسطية بين الأمس واليوم، جامعة الشريف الإدرسي المفتوحة،،1988دار الهلال العربية، الرباط 1992م.

49.الشيخ (سوس سالم) ، إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، ط1، دار النشر للجامعات ، مصر2002م.

50.الكاديكي (عثمان)، الأمراض المعدية، ط3، دار الكتب الوطنية، بنغازي1998م.

51.المنصور(محمد)، موقف علماء المغرب من الأوبئة والإجراءات الصحية الاحترازية، جمعته بنعدادة (آسيا)، المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية–الرباط،2002م.

52.المنصور(محمد)،موقف علماء المغرب من الأوبئة والإجراءات الصحية الاحترازية، جمعته بنعدادة(آسيا)، المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية–الرباط،2002م.

53.أمين (محمد)، الاختراق التجاري الفرنسي للجزائر خلال العهد العثماني(1518–1830م)، ط1، دار كوكب علوم، الجزائر، 2016م.

54.أمين (محمد)، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، (دط)، مطبعة آنفو، فاس، 2011م.

55.بروديل (فرنان)،المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب وايجاز مروان أبي سمرا، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،1993م.

56.بلحميسي (مولاي)، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981م.

57. بلقاضي (بدر الدين)، بن حموش(مصطفى)، تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر،2007 والتوزيع، الجزائر،ج1-2، 2007.

58. بن خروف (عمار)، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب (10هـ/16م)، دار الأول، الجزائر، ج2، 2008 م.

59.بنحيون (ماجدة)، مساهمة المناخ في حصول المجاعات والأوبئة بشمال إفريقيا خلال العهود القديمة، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الجديدة، 2002م.

60.بنعدادة (آسيا)، المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب ، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية—الرباط، 2011م.

61.بوالقطيب (الحسين)، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن ،الرباط، 2002م.

62.بوعزيز، تاريخ افريقيا الغربيةالاسلامية من مطلع 16م الى مطلع القرن 20م، دط، الجزائر، دار هومة، 2001م.

63.جسوس (عزالدين)، الكوارث الطبيعية والأوبئة ومدى تأثيرها على العلاقة بين الرعية والسلطة السياسية خلال حكم المرابطين، الجمعية المغريبية للبحث التاريخي،الجديدة،2002م.

64.جوتفريد (روبرت.س)، الموت الأسود،جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى، تر:أبو أدهم عبادة كحيلة، ط1، المكز القومي للترجمة، القاهرة،2017م.

65.حبيدة (محمد)، بؤس التاريخ مراجعات ومقاربات، دار الأمان، الرباط، 2015م.

66.حساني (مختار)، الأحوال التفافية والسياسية للجنوب الجزائري من خلال رحلة الدرعي، ضمن أعمال طريق القوافل، المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ ، الجزائر،2001م.

67.حماش (خليفة)، وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني،الجزء الأول:مراسلات وكلاء الجزائر في الخارج،منشورات كلية الآداب والحضارة الاسلامية-جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة-الجزائر،2016م.

68.حماش (خليفة)،كشاف تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي، سلسلة أدوات البحث والبيبليوغرافيا، منشورات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة،الجزائر، 2013م.

69.حماش (خليفة)،كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة، الجزائر،2010م.

70.حماش (خليفة)،كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الكتابات المتعلقة بالمغرب من العهد العثماني إلى العهد الراهن،ط1، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-الجزائر، 2018، ج1.

71.حمزة (عفت وصال)، الكوارث الطبيعية، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2003م.

72.خلاصي(علي)، قصبة مدينة الجزائر،دار الحضارة لطباعة والنشر،الجزائر،2007م.

73. خياطي(مصطفى)، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، منشورات،ANEP،الجزائر،2013م.

74. خياطي(مصطفى)، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، منشورات،ANEP،الجزائر،2013م.

75. خياطي(مصطفى)، الطب والأطباء في دولة الأمير عبد القادر ، منشورات،ANEP،الجزائر،2013م.

76.دحية(مصطفى)، الطب العربي في الجزائر، محمد الصغير بن العربي أول طبيب دكتور في تاريخ الجزائر،ط1، دار كردادة للنشروالتوزيع، الجزائر،2018م.

77.رويان (بوجمعة)، الطاعون والزهري بالمغرب خلال عهد الحماية1912- 1938م، ضمن أعمال بنعدادة (آسيا)، المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية—الرباط، 2011م.

78.ريحانا(سامي)، شعوب الشرق الأدنى القديم ، نوبليس.

79.سعدالله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ط1،دار الغرب الاسلامي، بيروت،1998 م ،ج2.

80. سعيدوني (ناصرالدين)، النظام المالي في الجزائر أواخر العهد العثماني1792-1830 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م.

81. سعيدوني (ناصرالدين)، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية،الفترة الحديثة،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت2001م.

82. سعيدوني(ناصر الدين)، الحياة الريفية باقليم مدينة الجزائر (دار السلطان)، أواخر العهد العثماني(1791-1830م)، طبعة خاصة، البصائر، الجزائر، 2013م.

83. عيدوني(ناصر الدين)، بوعبدلي(المهدي)، الجزائر في التاريخ(العهد العثماني)، الجزائر، الشركة الوطنية للكتاب ،1984م.

84. سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1988، ج2.

85. شويتام (أرزقي)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(926-1246ه/1519-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009 م.

86. صاري (جيلالي)، الكارثة الديمغرافية1867-1868 بالجزائر،ترجمة خليل أوذاينية، موفم للنشر، الجزائر2013م.

87. صبحي (محمد)، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل و الأوزان والنقود الشرعية، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، 2008م.

88. عباد (صالح)، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، الجزائر، دار هومة، 2012م.

89. عبد الرحيم عبد الرحمان (عبد الرحيم)، المغاربة في مصر في العهد العثماني(1517-1798)، الجزائر، منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية، 1982م.

90. العروي (عبدالله)، مجمل تاريخ المغرب،3ج،المركز الثقافي العربي، بيروت،الدار البيضاء،1994م.

91. غطاس (عائشة)، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر(1700-1830م)، مقاربة اجتماعية-اقتصادية، منشورات: ANEP، الجزائر،2012 م.

92. فتحة (محمد)، الوباء الجارف بالغرب الإسلامي-معطيات ومواقف، جمعته بنعدادة (آسيا)، المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية—الرباط، 2011م.

93.فرج محمود (فرج)، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1977.

94.فيصل (محمد موسى) ، موجز تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر ، بنغازي(ليبيا) ، منشورات الجامعة المفتوحة، 1997م.

95.قاسم (أحمد)، ايالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574- 1600م)، تونس، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،2004 م.

96.قنان(جمال)، معاهدات الجزائر مع فرنسا1619-1830،دار هومة، الجزائر،2010م.

97.كريمي (ماجدة)، قراءة في المدينة الموحدية والمرينية من خلال أزمة المجاعات والأوبئة، الجمعية المغريبية للبحث التاريخي، الجديدة، 2002م.

98.كوثراني (وجيه)، تاريخ التأريخ:اتجاهات، مدارس، مناهج،ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت،2012.

99.لوغوف (جاك)، التاريخ الجديد، ترجمة وتحقيق وتقديم محمد الطاهر المنصوري، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان،2007.

100. محسوب (صبري محمد) و أرباب (محمد إبراهيم)، الأخطار والكوارث الطبيعية، الحدث والمواجهة-معالجة جغرافية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.

101. محسوب (محمد صبري)، الجغرافيا الطبيعية، أُسس و مفاهيم حديثة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م.

102. مروان (محمد عمر)، الحياة الإقتصادية والإجتماعية، والثقافية في غدامس خلال العهد العثماني الثاني 1835-1912 ، بنغازي، دار الكتب الوطنية ،2009م.

103. مشروع بحثTIKA: الجزائر في الوثائق العثمانية، تنسيق يوسف صاريناي ، ترجمة فاضل بيات ويشار محمد صالح الشريف ،الترجمة العربية للوثائق زينب دراج و عبد الباسط المكي، دار الوراق للدراسات والنشر،الجزائر ،2018م.

104. موساوي القشاعي (فلة)، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1518-1871م)، منشورات بن سنان، وزارة الثقافة، الجزائر، 2010م.

105. الإدريسي (الفقيه)، ركب الحاج المغربي بين إكراهات المجال وجاذبية المقامات المقدسة من خلال رحلة"ماء الموائد"لأبي سالم العياشي، ضمن أعمال الندوة العلمية المنعقدة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال في موضوع: ركب الحاج المغربي والتواصل الروحي والحضاري بين المغرب والمشرق، تنظيم مجموعة الدراسات والأبحاث في العلاقات المغربية المشرقية بتاريخ 29-30مايو2013م.

106. الزبيري (محمد العربي)، مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1984 م.

107. بلحميسي (مولاي)، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر 1981م.

108. بن يدر(كريم)، الحرف والحرفيون بمدينة تونس خلال القرنين 18و19، مركز النشر الجامع، تونس،2007م.

109. بوجرة (حسبين)، ثنائية الفقه والطب في تمثلات التونسيين للطاعون خلال القرن الثامن عشر، جمعته بنعدادة (آسيا)، المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب، منشورات عكاظ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية– الرباط،2002م.

110. بوجرة (حسين)، الطاعون وبدع الطاعون، الحراك الإجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير(1350-1800م)، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،2011م.

111. بوعزيز(يحي)، مدينة وهران عبر التاريخ،ط2،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،2009م.

112. روزنبرجي (برنار) و تريكي(حميد)، المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16و17م، ترجمة: حزل(عبد الرحيم)، ط2،دار الأمان، الرباط، 2010م.

113. عزي (عبد الرحمن)، التواصل القيمي في الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار من تأليف سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني 1125-1193هـ، الجزائر، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011م.

114. فرج محمود (فرج)، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1977م.

115. لطيف (محمد العادل)، الخوف ببلاد المغرب في العصر الوسيط، دار زينب ، تونس،2019م .

116. واتس (شلدون)، الأوبئة والتاريخ المرض والقوة والامبريالية، تر:أحمد محمود عبد الجواد، مراجعة عماد صبحي، عايدي علي، ط1 ،القاهرة، 2010م.

3-المراجع الأجنبية:

117. Aucapitaine (baron Henri), étude sur la caravane de la Mecque et le commerce de l’intérieur de l’Afrique, Paris, extrait de publications de l’académie nationale, 1861.
118. Agnély (H), Le climat de L’Algérie, Alger, 1866.
119. Ballais(Jean-Louis), Recherches géomorphologique dans les Aurès (Algérie), paris, 1981.
120. Belhai (Dgelloul), histoire de la géologie de l’Algérie, Editions ANEP, 2012.
121. Belhai (Dgelloul), histoire de la géologie de l’Algérie, Editions ANEP, 2012.
122. Ben Larbey (Mohmed seghuir) La Médcine Arabe en Algérie, thèse pour le doctorat en médcine, paris 1884.
123. Ben Hamouche(Mustapha), SOUQS ET METIERS D’ALGER A L’EPOQUE OTTOMANE d’âpres les archives ottomane et le manuscrit de Devoulx, la marine et les routes commerciales ottomanes, étude réunies et préfacées par prof.A. Temimi, TUNIS ,2000.
124. Berbrugger (A), Bibliothèque-musée d’Alger, livret explicatif des collections diverses et ces établissements, Alger, 1860.
125. Berbrugger (A), Mémoire sur la peste en Algérie de1552 a1819, paris1847.
126. Burzet, Bellarmin-Vincent (Abbé). Histoire des désastres de l'Algérie, 1866-1867-1868, sauterelles, tremblement de terre, choléra, famine, par l'abbé Burzet, ALGER, 1869.
127. Carette, du commerce de l’Algérie avec l’Afrique centrale et les états barbaresques, Paris, 1844.
128. De Haëdo (Fray Diego) , HISTOIRE DES ROIS D’ALGER TRADUITE ET ANNOTÉE par H.-D. DE GRAMMONT, ALGER 1881.
129. Delphin (G), Histoire des pachas d’Alger de 1515 à1745,extrait d’une chronique indigène ,in J.A/avril-juin1922.

130. Devoulx(A), Tachrifat recueil de notes historiques sur l’administration de l’ancienne régence D’ALGER, Alger,1852.
131. Dr. Agnély : Le criquet pèlerin, ses invasions en Algérie de 1816 à1866, Alger, 1866.
132. Dumas, le Sahara Algérien, Paris, 1845.
133. FAREH (Hédi), CATASTROPHES NATURELLES, FAMINES ET ÉPIDÉMIES EN AFRIQUE DU NORD ANTIQUE (146 av. J.-C. / 698 ap. J.-C.), Histoire Ancienne, l’Université de Sousse, Tunis, 2017.
134. Fray diego de haëdo, histoir des rois d’alger traduite et annotée par h.-d. de grammont, adolphe jourdan, libraireéditeur4, place du gouvernement,4. alger, 1881.
135. G.rambert, Histoire du commerce de Marseille de 1589 à 1789, Paris, plon, 1954, T4.
136. Gaid(M), chronique des beys de Constantine, 1978.
137. Guyon, sur la peste d’Alger 1817-1818.
138. Guyon (J-L-G), Histoire Chronologique Des épidéémies du Nord De l’AFRIQUE depuis les temps les plus recules gusqu’a nos jours, Alger 1855.
139. H.-D. De Grammont. Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), ed. Ernest LEROUX, PARIS.
140. KHiati (Mostéfa), Histoire de la Médecine en Algérie de L’Antiquité à nos jours, Edition ANEP, L’Algérie, 2012.
141. Khodja (Hamdan), le Miroir (aperçu historique sur la régence d’Alger), tafat, L’Algérie 2015.
142. l.bergasse, Histoire du commerce de Marseille de1599 à1660 plon1954.
143. Lallmant (CH), revue critique et observations, invasion des sauterelles, Alger.
144. Lamarque (Léonce), recherches historiques sur la médecine dans la régence d’Alger, Imprimerie Baconnier, Alger, 1951, n°1.
145. Lapene (ed), aperçu historique et topographique sur l’état d’Alger deuxième édition, Paris, 1830.
146. Larbi (Abid), la pratique médicale en Algérie de la période coloniale à nos gours, editions ANEP, 2008 .
147. laujoulet-theo, le commerce en Algérie, notes sur le peuplement utile de l’Afrique française avec une carte, Paris, Hachette , 1851.

148. LESPÈS (René), ALGER, Étude de Géographie et d'Histoire urbaines, PARIS, 1930.
149. Lévêque (Christian), Écologie De l'écosystème à la biosphère, Collection : UniverSciences, Dunod، Parution : Paris, mai 2001.
150. Marchika (Jean), La Peste en Afrique Septentrionale : Histoire de la peste en Algérie de1363 à 1830, Alger 1927.
151. Maurin (Amédée), Invasion des sauterelles : histoire, anatomie, marche, moeurs, reproduction, ravages, leur importance en agriculture, moyens de destruction, Paris, 1866.
152. Mauroy(M), Du commerce des peuples de l'Afrique septentrionale dans l'antiquité, le moyen âge et les temps modernes, comparé au commerce arabes de nos jours, Paris, 1845.
153. Mrabet (Abd-ellatif), L'historique des calamités, et des catastrophes naturelles dans le Maghreb médiéval, Occupation du sol, peuplement et modes de vie dans le Maghreb antique et médiéval actes du troisième colloque international, (souse, 05-06 et 07 mai 2016).
154. Perry(A), Note sur les tremblements de terre en Algérie et dans l'Afrique septentrionale, Mémoires de l'Académie des Sciences, Arts et Belles Lettres de Dijon(1847), années 1845–1846.
155. Pierre (Senay), "Le mouvement circulaire de Carthage et les tremblements de terre du IVe siècle de notre ère," in Lixus, Actes du colloque de Larache (8-11 novembre 1989), Collection de l'École Française de Rome, 166 (Rome: l'École française de Rome, 1992).
156. Pierre Laporte(Jean), Peuplement et catastrophes naturelles dans l'Afrique de nord anciennes, dans le Maghreb antique et médiéval actes du troisième colloque international, (souse, 05-06 et 07 mai 2016).
157. Raymond(A), les grandes villes arabes à l'époque ottomane, open Edition. Books.
158. Raymound (andré), -la ville arabe, alep, à l'époque ottomane, xvie-xviiie siècles, Études arabes, médiévales et modernes, Damas, 1998.
159. Raymound(A): grandes villes arabes à l'époque ottomane-Paris, sidbade,1986.
160. Raynaud (lucien), La peste en Algérie: l'épidémie de peste dans la région d'Alger. Cas de peste survenus dans la colonie de 1899 à 1924», Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie (1924).

161. Restifo(guiseppe) ,maritime routes, epidimic routes in the eastern méditerranéen (1755-1800), Acts des Symposiums sur les Porovinces Arabes à L'Epoque Ottomane, N◦12, sur la marine et les routes commerciales ottomanes , etude réunies et préfacées par prof: Abdeljelil Temimi,Tunis, 2000.
162. Rousseau (A), « Chronique de la Régence d'Alger, traduites d'un manuscrit arabe intitulé « *El-Zohrat-El-Nayerat* » ». Alger, Imprimerie du gouvernem
163. Salvatore (speziale), navigation et prévention sanitaire maritime au Maghreb en temps de peste (début18 –début19siècle), Acts des Symposiums sur les Provinces Arabes à L'Epoque Ottomane, N12, sur la marine et les routes commerciales ottomanes, étude réunies et préfacées par prof: Abdeljelil Temimi, Tunis, 2000.
164. Thomassy (Raimond) , le Maroc et ces caravane ou relation de France avec cet empire, deuxième édition, Paris, 1845.
165. Touili (M), Correspondance des consuls de France à Alger,(1642-1792), Inventaire Analytique des Articles .E.B[1] 115 à 145, Centre Historique des Archives Nationales, paris, (CHAN), 2001.
166. VAYSSETTES(E), histoire des derniers Beys de Constantine, depuis 1793 jusqu'à la chute d'Hadj-Ahmed, in Revue africaine, v3/Année1858.
    166.1. venture de paradis, Alger Au XVIIIe Siècle (Éd.1898) .
167. Yvette (katan bensamoun), rama (chalak), jacques-roert (katan), le Maghreb de l'empire ottoman a la fin de la colonisation, francise, Paris, édition-belinb, 2007.
168. -Boubaker (Sadok), la peste dans les pays du Maghreb, attides face au fléau et impacts sur les activités commerciales 16-18[eme] siècles, R.H.M, Nº79-80, Tunis1995.
169. ˉBurzet, Bellarmin-Vincent (Abbé). Histoire des désastres de l'Algérie, 1866-1867-1868, sauterelles, tremblement de terre, choléra, famine, 1869.
170. -Carette et Warnier ,Description et division de l'Algérie ,Paris, Hachette, 1847.
171. ˉChombart de Lauwe, Des hommes et des villes [compte-rendu] , Population Année 1966 .
172. De Pardis (Venture), Alger au 18[e] siècle, Alger, 1898.-
173. -De Pardis(Venture), Voyage a Alger ou description de cette ville, des ses environs et Royaume D'Alger, paris, 1830.

174. -Dr.Shaw(Thomas), Voyage dans la Régence d'Alger au 18eme siècle, Traduiit de l'anglais par E.Mac Carthy(1830), ALGER 2007.

175. -Féraud(ch),Notice historique sur la tribu des Oulad-Abd-En-Nour, constontine,1864.

176. -James Grey Jackson, Relation de l'empire de maroc, Institut des études Africaines, Rabat,2007 .

177. -Lepelley (Claude), "L'Afrique du Nord et le prétendu séisme universel du 21 juillet 365," Mélanges del'École Française de Rome-Antiquité, 96-1 (1984).

178. Masson (paul), Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque, 1560-1793 (Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc). Paris, Hachette, 1902.

179. -Mercier (Ernest), Histoire de Constantine, 1903.

180. -Nicolas(Vatin), and Stéphane(Yerasimos), Les cimetières dans la ville: Statut, choix et organisation des lieux d'inhumation dans Istanbul intra muros. Istanbul: Institut Français d'Études Anatoliennes, 2001.

181. -Prax, l'Algerie meridionale ou Sahara Algerien , le dattier et le chameau, R. O.A.C,T5,Paris, 1849.

182. -Renou (Emilien), description géographique de l'Empire de Maroc, Paris, imprimerie royale, 1841.

183. -Simpson(Hilton), arab médecine and surgery. a study of the Healing art in Algeria, scholar's choice, 2015.

184. -Tal Shuval : LA VILLE D'ALGER VERS LA FIN DU XVIIIe SIÈCLE, Population et cadre urbain, CNRS Éditions, Paris, 2013.

185. -Valansi (lucette), le Maghreb avant la prise D'ALGER (1790-1830), Flammarion, 1969.

186. -Vincent-Yves (Boutin), reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger , par les consuls de Kercy (1791) et Dubois-Thainville (1809),paris 1927.

187. -Yacono(X): Les Cahiers d'Afrique du Nord, Biographie, nº15, Adrien Berbrugger: Hommes et Destins. Tome VII. 1986.

4-المجلات بالعربية:

188. استيتو(محمد)، معوقات الاقتصاد المغربي في العصر الوطاسي-السعدي من خلال كتب الرحلات والجغرافيا (أنموذج كتاب"وصف افريقيا"للحسن الوزان)، مجلة الآداب والعلوم الانسانية،ع/6، قسنطينة2005م.
189. أيت أومغار (سمير) ، المدن وسبل مكافحة الفيضانات في شمال افريقيا خلال المرحلة الرومانية، هسبرس-تمودة، المغرب، 2019م.
190. الزين (محمد)، نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات/مجلة الواحات للبحوث والدراسات/ ع17،2012.
191. السعداوي (أحمد)، المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته القرنين8-9هـ/14-15م، ابلا، العدد175، 1995م.
192. السعداوي (أحمد)، المجاعات والأوبئة في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط:النتائج الديمغرافية ، الديموغرافيا التاريخية في تونس والعالم العربي لمجموعة باحثين، دار سراس، تونس،1993م.
193. الطبي(أمين)، لمحة عن الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط (ايالة الجزائر) في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي من خلال رحلتي الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي) وعلي بن محمد التمقروتي، المجلة التاريخية المغربية،العدد93-40،تونس1985م.
194. القاضي (محمد)، رحلة أبي مدين الدرعي الحجارية لأحمد الصغير السوسي، مجلةالتاريخ العربي، الإمارات العربية، ع2010/51م.
195. القاضي(محمد)، رحلة أبي مدين الدرعي الحجارية لأحمد الصغير السوسي، مجلة التاريخ العربي، الإمارات العربية، ع/51-2010م.
196. القضاة (أحمد حامد إبراهيم)، الكوارث الطبيعية في إمارة شرقي الأردن، الجراد كحالة(1928-1930)، دراسة وثائقية تاريخية،المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ،المجلد11،العدد2017،02م.
197. المدني(محمد) الطريق من طرابلس الى فزان، مجلة البحوث التاريخية، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، ع1/جانفي1979م.

198. بلهواري (فاطمة)، التبادل التجاري بين مدن بلاد المغرب خلال القرن 4 هـ/10م ،الجزائر، إنسانيات، المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، جامعة وهران،2008م.

199. بن حمادي(عمر)، برور (رشيدة)، السعداوي (أحمد)،جدلة (ابراهيم)،الشريف (عبدالله)، الديموغرافيا التاريخية في تونس والعالم العربي، دار سراس، تونس، 1993م.

200. بواهوشات (نجاح)، الهجرة غير الشرعية في الجزائر والمشكلات الاجتماعية-مقاربة سوسيولجية-الهجرة ،الحراك والنفي وآثارهم على الصعيد الثقافي واللغوي،ضمن سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة، إشراف الدكتور كمال فيلالي، جامعة منتوري-قسنطينة، الجزائر، جوان2010م.

201. بوتشيشة (علي)، مدينة وهران من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة والمؤرخين،الأكاديمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع19، الجزائر2018م.

202. بوعزيز(يحي)، المجاعة بالجزائر أواخر عقد الستينات من القرن التاسع عشر ومواقف وآراء الجزائريين من ادعاءات الفرنسيين حول أسبابها،مجلة الأصالة ،العدد26-40، قسنطينة،1976م.

203. بوعزيز(يحي)، طرق القوافل والأسواق التجارية كما وجدها الأوربيون بالصحراء الكبرى، خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة، الجزائر، ع59 /1980م.

204. بوعزيز(يحي)، طرق القوافل والأسواق التجارية كما وجدها الأوربيون بالصحراء الكبرى، خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة، الجزائر، ع59/1980م.

205. بوعزيز(يحي)، مدينة وهران عبر التاريخ،ط2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2009م.

206. حالي(محمد)، المجتمع والأزمات في تاريخ المغرب في القرن الثامن عشر، ديوان أصدقاء المغرب ، المغرب 2011م.

207. حفيان(رشيد)، قراءة في مخطوط بعنوان: Mémoire sur la peste en Algérie، مجلة جامعة الأمير عبد القادر،م33، ع03-قسنطينة، الجزائر، 2019م.

208. حدادي (أحمد)،أخبار الأوبئة والأمراض في الرحلات السفارية المغريبية، مجلة كنانيش، ط1، ع3، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،وجدة،المغرب الأقصى، صيف-خريف2001م.

209. حدوش (عبد الحميد)، أسباب الهدر الديمغرافي بالمغرب من خلال مخطوط"أقوال المطاعين في الطعن والطواعين: مقاربة لطاعون1799م، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، دار المنظومة، 2018 م.

210. حفيان(رشيد) أمن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني، دورية كان التاريخية، ع27، مارس 2015م.

211. حماش(خليفة)، الوفيات في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال عقود المحكمة الشرعية، المجلة التاريخية المغربية، ع131، زغوان-تونس، مارس2008م.

212. سعد الله (أبو القاسم)، مع العياشي في رحلته إلى القدس، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الإمارات العربية، ع1999/10.

213. سعيدوني (ناصر الدين)، الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية، ع/34-35، تونس،1985م.

214. سعيدوني (ناصر الدين)، نظرة حول الوثائق العثمانية بالجزائر ومكانتها في تاريخ الجزائر الحديث ،مجلة التاريخ ، ع4، 1976م.

215. سعيدوني (ناصر الدين)،الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهدالعثماني، مجلة الأصالة، العدد 34،مطبعة البعث، قسنطينة،1976م.

216. سعيدوني (ناصر الدين)،من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر ، الشبكة المائية في العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، 1999م.

217. سعيدوني (ناصر الدين)، فحص مدينة الجزائر(نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال)، مجلة الدراسات التاريخية ، ع 01،الجزائر،1985.

218. صالح (أشرف)، الكانيبالية في مصر خلال العصور الوسطى:دراسة تاريخية عن انحراف غريزة الغذاء(1200-1202م)، مجلة البحوث التاريخية، ع02، الجزائر،جوان2017م.

219. ¯غالم (محمد)، ظاهرة الزلازل في الاسطوغرافيا الجزائرية التقليدية (بين الذاكرة والتاريخ)، مجلة انسانيات ،ع3، الجزائر1997م.

220. غطاس (عائشة)، سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لمجتمع مدينة الجزائر-العهد العثماني، مجلة إنسانيات، عدد3،1997م.

221. غطاس(عائشة)، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، ع/76،الجزائر 1983م.

222. غطاس(عائشة)، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، ع76، الجزائر1973م.

223. غطاس(عائشة)، من أجل إعادة النظر في البنية الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر معطيات مستقاة من الوثائق المحلية، مجلة إنسانيات، ع/19-20، الجزائر، جانفي-جوان2003م.

224. فيلالي(كمال) هجرة علماء غريس وتلمسان الى فاس في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر، الهجرة والرحلة،عدد خاص ضمن سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الأبحاث الاجتماعية والتاريخية حول الرحلة والهجرة، إشراف الدكتور كمال فيلالي،جامعة منتوري-قسنطينة،الجزائر،أفريل2010م.

225. لبصير(سعاد)، دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني1516-1830،سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، ضمن سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة، اشراف الدكتور كمال فيلالي، جامعة منتوري-قسنطينة، الجزائر،2008م.

226. مصطفى (آمال)، الحج والوباء خلال القرنين18و19م، تونس انموذجا، المجلة التاريخية المغاربية، ع/162،تونس2016م.

227. مداني(طارق)، المؤرخ والمقاربة الكمية: حول الدراسات الديمغرافية لبعض الحواضر الإسلامية : عرض أُطروحات وإثارة تساؤلات، مجلة أُسطور،ع10، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، قطر، جوان2019م.

228. موساوي القشاعي (فلة)، الوضع الصحي بالمدية، سكان بين أوبئة الكوليرا والتيفوس ،أعمال الملتقى الوطني حول فاطمة نسومر بين المقاومة والصوفية، وزارة الثقافة، جامعة المدية، ماي2009م.

229. موساوي القشاعي (فلة)، الوضعية الديمغرافية والصحية بالأرياف القسنطينية نهاية العهد العثماني(1771-1837م)، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع/17-18، زغوان، تونس، سبتمبر1988م.

230. موساوي القشاعي (فلة)، وباء الطاعون في الجزائر العثمانية، دوراته، وسلم حدته وطرق انتقاله، مجلة الدراسات الإنسانية، ع1،كلية العلوم الإنسانية، الجزائر،2001م.

231. موساوي القشاعي(فلة)، الوضع الصحي لمدينة تابلاط وضواحيها(1830-1855)، أعمال الملتقى الوطني حول تاريخ تابلاط، 27-29أفريل 2010م.

232. نشاط (مصطفى)، استيتو(محمد)، المودان (نورالدين)، ،الديموغرافيا في تاريخ المغرب،ط1، مجلة كنانيش ع1 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، رقم28، وجدة، 1999م.

233. نفطي (وافية)، مسألة علوم الطب والصيدلة عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة أفاق فكرية، ع، 2019م.

234. هلايلي (حنيفي)، النشاط التجاري في مدينة الجزائر العثمانية على ضوء مخطوط قانون على الأسواق، المجلة التاريخية المغاربية، ع/117، تونس2004م.

5–المجلات بالفرنسية:

235. Abdessemed-Foufa (Amina), and Benouar (Djillali) : Atlas of Earthquake -Résistant Traditionnel Techniques in Alegria: The Case of the Casbah of Algiersؤ Algiers on 28 July 2015.

236. -Abdelmounim(Aissa), l'état sanitaire du Maroc pré-colonial 1742-1912, R.H.M, 31eme année N°115, Tunis 2004.

237. -Aller en caravane :le cabotage lointain en Méditerranée, 17eme et 18eme siècles, revue d'histoire moderne et contemporaine ,2005/1, N52-1.

238. Amine(Mohamed), géographie des échanges commerciaux de la régence D'Alger a la fin de l'époque ottomane 1792-1830, Revue d' Histoire Magrébine, nº 71-72, Tunis, 1993.

239. -Biraben Jean-Noël. Daniel Panzac. La Peste dans l'Empire Ottoman 1700-1860, 1985. In: Annales de démographie historique,1986. Démographie historique en Amérique Latine.

240. -Bencheneb (M), Itinéraire de Tlemcen à la Mekke par Ben Messaib, 18eme siècle, in Revue africain, T.44/1900, p264.

241. -Besnier (Robert). Leroy Ladurie (Emmanuel) - Histoire du climat depuis l'an mil.In: Revue économique, volume 19, n°3,1968.

242. BOUBAKER (Said), La Peste dans les pays du Maghreb attitudes face a fléau et impact sur les activités commerciales 16,18éme siècles, In, R.H.M, 2éme année n° 79-80, Tunnis, mai 1995.

243. Chombart de Lauwe, Des hommes et des villes [compte-rendu] , Population Année 1966, 21-3.

244. Claude (Lepelley). L'Afrique du Nord et le prétendu séisme universel du 21 juillet 365. In: Mélanges de l'École française de Rome. Antiquité, tome 96, n°1. 1984.

245. Devoulx, (Albert), Assassinat du pach mohmmed Tekeherli, In R.A.N°15. Année 1871, paris, 1871.

246. Devoulx (A), Quelques tempêtes à Alger, Revue Africaine, n° 89, 1871.

247. De Candia (Farrugia), monnaies husseinites, Revue Tunisienne, nº17.
248. DE HAEDÛ,(DON DIEGO) , TOPOGRAPHIE ET HISTOIRE GÉNÉRALE D'ALGER, Traduit de l'espagnol par MM. le Dr. MONNBRau et A. berbrugger. In R.A.Nº15.Année1871, paris1871.
249. Delphin(G), Histoire des pachas d'Alger de 1515 à1745, extrait d'une chronique indigène, in R.A/avril-juin1922.
250. Dr.Monnreau, les inscriptions d'Oran et de Mers-el-Kebir par de sandoval.in .R.A.Nº16-Année1872.
251. E.WATBLED, Documents inédits sur l'assassinat du pacha Tekelerli (1556-1557), In R.A, nº15, Anné1871.
252. Fareh (Hédi) "L'Afrique face aux catastrophes naturelles, In Africa et in Hispania, De Abdellatif Mrabet et j.rodrigues, Edicions Universitat Barcelona, 2007.
253. -Faroua (Mahmoud), le commerce caravanier de la Tunisie après la première guerre mondiale, revue d'histoire maghrébine, nº 55/56, Tunis, 1989.
254. Federico (Cresti), Alger à la période turque. Observations et hypothèses sur sa population et sa structure sociale. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°44, 1987. Berbères, une identité en construction.
255. Feraud (C), les corporations de métiers à Constantine avant le la conquêtes française, traduction d'un manuscrit arabe in R.A.Nº16 , Alger 1872.
256. Ferdi(Sabah) et Harb(Assia), Roman literary and epigraphic sources for the study of historical seismicity in Algeria, circa 42–420 ad, Journal of Seismology,volume18-Nº2, (2014).
257. Grammont (Henri de), Correspondance des consuls français d'Alger, in R.A/vol 28/1884.
258. Hildebert (Isnard), La répartition saisonnière des pluies en Algérie. In: Annales de Géographie, t. 59, n°317, 1950.
259. Jacques (Houdaille), Colloque sur la démographie historique de L'Afrique. Edimbourg, 23-24Avril, 1981.In : Population, 36e, année, n°6,1981.
260. Jean-Noël(Biraben). Panzac(Daniel). La Peste dans l'Empire Ottoman 1700-1860, 1985. In: Annales de démographie historique, 1986. Démographie historique en Amérique Latine.

261. John (Kington), Fluctuations climatiques : une étude synoptique du climat, fin XVIIIe-début XIXe siècle. In: Annales. Economies، sociétés, civilisations. 32année, n° 2, 1977.
262. Kington (John). Fluctuations climatiques : une étude synoptique du climat, fin XVIIIe-début XIXe siècle. In: Annales. Economies sociétés, civilisations.32 année, Nº 2, 1977.
263. l.ch.feraud, Ephémérides d'un secrétaire officielle sous la domination turque à Alger de 1775 à1805 in R.A, VOLUME 18 ANNÉE 1874.
264. Leveau (Philippe), L'environnement de l'Afrique dans l'Antiquité. Climat et société, un état de la question، IKOSIM, N°5, (2016).
265. Maximum Observed Intensity Map (MOI 2014), Article *in* Seismological Research Letters Volume 86, Number 1 January/February 2015.
266. -Meuvret (Jean). Les crises de subsistances et la démographie de la France d'Ancien Régime. In: Population, 1 année, n°4,1946.
267. Mantran(Robert). Panzac Daniel, La peste dans l'empire ottoman, 1700-1850, coll. Turcica. In: Revue de l'Occident musulmanet de la Méditerranée, n°44, 1987. Berbères, une identité en construction.
268. -MOUNIER(Alain), A propos de… Les hommes et la peste en France et dans les pays européens et méditerranéens ; études sur pezenes et l'Hérault, Revue 1978 n° 3.
269. -Notes pour servir à l'histoire d'Ouargla. (1885), n° 316-317, Revue africaine, 1923.
270. Panzac (Danial), la peste dans L'Empire Ottomane1700-1850, ed, peters leuven, 1985.
271. Panzac (Daniel), La peste à Smyrne au XVIIIe siècle. In: Annales. Economies, sociétés, civilisations. 28année, N4, 1973.
272. Panzac (Daniel), les échanges maritimes dans l'empire ottoman au 18[eme] siècle. In : Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, Nº39 ,1985.les Ottomans en Méditerranée-Navigation, Diplomatie, commerce.
273. Panzac (Daniel), La peste dans l'empire ottoman, 1700-1850, coll.turcica, v, éditions peeters, louvain, 1985, 659p, 35 cartes, 16graphiques, index.
274. Philippe-Gaspard (Gauckler), La pluie à Alger. In: Annales de Géographie, T. 12, n°64, 1903.

275. Pierre(Julien), La peste et ses ravages en Europe et en Méditerranée au cours des temps : Jean-Noël Biraben، Les hommes et la peste en France et dans les pays européens et méditerranéens. Tome 1. La peste dans l'histoire, Revue d'Histoire de la Pharmacie, Année 1976, 231.
276. Prax ,régence de Tripoli, carte de cette régence et des principale routes commerciales de l'intérieur de l'Afrique, Revue de l'Orient de l'Algérie et des Colonies ,T.8, Paris,1850.
277. -Panzac Daniel. La peste à Smyrne au XVIIIe siècle. In: Annales. Economies, sociétés, civilisations. 28 années, N° 4, 1973.
278. -Pierre (PIGUET), Les invasions acridiennes en Algérie de 1830 à 1900, 15septembre1984,http://www.cerclealgerianiste.fr/index.php/archives/encyclopedie, algerianiste/territoire/geographie-du-territoire/geographie-agricole.
279. -Raymound(A) : signe urbains et études e la population grandes –villes arabes à l'époque ottomane-bulletin d'étude orientales, n°27,1974.
280. -Robin (N), Note sur l'organisation militaire et administrative des Turces dans la Grand Kabylie, in Revue Africaine, T.17/1873.
281. -Sabah Ferdi & Assia Harbi, Roman literary and epigraphic sources for the study of historical seismicity in Algeria circa 42–420 AD, Journal of Séismologie, volume18, n°2, 2014.
282. Sebaï (Amal) et Bernard (Pascal), Contribution à la connaissance de la sismicité d'Alger et de ses alentours au XVIIIe siècle, extraite des archives françaises, Centre de recherche en astronomie, astrophysique et géophysique (CRAAG), Algérie, 2008.
283. Segala (Marco), Alfred Wegener et la dérive des continents, *Bibnum,* Sciences de la Terre, 2012.
284. Raymond(André), le centre ville D'Alger en1830,in ROMM, n°31, 1981.
285. Sebaï(Amal) et Bernard(Pascal), Contribution à la connaissance de la sismicité d'Alger et de ses alentours au XVIII siècle, extraite des archives françaises, C. R. Géoscience 340, (2008) .
286. Speziale (Salvatore), Medecins et infrastructures sanitaires an Afrique septentrionale du 18 au20eme siècle ،in .R.H.M, N°111, Tunis2003.
287. Taithe (Bertrand), « La famine de 1866-1868 : anatomie d'une catastrophe et construction médiatique d'un événement », *Revue d'histoire du XIXe siècle* [En ligne], 41 | 2010, consulté le 30 septembre 2016.

288. Touati (AliIsmet), la peste et le commerce extérieur de l'Algérie a l'Epoque ottomane, R.H.M, Nº154-155, tunis2014.
289. Touati(AliIsmet), la peste et le commerce extérieur de l'Algérie a l'Epoque ottomane, R.H.M, Nº154-155, Tunis 2014.
290. Touti (Ismet), la peste et le commerce extérieur de l'Algérie a l'époque ottomane, revue d'histoire maghrébine, nº154-155, Tunis 2014.
291. Valensi (Lucette). Calamités démographiques en Tunisie et en Méditerranée orientale aux XVIIIe et XIXe siècle. In: Annales. Economies, sociétés, civilisations. 24 année, Nº6, 1969.
292. VAYSSETTES(E), histoire des derniers Beys de Constantine, depuis 1793 jusqu'à la chute d'Hadj-Ahmed, in Revue africaine, v3/Année1858.
293. Zatir (Amira) et Foufa (Amina), EVALUATION OF THE CITADEL OF ORAN AFTER THE, EARTHQUAKE OF 1790, Académique Journal of Science, 2018.

6-الرسائل الجامعية:

-رسائل الدكتوراه:

294. الكلدي (سميرة)، المجاعات والأوبئة بالمغرب الوسيط (534-776هـ/1139-1375م)، جامعة سيدي محمد بن عبدالله -كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز-فاس،2003-2004م.
295. حالي (محمد)، المجتمع والأزمات الديموغرافية في تاريخ المغرب في القرن الثامن عشر (1727-1757م)، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-وجدة، 2002م.
296. حماش (خليفة)، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، (غير منشورة)، جامعة منتوري- قسنطينة، 2006 -2007م.
297. معاشي (جميلة)، الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، (غير منشورة)، جامعة منتوري،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسنطينة،2007-2008.
298. نفطي (وافية)، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن18م الى منتصف القرن19،أطروحة دكتوراه ، غير منشورة، قسم التاريخ والآثار-جامعة باتنة1، الجزائر2016-2017م.
299. Mohamed (Amine), commerce extérieur et commerçants d'Alger à la fin de l'époque ottomane (1792-1830), thèse de doctorat soutenue à l'université de provence, Aix-Marseille 1,1991.

300. Touati (AliIsmet), le commerce du blé entre la régence D'Alger et la France de 1559-1830, thèse de doctorat, université Paris 4, Sorbonne, Paris, 2009,v1.

-رسائل الماجستير:

301. بن عبدالله (صالح)، الكوارث وآثارها في بلاد الشام خلال القرون الثلاث الأولى من الهجرة من القرن السابع إلى القرن التاسع الميلادي(622-913م)، رسالة ماجستير،قسم التاريخ الإسلامي-جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،1432م.

302. سمية (مزدور)، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(588-927ه/1192-1520م)، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري-قسنطينة، 2008-2009م.

303. فلة(القشاعي) النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837م،رسالة ماجستير غير منشورة-معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1990م.

304. Boughazi (Khadidja), risque sismique et urbanisation regard croisé sur la ville d'Alger, mémoire de magistère, faculté de science de la terre, université Mentouri, Constantine, 2012.

305. -Keltouma(Mlle IKTITEN), Contribution à la modélisation du climat de la Kabylie, diplôme de Magister, Ecologie et Environnement, Université ABDERRAHMANE MIRA-Bejaia , 2013/2014.

7-الجرائد:

306. La Gazette de France, (Paris. 1631). Nº9,29 février 1716.

307. La Gazette de France, A1655.

8-المعاجم اللغوية:

308. ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج1، مج2، مج3، مج8، مج9، مج11، مج14.

309. الجوهري (اسماعيل بن حامد)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين، ط2، بيروت،1989م، ج5.

9-المواقع الالكترونية:

-http://www.universalis.fr/encyclopedie/catastrophes-naturelles-notions-de-base. http://1886.u-bordeaux-montaigne.fr/items/show/9634

-www.futura-sciences.com/sante/définitions/vie-épidemie-3837/2019.

-www.cna.dz/ bulltin des assurances -n26-publié le 28/04/2014.

-www.cna.dz/ bulltin des assurances -n26-publié le 28/04/2014.et A. Ayadi and M. Bezzeghoud Seismicity of Algeria from 1365 to 2013.

فهرس المحتويات



فهرس المحتويات:

ملخص:

تتناول هذه الدراسة الكوارث الطبيعية التي اجتاحت الجزائر خلال العهد العثماني على شكل دورات من الزلازل والفيضانات والجفاف وغزوات للجراد و موجات متوالية من الأوبئة الفتاكة والمجاعات، خلال فترات دورية من تاريخها كمراحل عصيبة مرت بها، مخلفة آثار كبيرة وعميقة عرقلت مسارها الاقتصادي ، ووقفت حاجزا أمام نموها الديموغرافي تركت بصمات واضحة في الذاكرة الجماعية انعكست على كتابات الإخباريين المحليين والأجانب على حد السواء، حاولنا فيها البحث عن طبيعة و حقيقة هذه الكوارث من حيث مكوناتها وحيثياتها، ودوراتها وذلك من خلال التعمق في خصائصها وأسبابها ثم النظر في ما يكون لها من أثار على مختلف الجوانب خاصة الاجتماعية والاقتصادية ، وكيف كان رد فعل المجتمع والسلطة أمامها ؟ .

– إن دراسة الكوارث الطبيعية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني اقتضت علينا القيام بمسح شامل لها ، فكان لابد من تسليط الضوء على تلك الكوارث العديدة التي مست جزائر العهد العثماني مجالا وزمانا، و توالت على ساكنتها مجتمعا وسلطة مخلفة آثار متعددة الجوانب ، لذا حاولنا في هذا البحث الوقوف عند مفهومها، وأهم المسميات التي اتخذتها لغة واصطلاحا حتى يتضح المعنى ، ثم الوقوف عند أنواعها وكشف خصوصية كل منها.

– تعددت أسباب الكوارث من طبيعية ليتعدى تفسيرها إلى أسباب أخرى عكست ذهنية المجتمع الجزائري العثماني ارتبطت أساسا بثقافته الجمعية بدءا بمعتقده الديني المرتبط بالعقاب السماوي من جهة ومن جهة أخرى إلى التفسير الخرافي وقد تداخلت فيها أيضا عوامل أخرى اقتصادية واجتماعية وحتى سياسية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة زادت من حدة هذه الكوارث.

–إن التأريخ للأزمات أو الأوبئة كظواهر طارئة فرضت علينا الوقوف عليها بدءا بمعرفة مفهومها إلى تتبع مراحلها من الظهور إلى الحدة ثم التلاشي، وتسجيل حجم فتكها الذي لم يستثن أية فئة اجتماعية دخيلة أو مستوطنة (ساكنة)، أو أية جهة جغرافية فقد دون الإخباريون كما ثقيلا من المؤلفات التي سعوا من خلالها حسب بعض الباحثين، إلى الجواب عن مجموعة من الأسئلة المؤرقة في ظل مسألة العدوى وأمام العجز عن وقف نزيف الخسائر، ومالها من عظم الآثار والعواقب على البلاد مجتمعا وسلطة.

– تعددت آثار الكوارث الطبيعية التي مست جوانب مختلفة من حياة الساكنة في الجزائر خلال العهد العثماني بكل فئاتها بدءا بالخلية الأولى المتمثلة في الأسرة إلى تأثيراتها على النسيج الاجتماعي كعائق أمام نموه الديمغرافي، وما خلفه ذلك من ردود أفعال تجاه هذه الكوارث سواء داخل المجال الجغرافي للجزائر أو مع علاقاتها البينية مع

مختلف الدول المجاورة لها، لتكتمل بذلك المأساة أمام تضارب المصادر واختلافها في تقديم إحصاء رسمي لعدد الموتى الذي طغى عليه طابع الوصف العام .

– و أمام فداحة الخسائر الديمغرافية والاقتصادية وغيرها من الآثار تبين لنا أن السلطة والساكنة بحثت عن مجموعة من الإجراءات الوقائية والحمائية للوقوف أما مخاطر الكوارث الطبيعية والحد منها لأنها شكلت هاجسا خلال الفترة المدروسة ، و بحثت عن سبل النجاة من فتك هذه الكوارث، بدءا بالوقوف على العدوى وطرق انتشار وتغلل الوباء إلى أرجاء الإيالة سواء على طريق البحر أو البر وآليات هذا الانتشار، مما أدى إلى اتخاذ مجموعة الأداءات السياسية والاجتماعية من تطبيق لنظام الكرنتينة والتطبيب سواء المحلي أو الأجنبي، والتضامن الاجتماعي في الأوقات العصيبة ، والادخار لوقت الحاجة وتنظيم الأسعار ومراقبتها وفرض تقنيات تتماشى مع مقاومة الزلازل الى الهجرة والفرار في بعض الأحيان كأسلوب وقائي لمواجهة مختلف الكوارث منها الزلازل وغزوات الجراد والمجاعات والأوبئة التي أعقبتها ظاهرة الإخلاء أمام تباين موقف الفقهاء منها كجدلية في ظل القراءات المتباينة للنص القرآني والأحاديث النبوية الواردة فيها.

–إن الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها شكلت صدمة ديموغرافية عاشتها الجزائر خلال العهد العثماني جراء ماعرفته من موجات للطاعون وضربات للزلازل وغزوات للجراد وسنوات جفاف أعقبتها مجاعات كلها كانت عوامل حاسمة ساهمت في هشاشة البنية السكانية للمجتمع الجزائري بالخصوص، وحالت بينه وبين تحقيق نمو ديموغرافي من جهة ومن جهة أخرى كان وقع هذه الصدمات الأثر العميق في زعزعة التوازنات النفسية و الروحية وحتى الاجتماعية خلف العديد من السلوكات الاجتماعية كالخوف والهجرة والفرار،مما خلف آثار متعددة الأوجه خاصة على المجال الاقتصادي وهو المساس بالسير العادي للحياة الاقتصادية وتضرر مختلف القوى الإنتاجية التي تعتبر المحرك الأساسي للديناميكية الاقتصادية، وما زاد الوضع سوءا أن تُهديد الساكنة في الجزائر خلال العهد العثماني في أصبح مضربها و مقر سكناها لتكتمل بذلك الحياة العصيبة أيام هذه الكوارث الطبيعية.

Résumé:

- Cette étude examine les catastrophes naturelles qui ont envahi l'Algérie pendant l'ère ottomane sous la forme de cycles de tremblements de terre, d'inondations, de sécheresses, d'invasions acridiennes, de vagues successives d'épidémies meurtrières et de famines au cours des périodes périodiques de son histoire, au cours desquelles des étapes difficiles, ont traversé, laissant des impacts importants et profonds qui ont entravé sa trajectoire économique et empêché sa croissance. La démographie a laissé des empreintes claires dans la mémoire collective, qui se reflétaient dans les écrits des nouvelles locales et étrangères. Nous avons essayé de rechercher la nature et la réalité de ces catastrophes en termes de leurs composantes, circonstances et cycles en fouillant dans leurs caractéristiques, leurs causes et leurs différents effets sur des aspects particuliers de la vie sociale et économique, et comment a été la réaction de la société et le pouvoir devant elle? .

- L'étude des catastrophes naturelles et de leur impact en Algérie pendant l'ère ottomane, nous a obligés à en faire une enquête complète. Il était donc nécessaire de faire la lumière sur ces nombreuses catastrophes qui ont touché la période ottomane en termes d'espace et de temps, et ont roulé sur ses habitants en tant que société et pouvoir à effets multiples, nous avons donc essayé dans cette recherche de se tenir à son concept, la nomenclature la plus importante prise par la langue et la terminologie jusqu'à ce que le sens devienne clair, puis se tenir à ses types et révéler la spécificité de chacun d'eux.

- Les causes des catastrophes variaient du naturel pour expliquer leur interprétation à d'autres raisons qui reflétaient la mentalité de la société algérienne ottomane principalement liée à sa culture collective à commencer par sa croyance religieuse liée au châtiment céleste d'une part et d'autre part à l'interprétation superstitieuse, et d'autres facteurs économiques, sociaux et même politiques s'y sont également mêlés directement ou indirectement. Ces catastrophes ont empiré.

- L'histoire des crises ou des épidémies, telles que les phénomènes d'urgence, nous a imposé de nous y tenir, en commençant par connaître son concept pour tracer ses étapes d'apparition à l'intensité puis disparaître, et enregistrer la taille de sa létalité qui n'excluait aucun groupe social ou étranger (statique), ou toute autorité géographique perdue sans que les nouvelles soient aussi lourdes. Selon certains chercheurs, cherché à répondre à un ensemble de questions obsédantes à la lumière du problème de l'infection et face à l'incapacité d'arrêter le saignement des pertes, et son argent des grands effets et conséquences sur le pays collectivement et l'autorité.

- Les effets des catastrophes naturelles qui ont touché divers aspects de la vie des habitants de l'Algérie à l'époque ottomane dans toutes ses catégories sont varié, à

commencer par la première cellule représentée dans la famille à leurs effets sur le tissu social comme obstacle à sa croissance démographique, et les réactions qui la sous-tendent face à ces catastrophes, que ce soit dans l'aire géographique de l'Algérie ou Avec ses interrelations avec les différents pays voisins, pour achever cette tragédie devant des sources conflictuelles et ses différences dans la fourniture d'un recensement officiel du nombre de morts qui ont été éclipsés par le caractère de la description générale.

- Face à l'énormité des pertes démographiques et économiques et autres impacts, il est clair pour nous que l'autorité et la population ont recherché un ensemble de mesures préventives et protectrices pour faire face aux risques de catastrophes naturelles et les réduire car ils constituaient une obsession pendant la période considérée, et ont cherché des moyens de survivre, en commençant par se tenir debout sur l'infection et les moyens de propager et de pénétrer l'épidémie tout au long de l'entretien, que ce soit par la mer ou la terre, et les mécanismes de cette propagation, qui ont conduit à tirer un ensemble de performances politiques et sociales de l'application du système d'œillets et de médicaments, qu'il soit local ou étranger, la solidarité sociale dans les moments difficiles et l'épargne s'il est nécessaire de réguler et de contrôler les prix et d'imposer des techniques conformes à la résistance aux séismes à la migration et à la fuite comme méthode préventive pour faire face à diverses catastrophes y compris les tremblements de terre, les invasions de criquets, les famines et les épidémies, qui ont été suivies par le phénomène de l'expulsion devant la variation de la position des juristes en tant que dialectique à la lumière des différentes lectures du texte coranique.

- Les catastrophes naturelles de toutes sortes ont constitué un choc démographique que l'Algérie a connu à l'époque ottomane en raison de sa connaissance des vagues de peste, des tremblements de terre, des invasions de criquets pèlerins et des années de sécheresse suivies de famines, autant de facteurs critiques qui ont contribué à la fragilité de la structure de la population de la société algérienne en particulier, et l'ont empêchée de réaliser une croissance démographique d'une part et d'une part. l'impact de ces chocs a été l'impact profond de la déstabilisation des équilibres psychologiques, spirituels et même sociaux derrière de nombreux comportements sociaux tels que la peur, la migration et la fuite qui ont laissé des effets multiformes, en particulier sur la sphère économique, qui a affecté le fonctionnement normal de la vie et Les dommages économiques aux diverses forces productives, ce qui est le principal moteur du dynamisme économique la situation a été aggravée par la menace de la population en Algérie, à l'époque ottomane dans le siège du domicile pour terminer cette jours de vie difficiles .

Abstract

- This study examines the natural disasters that swept Algeria during the Ottoman era in the form of cycles of earthquakes, floods, droughts, locust invasions and successive waves of deadly epidemics and famines, during different periods of its history as difficult stages that passed through, leaving large and profound impacts that impeded its economic path, and was a barrier to its demographic growth and left clear imprints in the collective memory, which were reflected in the writings of local and foreign historians. We tried to search for the nature and reality of these disasters in terms of their components, circumstances, and cycles through deepening into their characteristics, causes. Then in what different effects it has on particular aspects especially social and economic ones, and how was the reaction of society and authority in front of it.

- The study of natural disasters and their impact on Algeria during the Ottoman era necessitated us to conduct a comprehensive survey of them, so it was necessary to highlight those many disasters that touched the Ottoman period in terms of area and time, and rolled over its inhabitants, as a society and authority with multiple effects, so we tried in this research to stand at its concept, and the most important language and terminology nomenclatures it has until the meaning becomes clear, then stand at its types and reveal the specificity of each of them.

- The causes of disasters varied from natural to other reasons that reflected the mentality of the Algerian Ottoman society mainly related to its collective culture starting with its religious belief linked to the heavenly punishment on the one hand and on the other hand to the superstitious interpretation, and other economic, social and even political factors have also overlapped in it either directly or indirectly which made these disasters worsen.

- The history of crises or epidemics, such as emergency phenomena, imposed on us to stand on it, starting with knowing its concept to follow up its stages from appearing to intensity and then vanishing, and recording the size of its lethality that did not exclude any social group or settlement (inhabitants), or any geographic area. The news tellers wrote a large number of publications on which they sought, according to some researchers, to answer a set of haunting questions in light of the issue of infection and in front of the inability to stop the bleeding of losses, and what it had of great effects and consequences on the society and authority of the country.

-The effects of natural disasters that touched various aspects of the lives of the inhabitants of Algeria during the Ottoman era in all its categories varied, starting with the first cell represented in the family to their effects on the social fabric as an obstacle to its demographic growth, and the reactions behind it towards these disasters, whether

within the geographical area of Algeria or With its interrelationships with the various neighboring countries, to complete this tragedy in front of conflicting sources and its differences in providing an official census of the number of dead people which was overshadowed by the characteristic of a general description.

- In front of the enormity of demographic and economic losses and other effects, it is clear to us that the Authority and the population searched for a set of preventive and protective measures to stand in front of the risks of natural disasters and their reduction because they constituted an obsession during the studied period, and looked for ways to escape from the lethality of these disasters, starting with standing on the infection And ways of spreading and penetrating the epidemic throughout the Ayala, either by the sea or land, and the mechanisms of this spread, which led to taking a set of political and social performance from the application of the system of carnation and medication, whether local or foreign, social solidarity in difficult times, and savings if there is a need, regulating and controlling prices, and imposing techniques that are in line with earthquake and sometimes resistance to migration and flight as a preventive method to confront various disasters, including earthquakes, locust invasions, famines and epidemics, which were followed by the phenomenon of eviction in front of the variation of the position of jurists from them as dialectical in light of the varied readings of the Quranic text and prophetic sayings contained therein.

- Natural disasters of all kinds constituted a demographic shock that Algeria experienced during the Ottoman era due to the plague waves it knew, earthquake strikes, locust invasions, and years of drought followed by famines that were all crucial factors that contributed to the fragility of the population structure of the Algerian society in particular, and prevented it from achieving demographic growth on the one hand and on the other hand the impact of these shocks was the profound impact on the destabilization of psychological, spiritual and even social balances behind many social behaviors such as fear, immigration and flight, leaving behind different effects, especially on the economic sphere, which prejudices the normal functioning of the economic life and the damage of the various productive forces, which are the main engine of economic dynamism, and the situation was made worse by the threat of the population in Algeria during the Ottoman era was in their homes and to complete this difficult life days of these natural disasters.